

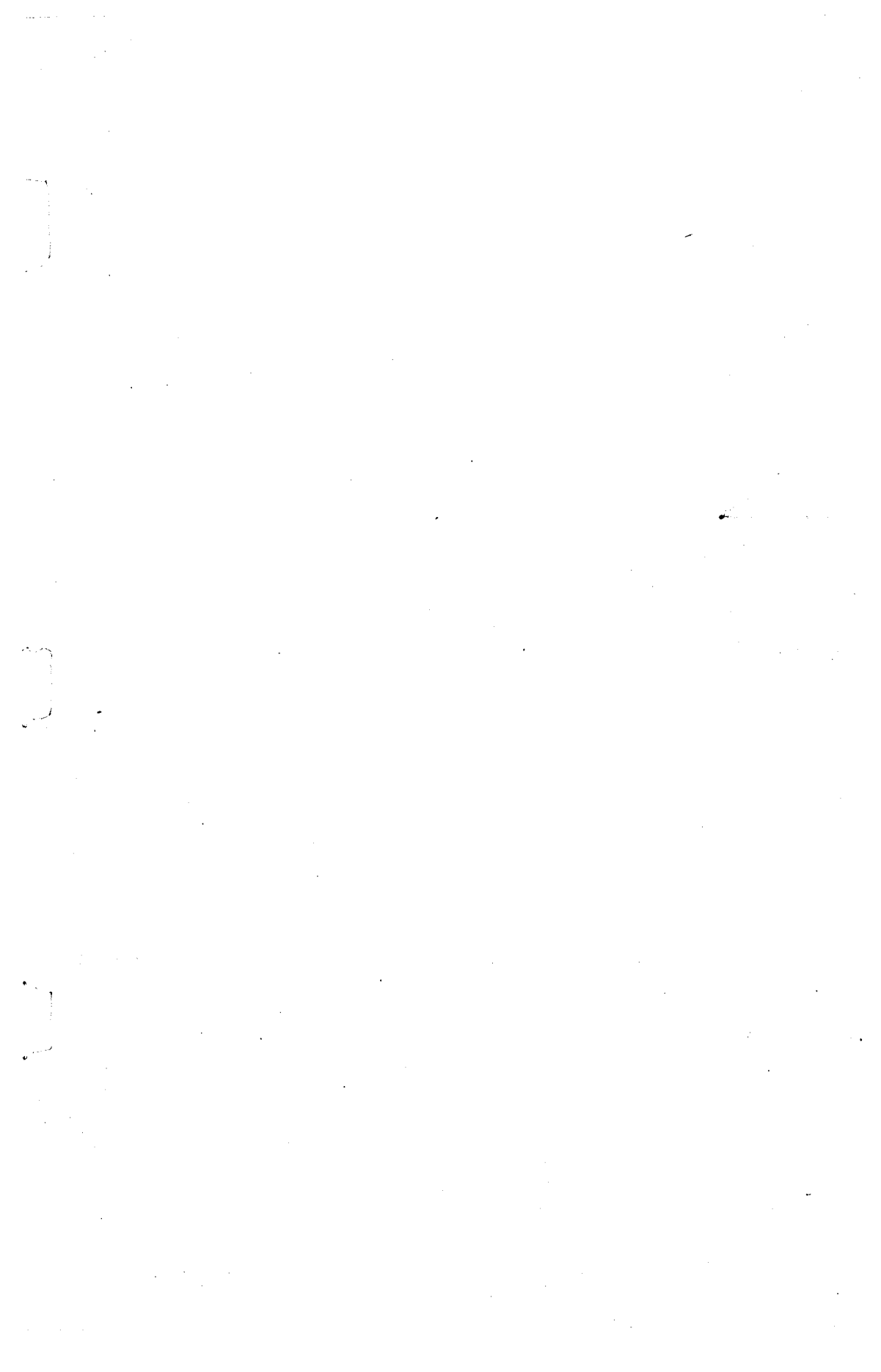


بلدية الكويت
مكتب العلاقات العامة

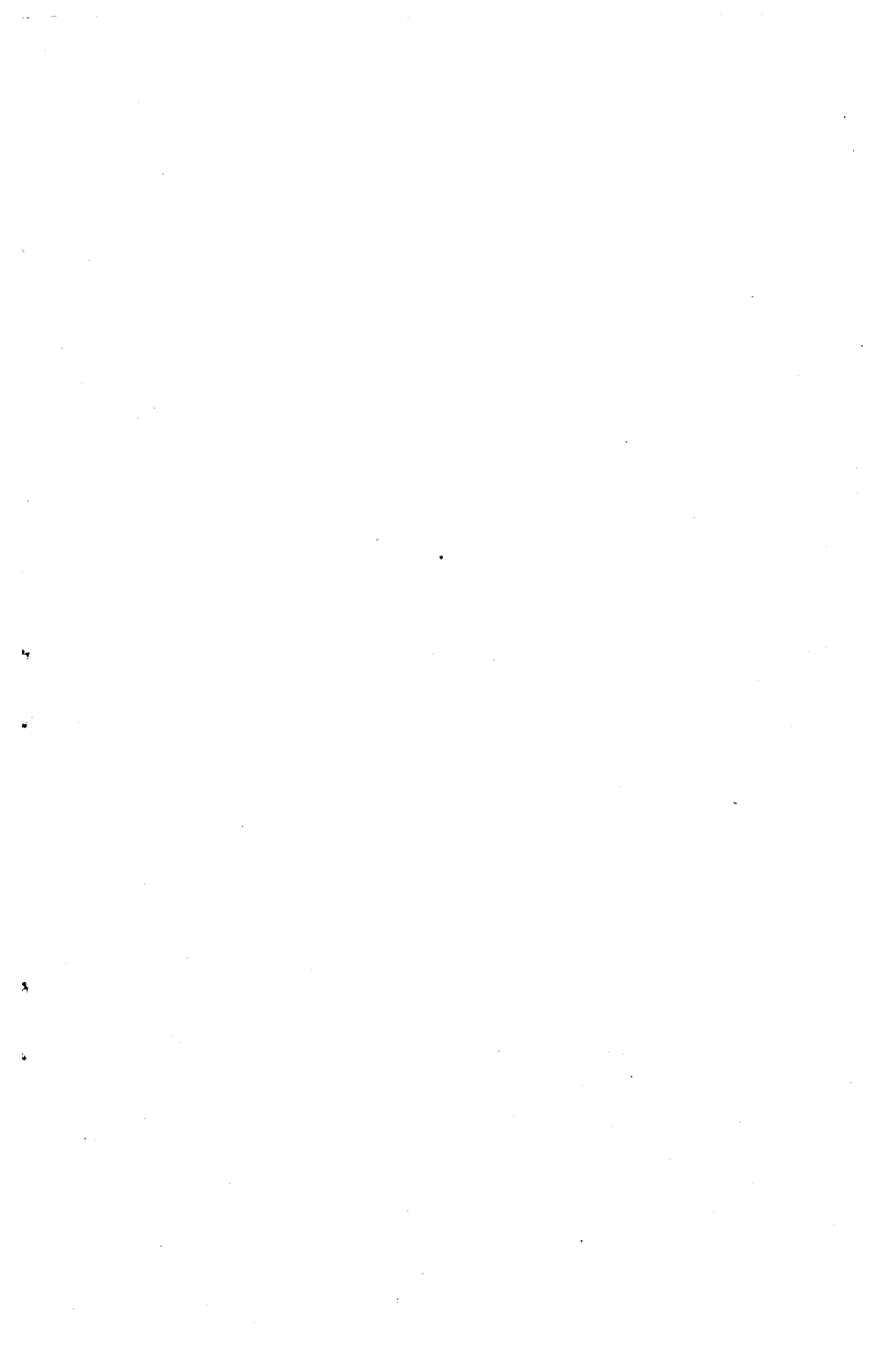
العالم تنظم المذكرات العربية

المهندس الدكتور سابا جورج شبر
خير التخطيط لدى بلدية الكويت

مطبعة حكومة الكويت



يسر مكتب العلاقات العامة ببلدية الكويت ان يقدم بمناسبة
« يوم العلم في الكويت » - ١٥ الى ٣٠ ابريل سنة ١٩٦٣ - هذه
المجموعة لبعض التقارير والمقالات والابحاث التي نشرها المهندس
الدكتور سابا جورج شبر - خبير التخطيط لدى بلدية الكويت - في
الصحف والمجلات باللغة العربية والانكليزية خلال السنتين
الماضيتين .



فهرس

مقدمة : للمدينة وجوه ومعان كثيرة ١١

الجزء الاول : المدينة العربية على وجه العموم

- ١ - علم تنظيم المدن عبر الزمن ١٩
- ٢ - الوضع الحضري في البلاد العربية ٢٣
- ٣ - تقلب الوضع الحضري في البلاد العربية ٢٥
- ٤ - تحليل البلدة العربية القديمة ٣٠
- ٥ - تنظيم المدن والاقاليم : حاجة عربية ملحة ٣٤
- ٦ - تقرير صحفي من القاهرة : أهمية الحلقة الدراسية
العالمية حول تنظيم المدينة العربية ٤١
- ٧ - التنظيم السكاني وتطور الحياة ٤٦
- ٨ - نحو السياسة العامة للاسكان في العالم العربي ٤٨
- ٩ - الهندسة المعمارية العربية «الحديثة» ٥٣
- ١٠ - ابن خلدون وعلوم التنظيم والهندسة والاجتماع ٥٨
- ١١ - المرور ومواقف السيارات : مشكلة حضرية
اقتصادية خطيرة في العالم العربي ٧٦
- ١٢ - انقاذ المدن العربية ٨٩
- ١٣ - المجالس البلدية والوضع الحضاري في العالم العربي ٩١

الجزء الثاني : في العلم والتنظيم

- ١٤ - التخطيط العلمي وعدم التخطيط عامة ٩٧

- ١٥ - غيبة العلم في تنظيم اكثر المدن العربية ٩٩
- ١٦ - ضرورة عملية الاحصاء في التنظيم المعاصر ١٠٥
- ١٧ - أفكار للتأمل : لا مفر لنا من العلم والحكمة ١١٠

الجزء الثالث : التنظيم والكويت

- ١٨ - الكويت : ماضيه وحاضره ومستقبله ١١٧
- ١٩ - التباين الحضري الصارخ بين القديم والجديد في الكويت ١٢٥
- ٢٠ - يوم « طوز » في الكويت ومعناه العلمي ١٢٧
- ٢١ - الكويت : نمو تطور تنظيم ١٢٩
- ٢٢ - ميلاد وانشاء حديقة عامة وسط مدينة الكويت القديمة ١٤٨
- ٢٣ - نحو التخطيط الشامل والسياسة الثابتة للاسكان في الكويت ١٥٧
- ٢٤ - الخالدية والعديلية : أحدث منطقتي سكن في ضواحي مدينة الكويت ١٧٠
- ٢٥ - مرحلة الكورنيش الاولى في الكويت ١٧٦
- ٢٦ - المركز الحكومي للكويت ١٨٣
- ٢٧ - جزيرة فيلكة : انماء فردوس الكويت المنسى ١٨٧
- ٢٨ - التخطيط السليم للمدن : الكويت القديمة تتطور حسب الأسس التنظيمية والهندسية السليمة ١٩٢
- ٢٩ - اعادة تنظيم المنطقة المركزية التجارية في الكويت ١٩٦
- ٣٠ - تنسيق المنطقة المركزية التجارية (م . م . ت) في الكويت ١٩٨
- ٣١ - الرقابة المعمارية على المباني في المنطقة المركزية التجارية في الكويت ٢٠٠
- ٣٢ - علاقة تنظيم المدن بحوادث المرور وكيفية معالجتها بالتنظيم ٢٠٤

- ٣٣ - حل مشاكل المرور في ساحة الصفاة ٢٠٧
- ٣٤ - شبكة طرق رئيسية. ضرورة تنفيذ على المدى الطويل
لاقليم الكويت ٢٠٩
- ٣٥ - توسيع شبكة الطرق الاقليمية للكويت ٢١١
- ٣٦ - عملية مسح المرور للكويت ٢١٥
- ٣٧ - العلم والفن والاقتصاد يتطلب انواعا مختلفة من
المباني للاسكان في الكويت ٢١٨
- ٣٨ - قانون رقم ٣١ لسنة ١٩٦٢ المعدل بالقانون رقم ٣٣
لسنة ١٩٦٢ بتنظيم بلدية الكويت ٢٢٠
- ٣٩ - الكويت : محط اهتمام اختصاصات متعددة ٢٣٠
- ٤٠ - المرحلة المقبلة في الكويت ٢٣٣
- ٤١ - أداة التخطيط الجديدة في الكويت ٢٣٨

الجزء الرابع : أبحاث مختلفة

- ٤٢ - نحو التخطيط العلمي الشامل للاردن ٢٤٥
- ٤٣ - بحث في نمو المدن في المنطقة الشرقية من المملكة
العربية السعودية ٢٥٧
- ٤٤ - القاهرة : مدينة عالمية ٢٦٧
- ٤٥ - اقتراحات خاطفة لحل بعض المشاكل التنظيمية
لبعض مدن الشرق الأوسط ٢٧٢
- ٤٦ - المؤتمر الهندسي الثامن : المشاكل الفنية للمدن
والقرى العربية وطرق معالجتها ٢٨٠
- ٤٧ - الهندسة والبناء بالطريقة التعاونية ٢٩٣
- ٤٨ - في فلسفة ومستقبل الهندسة ٢٩٥
- الخاتمة ٣٠٠

مقدمة

للمدينة وجوه ومعان كثيرة

للمدينة وجوه ومعان كثيرة

يقول أحد الأمثال الصينية ما معناه : « الصورة تساوي الف كلمة » ، ولهذا السبب وجب على الانسان أن « يرى » المدينة بدقة .
ليعرف المدينة وأشكالها وصفاتها بما في ذلك أبنيتها . لقد قام الانسان ببناء المدن والأبنية في جميع أقاصي المعمورة وعبر التاريخ ، وبلغت في كثير من الأحيان ذرى السناء والجمال ، الا انها أخفقت في هذا الحقل في مجالات كثيرة . و « أفضل أن يكون المرء أعمى من أن تكون له عيان لا تبصران » هو مثل آخر جدير بالاهتمام . ان عالم المدن والمباني والأشكال غني ، واذا لم يأخذ الانسان نصيبه من مشاهدة صفات جمالها الفنية والغنية والواقعية والسريعة الزوغان ، فانه سيخسر على التأكيد ، اذ أن المدينة عبارة عن نوع من الشعر ثلاثي الأبعاد منقوش بالحجر والمونة الاسمنتية وليس بالكلمات فقط .

تحتوي المدينة كل شيء ، انها عبارة عن الفن والتاريخ ، الشعر والاقتصاد ، النحت والهندسة ، وهي الهندسة المعمارية : الهندسة المعمارية بمعنى وحدة غير مجزأة وكوحدات صغيرة وافرادية .

وتمثل المدينة الناس والمشاعر ، والسياسة والحكومة ، والتجارة والثقافة . وقد سجلت فيها قصيدة الانسان وأوضاعه وأحواله . فهي لا تكذب ولا تخفى ، وتبرز الحسن والردىء ، والجميل والقبيح ، والدائم والمؤقت ، بل انها أصدق تعبير عن الانسان في كافة أحواله النفسية .

والمدينة تصور كفاح الانسان وانتصاره وفشله . انها تصور القوة والفقر ، النبل والخسة ، والقوى الروحية والمادية . فهي أشبه بمسجل للصوت لا تفوته أية همسة ، بل يسجل كل شكل من أشكال الصوت . والمدينة كذلك تسجل كل عمل من أعمال الانسان على وجه البسيطة ، حسنا كان أم سيئا ، علميا كان أو ارتجاليا .

ان المدينة هي أيضا طرق ومبان وجسور . وهي الأرض والماء والخضراء ، والمساحات المفتوحة والمسقوفة والمساحات المستغلة لشتى الأغراض . انها الحدائق والمقابر ، والمعابد والمساجد والكنائس . انها المساكن والمخازن وأماكن الترفيه واللهو . بل انها الجهد الاجتماعي وغير

الاجتماعي الذي يبذله الانسان في كفاحه لتأمين مكان يأوى اليه ومركز للسكن له والعمل واللهو والعبادة .

والمدينة عبارة عن مدارس ومستشفيات ، وسجون ومخافر للشرطة ، ومصانع ومستودعات ، ومسارح وأماكن للعبادة . انها تلي كافة رغبات الانسان ، وترضخ لاهدائها وقيمتها . فاذا كان الانسان نبيلًا ، كانت المدينة نبيلة . واذا كان دنيئًا ، فانها ستكون دنيئة أيضا .

ان المدينة ، بصورة أولية ، مكان للعيش والعمل واللهو . وانها الجهد الاجتماعي للانسان ليؤمن مكانا لنفسه دائما يأوى اليه وعنوانا له يسترشد له به .

وحين يبنى الانسان المدينة بشوارعها وأبنيتها وجسورها وحدائقها وتمائيلها والأشياء المنحوتة الأخرى ، فانه يقيم ، بطريقة ما ، آية هائلة من النحت .

بدأ الانسان حياته بالعيش في العراء . اما رجل الكهوف فقد استعمل الكهوف كمأوى . واستعمل الأسكيمو بيوت الثلج والبدو الخيام . واليوم ، يعيش بعض الناس في القصور والفيلات وناطحات السحاب ، الا أن أغلبية الناس ما زالوا يعيشون في المناطق الزراعية والمدن المزدحمة . وقد بدأ الآن كفاح الانسان من أجل المأوى ويلوح بأن امامه مرحلة طويلة قبل أن يحقق للبشرية بيتا آمينا كريما اقتصاديا .

وربما أن الانسان قد بنى مدنا كبيرة من كاهون وسيسكو وهرابا ، الى بيرايوس والبتراء وتدمر ، ومن دمشق والقدس والقاهرة الى هارلو والرياض وشانديجار . ولقد عمر الانسان هذه المدن بالمباني . أن تاريخ الانسان المتمدن يبدأ ، في الحقيقة ، من زمن الكهوف وستون هنج حتى يصل ، في الوقت الحاضر ، الى عصر الكويت وستيفنيج . انها خطوات بطيئة عبر الزمن ، تتراوح بين خمسة الى ستة آلاف سنة .

بنى الانسان بيوتا في السهول والوديان وعلى قمم الجبال . وشيد بيوتا يأوى اليها وقلاعا للدفاع ومنشآت للتجارة . وبنى من أجل تخليد مجده ولراحتة وللجمال كما بنى لجرد المضاربة والربح . بنى الانسان المعابد وناطحات السحاب ، البيوت والدكاكين ، المصانع والمستودعات ، الموانئ والمطارات . واستمر في البناء ولم يتوقف . ومع كل بناء أقامه كان يسجل انتصارا لنفسه . وكان كل بناء هدمه في سورة غضب لظخة عار سجلت عليه .

لقد سجل الانسان غرائزه في البناء وفي المدينة . فمنها انواع وأشكال متواضعة انسانية ، ومنها ما هو متشامخ ، وعلى أساس ميكانيكي آلي . وهي تظهر لنا مدى ما عاناه الانسان من آلام وهو يبنى المعبد والمسجد والكنيسة . وتظهر المدينة أيضا كيف ناطح السحاب وكيف تغفل

في الأرض . وتظهر لنا طاقته التي لا تنضب لتغيير وجه الأرض وتلوينها بطابعه . كما تظهر أيضا وجوه مباني ومدن ذلك الانسان .

ومع أن الانسان قد ارتقى أحيانا الى ارتفاعات تسمو بالناظر ، الا أنه في أوقات أخرى هبط الى مستويات تثير النفس . وقد ترك جنون الثورة الصناعية ندوبا في ملايين لا تحصى من البشر . الا أن الانسان لا يلبث أن يندم ويبنّي مدنا ، مثل فالينجباي وكيف وبرازيليا والكويت . وما أكثر ما يمر في غيبوبة من المدنية ، فيقيم مدنا محمولة كبيروت ومانهاتن .

وهكذا ، يتأرجح « بندول » تكوين المدينة وفي تأرجحه ، يسجل على الأرض وفي الطابوق والخرسانة والزجاج ، جهود الانسان وهو يذل ويملك ناصية البيئة التي يعيش فيها .

ان جهود الانسان التي بذلها في البناء ، من البيوت والشوارع والمصانع والجسور وأماكن العبادة كثيرة جدا . لاحظ الانسان في ميله للبناء قريبا من الماء وعلى قمة الجبل وفي الوادي أو على السهل . وانظر كيف لون مناظر الأرض بمنشآت من سائر الأنواع والأشكال والهيئات من صنعه . انظر ! فان في الرؤية ايمان وادراك وعلم .

تمعن في المدينة وادرس تشريحها . فان لها شكلا وغلافا واقيا ، امتدادا ونسيجاً ، ظلّالا وأبنية بارزة . انها تملأ الفراغات المكانية وتوجد لها وهي تتسلق جوانب الجبل كما تنحدر من قممه وتملأ الوديان وتغطي السهول . ان لها منظرا وصورة تتجمع بشكل بؤرة . ويمكن مشاهدتها من الجو ومن أعلى السطح ومن الشارع ، كما تتجلى فيها مناظر الشوارع . وان لها أبعادا ومناظر تختلف باختلاف مكان الناظر ومقاييس هندسية ومشاهد طبيعية . ولها مميزات كثيرة بالنسبة للموقع والمكان . وفيها الضوضاء والهدوء ، الدعارة والروحانية .

ان المدينة عضو مليء بالحياة ، دائم النشاط في الحقيقة أشبه بخلية النحل بل هي كالجسد تصحو وتنام . وقد لونتها الطبيعة بتقلبات الزمن التي يصعب وصفها . وهي تتجاوب بانسجام ودقة مع الفصول الأربعة . ورد فعلها كئيب على آلية الانسان المتزايدة . أما رد فعلها على ضغط حركة السير والضوضاء ورائحة الغاز المنبعث من السيارات فهو الاشمئزاز .

والمدينة ، كالانسان ، لها أمزجة . فهي في الليل شيء وفي الخريف شيء ثان وفي الأعياد والاحتفالات شيء آخر .

وللمدينة وأبنيتها وجوه عديدة تطل علينا ، وحين تفعل ذلك تبدو مليئة بالتعبير والمعنى . وهذه التعابير تدل على السعادة والشجن ، الأمل والعقم ، الرصانة والاستخفاف ، العلم والجهل ...

ان الأبنية التي تتألف منها المدينة هي كعلامات الترقيم في الكتابة . فهي تجذب النظر وتشتتته ، وتثير الدهشة والتملق ، والسرور والكتابة . وأبنية المدينة ، صغرها وكبيرها ، جميلها وقبيحها ، قديمها وحديثها ، كلها بمثابة آلات العزف في الفرقة الموسيقية التي هي المدينة . « المدينة مسرح وكلنا ممثلون فيها » كما وصفها شكسبير ، فيها الكسول والنشيط ، الذي يعمل للمجتمع والاناني ، وكل يقوم بعمله البسيط أو يساهم بجهده ليعطي المدينة أوجهها المتعددة ومعانيها المختلفة .

وقد تكون المدينة سامية أو حقيرة ، آية من الروعة أو تافهة . وقد تكون منشأة بترتيب مناسب أو كمجموعة مكدسة . نعم ! باستطاعة المدينة ان تسمو بالروح والفكر والقلب أو ان تحطمها . وباستطاعة المدينة أن تحرك عوامل النبل والسمو أو النفور والاشمئزاز ، وان تحلق في أجواء على غاية من الجمال أو ان تهوي الى أعماق بالغة القبح .

وان كيفية تكوين المدينة هو الذي يؤدي الى كل هذه الاختلافات . فكيفية تصميمها وصياغتها من قبل الانسان تبين الفرق بين مدينة الله وبؤرة الشيطان .

انظر الى المدينة من أية نقطة مشرفة عالية . انظر اليها من الجو أو من الشارع . عبورها سيرا على الاقدام أو بالسيارة يظهر التقلبات والتغير في وجوهها المتعددة التي ليس بالاستطاعة حجبها عن نظر أولئك الذين يتمتعون بعيون تبصر . وفي الحقيقة ، يبصر كل من له عينان ، وهذا أمر يؤسف له . وقد يوجد الكثير من الناس الذين أنعم الله عليهم بالبصر ولكنهم بالحقيقة لا يبصرون ، ناهيك عن الحواس الكثيرة الأخرى التي لا تحس ، والعقول التي لا تفكر . ان المدينة مسرح للمتناقضات والأفكار المتضاربة والآراء المتباينة .

وقد تكون المدينة فسيحة أو مزدحمة ، وقد تكون خضراء تتجاوب مع الروح الانسانية أو مجذبة قاسية . وقد تكون فيها مناطق خلافة وقد تكثر فيها الأحياء القدرة الموبوءة التي تشهد على البؤس . وقد تدار المدينة بصورة حسنة أو قد تديرها الأحزاب والعصابات والمتزعمون من كافة الأصناف والأوصاف . وقد تكون المدينة ثرية ولكنها غير قادرة على استخدام ثرواتها في التحسين المدني أو قد تكون فقيرة الا انها غنية في روحها ومظهرها وأملها . وقد تكون قديمة جدا الا انها لا زالت تغلي بالحياة ، أو ان تكون حديثة قوية الا ان تأثير حتى الزمن قد لا يمنحها أي ستار لتغطية عيوبها .

ان سير المدينة عبر الزمن امر لا يخلو من المجال والظرف والنبل ، وهو كذلك أمر يشوبه القبح والسماجة والابتذال . ان حلة المدينة عبر

التاريخ تكشف عن كافة أنواع المتناقضات التي يستطيع الإنسان استحضارها وخلقها والتفنن فيها . ان أشكال المدينة في المكان هي وجوه تضم في نقطة ما . خصائص سير المدينة عبر الزمن والرداء الذي لبسته في التاريخ وما تجسده في المكان وأوت اليه في الزمن والتاريخ والمكان .

وتتلخص قصة المدينة وحكاية الإنسان في الوقت والتاريخ والمكان . وان شكلها في الوقت الحاضر هو عبارة عن عدسة سحرية صادقة يستطيع الإنسان أن يرى فيها انعكاس صورته عاريا دون قناع وبشكل واقعي تحيط به أخطار جسيمة ، اذ يستطيع المرء أن يشاهد الندب التي تدل على لحظات غباوة الإنسان . وهذه الندب تتجلى غالبا في أحد أماكن المدينة التي تمثل الإنسان في أعظم لحظات الخمل والخلق والسمو .

والمدينة تمثل تتابع الزمن والتاريخ الفني بالأحداث الذي يعتبر في الحقيقة كموسوعة في مضمونه ومعناه وذلك باستثناء الحالات النادرة لفورات العمل أو التجديد . اذ ان قصص وسير الإنسان محفورة ومرسومة في نقط معينة على سطح الأرض وهي مكتوبة بنوع فريد من اللغة المثلثة الأبعاد التي تعتبر للناظر أكثر من الكلام . ان المدينة ومحتوياتها المعمارية والهندسية والتجملية تحكي حكاية الإنسان خلال سيره وأثناء كبواته وتردده وتقدمه وتقهقره وأنشائه وتخريبه .

وحين يزور المرء القدس أو القاهرة ، دمشق أو بيروت ، الكويت أو الرياض ، وغيرها فانه يقرأ فيها القصص والمعاني العديدة وهو يسير في هذه المدن يلاحظ ويفكر ويقارن ويشاهد المرء في بعض هذه المدن الثقافات الحضارية المستقرة وشاهد في الأخرى مدنا في أوجها : مدنا هي ، في الحقيقة عبارة عن مراكز تجارية نشيطة أو مستودعات كبيرة وكراجات لا يئآت مستقرة للعيش والعمل واللهو والعبادة . وفي كل من هذه المدن يستطيع المرء أن يطالع المعاني الكثيرة عن السياسة والثقافة والاقتصاد وفلسفة المجتمعات والحضارة والتاريخ . وتتجلى القوة الدافعة للجنس البشري في هذه المدن وقاطنيها بصورة شاملة .

وان المرء ليقرا في زوايا وفسحات مدن العالم الأشياء الجليلة والفامضة ، العميقة والسطحية ، المهمة والتافهة . ويستطيع المرء أن يقرأ الكثير عن الناس الذين يقطنون هذه المدن وعن أهدافهم ومثلهم ومصاعبهم وشقائهم وعن نجاحهم وفشلهم . وكذلك بإمكان المرء أن يقرأ الكثير عن مستقبلهم الزاهر أو القاتم وعن مشاكلهم الحالية ونظمهم الغابرة وما حققوه وما أخفقوا فيه .

وقد نقشت سيرة الإنسان في المدينة على الحجر والطين ، بوضوح ودون غموض ، ذلك الإنسان الطموح النبيل والحيوان الوضع .

والمدينة تعكس صورة الانسان دون أن يتمكن من اخفاء نفسه أو اعطاء صورة كاذبة وتجعل بالامكان احصاء ما أنجزه الانسان من أعمال . وتتصارع على ميادين المدينة الكثيرة السياسات والمصالح الخاصة وأعمال التخطيط . وتبدو نتائج ذلك الصراع جلية في اشكال وآفاق واطياف المدينة . وهي تظهر أصناف التنظيم والتخطيط المتعددة التي تتفاوت بعين الخطأ والفخامة وتبين التنسيق والبساطة . وبالاختصار ، فإن المدينة هي الصورة الصادقة للانسان التي تصف انتصاره وفشله وتعبر بعمق عنها مفسرة اياها بحيث تبررها أو تنتقدها . المدينة تبين بوضوح مجال استعمال العلم أو عدم استعماله في بناء المدينة . وبناء المدينة يدل بوضوح عن حالة المجتمع : عما اذا كان الانسان يتعاون مع أخيه الانسان ، أو اذا كان الانسان يستعمل ويستغل أخاه الانسان . فالمدينة - بوجوهها ومعانيها - هي المجال الفريد لتعريف الانسان بالانسان . المدينة هي « المدرسة » الفريدة التي تعلمنا اذا اردنا ان نتعلم وتحذرنا اذا اردنا ان نسمع لها ونرى ما فيها . المدينة هي « الوسط » الذي يروي قصة الانسان عبر المكان والتاريخ والزمان .

الجزء الاول

المدينة العربية على وجه العموم

١ - علم تنظيم المدن عبر الزمن

ان تخطيط المدن كما هو مفهوم في الوقت الحاضر ما هو الا حقل متسع وشاسع يشمل كلا من النواحي العلمية والفنية كما انه يجذب معه كل ما هو معروف عمليا من علوم التخصص وعويص مفهوماتها تمهيدا لصياغتها في اسلوب منطقي لتفهم التكوين المعقد للمدينة . ان دور منظم المدن ما هو الا قائد يوجه الاختصاصات العديدة لفروع المدينة المتشعبة . ويمكن تشبيهه بقائد الاوركسترا الذي يعرف العزف على جميع الآلات والقطع الموسيقية على حده ، قبل استلامه عصا القيادة كي يلحن ويوحي ويوفق ويلهم افراد اوركسترته باداء احسن غرض في سيمفونيته الكبرى .

ان الغرض الاساسي من علم تخطيط المدن هو خلق بيئة عملية وبهيحة في منطقة جميلة وصالحة لسكن الانسان . فاذا كان هذا غالبا لم يتحقق فما ذلك الا لاسباب عديدة تتراوح من نقص في عدم معرفة الوضع الآلي لانشاء المباني في الفراغ . . . الى الانتهازية مجسمة في بعض اصحاب الاراضي والعناصر الاستغلالية في المجتمع التي لا تتردد لغرض الكسب الفاحش والسريع من ان تشيد المباني وتستغل استعمال الارض الى اقصى وابشع درجات الاستغلال وابعد الحدود المعقولة وان تكون شحيحة الى ابعد حد في ترك اية ارض خالية لاي غرض ما ان لم تكن لها فيه دوافع ربح صافية .

هناك مدن يتراوح عمرها بين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة عاصرت موكب سير الانسان عبر عصور التاريخ المدون . فمثلا في مصر والهند واليونان لا تزال بقايا آثار المدن القديمة تشهد على سبق الانسان بالاشتغال في تخطيطها . وتكشف لنا مدن مثل « كاهون » في مصر و « موهنجو - دارو » في الهند « وبيريه » في اليونان عن اصول ومبادئ طريقة التخطيط التريبيعي او مربعات « لوحة الشطرنج » التي شوهت في عصرنا الحالي معظم المناظر الجميلة في الامريكتين . كما انها لا تزال تصبغ الصحراء العربية في كثير من ارجائها بطابعها القديم الذي لا يتمشى مع كثير من الاحتياجات والضروريات والعوامل والمؤثرات المعاصرة .

لم يتقدم تخطيط المدن في كثير من البلاد حتى في ايامنا هذه عن هذا الاختراع الفطري لوضع المدينة العام . فعندما كانت المدن لا تنمو عضويا - اي لا تنمو تبعا لمخطط سابق - كان الخروج عن شبكة المربعات الاصلية يولد تركيبا لشبكة طرق اشعاعية او قطرية . ان ذروة التخطيط الهندسي او الشبكات التريبيعية او تضفير الشوارع - بالتعبير الاصح - قد وقعت عندما قام المهندس « لانفانت » بتخطيط مدينة واشنطن للقائد

« واشنتون » والبارون « هاوسمان » بتخطيط باريس وكذلك باقي العواصم العالمية مثل « كانبرا » في استراليا و « نيودلهي » في الهند و « انقره » في تركيا . هذه كلها يمكن ان تستخدم كامثلة نموذجية لما كان معروفًا بأنه - حتى وقت قريب - خلاصة فكرة كبرى في تخطيط المدن .

من « هارابا » الى « شانديجار » في الهند ومن « كوسكو » الى « برازيليا » في امريكا الجنوبية ومن « استون هنج » الى « هارلو » في بريطانيا ومن « كاهون » الى « بور سعيد » في الجمهورية العربية المتحدة (أى في حقبة حضارية من الزمن تتراوح بين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة) استنبط في خلالها الانسان واختلق واختبر وحاول جاهدا ايجاد كل تنوع معقول في الشكل والتخطيط العام للمدن . ان المرء لا يمكنه ان ينكر الاعمال العظيمة التى انتجها الانسان عن قصد ، خصوصا كفكرة معمارية او عمرانية كبرى . ومن الناحية الاخرى ، يحتمل ان تكون انشاءات عظيمة ذات طبيعة مختلفة نمت نموا عضويا . ان انظمة المعبود في « تايلاند » و « اندونيسيا » واسطورة مدينة « بكين » وتنظيمات المسجد بالقاهرة واستنبول وميدان موسكو الاحمر وميدان سان مارك بالبندقية وميدان سانت بطرسبرو وتخطيط فرساي ومدينة ليننجراد او مئات الميادين والساحات التى توجد في جميع انحاء العالم ، تساعد على غرض بعض النظر عن تلك البيئات الكبيرة الكثيرة التى اوجدها الانسان او التى لا يزال يسمح لها بالوجود من بقعة في العالم الى اخرى .

ان الاحياء الكبيرة الغير لائقة للسكن في اوربا وامريكا والمساحات الشاسعة من السكنى المنحطة للانسان في افريقيا وآسيا للدليل واضح على ان الانسان لا يمكنه ان يفاخر كثيرا بما بناه وشيده من ابنية ذات عظمة وفخامة واتساع طالما ان كثيرا من البؤس الحضارى لا يزال يخيم على اكثر بقاع العالم المسكونة .

ان تاريخ تنظيم المدن هو قصة صراع الانسان وانعكاسات ما رافق هذا الصراع من تعثر ونهوض في سيره عبر الزمن والفضاء وعبر النور والظلام وعبر العلم والجهل . الا انه في خلال كل عصر من العصور وكل حقبة من التاريخ كان تنظيم المدن يخلد او يبرز او يعبر عن شيء قوى عظيم . فان ظهور فرعون او دين او طاغية يخلد او يبرز او يعبر عن شيء قوى عظيم . فان ظهر فرعون او دين او طاغية او عسكري من حين لآخر كان يوحى الى الانسان او يجبره على القيام بابنية ضخمة شامخة وتشيد انشاءات عظيمة هائلة .

ان تقدم وتطور الوسائل الصناعية والصحية في المدن الغربية بدأ يتضح اكثر فأكثر وعلى الخصوص في بلاد كالمانيا وانجلترا . ان تنظيم المدن ، بتخطيط الشوارع فقط ، اصبح طريقة غير صالحة ولا مفيدة وليست ملائمة لراحة ورفاهية السكان ولحركة المرور في المدن ولا لجمال معالمها ومناظرها . ومن خلال التجارب المرة التى خاضها الانسان

الفربي ، تبين له واتضح ان استعمال الاراضي بدون قيد ولا شرط لم يجلب الفوضى فحسب بل جلب الانزعاج والضرر لاحوال الاهالي الصحية وامنهم ورفاهيتهم . وبما ان احوال الانسان في المدينة قد بدأت تسوء لذا اصبح لزاما على الحكومات ان توجه عنايتها وعظيم اهتمامها لوضع اقتراحات العلماء الاجتماعيين والمصلحين والمهندسين المعماريين وخبراء التنظيم موضع التنفيذ .

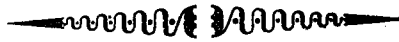
لقد كان شيئا مؤلما واصبح يبدو الان درسا غالبا تعلمته البلاد الصناعية قبل ان تصحو الى نفسها وتعجل تنظيم المدن واجبا وعملا حكوميا وتسمح لهذا العلم والفن بأن تدعمه القوة المعنوية والاهلية والمالية للسكان والحكومة على حد سواء .

ومن الممكن ان يقول البعض ان تنظيم المدن المعاصر كفن علمي ينبغي ان يتمشى مع الامور المعقدة للمجتمع الصناعي . كما انه من الواضح ان تنظيم المدن قد ووفق عليه ليكون مهمة وواجبا حكوميا ليس على الصعيد المحلي فحسب بل على الصعيد القومي ايضا . لذلك نرى ان وزارة تخطيط المدن والقرى في انجلترا هي وزارة تقوم بواجباتها وابعائها على وجه علمي شامل ومختصة بوضع تخطيط جديد للمدن والقرى واعادة تخطيط القديم منها وكذلك تأمين السكن للشعب وحماية الاراضي من المضاربات والاستغلال الفاشمة وبالرغم مما تقوم به هذه الوزارة من اعمال مرضية فان بعض النقاد يرون انه ليس بإمكانها مجابهة الامور التنظيمية المتزايدة من جراء نمو المدن وتقدمها . كما انه لا يمكنها وضع حلول تبقى صالحة بعض الوقت دون ان تصبح عديمة الفائدة بعد بضع سنوات ولقد وجه السيد « ليونل بريث » سؤالا تساءل فيه عما اذا كان باستطاعة تنظيم المدن ان يكون فعالا في بلاد تنتهج النظم الديمقراطية مشيرا الى انه رغم قانون تخطيط المدن المتخذ في سنة ١٩٤٧ ، فلا تزال هنالك صعاب كبيرة تجابه بلاد ناضجة واعية مستقرة وامكانياتها الفنية قوية كانجلترا . حتى فكرة انشاء المدينة الحديثة ، التي كانت تعتبر باهرة ومثيرة قبل سنوات مضت ، بدأت تواجه التحدي من امور المدينة المتعاظمة ومن ازدياد السكان وازدهار الصناعة .

الا ان كثيرا من البلاد في الوقت الحاضر ، حتى في الغرب ، لا يزال امامها طريق طويل لتتطور الى ما حققته انجلترا واسكتلندا قبل سنين عديدة . ان المعارك التي تحصل للموافقة على التخطيط الجديد وقبوله لا يتم الانتصار فيها بسهولة فان كثيرا من الكتاب مثل « ديكنز » و « ووردزورث » وصيحات « شيلي » وتخيلات « ابنيزا هاورد » وغيرهم من الكتاب المصلحين والمفكرين قد كتبوا وخاطبوا الضمير الانساني بهذا الشأن وتم لهم النجاح بعد كثير من الكتابة والنقاش والجدال والتعليم . وجرت هذه الاعمال عندما كان في البلاد حكومة برلمانية مستقرة . اما المهمة التي لا تزال امام المدن الناهضة كمدن آسيا وافريقيا فلا يزال امامها شوط كبير لا شك فيه ، اذ ان اهتمام حكومات هذه

البلاد الاساسى هو تأمين الاكل للملايين البشر التى تعيش عيشة صعبة وتأمين العمل لكثير من العاطلين . لذلك على هذه البلاد المسماة بالكتلة الاسيوية الافريقية أن تتجنب الاخطاء التى وقع فيها الغرب عندما أجبرته الظروف التى عاش فيها اول سنين التصنيع ، وينبغي الاستفادة من الخبرة التى اكتسبها الغرب ومن المعرفة التى حصل عليها من علم تنظيم المدن . كما انه من الاهمية بمكان معرفة فن ادارة المدينة وكذلك فن تنظيم مدن جديدة واعادة تنظيم الاحياء القديمة فى المدن . لا توجد حكومة من الحكومات فى عصرنا الحالي غنية لدرجة ان تجرؤ على المضي فى اى جزء من تطورها ونموها دون وضع تخطيط علمي سابق لذلك . اذ ان الاهداف الحالية بدأت تتجه نحو التنظيم القومي ولذلك اصبح تنظيم المدن ضرورة ملحة . كما ان من ضمن الاخطاء فى التنظيم هو تخصيص وانشاء الابنية فى المدينة بدون تخصيص مواقع مناسبة لها واستعمال الاراضي بدون تقييد او تنظيم حتى يصبح من العسير جدا اصلاحها كما انه اذا جرى اصلاحها فان تكاليفها تصبح باهظة جدا . ان الاخطاء فى التنظيم ، اذا ما رجعنا الى تاريخ المدن والشعوب ، نرى ان لها طابع الاستدامة والبقاء .

ان من واجب صالح العالم العربي الان الاسراع فى تطبيق الفنون والعلوم والافكار والنظريات التنظيمية السليمة ووضعها موضع التنفيذ ، وليس الانتظار والترقب حتى تزداد احوال المدن سوءا على سوء كما حدث فى المدن الغربية . وبامكان العالم العربي الاستفادة فورا من التجارب المبررة التى مر بها الغرب وذلك بالعمل على جعل تنظيم المدن والقرى ادلة تقوده نحو المدينة العصرية السليمة . وكل هذا ممكن باستعمال وتطبيق العلم فى حقل « هندسة » البيئة السكنية الحضرية للانسان .



٢ - الوضع الحضري في البلاد العربية

لا يعتبر العالم العربي منطقة جديدة للتخطيط الحضري ، ولا ينقصه أي تقليد حضري . فهذه المنطقة الجغرافية ، التي يحتلها العالم العربي ، ليست مكانا لولادة أعظم الحضارات القديمة فحسب مثل الحضارات الفرعونية والفينيقية والإسلامية ، ولكنها شهدت أيضا حضارات الحيثيين والاقريق والرومان والأتراك والعرب التي تركت آثارا لا تمحى في مناظر أراضيها الطبيعية .

ان نشأة المدن والعمارة - اذ صرفنا النظر عن غيرها من المجالات - توجد بوفرة على الارض العربية اليوم . فالكرنك وطيبة وبابل وقرطاجنة والبتراء وتدمر وبعبلبك والقدس وعشرات المدن الأخرى ، التي كانت أسطورة في عهد التاريخ ، نشأت في هذه المنطقة من العالم ولا يزال البحث الحديث عن الآثار يكشف لنا أعاجيب ومعجزات حضارية . وكان أقرب كشف أثري هو ما عثر عليه من آثار في جزر الخليج العربي . ويوجد بالعالم العربي أيضا مدن عرفت باطول سكن مستمر للإنسان فيها مثل دمشق بسوريا والهفوف بالملكة العربية السعودية وكذلك مكة والمدينة اللتان سبقتا عصر الإسلام بأجيال عديدة . ولا نزال نحتاج الى الكثير من الدراسات والأبحاث في الأراضي العربية لنعين بصورة تاريخية صحيحة ، الاكتتابات العربية الأصلية في عهود ما قبل الإسلام او العهود السامية للحياة الحضارية . توجد اليوم معلومات طقيفة جدا توحي لنا بأن شبه جزيرة العرب كانت ، في وقت ما ، إحدى المناطق المنتعشة ثم توقفت بسبب بعض الكارثات الطبيعية الكبرى .

ورث العالم العربي تركة كثير من العهود الحضارية ، بما فيها العهد العربي الإسلامي ، وعرفت في أراضيها الممتدة الكبرى الحياة القروية الساكنة والمعيشة الزراعية الهادئة وحياة القبائل الرحل المتنقلة وحياة اليوم التي ينخرط في سلكها معظم الغربيين . ان الإنسان الذي يعرف هذه المنطقة وتاريخها جيدا ، قد يجد كتابات كل المؤرخين الحضريين ومخططي المدن الحديثين تنطبق ، بالتساوي وبالذات ، على المدينة العربية بالأمس واليوم . لا تشذ المدينة العربية عن علة الوجود لأي مدينة أخرى . فقرب المياه وامتداد طرق التجارة واستراتيجية الموقع والسفر بالبحار وغنى الأرض والتنظيم الاجباري الخ . . قد أثر على استقرار العرب . ان العالم مضلل في هذا مثل كثير من قطاعات مساعي الإنسان الأخرى في أي جزء من العالم . ويحدث هذا عندما يقع ضحية لبعض الظروف القاسية أثناء تطوره . المصيبة ان العالم العربي استسلم للحكم العثماني لمدة تقرب من ٥٠٠ سنة والتي حدثت من تطوره وازدهاره . ومع ذلك فان

العالم العربي ابتدا يتنفس الصعداء مع اول نسمات امل لحياة افضل .
ان كتب التاريخ مملوءة باوصاف الحياة في هذه المنطقة ، وكذلك
بتطورات المدن والمباني والاعمال العظيمة التي حدثت قبل العهود العربية .
لقد اهتم كثير من الانجليز والامان المستشرقين ، ذوى الصيت والشهرة ،
بعهود ما قبل العرب . واذا اهتموا بعهود ما بعد الاسلام ، فان ذلك يكون
غالبا من فتوحاتهم ودينهم ومبادئهم وزخارفهم . تظهر البازار (السوق)
العربية للزائر الاجنبي بطابعها المميز وجاذبيتها المشوقة ، ولقد اهتم القليل
من الناس بالحياة العربية الحضرية او تكوين المدينة العربية ، التي هي
نماذج حضرية خاصة واضحة . وهذه الحقيقة يرثي لها ، خصوصا عندما
يدرك المرء بأن العربي ابن خلدون كان اول عالم اجتماعي وحضري يلسم
بالمدينة ويدرس مبانيها ويشرح خصائصها ويعالج مشاكلها العمرانية
بطريقة علمية . ولا غرو انه لقب بأنه اول حضري بمعنى الكلمة المعاصر .

تشغل المدن العربية اراضي مستوية تحت مناخ صحراوي او
اراضي جبلية تحت جو معتدل او اراضي ساحلية تحت جو حوض البحر
الابيض المتوسط . ولو انها متباعدة عن بعض بالاف الاميال ، وتختلف
اجوائها من حر شديد الى برد زمهرير ، فانه يوجد بينها وحدة وتشابه
يجعلها ، دون خطأ ، مدنا عربية عريقة . فالمسجد والميدان والساحة
والسوق والبازار والاحياء التي تضم صناعات الحرف المهرة والاحواش
السكنية ذات الطابع الخاص ما هي الا صور تعطي صفة فريدة للمدينة
العربية التقليدية .

توجد في الاسواق والبازارات العربية حياة . ففيها جو طبيعي
وشعور تكميلي بين الانسان ومدنيته . انه يوجد اشكال والوان في المباني
التي تكون المدينة العربية . انه يوجد المؤذن ينادي بالصلاة . . . صلاة
المؤمن بالايمان في الف مسجد ومسجد . توجد المقاهي البلدية وروائع
الاكل الشرقية وهي تمتزج بخليط من الضوضاء التي تعم المدينة العربية .
توجد الازقة والحارات التي تفصل بصعوبة الاحياء السكنية بعضها عن
البعض الآخر . توجد النافورة الجميلة والزرع البسيط وشجرة ، هنا
وهناك ، داخل الحوش العربي التقليدي . كل هذا يكون موسوعة هندسية
مشوقة في المدينة العربية .

لقد ركب التجار البحار الخطرة ، وراودوا الطرق الصحراوية الوعرة ،
ليحضروا بضائع من كل الاصناف السرمدية وجميع الاشكال والالوان
ليملأوا بها الاسواق والبازارات العربية . هذه هي خلاصة الجو والطبيعة
التي سلمت لقوى التوسع في خلال الثلاثين سنة الماضية . لقد استحضر
العربي اليوم قليلا من الوحي الذي ورثه في توسيع مدينته وتصميم
مبانيها .

٣ - تقلب الوضع الحضري في البلاد العربية

يمكن الانسان ان يذكر بأمان بأن المدينة العربية ، ما عدا قليل من المدن العربية الكبرى مثل القاهرة ، قد ظهرت للوجود الهام خلال الثلاثين سنة الماضية . حقا ان بعض المدن العربية المتطورة كالكويت كانت في حالتها الفطرية منذ عشر سنوات فقط ، بينما البعض الاخر ما زالت فطرتها متغلبة عليها ولم تمس بعد ، باقية مدن عربية قديمة لحما ودما وشكلا ووضعاً ، وان قليلا جدا من هذه المدن ما زال قشيبا للغاية ، بمعنى ان كل الآثار من الماضي قد أستوصل شأفتها وقطع دابرها .

لقد اصبحت معظم العواصم والمدن العربية التي يزيد تعداد سكانها عن العشرة الاف نسمة في درجات تختلف عن غيرها تحت تأثير عوامل اضطرابية كتوسيع المدينة ، مما ادى الى صدمات قد تسمى عوامل عامة ، بمعنى ان التمدن الحضري المتمدد قد لمس تقريبا جميع القطاعات العامة (أي الحكومية) والخاصة (أي الاهلية) فبعض المدن العربية قد نمت بسرعة اكثر مما كان منتظرا لها تحت عوامل النمو الطبيعي واندفاعات عوامل التصنيع . هذا حقيقي ، وعلى الاخص في العالم العربي حيث يوجد سلسلة من العوامل الغير مألوفة التي لم تؤثر فقط في نمو المدينة ، لكنها ايضا سببت النوبات الشاذة في التمدن والعمران الحضري .

كانت هذه العوامل فعالة في اعطاء القوة الدافعة لنمو المدينة في العالم العربي . ولكن وقوعها كان دائما فجأة ، ولم يمكن التكهّن به وتأثيراتها كمعامل نموذجية مستمرة . هكذا كان نمو المدينة في كثير من اجزاء العالم العربي حتى اصبحت من الصعب التنبؤ به او توجيهه او ضبطه بطريقة منطقية وعلمية ولهذا ، فكان الخبراء الحادي الذكاء في المضاربة في الاراضي في امكانهم معرفة سير الامور التوسعية واتجاهاتها ، ونزلوا بأموالهم الميدان الحضري يحققون ارباحا وفيرة وسريعة - الشيء الذي ادى ، في كثير من الاحوال ، الى نتائج غير مرضية في شكل واداء واجبات المدينة .

قد يرجع الانسان التمدن الحضري العربي الذي حدث في الربع قرن الماضي من الزمان الى سبب الزيادة العامة من امثلة التمدن الحضري في العالم بأسره ، وبسبب قوة الدفع للافاق التوسعية العامة التي ظهرت ونمت وترعرعت بسبب ازدياد عدد السكان وتحسن حالتهم الصحية . ان تدفق حركة السكان ، التي حسنتها وسائل النقل ، قد حفزت وسببت انتقالات واعادة تنظيمات في القوى التمدنية الحضرية في العالم والتي لم يستثن منها او يشذ عنها العالم العربي . وكما ان العالم العربي يقع في موقع استراتيجي هام ، ويمتاز بصفات ممتازة ، فان مدنه قد شعرت بقوة التغيير الشامل في العالم بطريقة فريدة .

زيادة على ذلك يوجد ، ولا تزال توجد في العالم العربي ، قوى مؤثرة تلعب دورها في ازدياد سرعة نمو بعض المدن العربية في حالات غير اعتيادية وبطء نمو بعضها الآخر . فبعض الاسباب البارزة الآتية قد اثرت بوضوح على نمو بعض المدن العربية ، وعاقبت بشدة نمو البعض الآخر .

١ - الوطنية العربية مهدت السبيل لاستقلال البلدان العربية التي احتاجت لتحضير وتطوير العواصم كمراكز للحكومة والادارة والتمثيل السياسي .

٢ - اكتشاف واستغلال موارد البترول التي ساعدت على نمو حضري لا مثيل له ، وخصوصا في المملكة العربية السعودية ودولة الكويت .

٣ - تدفق رأس المال من البلاد ذات الدخل البترولي الى البلاد المجاورة سبب تأثيرا مباشرا على معدل نمو المدن في البلاد العربية المستفيدة . فمثلا كانت لبنان ، بالنسبة لحجمها ، المستفيدة البارزة من دخل البترول المباشر عن طريق التابلين والغير مباشر عن طريق رأس مال بلاد البترول المجاورة .

٤ - القضية الفلسطينية المفاجئة والغير منتظرة والغير طبيعية وهجرة مليون نسمة من شعبها الى البلدان المحيطة بها ، لم تمهد السبيل فقط لانتقالات السكان التي هي ، في حد ذاتها ، مهمة جدا ولكن بالاضافة الى ذلك وبسبب الحالة السياسية الراهنة في البلاد العربية وبينها وبين اسرائيل ، فقد انتقلت العوامل الاساسية والاقتصادية والتطويرية الى البلاد العربية المجاورة . وهكذا فقد سببت توسعا حضريا سريعا في مدن كعمان .

٥ - الحالة السياسية وحركة القومية العربية وانتعاش الاقتصاد العربي كلها ساهمت في ، وساعدت على ، التطور الحضاري والعمراني في اكثر البلاد العربية .

٦ - الحالات السيئة نسبيا ، والتي توجد في المناطق الريفية من العالم العربي ، وكذلك المتمدن الريفي الغير سليم وقوة السياسة والانظمة الزراعية سالفا ، قد سببت انقلابات وانتقالات هائلة في المدينة بسبب التدفق الريفي للمدينة باحثا عن الرزق ومستلزمات الحياة وضروريات المعيشة فيها .

انه من الضروري ان نأخذ مثلين لمدينتين كي نوضح كيفية اجتماع العوامل السابقة التي عملت على تشكيل شكل المدينة .

ففي الكويت ، مثلا ، كان استغلال البترول سببا في حركة ازدهار ونمو المدينة الغير عادية ، والتي يصعب تصديقه تحت عوامل النمو الطبيعية . فقد انتقلت الكويت من مدينة فطرية منذ عشر سنوات الى مدينة نامية متشعبة تمتد لعدة اميال في رمال . الصحراء ، لها شبكة

طرق ممتازة ، وعماراتها جميعها مكيفة الهواء ، وانتعاش ورواج حركة البناء فيها لم يكن له مثيل في اى جهة من العالم العربي او العالم كله بالنسبة لمدة النمو وظروف طبيعته القاسية . وعلى بعد ١٥٠٠ كيلومتر غرب الكويت ، توجد مدينة بيروت المزدهرة دائماً حيث انبثقت فيها من قبل ندبات من ضواغط او عوامل التطوير ، وهي لا تزال تعمل على هدى هيكل تنظيمها القديم . ومن جهة اخرى ، تمتاز بمزايا لا مثيل لها مثل موقعها الجغرافي على البحر الابيض المتوسط ، في وسط العالم العربي من الخليج العربي الى المحيط ... ناهيك عن مركزها كمصيف ممتاز يؤمه العرب من كل البلاد المجاورة ... واذا اضفنا الى ذلك تدفق حوالي ٥٠ الف نسمة من مهاجري عرب فلسطين ، وكذلك السيل من دخل البترول الهائل اما عن طريق مباشر كدخل الحكومة من امتياز مد انابيب البترول او عن طريق غير مباشر كالاستثمارات الشخصية الكويتية والسعودية ... وزيادة على ما تقدم تستفيد المدينة من حركة « ترنسيت » البضائع والناس . وكان للاحداث والازمات السياسية الكثيرة تأثير قوى على نمو المدينة . وبسبب موقعها كمدخل للعالم العربي ، جعلتها هيئة الامم المتحدة قاعدة لها كما اتخذتها الولايات المتحدة الامريكية مركزا لمشروع النقطة الرابعة ، واقام فيها اصحاب الشركات الدولية مكاتب مركزية لهم ... وانشأت فيها خطوط الطيران العالمية فروعاً لها فيها . كل هذه العوامل ساعدت على سرعة تطور المدينة العمراني والحضري . وقد حدث رد فعل معاكس لهذه العوامل السابقة مثل اقامة سوريا ميناء حديث بحري نموذجي في اللاذقية لتتفادى تكاليف « الترانسيت » عن طريق بيروت ، وطورت الاردن ميناء العقبة في الجنوب لنفس الاسباب ... مما اثر ، نوعاً ما ، على حركة نمو المدينة الحضري .

لا يحتاج الانسان ان يعقب على التوسع المتمدن الحضري السريع على ما كان يسمى بالمدن العربية في اسرائيل والتي تعتبر دملاً غريباً وثقيلاً وسط الجسد العربي .

يوجد اليوم قليل من الكتب والاحصائيات الرسمية الموثوق بها بخصوص الانتقالات والتقلبات السكانية والحضرية في العالم العربي . ولكن على الانسان فقط ان يزور بنفسه الاجزاء المتشعبة فيه ، ويشاهدها من سيارة او مشياً على الاقدام او من الجو ، ليكتسب تبصراً ويزداد معرفة ويأخذ فكرة صحيحة عن مجال التوسع الحضري العربي المختلف . ووقتئذ ، يمكن للانسان ان يستدل بوضوح من هذا التطور والتوسع على حقيقة النمو السريع المضطرب والغير مصحوب بتخطيط علمي وسليم في كثير من الفورات الحضارية العربية . ان نمو المدينة العربية كان حتى الآن - من سوء الحظ - موجهاً بعوامل الاستغلال البارزة والمضاربات الجنوبية على اسعار الارض والتحسينات المفاجئة بقرارات غير مدروسة .

نحن لا نعدو الحقيقة والواقع اذا قلنا انه في اثناء رواج وانتعاش

الماضي القريب ، لم تهمل قواعد التخطيط العلمية الصحيحة فقط ، بل انها خولفت عمدا في احوال كبيرة ما عدا في قليل من الحالات النادرة والمعزولة . ان القاهرة والاسكندرية لتفخران بمخططاتهما الرئيسية المبنية على قواعد ومبادئ تخطيط المدن العلمية الشاملة الحديثة ، وكذلك أيضا تفتخر دمشق وبعض البلدان السورية الاخرى بمخططاتها الرئيسية التي جهزت من وقت قريب وتفتخر الكويت في كثير من مخططاتها الواسعة وفيما عدا ذلك قليلة هي المدن العربية الاخرى التي يمكنها ان تفاخر باندماج مخططاتها مع مبادئ تخطيط المدن العلمية . قد يتاثر الانسان ، على كل حال ، بمناطق معزولة في كل مدينة عربية حيث تقع فيلات مترفة وحدائق نضراء ومجموعات من المباني الكمالية هنا وهناك ، تطل على شوارع عريضة كعرض شوارع « هاوسمان » في باريس . لكن تعتبر هذه التحسينات المتفرقة تائهة ومعزولة عن اصلها ولا تتناسب مع مخطط رئيسي عادة ، ولا تساعد في تحسين المدينة بوجه الاجمال .

ان المسائل التي تقبل عموما كمبادئ اولية واساسية في تخطيط المدن المعاصرة ، مثل تخصيص المناطق وانظمة تقسيمها وتسوية كثافة السكان وتفریق تدفق حركة المرور بالطرق الصحيحة وايجاد العلاقات المتداخلة في استخدام الارض والرقابات المعمارية والتقديرآت النفسية والتكوينية لجمال المدينة وتنظيمها المدني وتصميم مناظرها الحضرية الخ ... قد تركت كقاعدة للحظ والمصادفة ولقوانين التوفيقات والتركيبات والاستبدالات والتعديلات من جهة التطوير والا ، فاستعمل التخطيط الصارم الذي خلق الشوارع الدائرية القطرية والمستقيمة ، وحسب ان قمة الكمال في تنظيم المدن هو عبارة عن بسط المدينة الى شوارع عريضة وورصفها وصف الاشجار حولها .

ان أجمل ما هو موجود في معظم المدن العربية اليوم هو :

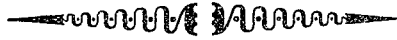
١ - مواقعها الفريدة مثل بيروت على ساحل البحر ، وفي الوقت نفسه تحت سفح الجبل ، ودمشق الواقعة على طول منحدرات وميول جبل قاسيون وتوسطها للغوطة التي تحيطها من جهة ، والقدس القابعة بجوار المدينة القديمة والواقعة على أرض جميلة متدرجة .

٢ - قطاعاتها القديمة الفاتنة التي تمتاز بجو انشغالي ومجال نفمي ووسط حضري تاريخي ممتاز .

٣ - مناظر المدينة ذات الطبيعة الساحرة المصحوبة حتما بالنمو العضوي الحضري والشوارع المنحنية والمساجد والمآذن والقباب من جهة ، والشد والتراخي والتأثيرات الارضية والسطحية ووحدتها المعمارية الفريدة من جهة أخرى مثل تونس وطنجة والدار البيضاء .

٤ - احتياطاتها من الاشجار والنباتات والزهور والمزروعات .

ان مجهودات الانسان لم تنتج - في طور التمدن الحضري الحديث - كثيرا مما يرغب فيه وفخر به . انه يوجد تنافس وعدم توافق في النفقات الحضارية وتنافر في الاصوات الهندسة واختلال في النظام وعدم انسجام مرئي وازدحامات وحشود في حركة المرور في المدينة العربية التي يجعلها تتقارن حسنا مع الحالات الجشعة في المدن الغربية . مثل هذه الحالات وجدت في الغرب أثناء قرن بينما في العالم العربي وجدت في ريع قرن . كل هذا يدعونا ان نحصر ، في المرحلة الثانية الحضارية القادمة ان لا نغض النظر عن الاسس التنظيمية العلمية بل نطبقها في تطوير مدن البلاد العربية حسب مخططات رئيسية مدروسة دراسة فنية وعلمية شاملة .



٤ - تحليل البلدة العربية القديمة

ان التحليل الاساسي للبلدة العربية النموذجية لهو سهل وبسيط ، خصوصا قبل انفجارها الى شكلها الممتد الراهن تحت تأثير عوامل التمدن الحديثة .

ان البلدة العربية تشبه مثيلتها الاوروبية في اساسها الانشائي ايام العصور الوسطى .

يحل المسجد - الذي يعتبر صفة المدينة العربية المميزة - محل الكتدراية ... وتحل المنارة محل برج الكنيسة ... وتحل الساحة محل ميدان الكنيسة .

تسود المسجد صورة البلدة العربية ، وذلك بفضل حجمه وشكله المعماري المميز ، وتتجمع حوله الاحياء السكنية والتجارية ومحلات اصحاب الحرف والصناعات .

لا تنطبق شبكة الطرق الداخلية المخططة لاغراض المشاة والحيوان والعربات مع اي وضع تخطيطي سابق ، ولكنها نمت في عدة مراحل راسمة شكلا متشعبا للشوارع التجارية والصناعات الحرفية . تفتح مداخل البيوت على شوارع ضيقة ويوجد وسط كل بيت حوش سماوي . تمتاز المدن الموجودة في العالم العربي بهذه الصفات الاساسية التي لا يمكن احتمال الخطأ الهندسي الاساسي فيها . وتعتبر مدينة القدس القديمة مثالا رائعا للمدينة العربية ، ولا تزال في حالة ممتازة من المحافظة والنظافة .

ان السور المحيط الواقى الذي احتفظت به القدس بحالة ممتازة ، لمثال آخر من صفات البلدة العربية . لقد هدمت أسوار معظم البلاد العربية بسبب رداءة مواد بنائها التي كانت غالبا من الحجر او اللبن . وقد رزحت هذه الاسوار تحت عجالات الجرارات والكسارات في عمليات التوسع التي حدثت أخيرا في معظم البلاد العربية . الا انه لا يزال كثير من هذه الاسوار محفوظة بشكل غير ممسوس في بعض البلاد العربية وبالاخص في المملكة العربية السعودية . ان ما حدث « لفينا » وباقي المدن الاوروبية منذ حوالي ١٠٠ سنة من هدم أسوار العصور الوسطى ورصف شوارع دائرية مكانها ، قد حدث في بعض البلاد العربية أيضا . ففي الكويت ، مثلا ، هدم السور الدائري القديم وأقيم مكانه طريق منحني دائري لا يحتمل الخطأ فيه ، كما انه أصبح احدى صفات مدينة الكويت المعاصرة ويسمى الان بشارع السور .

ان بعض القرى العربية ، وبالاخص ما يقع منها على الجبال وعلى الحدود بين لبنان وسوريا وفلسطين ، والتي تشبه تقريبا المدن الجبلية في

ايطاليا واسبانيا ، ليس بها اسوار كما كانت مثيلاتها الاوروبية مثل « افيللا » و « كاركاسون » و « بيزا » بسبب ارتفاع الموقع الذي أعطى حماية كافية ووقتا للتحذير كافيا للاستعداد ضد الغزو . وتعتبر هذه البلدان الجبلية ممتازة ، بمعنى أن الذين بنوها راعوا في حسابهم مشاكل التوجيه الشمسي والمناسب وحفظ المناطق الزراعية التي تحيط بها .

اختيرت معظم البلدان والقرى العربية في أماكن مناسبة مثل :

- ١ - وقوعها على نهر لاستخدام مياهه للشرب والزراعة .
- ٢ - وقوعها في مفترق الطرق لتكون سوقا وملتقى للتجار .
- ٣ - وقوعها على انقاض مدينة قديمة ذات عهد تاريخي سابق .
- ٤ - وقوعها على الساحل كميناء بحري على طول سواحل البحر الابيض الشرقية والجنوبية وسواحل البحر الاحمر والساحل الغربي للخليج العربي .
- ٥ - وقوعها على تل او جبل لتسهيل عملية الدفاع عنها .

لقد لعبت المياه دورا كبيرا في الحضارة العربية وحضارة ما قبل العرب . لهذا ، فقد نشأت المدن ذات الحضارة العريقة على طول نهر النيل ونهري دجلة والفرات ونهر بردى . أما المدن الاخرى ، فقد نشأت ونمت بسبب قوة دينية دافعة ، مثل مكة المكرمة التي تحتوي على الحرم المكي والمدينة المنورة التي تحتوي على الحرم النبوي في المملكة العربية السعودية والقدس القديمة التي تحتوي على المسجد الأقصى والمزارات المسيحية .

ان ما يتأثر به طالب المدن بالنسبة للمدينة العربية ، سواء كانت في فلسطين او في المملكة العربية السعودية ، هو بساطة اساسها وجمال وحدتها وغرابة عملها الوظيفي الذي خلطها مع وضعها المحلي الطبيعي وجوها الاجتماعي العشائري وكرم وفادتها برغم حالة وضع سكانها الاقتصادي وكفاحهم اليومي بين حرارة الشمس المحرقة وعواصف الرمال الجارفة وموارد المياه الشحيحة وخشونة الطبيعة التي لا ترحم . ان ما يندهش له طالب المدن ايضا هو معرفة ووسع ادراك العرب لمشاكل البناء ومراعاة اتجاهات النسيم واستخدامها لتكييف طبيعي للهواء والتوجيه الشمسي ، وغزارة معلوماتهم عن النبت والزرع . ناهيك عن تجنبهم اخطاء كثيرة في هذه القطاعات الضرورية والمسلم بها من المصممين والمخططين والمعماريين المعاصرين .

يتأثر طلب المدن ايضا بأساس الشكل الخارجي لبعض البلدان مثل يافا والنفوس وتونس حيث تقع المدينة بين البحر من جهة وحدائق البرتقال او البلح من جهة أخرى . وما لا يحتمل الخطأ فيه هو أن المدينة في وضعها الاقليمي وكذلك مناطقها العمومية والخصوصية ، اذا احتاج

الامر للتوسع فتختار الارض تبعا للضرورات الفنية التي كثيرا ما يتجاهلها مخططي المدن اليوم .

اذا نظر الانسان الى المدينة العربية من الجو ، فانه يتأثر غالبا بشكلها ذي الثقوب والتجاويف التي تشبه « الدنتلا » بسبب شكل المنزل العربي ، الذي يتميز بحوشه الداخلي والذي يوجد به عادة . نافورة في الوسط وبعض الزهور والنباتات المتسلقة ، والذي يهيء مكانا لاجتماع الاسرة الخاص . اما اذا نظر الانسان الى المدينة العربية من سطح الارض فانه يتأثر غالبا بارتفاع منارات مساجدها وكروية قبابها الاخاذا بمجامع القلوب .

واذا طاف الانسان بداخل المدينة ، فانه يرى أصحاب الحرف والصناعات قد انصرفوا في أعمالهم ، وأصحاب الدكاكين والمحلات قد انهمكوا بهوس في سلعهم والعايرون من زوار قد انشغلوا برؤية النفيس والرخيص وكل ما تشتهيه النفس وتقع عليه العين ، والمتسكعين والكسالى قد تربعوا في أماكنهم بالمقاهي البلدية التي تعتبر صورة مميزة وهامة في ملامح وطابع المدينة العربية . ومن المشهور والواضح للعيان هو عدم ظهور النساء عموما في الاماكن العمومية من المدينة . . انهن في المنزل . . . او بحوش المنزل او بغرفة . . . بعكس الوضع في الارياف ، اذ تعمل النساء في الحقول والمزارع جنباً لجنب مع ازاجهن واقاربهن ، وغالبا ما تراهن يحملن المياه في بلاليص من فخار او قرب من جلد الماعز بعد ملئها من اقرب ترعة او نبع وجلبها لمنازلهن كما هو الحال في المناطق الريفية في أكثر البلاد العربية .

تعتبر الاسواق والبازارات في العالم العربي ذات شهرة عالمية لطابعها الفريد وشكلها المميز . انها ابتكار حضري عملي ومشوق لدرجة حتى أن مخططي المدن المعاصرين يحاولون ادخالها في المنطقة التجارية في المدينة الفريية الحديثة . انها تعتبر مناطق تسويق خاصة للمشاة ، تعمها الضوضاء باستمرار ولا تهدأ بها الحركة طول النهار . بها كل ضروب البضائع وأصناف العتاد من مأكـل وملبس . وممراتها غالبا ما تكون مغطاة بأسقف ذات مناوـر للاضاءة والتهوية . وعلى العموم ، ان هذه الاسواق والبازارات هي غاية من الفتنة والبهجة والسحر لا نشاهدها في المناطق الحديثة النمو الخالية من «جو» و «بيئة» و «حساسية» الاسواق العربية القديمة .

لا يمكن الانسان ان يقلل من أهمية وتأثير الاسلام على بناء المدينة العربية وعلى فن الهندسة المعمارية فيها . لقد أظهر الاسلام طيفا من التأثير الاخاذ بمجامع القلوب على هيئة وروح المدينة العربية المعنوي . تتراوح تعاليم الاسلام في مذاهب السنة الاربعة من تمسك شديد بالدين الحنيف في المملكة العربية السعودية الى اتباع تعاليم الدين السمحة في مصر ولبنان وغيرها . كذلك لا يمكن الانسان ان يقلل من أهمية تأثير المناخ والجو وهطول الامطار ووجود المياه على التركيب المثالي للمدينة العربية .

ان مثل هذه العوامل والمؤثرات الدينية والطبيعية والاجتماعية ، تعتبر عوامل قوية وفعالة ومحركة ، قد أثرت على تكوين البلدة والقرية العربية . وطالما استرشد العرب بهذه العوامل - الدين والطبيعة والاجتماع - فان أصفر نجع في العالم العربي يمتاز بصفة وشخصية قائمة بذاتها : أي بشكل حضري خاص . فاذا ابتعد مخططو المدن عن هذه العوامل الفعالة من دين وطبيعة واجتماع التي تؤثر على المدينة العربية وتفرض عليها طابعها الخاص فان المدن العربية سوف لا تصبح عديمة الشخصية فقط بل وقبيحة المنظر أيضا . انه لمنظر محزن عندما نرى الشارع العربي الحديث ، بعماراته الحديثة الغير مألوفة بأشكالها الغير طرازية ومنظرها الغير منسجم كالخنجر في صدر تلك المناطق القديمة التي لا تقدر بثمن .

ان ما يجده الانسان اليوم مفرحا للقلب ومريحا للنظر في أكثر مدن الاندلس مثل أشبيلية وغرناطة ، سببه انه اقيمت فيها المساكن العربية الاصلية المستلهمة ووسطها الاحواش ، وبداخل الاحواش الخضرة والماء ، لا تزال باقية وفي حالة ممتازة . وهذا ما نجده ناقصا في المدن العربية ومبانيها « الحديثة » وما بها من تحايل وضروب العمارة الحديثة العديمة الاصل والتي تستخدم بدون تمييز في قرى لبنان الجبلية ذات المناخ الشبيه بمناخ جبال الالب وفي مدينة الكويت ذات المناخ الحار والطبيعة القاسية .

لقد سقط العرب ضحية ، تحت العوامل والمؤثرات « التكنولوجية » والانتقالية والتوسعية ، لكل الاخطاء والخرافات التي تنخرط في سلك التفاهم السطحي وتطبيق المظاهر والافكار التي تستتر وراء ما يسمونه بفن العمارة او تنظيم المدن الحديث .

ان الانسان يرى صورة آفة حضرية في تنقلاته في العالم العربي ويشاهد ما يقع للاغلبية من المدن الكبرى من عدم تماسك وغروب جمال ضحية للاشتهاء والاستغلال والاحتكار الحضري وعدم تطبيق الاسس العلمية في بناء البلدة والعمارة . علينا ان نستوحي الكثير من البلدة العربية القديمة ونحللها تحليلا علميا ، عسانا ، ونحن في طور التنظيم والتصميم والبناء القادم ، ننتج مدنا عربية جميلة تلائم تراثنا ومؤثرات طبيعة بلادنا العديدة . فالتقليد الاعمى والنقل اللاعلمي سيؤدي العرب ويضرهم في بناء بلادهم ومدنهم واقتصادهم .

٥ - تنظيم المدن والاقاليم :

حاجة عربية علمية ملحة

نظرة سريعة على تطور مفاهيم التنظيم :

ان تنظيم المدن ، كما يفهم اليوم ، حقل رحيب واسع يشمل العلم والفن معا ، كما يشمل العلوم الاجتماعية كذلك . فهو لذلك حقل واسع التشعبات يتطلب كل فرع منه تخصصا فنيا . وفي الأساس ، يهدف تنظيم المدن الى خلق بيئة جميلة تلائم سكان المدينة . فعلى ذلك يحتاج تنفيذه الى معاونة العالم والباحث الاجتماعي والفنان والفيلسوف على حد سواء .

وتاريخ المدن طويل ، اذ يعود الى حوالي خمسة آلاف سنة تقريبا . فمنذ بداية الحضارة ، رافقت المدينة تطور المجتمع البشرى . ففي مصر واليونان والصين وامريكا اللاتينية القديمة ، لا تزال آثار المدن شاهدا على اهتمام الانسان بتخطيط المدن وبنائها ، وبتعبير آخر باقامة الشوارع التي تقسم المدينة الى عدة مناطق مع ترك منطقة وسطية خالية من الابنية تكون نواة المدينة .

وفي عدة دول اليوم ، لم يتعد تخطيط المدن طريقة بسط الشوارع الاولى هذه . ولقد بلغ هذا النوع من التنظيم قمته في تخطيط مدينتي باريس وواشنطن وكما يظهر بوضوح في كامبرا عاصمة استراليا ونيو دلهي عاصمة الهند .

وبمرور السنين ونمو المشاكل الصناعية والاجتماعية في المدن اتضح ، شيئا فشيئا ، ان بسط المدن الى شوارع يقصر دون خلق الجمال او توليد التلاؤم والراحة في المدينة ، كما اتضح ان المزج الكيفي بين استعمالات الارض المختلفة من سكنية وصناعية وتجارية ، قد ادى الى متاعب واضرار بحياة سكان المدينة . فضلا عن ذلك فان استعمالات الارض المتباينة ولدت احكاما متباينة في حركة المرور انيط امر معالجتها بنظام موحد من الشوارع .

ان الضغط الصناعي في المئة سنة الأخيرة ، والنظم غير المنطقية للسير ، ونمو المدن غير المنظم سبب مشاكل اجتماعية كبيرة كانت تتطلب الحل والعلاج . فقيام احياء الاعشاش القدرة المزدحمة بالسكان ، والأحوال الصحية المتأخرة ، وعدم تمكن البلديات من الاخذ بزمام الضغط الناتج عن نمو المدن ، كل ذلك سبب استيقاظ الضمير الاجتماعي في دول عدة . فلم يعد كافيا القيام بانشاء الابنية الفخمة والساحات الواسعة او شق الطرق

الفسيحة دون الاهتمام بمشاكل الحياة اليومية التي يواجهها ساكن المدينة . وعندما ازدادت الحالة سوءا في المدن ، كان لابد من اتخاذ اجراءات رسمية تضع موضع التنفيذ اقتراحات المصلحين الاجتماعيين وعلماء الاجتماع والفلاسفة والمتخصصين في فن العمارة ، ونتيجة لذلك اعتبر تخطيط المدن كعملية علمية - فنية في وقت واحد في معظم الدول المتقدمة صناعيا ، وواجبا من واجبات الحكومة يستوجب اهتماما يعادل اهتمام الحكومة بامور الدفاع والمال وشق الطرق وما اشبه ذلك .

وهكذا ، كان لابد ان ينشأ فن تنظيم المدن الحديث . ففي انكلترا مثلا تكون وزارة التنظيم البلدى والقروى احدى وزارات الحكومة المركزية وان قبول التخطيط كوظيفة تقوم بها الحكومة على مستوى مركزى الى جانب المستوى المحلي هو امر جدير بالتنويه ، كعملية فنية لحل المشاكل المعقدة للمجتمع المعاصر . وتقع على كاهل هذه الوزارة مهمة اعادة تخطيط المدن البريطانية وحماية الريف من مضار التصنيع والتجارة بالاراضى بقصد الاستغلال اللامحدود .

مهمة تنظيم المدن في البلاد العربية :

وليس من الضروري للدول العربية ان تنتظر حتى تسوء احوال مدنها الى الدرجة التي بلغتها معظم المدن الغربية قبل اعتمادها التخطيط البلدى والعلم كوسيلة من وسائل الحكومة المركزية . فان معظم الدول الاسيوية - الافريقية ، بما فيها الدول العربية ، لا تزال في المرحلة الاولى للتصنيع ، وتستطيع الآن ان تستفيد من تجارب الغرب في هذا المضمار وذلك بأن تجعل من تخطيط المدينة والريف العلمي وسيلة تنير سبل انماؤها المنظم .

ومع الاسف فالوضع ليس على تلك الحال المرتجاة في معظم الدول العربية . ففي لبنان وزارة جديدة هي وزارة البلديات والارياض وهي ، وان اخذت تتطور وتتوسع اخيرا ، لا تزال ينقصها الموظفون الاختصاصيون والمال اللازم لتحقيق الدراسات الكثيرة للقيام بتطوير المدن والارياض . والوضع نفسه يسود بلديات بيروت وعمان وغيرها من بلديات المدن الكبيرة فالموظفون الفينيون قلائل ولا يستطيعون القيام بالدراسات الواسعة التي تتطلبها مدن تزداد امور ادارتها وتنظيمها تشابكا وتشعبا يوما بعد يوم . فضلا عن ذلك فان موازنة البلدية لا تكفي بالنسبة لنوع العمل المفروض الفاضح في المنتزهات والحدائق والملاعب العامة حقيقة تشعر بها وتأسف لسكانها .

واذا ما نظر المرء حوله في بيروت او في عمان او في أى مدينة عربية اخرى فانه يستخلص بسهولة ان هناك امورا كثيرة يمكن تحقيقها او تطويرها بشكل اكثر ملاءمة واشد بهاء . فحالة السير مهولة يعرفها الغريب كما يعرفها المواطن . والشوارع الضيقة يضيق بامرها المواطنون خصوصا عندما يقارنونها بالبنائيات السكنية الضخمة القائمة على جانبيها ، والنقص

الفاضح في المنتزهات والحدائق والملاعب العامة حقيقية تشعر بها وتأسف لها كل عائلة ، والمزج الكيفي لاستعمال الارض السكني مع استعمالها التجاري وما يتبع ذلك من انعدام للنظام في الشوارع وضجة تسود ربوع الاحياء السكنية أمر يلمسه ويأسف له كل مواطن .

مدينة بيروت كمثال لمشكلة التنظيم :

خذ مدينة بيروت مثلاً ، فان موقعها يعتبر من اجمل المواقع الطبيعية في العالم ، وبالإمكان ان تفدو بيروت من أجمل مدن العالم، فالموقع يلعب دوراً هاماً في المظهر الطبيعي للمدينة وفي مستقبلها . واذا ما اخذنا بعين الاعتبار عبقرية الفرد اللبناني الخلاقة ، فاننا نستطيع الجزم بأن بيروت يمكنها ، بل يجب ، ان تكون درة بين المدن تجمع خير ما في الحضارة الشرقية والحضارة الغربية . ولكن الواقع هو خلاف ذلك . فنظرة واحدة من « الكورنيش » توضح للمرء كيف تحجب البنايات الفخمة الواحدة منها الاخرى ، ويتمنى المرء ان يرى فسحة خضراء بينها . وبعد ذلك بمسافة قليلة تقع بقعة تعد من أجمل شواطئ البحر الابيض المتوسط الشرقية ، شوهدت منظرها البنايات المتداعية المؤذية للنظر . ويعجب المرء لهذه الكارثة الجمالية ويتساءل عن اسبابها . والجواب بسيط . فهناك نقص في التخطيط العلمي العريض الشامل الذي يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة او ، على الاقل ، يحاول اقامة الانسجام والتوافق بينهما . وما ينطبق على مدينة بيروت ينطبق ، مع الاسف ، على المصايف اللبنانية الفناء التي توسعت ونمت دونما تنظيم او تخطيط ، كما ينطبق كذلك ، الى حد ما ، على دمشق والكويت وعمان والرياض وباقي المدن العربية .

المبادرة في تنظيم المدينة العربية والسياسة العامة المرتجاة :

كيف نستطيع انقاذ الحالة قبل فوات الاوان ؟ كيف يمكننا ان نجعل من بيروت وعمان والكويت مدناً جميلة ملائمة لان تكون عواصم لدول عربية تنمو وتتطور بسرعة ؟ وكيف يمكننا حفظ الخصائص والمميزات الطبيعية لسوريا ولبنان والاردن في الجبال وعلى الساحل وحول الممرات المائية ؟ وكيف يمكننا منع المزج الكيفي لاستعمالات الارض المتباينة ومنع استعمال الارض غير المناسبة ؟ وكيف يمكننا منع الهجرة من الريف الى المدينة على حساب الريف والمدينة على حد سواء ؟ وكيف يمكننا تحقيق التوزيع الجغرافي للسكان بحيث تمكن المواطنين من الحصول على دخل محترم من الصناعة والزراعة والاصطياف وغيرها من الجهود الانتاجية ؟

ان الجواب على هذه الاسئلة ، وكثير غيرها ، يكمن في التخطيط العلمي الوافي للمدينة والريف . فمن الواجب اعداد خطة حكومية رئيسية لتطوير كل من المدينة والريف العربي - هذه الحقيقة لا بد ان يعيها افراد الشعب العربي الذين بيدهم مقاليد الامور في الحكومات .

ان تنظيم هيئة حكومية للقيام بالتخطيط الشامل لكل دولة عربية وتطويرها هو عملية فنية ادارية الى حد بعيد ، تتطلب تفصيلاتها دراسة واسعة لا نستطيع الخوض فيها في الوقت الحاضر . ولكن اذا افترضنا وجود مثل هذه الهيئة وميزانية كافية وموظفين اكفاء فما الذى نتوقعه فيها ؟

من الطبيعي ان لا نتوقع ان تحل لنا هذه الهيئة مشاكلنا بين ليلة وضحاها ولا نحول ، بضربة سحر ، البشاعة الى بهاء وغير الملائم الى ملائم . وان ما يمكن توقعه منها انشاء سياسة علمية عامة ينبثق عنها عدد من السياسات تتعلق بتطوير البلد المعنى وباعادة انشاء وتنظيم مدنه واريافه . وقد يبدو وضع السياسة الشاملة امرا سهلا ولكنه اليوم اصعب مسمى للحكومات . فلو وضع السياسة العامة لا بد من معلومات وحقائق واستعمال هذه المعلومات والحقائق بانسب الطرق للوصول الى برامج عمل في مجالات المصلحة العامة المتعددة .

كيف تقوم وزارة البلديات والارياف بوضع السياسة العامة؟ من فيها يضع السياسة ؟ وكيف تترجم السياسة من حيز الآمال والرغبات الى حيز العمل المثمر ؟ .

من الطبيعي ان تتطلب عملية وضع سياسة لتطوير اى قطر عربي وجود حقائق ومعلومات حول هذا البلد . فيجب اذن تجميع المعلومات عن كل ناحية من نواحي ذلك القطر : تاريخه وشعبه ، وحالته الاجتماعية والاقتصادية ، وخصائصه ، وميزاته ، واتجاهاته ، وما يملك وما لا يملك . ولا بد من التأكيد على الحاجة لتجميع المعلومات والحقائق . فان ذلك يشكل اليوم علما يشغل في جميع البلاد المتقدمة هيئات حكومية كبيرة للقيام به - هي دوائر او مكاتب الاحصاء .

وعلى افتراض ان المعلومات قد جمعت ، فماذا بعد ذلك ؟ ان لم تجمع المعلومات وتدرس وتحلل بذكاء فانها قد تشكل عبئا يعوق عملية التطوير اكثر من كونها تسهila يساعد على حلها . وفي هذا المجال ، تظهر الحاجة الملحة للموظفين المتخصصين . فبين يدي الموظف المتخصص ذى الخبرة تتحول المعلومات الجافة الى معان حية تبني على اساسها السياسات والقرارات كبداية للتنفيذ .

ومن المؤكد انه لا يمكن تحويل مدينة ما الى جنة بسهولة . فالمهم ان تتحول جميع التحسينات فى المدينة الى كل شامل ذى معنى . واذا ما اخرجت الخطة الرئيسية ، فلا بد من وضع برنامج افضليات - اى وضع الامور الهامة فى المكان الاول . فالتحسينات الضرورية كالطرق وخطوط المنافع العامة وما اشبه ، لا يمكن تأجيلها فى معظم الاحيان . اذ لا بد من تنفيذها كلما مست الحاجة اليها ، ان لم يكن قبل ذلك . غير ان التسهيلات كالمنتزهات والحدائق العامة ، ومواقع المدارس ، واعادة انشاء مناطق الاعشاش السكنية وجمع دوائر الحكومة فى مراكز مجمعة ... الخ لا يمكن

القيام بتنفيذها بسرعة . ولكن اذا بنيت هذه الامور على الخطة الرئيسية، فمن الممكن البدء باعمال اولية لتحقيقها كتهيئة تصاميمها ، واعداد اجراءات الاستملاكات اللازمة لها ، والتخطيط المالي لدفع ائمانها وهكذا . ذلك ان التخطيط ، في اساسه ، لا يتعدى كونه تنظيما وترتيبا حذقا للامور ، سواء اكانت امور سير او بنايات او استعمالات مختلفة للأرض .

مشاكل التنظيم على مثال اوضاع مدينة بيروت ايضا :

فاذا اخذنا مدينة بيروت كمثال مرة اخرى ، فان من اهم المشاكل التي تواجهها هي معضلة السير . ومشاكل السير لا يمكن حلها بشوارع ذات اتجاه واحد او بشرطة السير فحسب ، فهذه حلول مؤقتة تسد ثغره معينة . فالسير ، خصوصا اذا اتسع حجم حركة المرور ، يتطلب الفسحة ، والفسحة تبتلع بسرعة في بيروت . واذا ما انشئت بناية كبيرة للسكن او للمكاتب يغدو من العسير هدمها ، بل الاسهل استملاك وهدم البنايات القديمة التي لاتزيد على طابق او طابقين والتي ما زالت تحاط بمساحات غير مبنية ، واقامة نظام للسير مدروس يسهل حركة المرور فيها من الشمال الى الجنوب ومن الغرب الى الشرق . لتحقيق ذلك لا بد للسلطات وان تعلن تأجيل البناء لمدة ستة اشهر على الاقل ريثما تتم دراسة واقامة مشروع للسير يستعمل الجيوب غير المتطورة في الاراضي غير المبنية . وفي الوقت نفسه يجب تخصيص كثير من هذه الجيوب للمنتزهات العامة والاستعمالات العامة الاخرى . هذا اقتراح مكلف الا ان هذه هي الفرصة الوحيدة المتبقية . ومن حسن الحظ ان كلا من مدينتي الكويت ودمشق قد اتبعتا مثل هذه الاقتراحات واتخذتا خطوات عملية لحل اوضاعهما الآخذة بالسوء .

ان المساحات الجديدة التي تكبر وتتوسع باستمرار في المدينة العربية يجب ان تدرس ايضا من اجل تقسيمها الى مناطق تجارية واخرى صناعية وثالثة سكنية ومن اجل تنظيم حركة المرور وانشاء شبكة اتصال مع قلب المدينة ، واقامة التسهيلات الضرورية لمراكز الشراء والمدارس والمستشفيات وغيرها . ان هذه الخطة ستخفف الضغط على المنطقة المركزية وتساعد على تخفيف حجم السير المتزايد الذي لا بد وانه ينصب على قلب المدينة .

مسألة الأحياء السكنية :

هذه هي مسائل ملحة . واقل منها الحاحا - ولكن على نفس الدرجة من الأهمية - مسألة دراسة الأحياء السكنية للمدينة كوحدات قائمة بذاتها كافية لها . فالأحياء السكنية لا تحتوى ، في معظم الأحيان ، على التسهيلات اللازمة للقاطنين فيها . فتسبب ، تبعا لذلك تقليل الانتقال من منطقة الى اخرى في المدينة . ان تنظيم الوحدات السكنية يجب ان يصبح بسرعة وظيفة اصيلة لهيئات التخطيط في البلديات اذا ما أردنا

ان نعيد مظهر النظام والهدوء والاكتفاء الذاتي الذي كان بالامس يسود مختلف مناطق المدينة العربية .

ان التخطيط اليوم لا يقتصر على اقامة المنشآت الفخمة التي تترك اثرا في النفس ، بل يهدف الى انشاء بيئة نظيفة هادئة وسليمة للسكن ، اذ لا فائدة من اقامة الشوارع الواسعة وتشبيد النباتات الفخمة اذا بقي الضجيج والزحام والفوضى والخطر يرهق ساكن المدينة من طلوع الشمس حتى مغيبها .

ان كل ذلك ممكن التنفيذ ، ولا بد من القيام به لانقاذ المدينة العربية من مستقبل مظلم وخطر . ويجب ان تتوفر الارادة لاجاده كما يجب ان تخلق فوراً المنظمات التي تقوم بتنفيذه .

فقدان حدائق الاطفال في المدن العربية ظاهرة اليمية :

انظر الى الاطفال في اكثر المدن العربية الكبيرة . انك تراهم يلعبون في الشوارع الخطرة ، فثمة جيل جديد يترعرع بسرعة دون ان يعرف ما هي الزهرة او الشجرة وما هو الهواء الطلق . يرى افراد سياراتهم « الكاديلاك » وزوايا الشرفات البهية الالوان ويسمعون الضجيج ويتنفسون ثاني اكسيد الكربون . ان العامل الانساني يفقد بسرعة ، والبيئة الانسانية هي السبب الاساسي في ذلك . ان الازدحام والشوارع الضيقة والضجة ، وكلها نتائج مباشرة للمضاربة الجنونية على اسعار الاراضي ، تشكل الاسباب المباشرة للشوارع القذرة . واذا لم نستيقظ فوراً ، شعباً وحكومات ، فان حقائق التاريخ ستصدمنا بسرعة لنجد انفسنا قد اقمنا شوارع قدرة بدلا من تشييد جنة .

واذا افترضنا ان الوعي الشعبي والحكومي قد تم بحيث ان التنظيم بمعناه الحديث الانساني الشامل ، قد اعطى دوره الكامل ، فما هو المطلوب عدا ذلك ؟ انه ثلاثة امور :

اولا - سن قوانين سليمة وشديدة وتطبيق هذه القوانين دون محاباة .

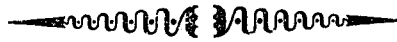
ثانيا - نظام مالي سليم لتمويل بناء المدينة العربية الحديثة .

ثالثا - تطبيق الاسس والمفاهيم والمقاييس العلمية في تخطيط المدينة العربية وريفها .

ان ما قيل عن المدينة العربية ينطبق بنفس القوة على الريف العربي بمدنه وقراه . فكل منطقة ، في أي بلد عربي ، يجب ان تدرس على حدة . والارض يجب ان تقسم الى فئات ، كالارض المخصصة للزراعة ، والارض المخصصة للغابات ، والارض المخصصة للصناعة ، والارض السكنية ، والارض المخصصة للتسليه والنزهة فهذا سيحمي الريف من الاستعمالات الكيفية غير الملائمة .

ويمكننا ان نلخص الوضع العربي على النحو التالي :

- ١ - أصبح التنظيم ضرورة ملحة لدول العالم . ولا تستطيع أية دولة عربية اليوم اغفاله ، خصوصا اذا كانت تنمو بسرعة .
- ٢ - ليس التنظيم اكثر من اعتماد العلم والفن والارادة الاصلية الخيرة في تسيير أعمال الادارة . فتنظيم المدن والاقاليم هو الاستعمال الواعي لاراضي المدن والارياف ، بغية تحقيق بيئة ملائمة ذات رونق جميل مع اخذ الاساس الاقتصادي للمدينة والمنطقة بعين الاعتبار .
- ٣ - لم يعد تنظيم المدن فنا محصورا برسم الشوارع الفسيحة . انه اليوم عملية فنية وعملية دقيقة تستلزم تعاون فريق من الخبراء الذين يجمعون صفات التواضع والانتفاع الى جانب محبة الطبيعة ، وانباء الشعب والوطن والحق .
- ٤ - ان التأخر في استعمال تنظيم المدينة والريف كوسيلة من وسائل الحكومات العربية سيكلف العرب خسائر مادية وروحية وجمالية عديدة .
- ٥ - يجب ان تنشأ وزارة تخطيط للمدن والارياف بكل دولة عربية ، يختار موظفوها من بين اكفاء المواطنين واكثرهم وعيا وعلمًا واخلاصا ، كما يجب ان تعطى هذه الوزارات سلطات كاملة وتمول التمويل الكافي . ومن الضروري انشاء دائرة خاصة للاسكان ضمن هذه الوزارة لانشاء مساكن شعبية لذوى الدخل المحدود .



٦ - تقرير صحفى من القاهرة :

اهمية الحلقة الدراسية العالمية حول تنظيم المدينة العربية

ان « الحلقة الدراسية العالمية عن تخطيط المدن في العالم العربي » بفية دفع المستويات العلمية والاجتماعية في القاهرة من ١٧ - ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٦٠ ، برعاية « جمعية المهندسين المصرية » و « المنظمة العالمية لحرية الثقافة » يمكن ان تعطى موضوع تنظيم المدن والاقاليم الشامل ، القوة الدافعة ليكتسب بذلك المركز الكامل والناصح والمسؤول في الادارة الحكومية العربية .

ولقد تناولت مرة في التاريخ العربي حلقة الدراسات هذه ، ولربما لاول مرة ، موضوع « المدينة الحديثة في العالم العربي » بفية رفع المستويات العلمية والاجتماعية والثقافية الممكنة . واشترك مع حوالي ثمانين خبيرا عربيا ومخططي مدن ومهندسي فن عمارة ورجال تربية ذوي شهرة عالمية من الدنمارك ويوغسلافيا وانجلترا وبولندا وهولندا واليونان والهند والبرازيل وايطاليا والولايات المتحدة . ودارت الابحاث على المستويات المعينة الخاصة كما دارت على المستويات المقارنة .

ومع ان مشاكل المدينة الحديثة الآخذة بالتوسع اعتبرت متشابهة على صعيد عالمي وليس صعيد المنطقة فحسب بالنظر للدوافع السكانية والصناعية المتشابهة في كل المدن ، فلقد وجدت الحلقة الدراسية من الضروري الوصول الى نتائج اساسية تخص المدينة العربية واقرت القرارات الهامة التالية :

١ - الطبيعة العامة للمشكلة :

تشترك المدن العربية مع غيرها من المدن في مشاكلها كاسكان غير اللائق ، وأحياء الاعشاش القذرة وازدحام حركة المرور ، وعدم كفاية امدادات الماء والكهرباء وازالة القمامة ، والمزج المفرط لاستعمالات الارض . وتزداد هذه الامور خطورة بتركيز النمو الحضري في المدن الكبيرة . ان هذه المشاكل ليست على نفس الدرجة من الخطورة في كل المدن العربية .

ولتعيين حجم هذه المشاكل ووسائل حلها ، يجب اعداد معلومات احصائية بتفصيل مناسب وبدقة اكثر .

٢ - الهجرة الى المدن :

الهجرة المفرطة الى المدن الكبيرة تزيد من مشاكل هذه المدن ، فيجب

درس أسباب هذه الهجرة لتعيين الوسائل اللازمة من أجل تخفيف هذه الحالة وتنفيذها .

٣ - تنظيم المدن بالنسبة الى التنظيم القومي :

(أ) ينبغي اعطاء اهتمام أكثر لتكامل وتنسيق تنظيم المدن مع التخطيط الإقليمي القومي ، وينبغي استشارة مخططي المدن عند تحضير المخططات القومية .

(ب) بالرغم من ضرورة اعطاء تطوير الريف الاهتمام الكبير في التنظيم القومي ، فإنه من الضروري كذلك اعطاء مشاكل المدن الملحة العناية اللازمة أيضاً .

(ج) يجب انشاء مراكز تعليمية وتدريبية في أمور التخطيط الشامل للمدن .

(د) يجب اقامة الصناعات الجديدة - قدر المستطاع - خارج مناطق المدن المهمة لأن ذلك سيؤدي الى تخفيف مشاكل المدن الكبيرة ورفع مستوى المدن الأصغر حجماً .

(هـ) اودي التقدم بكثير من المضار التي كانت تقترن بالصناعة في السابق ، مما يجعل اقامة بعض الصناعات داخل المدن ، والتي كان يجب اقامتها خارجها ، امراً ممكناً .

٤ - الخطة الرئيسية :

(أ) المدن العربية تحتاج الى خطط رئيسية . والخطة الرئيسية ادارة مفيدة يجب ان لا يؤدي اعدادها الى اهمال المشاكل المستعجلة .

(ب) ان تنمية وسائل تنفيذ الخطة الرئيسية هي احد معالمها الاساسية . ويدخل ضمن وسائل التنفيذ انظمة تصنيف وقوانين البناء وانظمة استعمال الاراضي ، الخ . . . ولا يجب ان تؤدي مثل هذه التشريعات الى الحد من حركة البناء والنمو ، بل ارشاد مثل هذا النمو على ضوء المصلحة العامة . وعلى درجة من الاهمية مماثلة ، تبرر الحاجة الى تعريف الجمهور بفوائد الخطة الرئيسية لتأمين تعاونهم .

(ج) يجب ان تكون الخطة الرئيسية مرنة لتتكيف مع مشاكل المدينة وأوضاعها المتغيرة .

(د) تتطلب الخطة الرئيسية خدمات فنيين ومدربين في حقول تخطيط المدن الهندسة والعلوم والخدمات الاجتماعية وبما ان عدد الخبراء المدربين في المدن العربية قليل جداً ، فينبغي ايجاد خطوات للتغلب على ذلك النقص .

(هـ) ينبغي على السلطات البلدية ان توقف حركة البناء خلال مدة اعداد الخطة الرئيسية ، بل يجب عليها ترك حركة البناء تسير ضمن الاطار العام المتوقع للخطة .

(و) عند تنفيذ الخطة ، يجب اعتبار الاراضي المفتوحة غير المبنية واماكن الترفيه والتسلية على درجة من الاهمية لا تقل عن اهمية المعالم الاخرى في الخطة فان لتلك الاماكن قيمة اقتصادية تمكن في رفع انتاجية ساكني المدينة وفعاليتهم فضلا عن قيمتها الترفيهية .

(ز) يجب ردع المضاربة على الاراضي ، التي تنتج عادة عن تنفيذ أنظمة استعمال الارض بصرامة .

(ح) ذهب بعض المدن الى تطرف في مزج استعمالات الارض بعضها بالآخر . ومع كون بعض المزج في استعمالات الارض حتميا وحتى مفيدا ، الا انه من الواجب ان لا يسمح له بتخطي حدود التخطيط الجيد .

(ط) ينبغي ان تشمل حدود المدينة كل المساحة المنتظرة للنور والتوسع . فيمكن عندئذ ، بواسطة الرقابات الصارمة الحيلولة دون اقامة احياء أعشاش جديدة ، تصبح جزءا من المدينة .

(ي) بما انه من الضروري بناء التخطيط على الحقيقة الاجتماعية فينبغي ان يشترك مخطوطو الدولة مع منظمي المدينة في وضع مقاييس التخطيط الملائمة المتعلقة بالتربية والاسكان والملاعب الخ ...

٥ - مسؤوليات البلديات وسلطاتها :

(١) معظم المدن العربية لا تملك هيئات بلدية ذات سلطة كافية مما أدى الى نموها غير المنظم . فالمدن الحديثة بحاجة لمثل هذه السلطة خاصة بالنسبة لاعتمادها المتزايد للخطط الرئيسية . ولا تستطيع تنفيذ الخطة الرئيسية الا هيئة بلدية قوية ذات سلطة كافية لتضمن تأييد الهيئات الحكومية المختلفة المعنية وتعاونها .

(ب) ينبغي ان يساهم الشعب في خلق طابع المدينة العربية ، مساهمة فعالة .

(جـ) يجب أن توضع تحت تصرف البلديات أموال كافية لتمكنها من مواجهة حاجات الخدمات العامة كالنقل وامتدادات الماء والكهرباء وازالة القمامة حاضرا ومستقبلا . كما يجب اعداد الاموال لتمكين البلديات من الحصول على اراض بأسعار معتدلة ، ضمن المساحة المنتظرة لتوسيع المدينة ، لاستعمالها في المستقبل في أمور المصلحة العامة .

٦ - الاسكان بالنسبة لتنظيم المدينة :

(١) ان أهمية السكن للانسان تتطلب من السلطات التخطيطية في

الدولة عند توزيعها الموارد وتخصيصها ، صناعة تحرك المال ، كما يحرك النشاطات الصناعية اعطاء افضلية وسبق لبناء المساكن . فبناء المساكن الاخرى .

(ب) ينبغي تغطية نفقات الاسكان ذات الكلفة المنخفضة ، بصورة رئيسية ، من الاموال والاعانات الحكومية .

(ج) ينبغي ان لا يخضع اسكان ذوى الدخل المتوسطة والمرتفعة للتقيدات التي من شأنها عدم تشجيع الاستثمار فى البنايات الجديدة .

(د) بالنظر الى الحاجة الملحة لبناء مساكن كثيرة فى العالم العربي ، خاصة لدوى الدخل المنخفض ، ينبغي القيام حالا بابحاث واسعة لتحديد انواع المساكن ومواد البناء الاكثر ملاءمة لحاجات السكان وتقاليدهم ، واحوال المناخ ، والامكانيات الاقتصادية ولذلك الغرض يجب انشاء تصاميم وعناصر ذات مقياس واحد .

(هـ) ينبغي ان تشمل مخططات التصنيع الصناعات المتعلقة بالاسكان كموايد البناء ، والمعدات الصحية ، والابواب والنوافذ النمطية .

٧ - حفظ طابع المدينة العربية :

(١) يجب ان تحتفظ المدينة العربية بطابعها الخاص عند مواجهتها حاجات الحاضر والمستقبل فى تنظيمها ونموها .

(ب) المسجد :

١ - لما كان المسجد جزءا حيويا من التكوين الاجتماعى للبيئة العربية ، فينبغى اعطاؤه اعتبارا خاصا عند تخطيط المدن .

٢ - ينبغي تشجيع الاتجاه لحياء الاستعمال التقليدى للجامع ، لا للعبادة فحسب بل كمركز للنشاط التربوي والاجتماعي ايضا .

٣ - جرى اصلا تصميم كثير من المساجد واختيار مواقعها بحيث تقف صروحا جميلة فى المدن غير انها حُجبت الآن عن النظر فينبغى ازالة ما يحجبها بغية اعطاء المسجد مركزه الاجمالي الذي يستحقه .

(ج) ان الاسواق العربية القديمة ، فى حالتها الحاضرة ، تلائم النمط التجارى للمدينة الحديثة فيجب المحافظة عليها وتهيئة التسهيلات اللازمة لها . وتشكل هذه الاسواق بالفعل نماذج ممتازة لتصميم مراكز الشراء الجديدة .

٨ - برهنت هذه الحلقة الدراسية عن بداية مثمرة لفهم المدينة الحديثة فى العالم العربي . فيجب المحافظة على هذا الاهتمام ، كما يجب انشاء منظمة دائمة للمهتمين بشئون المدينة العربية تضم المنظمين ،

والمهندسين المعماريين والمهندسين وعلماء الاجتماع لمواصلة درس مشاكل المدن والبحث عن حلول لها .

فيجب ان تحظى هذه القرارات العلمية المهمة باعتبار أكثر من الحكومة والبلدية والمؤسسة العربية المسؤولة ، ذلك ان مستقبل العالم العربي يكمن في مدى جودة تنظيم المدينة والاقليم ، وارتباط بعضها ببعض الآخر وباطار الجغرافيا الطبيعية والسياسية الاشمل والاعم ، فمن غير الممكن توفير الوجود السليم للمدينة والاقليم اذا كان تعايشهما يقوم على أساس العلاقة الطفيلية . ومن الممكن اثبات هذه المسئلة تاريخيا سواء اكانت مطبقة على علاقة جزء من المدينة بجزء آخر . فالاحتكاك ، سواء اتخذ شكل انحراف احداث او شكل حرب ذرية ، هو النتيجة لحالة نمو وتوسع غير متوازيين ولا قائمين على أساس علمي .

ومن المؤمل ان تخرج البيئة السكنية والحضارية لكل بلد عربي من حيز الرغبات في الاصلاح والتقدم الى المكان اللازم في غرف رسم السياسة الحكومية والبلديات والجامعات والمنظمات الوطنية الاخرى . ولكي يتسنى لنا الأمل في مستقبل أفضل ، يجب أن نضع منذ الآن احوار الزاوية بأمان وفي امكنتها المناسبة .



٧ - التنظيم السكني وتطور الحياة

منذ ان كان الانسان ، كان التطور ، لان الانسان في جوهره حركة مستمرة ومبدع لا يقف عند حد . فمن العصر الحجري الى يومنا هذا نرى ان الانسان في تطور مستمر وان من لايسير في طريق التطور يفقد شيئاً من انسانيته التي تريد منه ان يعيش مع عصره .

وابداع الانسان لم يقف عند اشياء معينة ولم يقتصر على ضروريات الحياة التي اوجدتها الاجيال السابقة ، ولكن ابداعه تعدى الضروريات الى الكماليات التي اصبحت تتطور هي ايضا حتى اصبحت من الضروريات ، وفي مقدمتها اقامة منزل السكن ضمن هيكل المدينة على اسس حديثة . فالانسان الجديد لا يقبل ان يقصر في مضمار تنظيم السكن ، التنظيم الذي تظهر آثاره في تاريخ المدينة منذ القديم : منذ الامبراطورية الصينية الى مصر فرعون الى الدولة البابلية الى عهد أثينا الزاهر الى عظمة روما القديمة الى منجزات العرب الجميلة .

هذا الانسان الطموح ، المتطلع دائما الى فوق ، مضطر اليوم اكثر من اي يوم مضى ، الاهتمام بالتنظيم السكني العلمي نظرا لتطور الحياة تطورا سريعا ، ان في النواحي الاجتماعية او الاقتصادية او الصحية التي ، ان لم يتعهد الانسان معالجتها بعقله ويده في كل بقعة من بقاع الارض ، تهدد تطور الحياة وتقدمها وفقدت الانسانية في جزء منها معناها الاصيل .

والتنظيم السكني العلمي او كما اصطلح العلماء على تسميته « بالتنظيم السكني المدني » كي يشمل جميع المتطلبات السكنية ، يتطلب دراسات كثيرة منها احصائية ومنها اجتماعية ومنها صحية ومنها اقتصادية عامة ومن ثم هندسية فنية ... ومثل هذه الدراسات تتطلب مجهودات كبيرة لا يمكن ان يقوم بها الفرد الواحد ، انما يقتضي للقيام بها انشاء اجهزة كاملة من الاختصاصيين يتعاونون على القيام بوضع مشاريع التنظيم ودرس نواحي الحياة وتطورها ، آخذين بعين الاعتبار جميع المسائل التي لها علاقة وثيقة بالحياة . على ان يكون وضع هذه المشاريع مستندا الى الدقة التامة التي توافق الحاضر وتكون قابلة للتحويل والتبديل اذا اقتضى التطور نفسه ذلك بصورة معلومة او مفاجئة ، نقول مفاجئة لان هذا القرن امتاز بالمفاجآت العلمية التي اصبحت لها تأثير كبير على مستوى الحياة البشرية .

فاذا اخذنا مثلا تطور الحياة السريع في العشر سنوات الماضية في الكويت نسبة لتطورها في العشر سنوات المقبلة يتوجب علينا والعالم على باب اكتشافات نووية ذات تأثير كبير على طريق الحياة البشرية ، ان نرتقب مفاجآت تقتضي تصميمها للحياة قابلا للتعديل سنة بعد سنة .

فمن هنا وجب القول ان على واضع مشروع ما للتنظيم السكاني ان يكون من اصحاب الحس الفني والحس المستوحى من مبادئ انسانية هدفها اسعاد الانسان ورفع مستواه في الحقوق الاجتماعية والنفسانية والروحية والتراثية الخ

ووجب ان يكون واضع التنظيم واسع الاطلاع بشؤون البلاد التي ينظمها ، ان يكون ملما بفلسفة اهلها ، عالما باعتقادات وعادات وتفكير سكانها . عليه ان يكون ، بكلمة واحدة ، واحدا من ابناء تلك البلاد ، وان يتيسر له العون الذي يساعده على معرفة كل ما يتطلبه مثل هذا العمل الكبير . فمشاريع التنظيم لا يمكن ان يقوم بها رجل فرد ولا يمكن لانسان ما ، مهما كان متوقدا ذهن ذكيا مطلعا ، ان يلم الماما كافيا بجميع نواحي العلوم المتوجب توفرها عند وضع مشروعات الاسكان والتنظيم . وقد قدرت احدى الجامعات العالمية ان الشخص الذي يريد ان يتخصص في قضايا السكن والتنظيم ، ويلم بمختلف نواحيها الماما تاما يجب ان يقضى عشرين عاما على الاقل في الجامعات .

ليس كل هذا بغريب اذا علمنا ، بالاضافة الى ما سبق ، ان كل تنظيم يجب ان يشمل ايضا درس امكانيات تصنيع قسم من البلاد وابقاء قسم آخر يعد للزراعة كما يجب ان يدرس تاريخ البلاد مدينة مدينة ، قرية قرية ، عائلة عائلة ، لمعرفة العناصر التي تكون المنطقة .

هكذا يجب ان يتم التنظيم : بالعلم والفن والبحث والفلسفة والحكمة والوقت الكافي والجهاز اللازم ليتوفر في بادى الامر على القائمين على العمل التنظيمي جميع الامكانيات كي يفكروا قبل كل شيء بالمسائل الاساسية والحيوية والواقعية . يجب ان نعمل بعقلية المحارب الباحث ، ويجب ان نركز دراساتنا الى الحس والاختراع اكثر مما نركز الى ان نعتمد على الحلول المعلقة والافكار المجردة والتصاميم المستوردة .

لذلك يتوجب التفكير بدرس تنظيمي شامل لكل بلد عربي . فالبلاد العربية جميلة بمناظرها ، فريدة بمميزاتها ، كبيرة بامكانياتها ، ومحتاجة الى تنظيم سكاني سريع وشامل ، يكفل بقاء جمالها وتنظيم حياتها على اسس حديثة ، مستفيدين من تجارب البلاد الراقية التي سبقتنا في هذا المضمار لنجعل من مدننا مثال المدينة الحديثة المحتوية جميع اسباب الحياة والازدهار ومن بلادنا اية الفن والجمال والراحة ومن اريافنا مورد الانتاج والحياة الكريمة .

وركيزة كل هذا السكن - الوحدة السكنية في حد ذاتها ، والوحدة السكنية متكررة على وجه البسيطة . فمنها تنتج المدينة وفي المدينة البيئة ومن البيئة تنبثق المدينة والمدينة هي مقياس الرقي والحضارة والتقدم .

٨ - نحو السياسة العامة للاسكان في العالم العربي

تعتبر السياسة العامة للاسكان في هذه الايام قطاعا حيويا وضروريا فيما تتحمله الحكومات من مسؤوليات وتبعات حتى في بلاد العالم التي قطعت شوطا كبيرا في التقدم والانتفاع المادي .

هذه السياسة هي من اختصاص حكومة الاتحاد السوفيتي بنسبة ١٠٠٪ تقريبا ، وفي المملكة المتحدة (بريطانيا) والولايات المتحدة تعتبر سياسة الاسكان من الاختصاصات الهامة لكل من الحكومتين . أما في اسبانيا فنجد ان حالة الاسكان العام تضطر الحكومة الى جعل هذه السياسة تحت اشرافها في البناء . بينما في دول اسكندينيافيا تتعاون الهيئات الحكومية والتعاونية لتساهم في بناء اكبر نسبة مئوية من الاسكان . وكذلك في هولندا وامريكا اللاتينية وغيرها من البلاد .

وبينما نجد في هذه الاقتصاديات النفعية ان طبقات ذات الدخل المحدود تعاونها الحكومة للحصول على مأوى بوسيلة أو بأخرى في البلاد الافريقية والاسيوية وامريكا اللاتينية ، فإن دور ومسؤولية الحكومات لمقابلة احتياجات الاسكان المختلفة قد اصبحت مسألة من المسائل الهامة والضرورية .

اولا - باعتبار ذلك حاجة اجتماعية ماسة لرفع مستوى المعيشة للسكان .

ثانيا - باعتباره وسيلة للنهوض بالتوظيف او التشغيل ، وبالتالي لدفع الجهاز الاقتصادي للتحرك .

من المتوقع ان تضطر معظم البلاد في العشرة او الخمسة عشرة سنة التالية الى التأهب لملاقاة الحاجة الملحة الى تقديم نماذج الاسكان الى الجمعيات الاقتصادية الغير قادرة على القيام وحدها بالالتزامات حتى تضمن بذلك شيئا ولو يسيرا من الوقاية الصحية والعزة فيما تقدمه من مساعدات . ان حالة الاسكان في جميع انحاء العالم قد ساءت الى حد يدعو الى الفرع حتى اصبحت من واجب الضمير الحكومي والاجتماعي ان يعمل على ايجاد علاج مباشر لها وان مجاورة السكان بعضهم لبعض بحالة منحطة وسيئه ستظل قائمة اتهم تثبت الفشل الاجتماعي والحكومي ، وليس هذا فقط في الارياف بل حتى في المدن الكبيرة ذات الحياة الناعمة في العالم نجد مثل هذه الحالة .

وسيتظل هذا الاتهام قائما ما لم يتخذ اجراء مباشر لعلاج الموقف ، وعلى وجه الخصوص عندما تبلغ حركة الهجرة الريفية الى المدن ذروتها ناحية سير الهجرة وعدد المهاجرين فان عملية تقديم الاسكان الامن والمناسب

والصحي في حدود الكفاية يجب ايضا ان تبلغ مثل هذه القوة من ناحية الغرف الضرورية بما يتمشى وحاجة الامة والاقليم والمدينة .

ان الانسان لا يمكنه ان يزور الاحياء القذرة بحالتها السرطانية المنحطة والسيئة في عواصم العالم العربي دون ان يشعر بأذى عميق من الناحية الاجتماعية ومن ناحية المنظر والتقاليد ، وأن رؤية مثل هذه الامواج العظيمة من السكان لا يعيشون حتى على هامش الحياه المتواضعة ليشير النفوس ويؤذيها الى حد كبير .

لقد تنبعت كل من العراق وسوريا ومصر والبلاد الشهيرة بالبترول الى مأساة الاسكان والسكان فقامت ببناء مساكن ذات ايجار زهيد او قامت بتسليف او اعطاء منح في الخفاء لمساعدة الافراد على اقامة المباني السكنية ، وان النتائج التي امكن الوصول اليها من الوجهة الاسكانية لم تكن ناجحة الى حد كبير ، وهذا يرجع الى ان المشروعات كانت تجد طريقها الى الفكرة والبناء بواسطة القائمين بالأمر من المهندسين المدنيين والمهندسين المعماريين او الشركات دون خبرة سابقة وصحيحة بالظواهر الاجتماعية والطبيعية والاقتصادية لبرنامج الاسكان العام . وهكذا فان الانسان يجد ان بعض مشروعات الاسكان التي تعطى وضع مدني واجتماعي اليم غالبا ما ينقصها حوائط وتكون عرضة لتقلبات الجو القاسي الى حد ان مظهر الحالة يثير تساؤلا خطيرا لمثل هذه المساكن .

ان تطهيرا قليلا من الاحياء السكنية في حالتها السيئة المنحطة او المشروعات اعيد تحسينها ربما تكون علاجا سريعا لحالات خطيرة من الفساد الذي يحدث في المدن . ان تلك الاحياء السكنية السيئة التي يتميز بها العالم العربي يتخذ نظما واشكالا متعددة ، وفي المملكة العربية السعودية والكويت والبلاد المنتجة للبترول وجدت الاحياء السكنية السيئة بحالتها الكئيبة حيث لم تكن موجودة من قبل في المدة من عشر سنوات الى خمسة عشر سنة مضت كنتيجة لازدهار استخراج البترول وازدياد موارده . وان البدو والعمال قد جذبتهم فرص العمل كما يجذب المغناطيس برادة الحديد فأقاموا مدائن مختلفة الانواع تتناسب غالبا في اهميتها تناسبا لا يمكن تصديقه مع صفقات وموارد البترول الحديثة التي تدر ارباحا طائلة .

وفي لبنان اوجدت افواج اللاجئين وسيل العمال في بيروت نوعا من القطاعات المنحطة التي تفوق أي وصف ، وان مأساة فلسطين لها أثرها في خلق كثير من معسكرات اللاجئين التي تصلح لاقامة الحيوان أكثر مما تصلح لسكنى الانسان الذي اعتاد سكنى القرى والمدن .

ويوجد في العواصم الكبيرة مثل القاهرة وبغداد ، رغم نظام الاسكان الجديد ، نوع من الاحياء السكنية السيئة بسبب انخفاض مستوى المعيشة . نعم ان هذه الاحياء بحالتها السيئة في العالم العربي هي مثالية في منظرها من ناحية المدى الطبيعي ، وان هذه الاحياء في المدن التي تبنى بالطوب وبالحجارة تعد لعنة وتهديدا للمناظر المدنية والريفية العربية .

ان الاجراء العلاجي لا شك في انه آت ، وسوف تعمل الحكومات .
وفي سبيل الحصول على نتائج سريعة ، فمن المحتمل ان تتعرض لفشل
خطير وذلك بانشاء مجموعة كبيرة من المباني الحديثة التي تؤول الى مساكن
منحطة ، وفي حالة قدرة وسيئة اذا ما اقيمت هذه المباني على اساس غير
سليم من الدراسة والمساحة والتحليل والتصميم الجيد .

في ايامنا هذه ، فان السياسة التي تنشدها كثير من الحكومات هي
اعداد وسائل الاسكان للطبقات المنخفضة الدخل وحتى المتوسطة الدخل
منها .

ان وكالات وادارات مجالس ولجان ووزارات الاسكان تقوم بتنفيذ
سياسة الحكومة في التصميم والانشاء وادارة المشروعات الخاصة بتحسين
الاسكان العام .

ونظرا الى اننا في اوائل عهد الاسكان العام ، فان معظم الحكومات
العربية لاسباب تتعلق بالوقت او المال ليست لديها الخبرة بالاسكان العام
اذ ان هذا الميدان قد اصبح ميدانا معقدا وحيويا لا بد له من الشيء الكثير
من المعرفة والعلم والفن والاقتصاديات التي تساهم فيه ، كما ان كل بلد
عربي له مميزاته المحلية ومشاكله التي تتطلب تعبلا في السياسة العملية
المعروفة للاسكان بما يتفق مع ظروفه الخاصة ، فهناك الجو ومواد البناء
المحلية وهناك التكوين الاجتماعي والتنظيم المدني الخاص بكل بلد ، وهناك
النظام الاقتصادي الخاص وكذا المميزات الثقافية والمعالم الطبيعية . كل
ذلك من بين المميزات الاخرى العديدة التي يجب ان تدخلها في الاعتبار
ويعمل حسابها في تطور منهاج الاسكان وفي بنائه وتنفيذه لتصنع منه بيئة
بشرية بدلا من ان تجعل منه فقط مجموعة تتخذ مكانا للمبيت تتكون من
المباني القبيحة المنظر والتي على وتيرة واحدة ولا روح فيها على الاطلاق .

وانه ليحسن بكل حكومة عربية ان تهتم اهتماما خطيرا وان تتأمل
بامعان نظام الاسكان العام الذي يقوم على درجات متفاوتة من تقييم
الاسكان الى الطبقات المختلفة ذات الدخل المحدود من سكانها وان تدخل
النقط التالية في اعتبارها الى حد كبير .

١ - ان الاسكان العام ولو انه واجب الحكومة الذي تمليه عليها
التزاماتها نحو شعبها ، الا انه ليس مجرد بناء مأوى لاسكان الناس بل هو
محاولة فلسفية واجتماعية وروحية وطبيعية واقتصادية هامة الى حد
بعيد .

٢ - انه من الضروري لكل حكومة تضطلع بهذا البرنامج ان تنشئ
وزارة او سلطة مستقلة ويفضل ان تكون هذه الوزارة او السلطة على
اتصال بوزارة تخطيط المدن والاقاليم وتجعل من اختصاصها القيام
بشئون المسح العام والدراسة والتصميم والبناء وتنظيم برنامج علمي
شامل وواضح للاسكان .

٣ - لا بد لهذه الوزارة او السلطة من ان يخصص لها اعتماد سنوى مضمون فى الميزانية كما انه يجب ان يكون رئيسها المنفذ مسئولاً مباشرة امام رئيس الحكومة ووزير ماليتها فقط ، وهذا فيما يختص بوضع وتنفيذ سياسة الاسكان . كما يجب اقامة علاقة قوية بين هذه الوزارة او السلطة ووزارة الشؤون الاجتماعية ووحدة الاحصاء بالوزارة المختصة ووزارة الزراعة .

٤ - ان علم المسح الاسكاني المتعلق بحالات الاسكان القائمة والنقص فى وسائل الاسكان يجب ان يراعى تطبيقه علمياً للحصول على بيانات دقيقة لوحداث الاسكان ونوعها وكثافة عدد ساكنيها وحالاتها الصحية وحالات تكوينها والتوزيع الخاص فى المدينة وفى الريف . هذا ، ويجب ان يلحق هذه المسح بالاحصائيات الخاصة بالسكان وكذا الاحصائيات المتعلقة بخمس واعمار السكان ومميزاتهم الخاصة وبالهجرة ومستويات دخولهم ومهنهم .

٥ - يجب اقرار سياسية اسكانية لمدة عشر سنوات على الاقل مع تخصيص اعتمادات لها فى الميزانية حتى لا يمكن تأثر هذه السياسة بتغير الحكومة نظراً لاقرارها من المجلسين التشريعيين وذلك ضماناً لاستمرار برنامج هذه السياسة والمعونة المالية الخاصة بها .

٦ - يجب تعبئة الخبراء والمختصين المتنازين فى تخطيط المدن والاسكان وهندسة العمارة ، وكذلك علماء الاجتماع المتنازين وخبراء الاحصاء والاقتصاديين لدراسة وتحليل عملية الاحصاء الاسكاني واحصاء السكان كتمهيد لظهور برامج الاسكان الحقيقية وتوزيعها فى المدن والاقاليم .

٧ - يجب عدم الموافقة على اى برنامج اسكان عام حتى يتأكد من صلاحيته اجتماعياً واقتصادياً وهندسياً بمعرفة مجموعة الخبراء الدائمين والملحقين بوزارة او سلطة الاسكان .

٨ - يجب ان تكون اهمية المظاهر الفنية عند تصميم الاسكان موضع تفكير واهتمام زائد وذلك ابتداء من اختيار موقع المبنى الى اختيار مادة البناء نفسها ، كما يجب تطبيق الافكار الخاصة بكمية الانتاج بالجملة عملياً حتى يمكن الحصول على وفورات اقتصادية بالنسبة الى الحجم الكلى لهذا الانتاج .

٩ - ان اى برنامج اسكان يجب ان ينظر اليه بالنسبة الى التخطيط الرئيسى للمدينة او الاقليم ، اى انه يجب اختياره كي يتلاءم تماماً مع عامل التخطيط الحضرى والاقليمى ، كما يجب ان تكون المسائل المتعلقة بمكان عمل سكان مباني الاسكان والمسافة من مساكنهم واعمالهم والسوق والمدارس والمساجد والترفيهات قريبة نسبياً . كل هذه المسائل يجب ان ينظر اليها على انها ذات اهمية حيوية واتصال مباشر ببرنامج الاسكان .

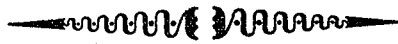
١٠ - لقد بنيت مشاريع اسكانية فى جميع انحاء العالم دون اهتمام ، بل لقد صاحبها الاهمال فى التنفيذ والصيانة بدرجة تدعو الى الفرع ،

وكذلك اهمل اختيار مواقعها بالنسبة للمناظر الحضرية والطبيعية ، وبناء عليه يجب تلافي مثل هذه العيوب كلما امكن ذلك .

١١ - يجب على الحكومات العربية ان تقوم بتدريس تخطيط المدن ، وكذلك دروس في مجال تصميم الاسكان وحساباته المالية وشؤونه الادارية في جامعاتها لان هذه هي المجالات التي تزداد يوما بعد يوم في اهميتها والحاجة الماسة اليها بينما نجد ان مجال التدريب في هذه الميادين معدوم من الناحية العملية .

١٢ - يجب اعتبار نظم الاسكان وسائل ايجابية لتنفيذ السياسة القومية المتعلقة بحركة الاسكان والاتجاهات الصناعية والزراعية ولرفع مستوى المعيشة ماديا وروحيا بين العرب كما يجب ان يكون هدف الاسكان العام هو الضمان وليس المشروعات الاسكانية في حد ذاتها .

وفي بعض البلاد ، مثل الولايات المتحدة الامريكية ، تعتبر صناعة الاسكان في المرتبة الثانية فقط بعد الزراعة من ناحية كونها دافعا محركا لرأس المال الخاص والعام . كما ان صناعة البناء في العالم العربي تعتبر ايضا محرك اولى لرأس المال في الخمس عشرة سنة الماضية ومن المتوقع في العشر سنوات او العشرين سنة المقبلة ان تنفق مبالغ ضخمة في العالم العربي لتقديم المباني السكنية لتلك الكتل البشرية الكبيرة من العرب التي تسكن في منازل منحطة من جميع النواحي ، وانه لمن الجدير بالحكومات العربية ان تفتح عيونها على ان في ذلك مجال توظيف لاموالها وميدان اجتماعي يدعوها للعمل فيه ، اذ ان استثمار الاموال في اقامة المباني السكنية يعتبر استثمارا سليما من جميع وجهات النظر في عهد تأسيس الجماعات ذات الضمان الاجتماعي والتعاوني الحديث .



٩ - الهندسة المعمارية العربية ((الحديثة))

لكل قطر عربي هندسة معمارية غنية ذات طابع مميز حتى يمكن وصفها من الناحية الفلسفية والعضوية بأنها النمط المحلي لفن المعمار . وسواء كان ذلك المعمار هندسة بناء متواضعة لاحد المنازل ، أو هندسة بناء مزخرفة منمقة لبعض المساجد ، فان فن المعمار يظل اشتقاق لكثير من العوامل القسرية المحلية والوطنية ، كالمناخ والابعاد الهيكلية للبناء ، وعلم الاجتماع ، ومواد البناء وهكذا . ان المنازل وشتى الانشاءات الاخرى في العالم العربي تعد مفخرة للعرب ، فهي تعبير صادق عن حقيقة تطورت عضويا لتحتوي جميع ملامح الذوق السليم والابتكار والقيمة العملية .

وسواء كان المعمار نموذجيا لدار في بيروت ، أو في القاهرة ، أو كان نموذجيا لمنزل قديم ذي فناء في الكويت أو في دمشق ، أو لمنزل ذي عقود حجرية في تونس أو القدس ، فان جميع هذه البيوت تعد روائع للابداع المحلي والصناعة اليدوية لا يوجد ما يماثلها في المجموعات المكدسة من المنازل الحديثة وانماط المباني المختلفة التي نمت بسرعة وبشكل غير سليم في ارجاء العالم العربي . لم يكن الاندفاع الجنوبي للبناء في العالم العربي ، وخاصة خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة ، سوى طمس أو استئصال لشأفة الآثار القديمة ذات الاصول السليمة العظيمة لفن المعمار العربي بكل عضويته وروحه المحلية ومزاياه المرغوبة العملية . وهكذا تدهور فن المعمار العربي - وفي غفلة عنا - لتلك الدرجة التي ينتاب المرء فيها شعور عميق من الخوف عليه حين يحس بأن هذه الحقبة الدينامية من البناء العربي ستكون حقبة يتيمة من الناحية الجمالية ، لا شكلية لها ولا عضوية فيها ولا جدوى عملية منها خالية من الاصاله منقولة في تصاميمها عن الغير . ان عملية طمس الشخصية العربية في المعمار تكاد تكون عملية جماعية ، ولقد مست تلك العملية أيضا الزخرفة الداخلية واثرت على المناظر الطبيعية والطابع المحلي بقسوة بالغة تلك الطريقة التي غفلنا عن الشعور بها .

وفضلا عن كل هذا ، فان اكثر الناس احساسا لعمليات محو الشخصية العربية من فن المعمار العربي هم من الاوروبيين والاميركان لا من العرب ، وهذا وجه الغرابة في الموضوع ! وهناك ايضا بعض الاسيويين والافريقيين . حين يمعن أولئك الناس نظرهم في الأسلوب القديم تملأ قلوبهم الدهشة ، وعندما يقرنون بينها وبين فن المعمار المعاصر الخالي من الأسلوب والشخصية ينتابهم شعور من الاسف على ما يشاهدون . ان اهمال العرب لكل ما يملكون من هذا التراث الفني الذي ينزع نحو البساطة ، والجمال والنسب الهندسية والزخرف العربي في سبيل المعمار الذي لا اصاله فيه ، المتبدل المنقول بدون أي التزام ، والمنسوب للناقل

كذبا وادعاء ، ذو الاسلوب الركيك المزوق هو الذي يثير كوامن الاسف لديهم ، انهم يتأسفون وهم يرون تراثا ثقافيا غنيا كالتراث العربي يتوارى فيدفن تحت انقاض الفن المعاصر الفث الذي لا شخصية له . ونحن العرب - مع ذلك - نفعل ذلك التراث مؤثرين التفكير في الواجهات البلورية الكبيرة ، والالوان المتنافرة ، آخذين بالذى لا يمت بصلة للفن المعماري غير مكثرئين لعدم وجود الفن والتصميم في بيئتنا الجديدة كمواضيع حقيقية تعبر عن التقدم والمدنية والثقافة . أجل ، قد تكون تلك حضارة اذا كانت الحضارة تعني السليكا ، والحديد ، والالومنيوم والطلاء . . الخ ، الا ان المسألة ليست كذلك ، ذلك ان تلك الحضارة لم تنشئ تراثا أو مدرسة للفن المعماري الحديث جذيرة بالتقاليد التي تحل محلها .

لماذا تدهور فن المعمار العربي وتقهقر ، وكيف وقع ذلك ؟ ولماذا لم يزدهر في العالم العربي فن معماري مهذب ، وعلى الاخص في تلك الاجزاء من العالم العربي التي أنعم الله عليها حين فاجأها بثروات لا حصر لها ؟ لماذا حصل ذلك والتاريخ يحدثنا بأن مآثر الفن المعماري قامت في أوقات الرخاء الاقتصادي . لقد أبدع العرب - عندما كانوا في أوج مجدهم - الانشاءات الاموية العظيمة والفن المعماري الاندلسي العظيم الذي يعتبر من الناحية الجمالية ابداعات خالدة تفوق الوصف . اقول : لماذا ابحنا لانفسنا أيضا ان نزلق الى هذا الدرك في فن المعمار الذي يعتبر سيد الفنون .

ان مجموعة المباني في أمكنة كبيروت والكويت - باستثناء قليل منها - تعبر وللأسف عن نماذج من الناحية الجمالية المعمارية مجذبة وذات صفات مخيفة . ولقد أقام تلك المباني ألوف من البشر ، الا ان المعمار فيها لا يثير المشاعر ، فهو فقير من الناحية الجمالية ، فقير أيضا من الناحية العملية والبنائية . لقد نتج هذا التدهور المعماري بسبب الافتقار الى تدريب معماري معقول وعدم وجود خبراء في أكثر أنحاء العالم العربي .

لقد زج المهندسون الكهربائيون والكيميائيون والميكانيكيون ومهندسو المجرى انفسهم في الموضوع واخذوا دور المهندس المعماري بغض النظر عن المساحين والرسامين أيضا ، ولقد اصطبغت المناظر الطبيعية العربية نتيجة لذلك بمشاهد أشك بقيمتها الفنية وأهميتها ، بل ان المتعهدين نسبوا لانفسهم دور المهندسين ، وكذلك وفي كثير من الحالات ، نسب رؤساء العمال والاشخاص الذين يطلق على الواحد منهم كلمة « المعلم » وما أشبه ، نسبوا لانفسهم ذلك الدور أيضا مبعدين المهندس المعماري الحقيقي المبدع عن دوره الشرعي كبناء رئيسي . قد نعجب حين لا نرى اهمالا لتلك المستويات الرفيعة للمعمار فقط ، بل افسادا لها بالفعل . وهل ثمة عجب أيضا اذا ما كانت النظرة الى المهندسين المعماريين كأنهم جملة من البقالين أو الباعة المتجولين يمكن استغلالهم ومساومتهم وتوجيه الاوامر لهم . وهل ما يثير . . ذلك دهشتنا اذا عرفنا المهندسين المعماريين قد أصبحوا موردی مؤن لا مبدعين ، سمسارة لا خلاقين ، وملاحقي «معاملات» لا مصممين ؟

ان هؤلاء الذين يمارسون الهندسة المعمارية ينقصهم التدريب المعماري السليم ، فضلاً عن أنهم غير مؤسسين ذلك التأسيس العميق في كلا مدرستي المعمار التقليدية (الكلاسيكية) والحديثة (المعاصرة) ، مع العلم بان اولئك الذين حاولوا العمل بالسلوب المعمار الكلاسي لم تبلغ بهم اخطاءهم كأولئك الذين استهتروا بالفن المعماري الحديث . ان عدم ادراكهم لحقيقة ما يعنيه فن المعمار الحديث وما يتألف منه أتاح لهم ميداناً مفتوحاً ان لم يكن ميداناً فارغاً لكي يتدربوا فيه . ان هندسة البناء المعاصرة تعنى في أرفع مستوياتها ذلك الأسلوب العظيم للمعمار ، الا انها لم توضع للمبتدئين او للهواة والممارسين الذين شوهوا الموديلات الأساسية للشكل المعماري بانحرافهم نحو الاقتباس ، والتجائهم لرسم طبق الأصل (الاكليسيات الجاهزة) والى الأشكال الخالية من الإبداع ثم في التجائهم ايضا الى حيل من جميع الأنواع بدلا من ان يتعمقوا في الجذور الأساسية والأفكار المعمارية المعاصرة التي تعتمد على التحليلات العلمية ، والعملية ، وتعتمد كذلك على التقدم في البناء وما يحتميه المناخ ايضا .

وهكذا ، تحول الفن المعماري الهندسي العربي الذي كان بالأمس عضواً بسيطاً رشيقياً ، بفضل النظر عن تواجده وحقارته أحياناً ، الى تلفيق عامي (غوغائي) في المعمار لا يعرف القواعد ولا يقوم الا على التفكير السطحي الفارغ . هناك مدن عربية كثيرة مزدهرة ليست أكثر من خليط عن الأشكال والأنماط والحيل والألوان لا معنى لها ، وان هذا التركيب يشغل على وجه العموم مناظر لا تتفق مع وضعية المدينة حين يلجأ لفن معمار متباين ، وان خير ما يمكن وصفه به بأنه « المأساة المعمارية والفرصة الضائعة التي لا تعوض » .

ان اخطاء الماضي القريب كثيرة لدرجة يصعب معها اصلاحها في الوقت الحاضر . ولقد أصبح التدهور هو القاعدة في هذا الاندفاع المعماري في أكثر الجهات ، وخصوصاً في شرق العالم العربي . لقد حان الوقت لتحويل ذلك الانحطاط الى اصلاح . هذا ولن ينبثق الاصلاح بالرجوع الى الافكار الثابتة التي لا تتغير ، والملامح والمؤثرات القسرية المأخوذة من مختلف الاقاليم العربية . ان تأثير المناخ ، والتنظيم ، والمؤثرات المحلية ، والتهوية ، والنسبة المتسعة ، والديكورات المبسطة يجب اعادتها الى البناء العربي سواء اتخذ ذلك البناء مكانه على الجبال او على ساحل البحر او في الصحراء ، كما يقتضى ملاحظة مدى التطور في مواد البناء ومدى التقدم في التصميم الانشائي حتى تستطيع ان تؤثر على فن المعمار بأساليب معقولة بدلا من اضافتها او تطبيقها كعملية تزيين خارجية . يجب انقاذ المنظر الجمالي المرئي قبل ان يعتذر اصلاح مرآه .

ان الكويتيين اتاحوا ، كما اظن ، فرصة عظيمة للمهندسين المعماريين من جميع ارجاء العالم العربي لتقديم فن معماري عربي له قيمته ، هذا ، وعلى الرغم من الاجور العالية التي قدمت للمهندسين العالميين الذين عملوا

في الكويت فترة الاندفاع الشديد للبناء والتي هبط الاندفاع بعدها منذ يوليو ١٩٦٠ ، وعلى الرغم كذلك من المساحات الشاسعة التي قدمت للبناء، وعدم تدخل الكويتيين تقريبا في أمور المعمار ، وعلى الرغم من المبالغ الضخمة التي يقدمونها ، وعلى الرغم كذلك من العوامل الجوية الفريدة للمعمار الصحراوي فلم يقدم أولئك المهندسون الى الكويت عمارة واحدة جديرة بما اتاحته لهم الفرصة في الكويت بحيث تتناسب مع الملايين التي لا تحصى والتي بذلت بسخاء على تلك الابنية . لقد لون هؤلاء المهندسون مناظر الصحراء بهندسة معمارية اقل ما يقال عنها : بانها لطخة على جبين الكويت والبلاد العربية . وليس ثمة بناء من بين آلاف الابنية التي شيدت على مختلف الاشكال جدير بما بذل له من مال وحرية في التصميم .

ولهذا فقد كان ادخال نظام دينامي بل نظام شديد للمراقبة المعمارية في الكويت منذ يوليو ١٩٦٠ ، خطوة هامة لاتخاذ ما تبقى من الابنية الهامة من ذلك المصير الذي ستؤول اليه الابنية التي سبق بناؤها . ان المراقبة المعمارية التي طبقت على جميع الابنية الخاصة في المنطقة المركزية التجارية الجديدة التي صممت حديثا، وكذلك بالنسبة لجميع الابنية العامة الجديدة كالمدارس والمستشفيات وابنية مكاتب الحكومة ، لها اهميتها القصوى بالنسبة للكويت وللبلدان العربية الاخرى . وتستطيع الكويت ان تحصل على افضل معمار - بل ان الواجب يقتضى منها ذلك بعد ان مهدت الطريق لادراك ذلك . ان المباني التي تشاد الآن في المنطقة المركزية التجارية ، وكذلك المباني التي صممت تحت اشراف اللجنة المعمارية التابعة لبلدية الكويت ستخطط طريقا جديدا للمعمار العربي الخلاق . هذا وان أولئك الذين اشتروا قسائم فرعية جديدة في المركز التجاري الجديد يقومون الان بتوجيه الدعوة الى المهندسين المعماريين اكثر مهارة من المهندسين السابقين لتحضير التصاميم وذلك عن طريق ايجاد منافسات بينهم . وتصر اللجنة المعمارية على فن معماري بسيط ، عضوي له اهميته العملية بحيث يكون مرتبطا مع الفن المعماري الهندسي العربي الذي لا حد لفنائه . والذي يبلغ حدا يبعث على الرضا من الناحية الزخرفية . وان الامل معقود في وقت مبكر باجراء منافسة بين المهندسين المعماريين الكفاء تطرح فيها نتائج ابداعاتهم المعمارية التي سيكون لها اثرها الحسن بالنسبة للعمل الذي ليس فيه مراقبة مباشرة من البلدية .

يقول الفيلسوف المعروف برتراند رسل « كم يكون جميلا لو تستطيع المدن انماء مجد فنى يستطيع ان يؤدى بها الى المنافسة » (١)
ولندع الكويت اذن - التي دار بخلها ذات يوم بان المكانة العليا

(١) برتراند رسل : « السلطة والفرد » ص ٣٤ .

لهندسة المعمار فى بيروت ودمشق والقاهرة - تنافس شقيقاتها العواصم العربيات فى ميدان التنافس المعمارى ولتكن طماحة الى الاحسن دائما . ولماذا لا تطمح ، ولديها من التراث ما فيه الكفاية ولديها من الوسائل المادية والمساحات الكبيرة ما يبرر طموحها ، ولديها ايضا المباني التى ستبنى فى المستقبل ، ما عليها اذن الا ان تعهد باتخاذ القرارات الهامة الى مستشارين اكفاء لا كما سبق حين عهدت بذلك الى خليط متباين من الافراد لا ذوق ولا تمييز ولا انفعال لديهم ، ولا بت للامور عندهم سواء من الناحية الجمالية او الفنية او المعمارية . لندع المهندسين المعماريين فى الكويت يدخلون فى دورة معمارية من المسابقات والمنافسات فى فن المعمار ، فانهم سيجنون من ذلك كما ستجنى الكويت معهم الخير الكثير .

علينا ان نرتفع بالهندسة المعمارية العربية الى اعلى المستويات التى تليق بتاريخنا وتراثنا ، لنخلق بيئة حضارية وهندسية جديدة بذلك التاريخ والتراث . فلذا ، يتوجب علينا ايقاف الانحراف الهندسي المعماري المعاصر الذى يكاد يشوه مناظر مدننا وبلادنا .



١٠ - ابن خلدون وعلوم التنظيم والهندسة والاجتماع

قبل ان تصل العلوم والفنون المختلفة والخاصة بتنظيم المدن وتخطيط الاقاليم والتصميم في الفن المعماري عند العرب الى مستواها الحالي ، فقد كان عليه ان يمر بمرحلة تطور بعد تجارب مرة وتجربات متعددة في تخطيط وتنظيم المدينة . وكما قد اتت الثورة الصناعية في اوروبا اولا وفي الولايات المتحدة اخيرا بمزايا آلية ومنافع انسانية ، الا انها قد صحبت معها انحطاطات في احوال المعيشة للانسان ، وعلى الاخص في المدينة . ان الشرور التي نتجت عن نشوء المدن الصناعية بين عشية وضحاها لم تكن في حد ذاتها خطيرة فقط ولكنها بلغت معدلا من الفظاعة ساءت بسببه احوال المعيشة بدرجة متزايدة . فعندما كانت تبني مصانع اكثر وعندما كان يزداد حصيللة الانتاج اكثر كلما كانت معاملة الايدي العاملة من الاجناس الادمية اكثر شبيها بمعاملة قطيع من الماشية . لقد غطت المباني الاستغلالية والكثيبة المنظر والمزدحمة كلب السردين مناظر الريف الطبيعية النضرة . لقد نمت المدن الصناعية بسرعة مذهلة في كل ارجاء انجلترا واوروبا والولايات المتحدة وسكن فيها ملايين العمال الذين جذبوا اليها من المزارع ، كما يجذب المغناطيس برادة الحديد . وسجل القرن التاسع عشر والقرن العشرون بجانب اعمال الانسان الخالدة اردا احوال المعيشة المنحطة التي لمسها الانسان . لقد كان الوضع المتقلب والحالة الفاشية في ذلك الوقت مركزة على الانتاج الكثير ثم الربح السريع من لدن قياصرة واباطرة الصناعة غير مراعين ولا مهتمين بالاحوال المعيشية السيئة التي وصلت اليها ملايين العمال الذين تركوا المزارع والحقول في جماعات وامواج مندفعين الى مراكز الصناعة للبحث عن رزق يقتاتون به .

لم يكن في تلك الايام تشريع للاجور او نظام للعمال او حد ادنى لساعات العمل . انما كان هناك فيض من العمال لدرجة انه كان في امكان اصحاب المصانع وعمالقة الصناعة استخدام وطرده ما يشاءون من العمال . لقد كان هم الذين بأيديهم تحديد ساعات العمل واملاء احوال العمل وفرض الاجور حسب رغباتهم . ولم يضع ذلك فقط ملايين العمال تحت رحمة اصحاب المصانع ولكنهم وجدوا انفسهم ايضا تحت رحمة مقاولي البناء واصحاب المساكن الذين استغلوا فئة العمال باسكانهم في منازل حقيرة . لقد فرضت الثورة الصناعية ضريبة ثقيلة على عاتق البشرية من بؤس وتعاسة فقاساها الكادحون من الطبقة العاملة الذين اسكنوا في بيوت منحطة واطعموا بالكفاف وتركوا بدون رعاية صحية او تسهيلات اجتماعية زيادة على ما هم فيه من سخرة .

لقد نمت مدن ضخمة من الاحياء القدرة وغير الصحية وظهرت مناطق شاسعة عاشت فيها الايدي الكادحة حياة منحطة . كانت هذه البيوت التي تؤدي ملايين من العمال البائسين تلحق بالمصانع بدون اي اهتمام لاختيار موقع مناسب للسكن ولا ادنى اعتبار لتهيئة سكن صحي يليق بالانسان عند تجار الاراضي الجشعين واصحاب الاملاك المستغلين . لقد تدهورت احوال المعيشة وساءت ظروفها مما دعى المصلحون والكتاب امثال شارلز ديكنز ان يكتبوا ويهيبوا بالرأي العام ويعملوا على ايقاف الضمير الاجتماعي ويثيروا الجهات المسؤولة كي تتدخل وتعمل لانقاذ الطبقة الكادحة من الحالة السيئة التي وصلت اليها .

لقد دخلت حالة العامل الصناعي وكأبته النفسية وقذارة حالته المعيشية في ذلك العهد الصناعي بطون التاريخ وسجلت على صفحاته مساوئه الجمة . ومن الغريب انه لا يزال في معظم المدن الغربية الكبيرة حتى يومنا هذا (برغم ضربها بالقنابل واعادة تعميرها) يوجد بعض من بقايا تلك الاحياء القدرة والغير صحية والتي تنطق كآتهم علني لعصر استعباد الانسان لآخيه الانسان والتي ستبقى كذكرار ازلي لعهد اهمل فيه اصحاب الاعمال توفير ابسط المستلزمات الضرورية لمعيشة العمال . انها نذير للانسان لغياب العلم والفن والفلسفة وتوجيهها جميعا في خلق حياة الجماعات .

لقد حدثت كثير من الاضطرابات السياسية في اوروبا لتوقظ الانسان لعهد الساكن الحضري - كما اصبحت يسمى فيما بعد - قبل ان تسن اجراءات تشريعية ايجابية كي تصلح الحالة الفاسدة قبل انزلاقها في فساد عويص وانغماسها في فجور شرير . فاتخذت الاجراءات الاجتماعية كبناء الحكومة لمنازل العمال مباشرة او بتقديم معونتها لرأغبى البناء وسنت قوانين وتشريعات البناء ووضع نظام تخطيط المدن ، وكذلك عملت قوانين وتشريعات خاصة بالعمل والعمال . حتى ان الانسان يرى اليوم معظم الدول الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية منهكة ومشغولة بحماس في ازالة اللطخات ومحو البقع السوداء التي اوجدتها الثورة الصناعية المسلحة وفرضتها على البشرية المغبونة .

وبجانب الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فقد حدث تقدما في مجالات تنظيم المدن من سن قوانين خاصة بها ، وكذلك عمل انظمة لاقامة المباني فيها . كان تنظيم المدن في عهد ما قبل الثورة الصناعية عبارة عن رياضة وتسلية للملوك والامراء فنظمت بواسطة رياضيين او مهندسين من امثال لانفانت ولينوتر حيث كان نمو المدن يتطور ببطء كتنظيم الموسوعة لاغراض واهداف بعيدة . اما اليوم فيميل تنظيم المدن والاقاليم الى معاني علمية عريضة وآفاق بعيدة ، فهو يلجأ الى عون ومساعدة كثير من العلوم الخليفة كعلم الاجتماع والاقتصاد والجغرافيا والهندسة وفن العمارة والمناظر الطبيعية والاحصاء والادارة الحكومية . يدرك قليل من الناس اليوم الفهم الكامل لقطاع المعرفة الذي

يشمل تخطيط وتنظيم المدن بكياناته . يحتاج تخطيط المدن الشامل الى بيانات تعدادية شاملة وخبراء في تحاليل الاحصائيات ومتخصصون في المساحة وفنيون في عمل الخرائط ومنظمون لترتيب المعلومات وتقديمها الى اللجان الفنية والجهات السياسية والمحافل الشعبية .

انه مما يدعو للأسف ان لا نجد في العالم العربي تطبيق المبادئ الصحيحة في تخطيط وتنظيم المدن خلال فترة الانتعاش (وتعتبر فرصة ذهبية) التي حدثت في العشرين سنة الماضية ما عدا بعض حالات صغيرة ومعزولة . لقد نمت المدن بسرعة مذهلة وتطورت الى تركيبات حضرية غير منظمة التي غالبا ما تكون مضادة للمظاهر المشهورة والفطرية والمنسقة بالنسبة لنمو المدينة ، لكن لم تكن المدن العربية وحيدة في هذا البناء الحضري المحزن في فترة الستين او السبعين سنة الماضية . يعتبر ظهور تخطيط المدن المبني على الاسس الصحيحة والقواعد العملية حديث الظهور نسبيا . بالنسبة لعدم اهتمام الانسان بالتخطيط الصحيح عموما ، وبالنسبة لاهمال العرب للتخطيط العلمي الصحيح خصوصا في الحقبة الاخيرة من الزمن . ان الآراء والافكار والاقوال التي ابداهها المواطن العربي التونسي المولد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (١٣٣٢ - ١٤٠٥ ب . م .) لا تلوح فقط بأنها جوهريّة وذات بال فقط ، ولكنها بالاضافة الى ذلك فان سردها يدل على مغزى يمكن ان يعتبر كنبة عامة في علم تخطيط المدن بكل ما فيه من المعنى المعاصر الشامل الجامع .

يمكن ان يعتبر عقل بن خلدون - بدون شك - في مصاف عقول عباقرة وجهابذة العلماء على مر العصور وكر الدهور . فرجل ذات منزلة ارستقراطية محترمة ومكانة سياسية موقرة يمتلك ادراكا غير عادي في العوامل المحركة والدوافع المؤثرة لعصره ويمتلك فوق ذلك فهما بعيدا لما سيكون عليه عصر ما بعد عصره ، فانه يعتبر نابغة قل ان وجود بمثله الزمان . ولربما لم يسبقه من قبل غير أرسطوطاليس وأفلاطون بشكل او بآخر في حالة معالجتهم لمظاهر بناء المدينة ومشاكل الشعب المنبثقة منها والمصطبحة بها . على ان كل من سبقوه من العلماء واهتموا بالمدين من قبله ، كان اهتمامهم يدور مبدئيا حول استراتيجية المدينة وشؤونها الحربية . بينما ادرك ابن خلدون كل الاجزاء المتشعبة والمترتبة ببناء المدينة ثم وضعها بنفسه بكل فصاحة وبيان ومنطق وروية ، وبكل ايجاز وتلخيص واختصار مفيد ، وبكل سعة وعمق وقوة . كانت المدينة بالنسبة له عبارة عن الناس والمباني والهندسة والعمارة والثقافة والاقتصاد والادارة . انها لم تكن في نظره شيئا ساكنا ثابتا يتكون من بعدين او حتى ثلاثة ابعاد من التركيبات العضوية ولكنها كانت في نظره شيئا ذات ابعاد متعددة من تركيبات متشعبة تشمل عناصر الزمن والفلسفة مضافا الى فائدتها ونفعها . ولكون ابن خلدون عربيا فانه ليؤسف جدا ان يكون ابن خلدون معروفا اكثر لدى علماء الغرب بالنسبة لقدرته العلمية اكثر من معرفة العرب لها . لو ان بعض مواعظه وارشاداته التفت اليها لربما المدن من العرب اليوم ، ولو ان بعض مواعظه وارشاداته التفت اليها لربما

كان يمكن تفادي كثير من الاخطاء التي يشاهدها الانسان كالمناظر الحضرية في كل من بيروت والكويت او على الاقل كان يمكن تخفيفها .

ومثل الآراء المنبثقة عن العقول التي تتمتع بمركز علمي عالي ، فان آراء ابن خلدون كانت فذة وحساسة . لقد اكتنز ثروة هائلة من المعرفة وازداد علما ضخما من البحث والدراسة واتسعت مداركه ونمت افكاره بسبب رحلاته واسفاره في ارجاء العالم العربي حتى اصبحت ملاحظاته الحساسة في الصميم كدستور ينهج على منواله . وكان عالما مقتدرا في كل الاقطار والامصار التي حل بها من الاندلس وتونس ومصر . ولو ان كثيرا من مجالات تفكيره وحقول تجاربه وقطاعات كتاباته تعتبر اليوم من المبادئ الاولى الاكاديمية التي تثير الاهتمام وتولد الجدل والنقاش فيما تعكسه من اتجاهات وآراء وأفكار كانت متغلبة في عصره ، الا ان كثيرا من ملاحظاته واستنتاجاته وتحليله وتراكيبه لا يمكن ان تنطبق تماما وبالدات على العصر الحالي ، على ان بحر معرفته وسعة ادراكه للعلاقات والأفكار الغامضة بالإضافة الى عدم تكلفه المألوف من آراء العلماء البارزين الذين سبقوه في عصرهم الذهبي ينبثق بدون خطأ عن عقل خصب جبار .

ان قليلا من الناس ملمين بآراء ابن خلدون في تخطيط وتنظيم المدن وفي فن العمارة وفي الهندسة وفروعها المختلفة . قد يكون ذلك بسبب تشعب حقل تخطيط المدن الذي أصبح حقلا متشابكا يشمل العلم والفن ، بالإضافة الى علم الاجتماع الذي أضيف اليه مؤخرا . كانت افكار ابن خلدون في هذا الموضوع مدهشة ومذهلة لكونها تنطبق على نغمات وروح العصر الحالي لدرجة ان الانسان يعجب ويدهش لمخططي العلوم الاجتماعية الذين لم ينتبهوا لها ثم يزداد تعجبا واندعاشا للمؤرخين الذين لم تشغلهم افكاره وآراؤه المعاصرة يمثل ما شغلهم افكاره وآراؤه عن التدجيل وضرب الرمل والسحر .

وبعد مضي حوالي ستمائة سنة من كتابته لمقدمته المشهورة لكتابه التاريخ الجامع في فترة من الزمن تعتبر معجزة ، فان كثيرا مما احتوته هذه المقدمة قد يظن بسهولة انها انتخبت من كثير من الكتابات المعاصرة . انه يقول مثلا :

« ان البناء واختطاط المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة ومنازعها ، وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل واجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتححتاج الى اجتماع ايدي وكثرة التعاون » .

وعندما يستعرض الانسان ما حدث خلال الخمسة عشر السنة الماضية في كثير من البلاد العربية ، فانه يدرك الى اي حد قد قرب معنى القول السابق .

الا ان هناك ملاحظة موجبة الاهتمام وذات مغزى ودلالة معنوية وهي :

« اعلم ان المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ، ولما كان ذلك القرار والمأوى وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها ، فأما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا » .

عندما يدرك الانسان ان القول المذكور اعلاه يذكر ضمنا ، ومن المحتمل لأول مرة في المؤلفات الحضرية ، المعنى المعاصر لتخصيص المناطق فانه يدهش عندما يرى كيف ان كثيرا من المدن العربية التي بنيت في خلال العشرة او الخمسة عشر السنة الماضية تناقض هذه الفكرة وهي « ابعاد الاشياء الضارة عن المدن » . لقد ابتدأت فكرة تخصيص المناطق في اوروبا منذ حوالي ٨٠ سنة ولم يكن يوجد حتى سنة ١٩١٩ اى قانون بخصوص تخصيص المناطق . لقد سن قانونا بذلك ونفذ في ولاية نيويورك بعد سنوات عاصفية عديدة تخللت اثناءها مساومات قضائية واجراءات قانونية لتختبر شرعية او دستورية هذه الفكرة الاساسية في تخصيص المناطق . عندما يفحص الانسان بيروت اليوم فانه بعد مضي ستمائة سنة من وفاة ابن خلدون لم يوجد لا قوة فعالة للرأي العام ولا توجد اية معرفة للتخطيط الصحيح والعمران الضروري ولا توجد سلطة الشرطة الممنوحة لابقاف المباني او ابعاد المنشآت المجلبة للضرر والانزعاج على الاقل من الاحياء السكنية .

يمكن ان يكون تخصيص المناطق آلة سلبية تستعمل للصالح العام ، فيمكن ابعاد المباني المضرة بالصحة والمقلقة لراحة السكان بواسطة المناطق واستعمالات الارض ، على ان ابن خلدون لم يكن مقتنعا بمثل هذه الاجراءات السلبية ، ولكنه يجذب عمل اجراءات ايجابية التي بموجبها يمكن التغلب على المباني المضرة بالصحة وابعادها وهي تفوق الاجراءات التي تطبق بواسطة الهيئات البلدية لحماية الحضر . انه يقول بالنسبة الى ذلك :

« المنازع المفيدة تجلب وكل وسائل الراحة تجعل ممكنة الحدوث في المدن » .

ولم تكن حتى ظهور ابنيزا هاورد الانجليزي وباتريك جيدز الاسكتلندي فكرة المدينة الحدائقية (التي سميت فيما بعد بالوحدات السكنية) ذات المنازع (اى المعالم) المفيدة قد عرفت بوضوح كتسهيلات او مسرات الجيرة . حقا لقد ساعد باتريك جيدز في كتابه « تطور المدن » ايجاد المركبات الاجتماعية على تخطيط المدينة . لقد كتب كتابا بعد تجارب كثيرة في الهند وفلسطين حتى يظن الانسان بمفهومية اطلاعه على كتابات ابن خلدون .

ولكن لا يزال ابن خلدون غير مقتنع حتى بمجرد ابعاد الاستعمالات الضارة في المدن ، فهو يقول كعالم مجرب :

« وما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او منافع متعفنة او مروج خبيثة اسرع اليها العفن من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب » .

ان مثل هذا القول كان يمكن ان ينتخب بحق من تقرير لمنظمة الصحة العالمية او منظمة التغذية والزراعة وضعه خبير في شئون الصحة او البيئة او من تقرير ضابط الصحة . كم من الاهتمام اعطى اليوم للظواهر الجوية التي تنتج عن فساد الهواء . لقد ابتدأ الاخصائيون حديثا ونسبيا ان يهتموا جدا بهذه الظواهر الجوية مثل الضباب الناتج عن دخان المصانع في لوس انجلوس او لندن او بيتسبرج بطريقة كان ابن خلدون يفكر في هذه الاعتبارات الجوية الدقيقة التي ينسدر ان تحظى بتفكير مهندسي تخطيط المدن المشهورين اليوم والذين يهتمون فقط بحركة تنظيم المرور وما شابها .

وعندما يستعرض الانسان مدينة مبنية حديثة كالكويت ويرى الحالة غير المنظمة على طول شارع الجامعة الذي تقع عليه مناطق السكن من الدرجة الاولى ومخازن ومستودعات الميناء ومدرسة ثانوية ضخمة وكلية صناعية شاسعة ، بالإضافة الى شبكة من المستشفيات هنا وهناك فانه يدرك بالتأكيد بأن هؤلاء الذين سمحوا لايجاد هذه الفوضى لم يدركوا ما كان يخلد ابن خلدون منذ ستمائة سنة عندما تكلم عن « الضرر ... في الطرق » بالنسبة للمدن ولم يأخذوا بعين الاعتبار الظواهر الجوية في اختيار المواقع السكنية .

ان ابن خلدون يكتب في وقت قبل ظهور المدفع او اختراع البارود، ويذكر ملاحظاته :

« فيعتصم بذلك المصر ويغال بهم ومغالبة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصاة انما احتيج اليهما في الحرب للثبات لما يقع من بعد كرة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصاة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الاممة التي تروم الاستيلاء ويخضد شوكة استيلائها » .

من سور الصين الكبير (الذي بني قبل ابن خلدون) الى الاسوار العديدة لمدن العصور الوسطى في اوروبا الى اسوار القدس والقاهرة وطنجة قد علمنا التاريخ الدور الذي لعبته اسوار المدن في الدفاع عن

المدينة . لقد وصل تصميم اسوار المدينة الى ذروته حقا في عصر النهضة عندما كانت التحصينات الحربية والاستحكامات الدفاعية قد بنيت بطريقة جنونية حول المدن من كارلزروه الى امستردام الى ليننجراد .

ثم يكتب ابن خلدون سواء بمزاج تهكمي او بعجرفة مقصودة ، او ربما بسبب رغبته في اعطائنا تقريراً صادقا ، فيقول :

« قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وانها تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين في ذلك في اكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل اثقال البناء لعجز القوة البشرية وضعفها عن ذلك كالمخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ابوان كسرى واهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب انما كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتخيل لهم اجساما تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها لتتناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويففل عن شأن الهندام والمخال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية » .

ومن المفيد جدا ان نذكر بأنه حتى الى يومنا هذا ، وبالرغم من النظريات الموجودة ، فانه لا توجد لدينا اية معلومات عن كيفية بناء اهرامات مصر .

يذهب ابن خلدون بعيدا في البحث عن الاعتبارات التفصيلية لعله وجود المدن . وتعتبر المقتطفات الاتية مهمة جدا لتعريفنا بالمبادئ الاولية لقواعد اختيار الموقع بالنسبة للمدن . ان الطريقة المضنية والباهظة التكاليف وكذلك الدراسات العلمية المفصلة التي اجريت على مقياس كبير قبل اختيار الموقع الحالي لمدينة « برازليا » يخطر حتما بفكر الانسان عندما يقرأ اقوال ابن خلدون ذات المغزى :

« اعلم ان المدن قرار تتخذه الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار والمأوى يجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متمنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا وصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة

من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او منافع متعفنة او مروج خبيثة اسرع اليها العفن من مجاورتها فأسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد ، والمدن لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب ، وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بأفريقية فلا يكاد ساكنها او طارقتها يخلص من حمى العفن بوجه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل البكري في سبب حدوثه انه وقع فيها حفر ظهر فيه اناء من نحاس مختوم بالرصاص فلما فص ختامه صعد منه دخان الى الجو وانقطع وكان ذلك مبدأ امراض الحميات فيه واراد بذلك ان الاناء كان مشتملا على بعض اعمال الطلسمات لوبائه وانه ذهب سره بذهابه فرجع اليها العفن والوباء، وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا او يتبين خرفه فنقله كما سمعه والذي يكشف لك الحق في ذلك ان هذه الاهوية العفنة اكثر ما يهتأ لتعفين الاجسام وامراض الحميات ركودها ، فاذا تخللتها الريح وتفتشت وذهبت بها يمينا وشمالا خف شأن العفن والمرض البادي منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات اهله فيت موج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكد ويكون ذلك معينا له على الحركة والنموذج واذا خف الساكن لم يجد الهواء معينا على حركته وتموجه وبقي ساكنا راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عندما كانت افريقية مستجدة العمران كثيرة الساكن تموج بأهلها موجا فكان ذلك معينا على تموج الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعندما خف ساكنها ركد هواؤها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض فهذا وجه لا غير وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء وكانت اولا قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما كثر سكانها انتقل حالها عن ذلك، وهذا مثل دار الملك بفاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمه تجد ما قلته لك. وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها المياه بأن يكون البلد على نهر او بازائها عيون عذبة ثرة فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة ومما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائمتهم اذ صاحب كل قرار لا بد له من دوجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المرعى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك ارفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده ومما يراعى ايضا المزارع فان الزروع هي الاقوات فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك اسهل

في اتخاذه واقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء فان الحطب مما تعم البلدى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والطبخ والخشب ايضا ضروري لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم ، وقد يراعى ايضا قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو اليه ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي او انما يراعى ما هو اهم على نفسه وقومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق وافريقية فانهم لم يراعوا فيها الا اهم عندهم من مراعي الابل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقبروان والكوفة والبصرة وامثالها ولهذا كانت اقرب الى الخراب ما لم تراعى فيها الامور الطبيعية .

ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ان تكون في جبل او تكون بين امة من الامم موفرة العدد تكون صريخا للمدينة متى طرأ طارق من العدو والسبب في ذلك ان المدينة اذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبايل اهل العصبية ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها لما يامن من وجود الصريخ لها وان الحضر المتعودين للدعة قد صاروا عيالا وخرجوا عن حكم المقابلة وهذه كلاسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونه وسلاومتي كانت القبائل والعصائب موطنين بقربها بحيث يبلغهم الصريخ والنعير وكانت متوعرة المسالك على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى اسنمتها كان لها بذلك منعة من العدو ويثسوا من طروقها لما يكابدونه من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صريخها كما في سبته وبجاية وبلد القل على صغرها فانهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع ان الدعوة من ورائها ببرقة وافريقية وانما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها ، ولذلك والله اعلم كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى اعلم .

ان استشهاد ابن خلدون لاهمية المياه العذبة والمراعي وحقول الزراعة والغابات . . ينطبق تماما على الكويت . انها تعتبر شيئا غير صغير في مجرى حياة الكويتيين عندما استطاعوا مجابهة قسوة الحياة قبل ظهور النفط . وعلى شاطئ الخليج العربي صوب الجنوب استطاعت الجماعات في المملكة

العربية السعودية الذين يقطنون القطيف او الهفوف التغلب على الحياة بسبب حقيقة امثالهم واطاعتهم للقواعد المذكورة اعلاه .

يجب على الانسان ان ينتظر ويرى كيفية انطباق ورد فعل عاصمة البرازيل الجديدة بالنسبة لموقعها الذي اختير علميا . ان الانسان ليأمل فقط في ان المبالغ الطائلة التي صرفت على الاستطلاعات العلمية في داخل البلاد البرازيلية للبحث عن موقع ، وكذلك المبالغ التي صرفت لبناء العاصمة لن تكون قد صرفت هباء او بدون وجه حق او بدون كفاءة او بسبب عدم الاهتمام ببعض النقاط او الاخرى التي ذكرها ابن خلدون والتي كتبت منذ اكثر من ستة قرون قبل التفكير في انشاء برازليا . يجب على الانسان ان ينزل الى مستويات من التفكير اقل من ذلك ويلاحظ كيفية استمرار بعض المدن العربية لتبرير وجودها بسبب خطأ اختيار مواقعها التي كانت غير مطابقة للنقط التي ادركها ابن خلدون .

ولابن خلدون ملاحظة ثابتة على ما يستشهد به في ايامنا كمناظر طبيعية او عوامل اقليمية او وقوع مراكز الريف المبعثرة بعكس مراكز الحضر المركزة . ولعله بسبب الحقيقة وبصرف النظر عن حجم السكان فان كل ولاية من الولايات المتحدة الامريكية ترسل اثنين من الشيوخ الى البرلمان كي يصدا او يعالجا ما يقوله ابن خلدون فيما يأتي :

« ولهذا تجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها احوال البداوة وتبعد عن الحضارة في جميع مذهبها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذلك الا لمجاورة السلطان لهم وفيض امواله فيهم كالماء يخضر ما قرب منه فما قرب من الارض الى ان ينتهي الى الجفوف على البعد » .

سيسلم المواطنون في جميع انحاء العالم العربي من اهل المدن والبلدان التي ليست عواصم بما قاله ابن خلدون . وتوجد حالة يعتبر الاستشهاد بها في صميم الموضوع وهي مدينة القدس (التي تسمى القدس العربية . . او القدس القديمة) ووضعها اليوم ، فلكون هذه المدينة المحاصرة تبعد كثيرا عن مركز ومقعد الحكم فانها تجد نفسها في المقام الثاني بعد مدينة عمان . وبينما يرفع وفود من مدينة طرابلس في لبنان (تلك الدولة الصغيرة جغرافيا) عادة احزانهم الى الحكومة المركزية في بيروت وينتهوا بيروت بحصولها على كل اهتمام الحكومة المركزية ان لم يكن بنصيب الاسد من المصروفات العامة . وتجد اليوم الكويت (تلك الدولة الحديثة الفتية) بعد ان ركزت قوتها العمرية لتخلق للوجود تلك التركيبات الحضرية المعجزة ، فانك تجد ضواحي دولتها التي تسكنها في الغالب قبائل البدو الرحل آخذة باهتمام وعناية الحكومة . ان مشروعات تعمل على قدم وساق لتحضير وتوطين البدو . يعتبر كثير من الحكومات في العالم اجمع في ايامنا هذه بأن اهمال البقاع المتطرفة والسماح للمناطق المأهولة المتوسطة بالازدهار والعمران يعتبر خطأ محضاً من الوجهة السياسية

والاجتماعية والاقتصادية . انهم يجدونها سياسة سليمة عندما يوجهوا اهتمامهم وعنايتهم سياسيا واجتماعيا واقتصاديا الى القطاعات الاكثر تطرفا في الدولة .

ويعتبر ابن خلدون مفكرا عظيما . ان ادراكه للعلوم الاجتماعية التي تكتشفها كل جامعات العالم بكل فرح وسرور اليوم مستعينة بعمليات « المسح » « والابحاث » « والاسئلة » « والتحليل التعدادية » « والعمليات الاحصائية » . الخ يعتبر ادراكا بعيد الاثر . لقد ابتدا واحد من اعظم العلماء الباحثين الاجتماعيين المعاصرين بدراسة مقدمة ابن خلدون التي يعتبرها عدد كبير من الباحثين كمثال اعلى في كلماتها وعباراتها وجملها التي تنطبق تماما على قول ابن خلدون :

« ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع ، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم ، وهو معنى العمران » .

ويعترف ابن خلدون (بقوله هذا كباحث علامة) بفضل فلاسفة الاغريق على علمه وكذلك يقرر تشكراته لافضالهم وكمثل الكتاب الالميين (بعكس منتحلي التأليف اليوم) الذين ينسبون دائما الفضل لذويه عندما يقتبسون من افكارهم او يستنتجون افكارهم من غيرهم .

وفي مناسبة اخرى يقول ابن خلدون عن طول الزمن الذي استهلكته معظم الآثار الكبرى والاعمال الباهرة من صنع الانسان . يذكر المؤرخون بأن بناء الاهرامات اخذ اجيالا طويلة من الزمن وكذلك مساجد العالم الاسلامي وكندرايات اوربا النفيسة . لقد اخذت اجيالا عديدة من الباباوات لاتمام كندراية القديس بطرس في روما . وفي النبذة الآتية يوضح لنا ويخبرنا ابن خلدون عن المآثر الهندسية غير المعروفة نسبيا والتي اخذها العرب على عاتقهم لبنائها :

« الهياكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة ، والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ، ومضاعفة القدر البشرية ، وقد تكون المباني في عظمتها اكثر من القدر مفردة او مضاعفة بالهندام . كما قلناه فيحتاج الى معاودة قدر اخرى مثلها في ازمة متعاقبة الى ان تنمو فيبتدىء الاول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل . ويكون ماثلا للعيان ، يظنه من يراه من الآخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وان الذي بناه سبا ابن يشجب وساق اليه سبعين واديا وعاقه الموت عن اتمامه فاتمه ملوك حمير من بعده » .

وعندما نتجه الى موضوع اخر وبعد مناقشة تفصيلاته ، فان ابن خلدون يلقي الضوء على مظاهر ما قد يتخذ اليوم من ضمن عوالم « الادارة البلدية » ، لقد اهمل هذا الحقل في كثير من المراكز الحضرية العربية اليوم . ولكن دع ابن خلدون يتكلم عن الرفاهية الحيوية للجمهور او كما نسميها « المصالح العامة » :

« اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين ، يعين لذلك من يراه اهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الحمالين واهل السفن من الاكثار من الحمل والحكم على اهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها في المكايل والموازين وله ايضا حمل الماطلين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انقاذ حكم وكأنها احكام ينزه القاضي عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء » .

ولو ان ميثاق حقوق الانسان التي وضعتها الامم المتحدة قد نسخ كلمة بكلمة ، فان بعض افكار وآراء ابن خلدون تنطبق عليه ، ولو خلقت السلطة لتنفيذ ما للانسان من حقوق ، فاننا لن نجد مناظر مؤسفة كالحمال العاجز الفقير او العتال حاملا على ظهره برادا يصعد به الى الطابق السابع في عمارة سكنية في بيروت ، ولن نقرأ في الجرائد عن انهيار منازل في القاهرة والتي تروح ضحيتها كثير من الارواح ، ولن نسمع الهمسات عن ضرب المدرسين للطلبة في عمان ، ولن نقاسي فيما بعد غش البقال لنا ... يمكن للمجالس البلدية العربية ان تكسب عطف وثقة المواطن العربي لو انها خصصت من ضمن موظفيها مفتشين او مراقبين اكفاء ومدربين ليمنعوا كل ما تقدم من تعدي على حقوق الانسان . ولو ان بعض البنود في مقدمة ابن خلدون تذكر مفتشي البناء الا ان قوانين المباني ولوائحها ونظم تفتيشها اصبحت بالية في معظم المدن العربية اليوم .

انه يعتبر حديثا ونسبيا فقط عندما ابتداء المؤلفون بتبويب المدن تبعا لنوعها وحجمها وطبيعتها وكذلك ابتداءوا يشتغلون في دراسات مقارنة ومتراصة عن المدن . ومثل الاخصائي الحضري والاقتصادي فان ابن خلدون قد ربط الاسس الاقتصادية مع الحجم الحضري فتنبأ بوقوع تلك

التكتيلات الهائلة مثل طوكيو ونيويورك ولندن وموسكو وبرلين وباريس وغيرها . توجد اليوم اقوال ايسط واوضح عن تلك التكتيلات تطرح في وضح النهار بواسطة العلماء الباحثين الاجتماعيين وتعتبر هذه الاقوال كمصطلحات او معادلات او نظريات او مبادئ الخ . . في علم الاجتماع . وفي هذا يقول ابن خلدون كرجل شاغل مركز عالي ومعاصر لكرسي في الجامعة وبلغة تعتبر عميقة المعنى او طلقة اللفظ بعكس تفوهات اليوم التي تعتبر عميقة لأنها فقط تخفي تجويفاتها في معنى غامض .

« ان كان امد الدولة طويلا ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الاسواق يتباعد وينفسح الى ان تتسع الخطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وامثالها . ذكر الخطيب في تاريخه ان الحمامات بلغ عددها ببغداد لعهد المأمون خمسة وستين الف حمام وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة وحدها يجمعها سور واحد لافراط العمران » .

« ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة » .

من هذا قد يختتم او يستنتج الانسان بانه كان بخلد ابن خلدون مدينة « لوس انجليس » عندما كتب هذا القول المذكور اعلاه . إلا أن كلامه على الاهتمام الزائد اليوم في التخطيط الاقليمي . لقد نمت المدن في زمانه بطريقة معقولة ومقبولة لتغطي مساحات شاسعة ، ونحن نعرف بأن « بغداد » هارون الرشيد كانت في وقت ما مدينة كبرى ، وفي اثناء المائة سنة الماضية قد نمت كثير من مدن العالم زيادة عن حدودها الثابتة لتصبح (على سبيل التعبير المجازي) ابعس من كل قياس . . . انظر للكويت والرياض مثلا .

لقد كان لابن خلدون فراسة وبعد نظر ، وملاحظات واستقصاءات عميقة . فلا تزال تنطبق ملاحظاته التي دونها في مقدمته منذ قرون بدقة مدهشة حتى يومنا هذا ، وبالذات على العالم العربي . ويعتبر ادراكه وفهمه للبدو ولصفاتهم الاجتماعية المفضلة ومميزاتهم وعاداتهم وطبيعتهم ادراكا يضرب به المثل ، فهو يقول :

« ان البدو اقدم من الحضر وسابق عليه ، وان البادية اصل العمران والامصار مدد لها » .

ثم يذكر الشرح الآتي الذي يمكن التحقق منه بسهولة :

« ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر »

وكذلك يذكر على حد سوى قوله :

« ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضر »

هل بسبب ما لدى البدو من انفة فطرية واباءة غريزية كشعب قعودي ، اى ملازم للجلوس (او كما يسمون اليوم بانهم « سكان مدن لينين ») يكتب عنهم ابن خلدون :
« في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران » ؟

ولربما بسبب ظهور النفط في العالم العربي بعد مرور اكثر من ٦٠٠ سنة على ميلاد ابن خلدون سيتمكن الباحثين الاجتماعيين من اجراء عمليات مسح شاملة واسئلة بين قطاعات البدو الذين قد يستقرون او يرغبون على الاستقرار في البيئات الحضرية ، وبذلك يلاحظون تفسيرات في طرق سلوكهم ويتحققون من ميل قابليتهم من تكيف وتحديد رغباتهم . ولربما جذب أغراء المدينة لن يكون قويا جدا لدرجة يؤثر فيها على البدوى فيطرح عن نفسه طبيعتها ويجد من ميله للشجاعة والحرية واجتذاباتها الفاضلة .

ان العمل او الشغل المريح لاي جماعة يكمن في الوسائل الاساسية التي بواسطتها ينتشر العمل بكيفية رابحة ويجعل العيش بمثابة مشغولية العمر او تسلية وهو لاعضاء المجتمع ، وعلى اية حال فان ابن خلدون يقول عن ذلك :

« ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته »

يعالج ابن خلدون كثيرا من حرف عصره مثل التوليد والنجارة والزراعة ... الخ . اما ملاحظاته عن فن العمارة فانها تستحق الدراسة :

« هذه الصناعة اول صنائع العمران الحضري واقدامها ، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للابدان في المدن وذلك ان الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لا بد ان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد »
« كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الفنى والفقر » .

عندما يدرك الانسان ان كل المدن في العالم العربي التي شيدت في الازمنة الحديثة لم يراع ادنى اعتبار لاملءات وضروريات المناخ (ولا نقول شيئا عن دقائق المناخ) فان عليه ان يعجب بهذا السلف من اجدادنا لادراكهم مثل هذه العوامل الحيوية مثل الحرارة والبرودة (اي المناخ) وقوة تأثيرها على فن العمارة . تعتبر العمارة المعاصرة اليوم فنا يؤدي وظيفته مبدئيا وأوليا في طريقة معالجته لعوامل المناخ . ان مجال الاسكان العام او مجال الاسكان الممنوح اعانة من الحكومة قد ذكر ضمن الجملة الاخيرة من قول ابن خلدون المذكورة اعلاه . يستمر ابن خلدون في قوله ويذكر :

« وقد يحتاج لهذه الصناعة ايضا عند تأسيس الملوك واهل الدول المدن العظيمة والهيكل المرتفعة وبيافون في اتقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك » .

بالنسبة للرجال المشغولين بالهندسة والمنتحلين القابا كالمعماريين اليوم، خصوصاً في العالم العربي، والذين يشتغلون بشراة ليخلقوا للعالم العربي ولأول مرة في تاريخه فنا من العمارة القاصرة والفايدة والمستوردة التي يقول عنهم ابن خلدون :

« واهل هذه الصناعة (اي البناء) القائمون عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر » .

في هذا القول الانيق العبارة ، يرى من بين سطورہ شخصية فذة وعظيمة من مشاهير العرب المتأزين في جميع الأزمان ، يصدر حكمه على المعماريين في فترة من أعظم الفترات التي نشط فيها البناء وكان المعماريون ذوو الدرجة الثانية عند ابن خلدون احط المعماريين بسبب تعديهم على المنظر الحضري العربي . ان امثالهم يراهم الانسان يبتكرون نوعاً من العمارة المدهونة في بيروت ، أما في الكويت فانهم يستنبطون نوعاً من العمارة المزعجة والمفزعة والتي يجب ردها الى اصولها الجذرية .

ثم يتكلم ابن خلدون اكثر ما يكون مثل استاذي الرزين في انشاء المباني في جامعة القاهرة ، وكمثل استاذي في قانون البناء أيام دراستي ، ويذكر الملاحظات العجيبة الآتية :

« والهواء الاعلى والاسفل ومن الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون ايضاً في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المسربة في القنوات وربما يدعي بعضهم حق بعض في حائطه او علوه او قناته لتضايق الجوار او يدعي بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين شريكين بحيث لا يقع معها افساد في الدار ولا اهمال لمنفعتيها وامثال ذلك ويخفي جميع ذلك الا على اهل البصر العارفين بالبناء واحواله المستدلين عليها بالمعاقد والقمط ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة اوضاعها ومنافعها وتسرب المياه في القنوات مجلوبة ومرفوعة بحيث لا تضر بما مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الاجيال باعتبار الدول وقوتها » .

ويستمر ابن خلدون (وكأنه يرجع لي ذكريات ايام المدارس الثانوية عن اقليدس وارشميدس وعملياتهم) ويقول :

« وقد يعرف صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل تسوية الحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك فيحتاج الى البصر بشيء من مسائله وكذلك في جر الاثقال

بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة يعجز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الجبل بادخاله في المعالق من اثقاب مقذرة على نسب هندسية تصير الثقل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلفة ، وهذا انما يتم باصول هندسية معروفة متداولة بين البشر وبمثلها كان بناء الهياكل الماثلة لهذا العهد التي يحسبونها من بناء الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك وانما تم لهم ذلك بالحيل الهندسية » .

ولربما كان هؤلاء الذين ذكرهم ابن خلدون عمليين وواقعيين اكثر من المعماريين والاساتذة ، فانا أقدر تماما عندما كنت يافعا ماذا كان يعني ابن خلدون من قوله المذكور اعلاه عندما كان المعلمون والعمال في كثير من أعمال ابي بالقدس يشرحون لي ويطلعونني على كيفية بنائهم الجدران المستقيمة وكيفية حملهم الخرسانة لسبعة طوابق عليا ، وكيفية تحريكهم احمال ثقيلة ، حتى قبل جعل الحرف والصناعات البنائية آلية .

لم تغرب امكنة العبادة (التي تعتبر ملاجئ روحية للانسان في عالم مسلول) عن بال ابن خلدون ، ولو انها غالبا ما تغرب عن خاطر كثير من مخططي المدن اليوم انه يقول عن ذلك :

« اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السن رسله وانبيائه لطفابعباده وتسهيلا لطرق السعادة لهم وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع الارض حسبما ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس . اما البيت الحرام بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه امره الله ببناؤه وان يؤذن في الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن وقام بما امره الله فيه وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضهما الله ودفنا بالحجر منه . وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام امرهما الله ببناؤه مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحاق عليه السلام حواله . والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه امره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبنى مسجده الحرام بها وكان ملحده الشريف في تربتها فهذه المساجد الثلاثة قرة عين المسلمين ومهوى افئدتهم وعظمة دينهم » .

وعن الملكية ومستندات البناء والمساحة ويبيع الملك الحضري ، وكذلك المشاكل التي تنجم عن الارث ، فانه يقول :

« وقد يقال من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول أمره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا ويتعود الصدق ويلزمه مذهبا ومن احسن التأليف المسبوطة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ، ولابن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر ادرنا المشيخة تعظمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاءه الاستغلاق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لان مسائلها واعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فانما هو اعطاء العلل في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم ما لا يوجد في اعمال المسائل فتأمله والله يهدي بنوره .

« ومن فروعه ايضا المعاملات ، وهو تصريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف في صناعتنا ذلك الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والفرض من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول المران والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ المملكة في صناعة الحساب ولأهل الصناعة الحسابية من أهل الاندلس تأليف فيها متعددة من اشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع وأبي مسلم بن خلدون من تلميذ مسلمة المجريطي وامثالهم (ومن فروعه ايضا الفرائض) . وهي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوى الفروض في الوراثة اذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت مهامه على ورثته او زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كله او كان في الفريضة اقرار وانكار من بعض الورثة فتحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة من كم تصح وسهام الورثة من كل بطن مصححا حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام الفريضة فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتيب على ترتيب ابواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتشتمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو احكام الوراثة من الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها .

وهو عندئذ يسجل الملاحظة :

« ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده .

ومثل المشاهد الحاد للنظر للمخلوقات البشرية وبفساد ميل ديديروت اوشو انه يقول الحق الذي ينطبق جدا على الشرق العربي :

« ان السعادة والكسب انما يحصل غالبا لاهل الخضوع
والتملق ، وان هذا الخلق من اسباب السعادة » .

عندما يدرك الانسان ان كل الاقوال المقتطفة اعلاه قد كتبت قبل
اكتشاف امريكا وقبل الثورات الفرنسية والامريكية والروسية او الحروب
الاهلية . . عندما يدرك الانسان انها كتبت قبل كتابات « لوك » و « فولتير »
و « جيفرسون » و « ماركس » ، وعندما يدرك الانسان انها كتبت قبل عهد
ما يسمى بالعهد العلمي او بالثورة الصناعية ، وباختصار عندما يدرك
الانسان ان عمرها تقريبا ستة قرون من الزمان فانه يعرف عندما يقرأ
ابن خلدون انه يوجد كاتب ذو درجة اولى من العقل والفكر الذي حظي
بدرجة ثانية من الاهتمام او الشهرة في قاعات المجد والعظمة حول العالم .
لقد نجح الانسان بالكاد بالمرور على سطح المقدمة الخصبة العلمية لهذا
المفكر والكاتب العربي القدير .

لعله من الواجب على امانة جامعة الدول العربية ان تدعو الى
اجتماع مؤتمر ثقافي عربي في تاريخ الميلاد المقبل لهذا الكاتب العربي المعجز
لدرس واستعراض ونشر اقوال ابن خلدون بطريقة مثل التي تدعو فيها
دول الغرب العالم لزيارة موطن جوته وبيتهوفن لتكريمهم ، لانه من المؤكد
بأن عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي يستحق على اقل تقدير
اعتراف هذا الجيل من العرب الذين بكل تأكيد لهم الحق بأن يكونوا
فخوريين به . وعلى جامعة الدول العربية كل الحق بدعوة جميع المجالس
البلدية في العواصم العربية انشاء حديقة جديدة وتسميها باسم ابن
خلدون . في كل البلاد الكبيرة مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي
واوربا تسمى الحدائق والميادين بأسماء مشاهير الكتاب والفلاسفة
والملمحين الموسيقيين وهلم جرا . . ولماذا لا تتبنى جامعة الدول العربية
هذا الاقتراح وتقدمه كهدية لمثل هؤلاء الكتاب والمفكرين والشعراء وكل
المكتبيين في حقول المعرفة والفكر العربي ؟



١١ - المرور ومواقف السيارات : مشكلة حضرية اقتصادية خطيرة في العالم العربي

كما تزداد المدينة العربية في الاتجاه التحضري والآلي والصناعي ، فانها سوف تواجه اكثر فأكثر تعقيدات ومتاعب النمو والعمران . لا تزال المدينة العربية ، بعكس المدن المتطورة الهائلة في أوروبا وأمريكا ، في دور النشوء والارتقاء بالرغم من فتنة بعض الاجزاء في بعض المدن العربية ، وبالرغم من الموانئ والمطارات ومحطات السكك الحديدية الجديدة ... الخ التي صممت وبنيت والتي سوف تبني اكيدا في المستقبل القريب جدا .

يعتبر النقل ، بدون شك ، من اعظم المسائل الهامة الناتجة عن التعقيدات الصناعية الكبرى في جميع مظاهرها المتنوعة والمختلفة . ان الانسان متعود على رؤية امتدادات خطوط السكك الحديدية الطويلة واحواش التخزين ومحطات السكك الحديدية الكبرى ، وكذلك الانفاق وطرق السكك الحديدية تحت الارض في مدن مثل لندن ونيويورك وباريس وموسكو . وأن الانسان ايضا مطلع على النفقات الباهظة التي كلفت مدينة تورنتو في كندا ومدينة ميلانو في ايطاليا كي تبني شبكة طرقها الخاصة تحت الارض لتعالج مشاكل المرور المتزايدة فيها . ويعرف الشخص عن التكاليف الباهظة التي تنفق في أوروبا وأميركا لحل مشاكل المرور .

يعتبر النقل وسيلة حيوية في اي امة او مدينة فعالة ، ولا يزال يشهد الانسان في العالم العربي طرق الرومان المبنية ، ويعرف ايضا ماهية الدور الحيوي الذي لعبته هذه الطرق في التركيبات المادية والاستراتيجية والسياسية والاقتصادية للإمبراطورية الرومانية . ولقد كانت ، حتى لا بسط مدينة عسكرية رومانية ، شبكة طرق واضحة التي اشتهرت بها .

وطالما يستورد العالم العربي السيارات ، وبذلك يصرف الجزء الاكبر من ثروته الأهلية العامة والخاصة فيها ، فانه من المناسب جدا للعالم العربي ان يتخذ نظرة جدية لشبكات الطرق والشوارع التي تستعملها الكاديلاك والفولكس فاجن . انه من المناسب للعالم العربي ، قبل ان يدخل في عهد الصناعة على نطاق واسع ، ان يبحث شبكات الطرق التي تعتبر قلب ومجرى حياة قاعدتها الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية . انه لحقيقة معروفة بان العالم العربي ينقصه شبكة شاملة اقليمية للنقل ، سواء كانت خطوطا من السكك الحديدية او طرقا للسيارات . يجب ان يحيل الانسان هذا القطاع الحيوي في التقدم الاقليمي الى جامعة الدول العربية كي تسرع العمل في هذا الاتجاه بعد سنوات عديدة مضت في جدال ومناقشات وحسن نية .

وفي مجال النقل الجوي ، فان العالم العربي قد تقدم كثيرا بفضل اوضاعه ومميزاته الاستراتيجية ، وحماس وبراعة شركات الخطوط الجوية واحكام الهيئة العالمية للطيران المدني .

لقد تقدم العالم العربي ايضا في بناء وتطور المرافئ والموانئ في ايامنا هذه فانشأ الموانئ الممتازة مثل العقبة والكويت والدمام واللاذقية . ان انشاء ميناء ام قصر المزمع تشييده في العراق وتوسيع ميناء بيروت وغيرهما ، يجعل العالم العربي في حاجة الى البحث جديا عن شبكات طرق للسيارات ولخطوط السكك الحديدية . وتعتبر السكك الحديدية عامة في حالة محزنة ، وتطورها يحتاج الى انتباه جدي على مستويات اقليمية عليا ، حيث ان وسائل النقل الارضية الكبيرة تعتبر العمود الفقري لاقتصاديات الامة .

يوجد في لبنان شبكة من الطرق الجيدة اذا ما راعينا طوبغرافية البلد الملتوية . ويقترح الان توسيعها . ويتمنى الانسان بجد ان يحدث نفعا من اتجاهها نحو تخطيط شامل وان لا نترك التخطيط ونصيب الارض الماثرة لتحدد بواسطة عمل ثانوي من اعمال اقتصاديات الطرق ، حيث يخشى الانسان ان تكون مثل حالة اوتوستراد بيروت - طرابلس الذي لم ينتهي منذ زمن بعيد .

لقد فعلت الاردن ايضا الكثير حسب طاقتها في الخمس سنوات الماضية بفتح مثل الطرق الاقليمية : طريق عمان - معان ، وطريق عمان - البحر الميت ، وطريق عمان نابلس ، وهي تفكر في طريق جديد يوصل عمان بالقدس .

ومع ذلك يبقى الكثير كي ينجز في المجال الحيوي لشبكات النقل الاقليمي قبل ان تنتقل البضائع والشعب بسهولة وبأمان وبانتظام وباقتصاد بين الاجزاء المرتبطة والمتبادلة في العالم العربي . ان الانسان ليرجو ان يهتم ولاية الامور العرب بقواعد التخطيط الاقليمي الشامل في المجهودات المستقبلية .

اين قاسى الصرح الاقتصادي الكلي اكثر في العالم العربي ، سواء كان عن اهمال بتعمد او بدون تعمد ؟ المدن العربية مزدحمة ومكتظة المحتمل ، الكويت والرياض ، فان جميع المدن العربية مزدحمة ومكتظة بحركة المرور . وما هو اسوأ من ذلك فأنها تصبح مكتظة بالمرور اكثر فأكثر كلما نزلت سيارة جديدة على الارض العربية . لا يحتاج الانسان الى التعقيب على حالة المرور في المدن العربية مثل القاهرة وبيروت او عمان وبدون ميزان الدفع الصناعي الذي هو في مرحلة الصعود اليوم فان الانسان لا يرى حقيقة اي خطوات جدية او اجراءات فعلية اتخذت سواء من لدن الساسة او الشعب او المهندسين ليتجنبوا ما قد يصير حالة مرور سيئة لا يمكن حمايتها . ان اكبر نسبة مئوية من استثمار الاقتصاد العربي اثناء الفترة من الخمسة عشر سنة الى العشرين سنة

الماضية كانت في صميم بيع وشراء الاملاك والعقارات وبناء المنافع العامة في المدينة . ان بناء التحضرات المقبلة تعتبر بالية وعديمة النفع بمقاسات ١٩٦٣ اذا لم تذكر شيئاً عن مقاسات المستقبل .

هذا هو الخطر رقم واحد الذي تواجهه المدينة العربية بين دسنة اخرى من المشاكل الحضرية الخطيرة . يجب ان يستيقظ ولاية الامور في الدولة وفي المجلس البلدي ويواجهوا اخطار حركة المرور المتزايدة ، والفراغ المتناقص لشبكة مرور سائلة واماكن لوقوف السيارات اللازمة . لقد رأى الانسان المصاريف الفلكية التي صرفتها الولايات المتحدة الامريكية والتي ستصرفها لتكافح المشكلة الحضرية المؤذية : المرور وامكنة لوقوف السيارات في المدينة .

يمكن ان يغفو العالم العربي ويدع مشاكله تفلت دون الالتفات اليها . ان هذا يعتبر الطريق المثالي السهل والمشهور ولكنه طريق باهظ التكاليف حيث انه ، عاجلاً ام آجلاً ، سوف لا يمكن حمايته الا اذا انفقت اموال طائلة لمعالجته . ان معالجته الان سوف توفر على العرب خسارات هائلة من الثروة القومية المحتاجين لها جداً . لهذا السبب فان كاتب هذه السطور يسدى النصح للمجالس البلدية والاهلية القائمة بالتخطيط من سياسيين وولاة امور مسئولين وهؤلاء الذين يشتغلون في حل مشاكل المرور ومواقف انتظار السيارات مع تحذير شديد ، على كل حال ، بان المرور ومواقف انتظار السيارات ، وحتى النقل نفسه ، يمكن ان تعالج من وجهة نظر تخطيط اقليمي شامل للمدينة حسب مخطط رئيسي عام .

من الواضح ان مشكلة المرور ومواقف انتظار السيارات قد نشأت من السيارات واصبحت معقدة للغاية بواسطة العدد المتزايد الدائم باستمرار ، حتى ولو ان مسألة المرور تعتبر مبدئياً هي مسألة السيارات ذاتها ، ففي الحقيقة انها تعتبر فقط احد المظاهر المعقدة في كل حالات المرور التي تشمل الجو والبحر ومختلف انواع المرور على الارض التي يجب ان لا تنسى . ان معالجة شاملة للمرور على مقياس كبير سوف تحصر كل وسائل النقل المختلفة . ولكن اهتمامنا المباشر ، خصوصاً عندما نعالج حركة المرور الداخلية في البلد ، ينصب على السيارات والمشاكل التي تولدها للمدينة العربية .

ان مسألة المرور الشائكة تصبح يومياً واضحة اكثر فأكثر ، وتتخذ اهمية واهتماماً اكثر . انها تؤخذ بعين الاعتبار بواسطة جميع فرق المهندسين والمخططين بالمدن ، وهذا يستشهد به بواسطة التقدم العجيب خلال الخمسة عشر السنة الماضية في دراسات المرور في الخارج وانشاء الطرق الجديدة وتخصيص قطع ارض جديدة التي هي في اشد الحاجة لها كمواقف للسيارات . وعلى كل حال ، فان المشكلة لم تحل بعد بأي طريقة ، وكحقيقة الامر فان المخططين يعرفون بانه لا يوجد حل مثالي لثل هذه المشاكل المسببة عن ازدياد السيارات تعتبر فعالة التحرك

ودائمة التغير . انه لمن الفال الحسن بان مهندسي المرور الذين يشتغلون باتصال مع فئات المخططين الاخرين يدركون بانه لكي لا تشل المدن بالنسبة لسيل الحركة المرور فان دراسات وتحسينات المرور من جميع النواحي يجب ان توضع بسرعة . ففي حقل التخطيط يعتبر هذا عملا عظيما طالما نعرف الان المعقدات التي تنشأ بواسطة المشكلة ، ولدنا امثلة جيدة ورديفة لمعالجة الوضع يمكن ان يعتمد عليها كسوابق . ان المدن العربية يجب ان تستفيد من ثروة التجارب في هندسة وتخطيط وتصميم المرور التي جمعها الغرب .

لقد اخذ الجدول الاتي من « حقائق وارقام عن السيارات » ونشرة اتحاد مصانع السيارات في ديترويت ، ١٩٤٠ (صفحة ١١) . انه يدل على مدى ما وصل اليه تسجيل السيارات من تغيير اثناء النصف الاول من القرن العشرين في الولايات المتحدة الامريكية وهي الدولة التي جربت السيارات اكثر من اي دولة اخرى في الوجود .

تسجيلات السيارات (الخاصة والبضاعة)

نسبة التغير المئوية	عدد السيارات	السنة
	٨٠٠٠	١٩٠٠
+ ٤٣ %	٧٨٠٠٠	١٩٠٥
+ ٥٠ %	٤٦٨٠٠٠	١٩١٠
+ ٤٣ %	٢٠٤٤٥٦٦٦	١٩١٥
+ ٢٢ %	٩٢٣١٩٤١	١٩٢٠
+ ١٣ %	١٩٩٣٧٢٧٤	١٩٢٥
+ ١٠ %	٢٢٠٠١٣٩٣	١٩٢٦
+ ٥ %	٢٣١٣٣٢٤٣	١٩٢٧
+ ٦ %	٢٤٤٩٣١٢٤	١٩٢٨
+ ٨ %	٢٦٥٠١٤٤٣	١٩٢٩
+ ١٦ %	٢٦٥٤٥٢٨١	١٩٣٠
- ٢٥ %	٢٥٨٣٢٨٨٤	١٩٣١
- ٦٧ %	٢٤١١٥١٢٩	١٩٣٢
- ١٠ %	٢٣٨٧٤٢٣٢	١٩٣٣
+ ٤٦ %	٢٤٩٥١٦٦٢	١٩٣٤
+ ٥١ %	٢٦٢٢٧٢٧٦	١٩٣٥
+ ٧٣ %	٢٨١٦٥٥٥٠	١٩٣٦
+ ٥٥ %	٢٩٧٠٥٢٢٠	١٩٣٧
+ ٧٠ %	٢٩٤٨٥٦٨٠	١٩٣٨
+ ٣٨ %	٣٠٦١٥٠٨٧	١٩٣٩
	٥٠٠٠٠٠٠٠	١٩٥٠

يبين هذا الجدول الزيادة الهائلة في عدد السيارات في الولايات المتحدة الأمريكية ويعتني بتبيان استمرار الزيادة ما لم تكن هناك عوامل خارجية تغير الوضع مثل سنوات الكساد الاقتصادي والحروب واضرابات العمال الطويلة .. الخ ومن المعروف ان عدد السيارات في الكويت ازداد من بضعة سيارات عام ١٩٤٨ حتى وصل حوالي ٥٥٠٠٠ سيارة عام ١٩٦٣ .

ان مقدار المرور الذي ستعرض له الشوارع في اية مدينة عربية في المستقبل سيتوقف على بضعة عوامل . ومن الصعب لمنظمي حركة المرور ان يتنبأوا بهذه العوامل بدقة متناهية . وبعض هذه العوامل هي:

- ١ - نمو وتوزيع السكان .
- ٢ - الاحوال الاقتصادية العامة المتقلبة في الدولة .
- ٣ - زيادة او نقصان وقت فراغ السكان .
- ٤ - التغيرات في الدخل القومي .
- ٥ - تحسن او رداءة انتاج السيارات ورخصها او غلوها وصغرها او كبرها .
- ٦ - تحسن الطرق الاقليمية .
- ٧ - تهيئة الكثير والاحسن من تسهيلات مواقف السيارات .
- ٨ - تحسين وسائل اشارات المرور .
- ٩ - المنافسة بين السيارات ووسائل النقل بالجملة والعبور السريع .
- ١٠ - المنافسة بين لوريات الشحن والسكك الحديدية .
- ١١ - تخفيف حالة المرور داخل المدن نفسها .
- ١٢ - السياسة القومية الاقتصادية .

وعلى كل حال ، فاننا نعتبر انفسنا في مأمن اذا ذكرنا بأنه ، ما عدا اي مصيبة اقتصادية او سياسية كبرى ، فان ملكية السيارات سوف تزداد حتما الى درجة معينة ، اي اكتفاء السكان من السيارات (احدث التنبؤات في امريكا يعطي سنة ١٩٨٠ لمثل هذا الاكتفاء للسكان) حتى ولو نذهب الى افتراض بأنه سوف لا يكون هناك اي زيادة في السيارات (الذي يعتبر غير محتمل) فان حالة مرور السيارات يمكن ان يناله كثير من التحسينات سوف يكون هناك كثير من عمليات المرور الكبرى يحتاج لها داخل وخارج المدن لتخفيف مشاكل المرور . ان ضرورة الحد في المرور تكمن ضمن التوصيات التي اصدرتها اللجنة الهندسية لمجلس الامن القومي الاميركي وهي: «... في المدن التي فوق ٢٥٠.٠٠٠ نسمة يجب ان يكون قسم دائم متفرغ للمرور يضمن موظفين ذوي كفاءة ، وفي المدن الاقل مـنـ

١٠٠٠ ر.١٠٠٠ نسمة ، فان مسئولية تخطيط المرور يجب ان تقع على عائق مهندس المدينة او مهندسي تخطيط المدينة او اي مهندس رسمي اخر في المدينة . وفي المدن بين ١٠٠٠ ر.١٠٠٠ و ٢٥٠٠ ر.١٠٠٠ نسمة فان الاختيار يجب ان يحكم بواسطة الحالات والاحوال المحلية » . هذه التوصيات تنطبق قطعيا على المدن العربية السريعة النمو والخالية حتى الان من هندسة المرور الاولى .

ان مهمة مهندس المرور ميدنيا وفي الاصل هي استغلال احسن التسهيلات الموجودة لحركة المرور كي يحدد ماهية الاجراءات التي تجعل المرور يتدفق بسهولة وبراحة وبأمان . وعليه ان يهتم بنظام المرور والخترعات مثل العلامات والاشارات ومناطق الامان والجزر وعلامات الارصفة وفزر المرور والشوارع ذات الاتجاه الواحد وتحديد السرعة وانظمة الوقوف وتنفيذ الاجراءات مثل استخدام شرطة المرور والاشياء الاخرى الشبيهة بذلك . حتى التدريب السريع الذي اعطي لشرطة المرور في بيروت منذ سنتين مضت قد ساعد ، نوعا ما ، في تحسين حالات المرور الذي لم يمكن معالجته بطريقة حسنة حتى الان .

وفي تقرير حديث عن الشوارع والطرق والمرور والنقل تعطي لجنة من الجمعية الامريكية للمصممين الرسميين الوصف الاتي للتحسينات الممكنة لمجال هندسة المرور وحركة المرور والنقل وعن طريق تطبيقها :

« ان هندسة المرور تشمل الكثير من اوجه النشاط مثل دراسة صفات وجميع انواع الحركات الموجودة وضرورة عمل التحسينات في السيارات وسنوك وتعليم السائقين والمشاة نظم المرور واعادة تصميم وتحسين الشوارع الموجودة وتسهيلات العبور وتصميم تسهيلات المرور الجديدة الخ . ولقد اخذت بعض المدن الامريكية المزايا الكاملة عند ما اتاحت لها فرصة تحسين احوال المرور بتطبيق احدث طرق هندسة المرور ، مثل حصولها على اقصى الكفاءة والراحة والامن من تسهيلات الشوارع والطرق والمعابر الموجودة . ويمكن ان تعمل تحسينات عديدة فردية في شبكة الحركة الموجودة في المدينة . ان التأثيرات المريحة المتجمعة لكل التحسينات الممكنة تعتبر من المؤكد جوهرية . . او بمعنى اخر . . نقل ناس اكثر واسرع سواء في نفس فضاء الشارع او على نفس طول خط العبور بأمان اكبر .

وفيما يلي نماذج من هذه التحسينات التي تحتوي على بنود انشائية وتنظيمية وادارية :

- ١ - اعادة تصميم التقاطعات المعقدة والمخبطة .
- ٢ - اعادة النظر في شبكة الطرق الرئيسية وتخصيص بعض طرق طوالي لبعض الاغراض .
- ٣ - تحسين عمليات علامات المرور الضوئية (جعلها تقع في وقت واحد مناسب) .

- ٤ - ابعاد كل العلامات والاشارات الغير ضرورية .
- ٥ - صبغ اشربة بيضاء بين الانهر في الشوارع المزدحمة على طول امتدادها ، وكذلك الانهر الموصلة للتقاطعات الرئيسية .
- ٦ - اقضاء وقوف السيارات بجوار الرصيف في اوقات وامكنة محدودة .
- ٧ - ضبط ساعات التوزيع التجارية في الاحياء المزدحمة .
- ٨ - اقضاء كل العوائق الركنية والعلامات والاسوار .. الخ التى تعوق منظر تقاطع المرور .
- ٩ - استعمال آلات وعلامات واشارات مرور موحدة .
- ١٠ - وضع لافتات السرعات على الطرق الرئيسية .
- ١١ - مراقبة المشاة في استعمالهم جزر الامان عند مواقف السيارات في الشارع او في وسط الشوارع العريضة .
- ١٢ - تنظيم اطوال واوضاع فتحات الارصفة .
- ١٣ - تحسين اضاءة جزر الامان .. الخ .
- ١٤ - التشديد بفرض العقوبات على القيادات المتهورة .
- ١٥ - الاكثار من انظمة العدادات الزمنية للوقوف بجوار الارصفة وتنفيذها بدقة .
- ١٦ - تشديدات اكثر من شرطة المرور وتوقيع غرامات اكبر وتحصيلها فوراً في مكان الحادث .

هذه التحسينات سوف يستفاد من نفقاتها اكثر مما يستفاد من انشاء الطرق العلوية الباهظة التكاليف والمقترح انشاؤها في عدة مدن . ان الحاجة الى تسهيلات نقل واسعة اضافية في اى جماعة حضرية سيخفف من حدة حركة المرور ، اذا ما استخدمت هندسة المرور لتؤدى احسن منفعة من كل ما هو موجود ، على ان الحاجة لمثل هذه التسهيلات الجديدة يجب ان تقدر وتقاس بعد التحسينات في احوال المرور اثناء تطبيق هندسة المرور التى قدرت وكيفت . قد يكون من المستحسن في هذه المناسبة ان نوضح بان جامعة « بيل » تعطي دراسة في تخطيط المرور التى ترتبط وتعمل مع دائرة هندسة المرور في « نيوهافن » . ان العلاقة بين طلبية تخطيط المرور ومهندسي هندسة المرور تعتبر مشجعة وطيبة للغاية ، لدرجة ان جوائز خاصة تمنح للطلبة المتفوقين كل سنة لعمل دراسات وابحاث في مجال هندسة المرور وتعتبر مجلة « المرور » التى تصدر ٤ مرات في السنة مرجعاً هاماً لعلم هندسة المرور .

لقد عملت كثير من المدن بواسطة دوائرها الهندسية والمختلفة

بالمرور او قومسيونات تخطيطات المدينة مخططات رئيسية للمرور . ان مدينة « كانساس » في الولايات المتحدة قد عملت مسحاً شاملاً للمرور ومخططاً رئيسياً. وخرجت مدينة بوسطن في الولايات المتحدة ايضاً بمخطط رئيسي للطرق لاقليم بوسطن وضواحيها ، وهو يعتبر عملاً ممتازاً . وكلا المدينتين قد نفذت قطاعات كبيرة في مخططاتها الرئيسية . وقد قامت دمشق سنة ١٩٥٩ بعمل مسح للمرور وعلى ضوءه اجريت كثير من التحسينات التي ظهرت فيما بعد نتيجة لهذا . ان بيروت والكويت ستجريان مسح مرور شامل ، لانه يعتبر عمل ضروري لانارة المهندسين عن خصائص المرور .

لقد عملت دراسات حديثة في بعض المدن لتوضح الثمن الذي يضيع بسبب الازدحام ، وكانت نتائج تصلح ان تكون طعاماً لافكار ولاية الامور في الدول والمجالس البلدية في العالم العربي

مدينة نيويورك (منطقة المدينة)	١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار يومياً
جزيرة مانهاتن	٥٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار يومياً
شيكاغو (داخل الاطار الدائري)	٢٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار يومياً
سنسناتي (اوهايو)	١٠.٠٠٠.٠٠٠ دولار يومياً
وورستستر (ماساشوست)	٢٥.٠٠٠.٠٠٠ دولار يومياً

اذا كانت مدينة « وورستر » في ولاية ماساشوست بأمريكا ، التي تعتبر اصغر واقل ازدحاماً من القاهرة او بيروت ، وما تمتاز به من أنظمة مرور احسن تتحمل خسائر كبيرة ، فان الانسان يمكنه معرفة مقدار الخسائر اليومية في العالم العربي من جراء مشاكل المرور . وبجانب ذلك فان مشاكل المرور تعتبر مضيعة للوقت وخسارة في الارواح بجانب الخسارة الاقتصادية الناجمة عنها . على ان مسألة نفقات وتكاليف التحسينات يمكن ان تمول بسهولة اذا عملنا على توفير الدراسات الفنية اللازمة وطبقناها .

ولا حاجة لنا ان نضغط بشدة على حقيقة مهمة ، وهي انه يجب عمل مسح للمرور شامل قبل تنفيذ اي مقترحات للمرور . ان العرض العام المقبول للمسح هو مساعدة رسم الخطط لحلول طويلة الاجل لمشاكل مرور النقل لدى الجماعة في تناسق وانسجام مع كل معالم المجموعات المرغوبة العمران تحت مخطط رئيسي شامل . ان التعاون الكامل بين دوائر المرور في المدينة والريف مع المخططين المحليين يعتبر في غاية الاهمية في عمل مسح للمرور والمقترحات المنبثقة عنه على اساس المسح . ويعتبر عمل المسح صورة مقربة للحالة الموجودة والحل المطلوب للمشاكل الخاصة بينما يعتبر تنفيذ المقترحات صورة عامة عريضة للمنظر وعلاقتها بمظاهر التخطيط المتعددة الوجة والتراكيب . ان دراسات المرور اليوم في معظم البلدان العربية عندما ، توجد يجب ، الاهتمام بها اكثر من جعلها اعمال روتينية في المدينة تستوجب انجازها حسب مقتضيات الوقت عندما تدعو الحالة بواسطة اجهزة البلدية الفنية .

ليس من السهل أن نناقش كل مظاهر مسح المرور ، حيث أنه يعتبر معقداً وفنياً نوعاً ما ، وعلى كل حال ، فالقائمة التالية تبين مدى مسح المرور :-

١ - المظاهر القانونية (قوانين وانظمة المرور بالمدن والارياف واللوائح المحلية .. الخ) .

٢ - طرق وآلات تنظيم المرور (خرائط توضح الطرق الرئيسية والشوارع ذات الاتجاه الواحد) .

٣ - سير المرور (تعداد المشاة وتعداد رحلات ووصول السيارات .. الخ) .

٤ - دراسات الامان (آلات ومخترعات لترتقي بالامان ومناطق الحوادث ونقلها على الخرائط ومعابر المدارس وتأثير الشوارع ذات الاتجاه الواحد ودراسات التقاطعات السيئة) .

٥ - دراسات الطاقة في المناطق المزدحمة (حجم المرور المار في كل اتجاه - اسباب ومدى التأخيرات - معالم ، كالجسور والانفاق والجسور الحاملة المياه والمعابر - تنوع اطوال البلوكات - تقطاعات غير منتظمة .. الخ) .

٦ - مسح مواقف السيارات ، والتسهيلات في الشارع والبعيدة عن الشارع وفوائدها .

٧ - دراسات العبور (انفاق تحت الارض - جسور فوق سطح الارض .. الخ) .

٨ - صفات السيارات وانواعها المختلفة (السرعة والاحجام والحمولة وطرق الشحن .. الخ) .

٩ - اسباب ووضع توليد المرور ، وبالتالي تفشيته .
لقد بحثنا حتى الآن تفاصيل المرور التي يمكن ان تنطبق عموماً ، وبميزة كبرى في جميع الاحوال . وعلى كل حال ، فان الجواب النهائي لاي مشكلة مرور خاصة وتلائم جهة خاصة يجب ان تدرس وتحل بالنسبة لها . ويوجد بعض الاسس التي اصبحت من البديهيات في المرور ويمكن تلخيصها كما يلي :-

١ - تهيئة امكنة كافية لمواقف السيارات :

تعتبر هذه المسألة الخاصة بأمكنة الوقوف اعظم تعقيداً لسبب بسيط وهو ان المدن العربية قد بنيت على عجل وبدون تخطيط علمي ، وقبل الادراك العميق للمشاكل الخطيرة التي اوجدتها السيارة ، فالي ان تعمل تغييرات على قياس كبير في بناء المدن العربية فانه يمكن تطبيق الحلول الوقتية كسد خانات اذا كانت عملية استملاك الارض وتحويلها

الى مواقف للسيارات تعتبر مضيعة وباهظة التكاليف . يجب سن قوانين مشددة لتهيئة امكنة وقوف للسيارات للمباني المقترحة الجديدة سواء كان ذلك بجعل نسبة مئوية من المساحة او بفرض امكنة معينة لوقوف عدد من السيارات تبعا لاستعمالات واغراض المبنى الجديد . هنا ستلعب تخصيص المناطق وانظمة المباني (ليست فقط في الجزء الانشائي من المبنى ولكن في تأثيره على ما حوله من المباني المجاورة له ايضا) واشتراط القوانين وتنفيذ ما هو حيوي في اعادة اسكان وحماية وتوجيه ونمو المدن العربية . ان اختلاف انواع الوقوف لهو عديد جدا ، ولكن بحثه لا داعي له بالنسبة للموضوع المباشر تحت الفحص . ان تدريب مهندسي المرور يجب ان يشمل تفصيلات اعتبارية لتهيئة وتصميم المواقف . ان مسح ودراسة مواقف السيارات الشاملة يجب ان يشمل ما يأتي :

(أ) تسهيلات مواقف السيارات بالشارع وفوائدها :

- ١ - طاقات الارصفة .
- ٢ - الحاجة لمواقف السيارات بجوار الارصفة .
- ٣ - حدود الوقت ومناطق الزمن ومعدلات دورات الوقوف .
- ٤ - طرق الوقوف بالارصفة وغيرها في الشوارع .
- ٥ - دراسات الامتثال لانظمة الوقوف .
- ٦ - التداخل مع المرور المتحرك .
- ٧ - التداخل في شحن وتفريغ البضاعة .
- ٨ - العلاقة بالنسبة للحوادث .
- ٩ - العلاقة بالنسبة للاعمال .
- ١٠ - التأثير المحتمل على نتيجة عدم وجود امكنة للوقوف .
- ١١ - عدادات الوقوف .
- ١٢ - مسح وتحليل المناطق المحددة ضد الوقوف مثل مداخل المسارح والمدارس والفنادق والمساجد ومواقف السيارات والكازينوهات وعبورات الشوارع ومناطق الشحن ومحطات البنزين ومناطق المياه لاطفاء الحريق .. الخ .

(ب) تسهيلات مواقف السيارات البعيدة عن الشارع حاليا وفوائدها :

- ١ - المواقع .
- ٢ - الانواع .

- ٣ - أنواع الملكية أو أصحاب المشروع المتكفلين به .
- ٤ - طرق العملية .
- ٥ - المداخل والمخارج .
- ٦ - المناطق وطاقتها .
- ٧ - دورات الوقوف .
- ٨ - معدل الاسعار .
- ٩ - التكاليف .
- ١٠ - مصدر ومآل العملاء .

(ج) الاماكن المحتملة كمواقف للسيارات :

- ١ - عمل خرائط للأراضي الخالية والمباني المتهدمة والبالية في المنطقة المركزية المتأزمة ، وأصحاب الاملاك والقيم الثمينة وحالة دفع التعويض لكل قطعة .
- ٢ - عمل خرائط لجميع الأراضي الخالية المملوكة لمجلس بلدي المدينة او الدولة في المنطقة التجارية المركزية .
- ٣ - المواقع المحتملة والممكن الحصول عليها لاستعمالها مؤقتا فقط .
- ٤ - تحليل تفصيلي لمعظم المواقع المرغوبة .

(د) طلب التسهيلات المطلوبة لمواقف السيارات في الشارع وبعيد عن الشارع :

- ١ - المطلوب حاليا .
- ٢ - المحتمل طلبه مستقبلا : -
 - (أ) النمو المحتمل في المنطقة المركزية .
 - (ب) اتجاه تطور البناء .
 - (ج) اتجاه وسائل النقل بالجملة .
 - (د) الاختياطات لتخصيص المناطق .
 - (هـ) دراسات صفة العمل واحياء البيع بالتجزئة ، واحياء المكاتب ، واحياء المسارح والاسواق . . الخ .

(ه) اقتصاديات تسهيلات وقوف السيارات بعيدا عن الشارع

وانواعها المختلفة . امكنة المواقف والجراجات بدون حوائط والجراجات تحت الارض والجراجات المتعددة الطوابق .. الخ :

١ - التكاليف اللازمة للارض والتحسينات والتمويل وادارة العملية .

٢ - دراسات تكاليف البناء .

٣ - دراسات عدد مرات الوقوف والدخل المنتق عنها .

٤ - التأثيرات المحتملة للمعنويات الحكومية .

(و) التأكد من جعل مواقف كافية في مناطق التعمير الجديدة والمناطق التي سيعاد تعميرها ، وكذلك المشروعات التجارية الخاصة :

٢ - في التخطيط الاقليمي يجب الاخذ بعين الاعتبار بان طرق المرور الرئيسية يجب ان لا تخترق قلب المدن ، ويجب ان تربط المدن عدد محدود من الابواب التي تدفع عندها المكوس لاجتيازها فتدخلها وتخرج منها بواسطة تقاطعات مصممة بمهارة . ان مثل هذه المخترعات قد اقترحت كمدخل لبيروت من طرابلس (منذ زمن في دور الانشاء) وكنفق في ميدان الصفاة في الكويت ، وكنفطية لجزء من نهر بردى في دمشق .. الخ .

٣ - فصل مختلف انواع المرور :

لقد اصبح فصل المرور اليوم مظهرا مفروغا منه لدى كثير من قوميونات المرور - ان قيمته وميزته في الوقت الحاضر والمستقبل لهو واضح بنفسه بدون الحاجة لشرحه .

٤ - مرور الطرق الرئيسية خارج الوحدات السكنية :

ان فكرة التخطيط بواسطة الوحدات السكنية (عدد السكان من ٢٠٠٠ الى ٦٠٠٠ نسمة) تعتبر فكرة هامة ومقبولة في دوائر التخطيط في مختلف انحاء العالم . ان فكرة الوحدة السكنية هو تهيئة بيئة طبيعية واجتماعية ، وكذلك روحية لجماعة صغيرة نسبيا من الناس الذين يعتبرون مكتفين ذاتيا في مسائل الاحتياجات اليومية (مثل مدرسة اولية وتسهيلات التسويق والتسليية والعبادة .. الخ) وعد اختراق طرق المرور الرئيسية لمثل هذه الوحدات السكنية ومعالجة حركة المرور الداخلية بواسطة شوارع الوحدة السكنية ، وتصميم المداخل لمثل الوحدات السكنية من الطرق الرئيسية تصميمآ آمنا ، وحتى المراكز التجارية التي تحتاج الى تخديم بواسطة لوريات كبيرة يجب ان تصمم ويختار موضعها في موقع منطقي لتجنب تسرب اللويات الكبيرة داخل

العمران . يوجد اليوم كثير من الهيئات الهندسية والتخطيطية الذين بنوا مظهر تطورات الوحدة السكنية واعادة تصميم وتوزيع العناصر الأساسية لمخطط المدينة على مدى بعيد . تعتبر الكويت الاولى في استخدام الوحدة السكنية في العالم العربي بينما تستخدم الجمهورية العربية المتحدة مظهرها الاساسي في المخططات الجديدة كمدينة النصر .

وفي الختام يمكن تلخيص الموضوع كما يلي :

١ - تعتبر حالة المرور في كل المدن العربية محزنة جدا ، وتنمو باستمرار الى اسوأ ، حتى طرق الكويت الممتازة جدا تظهر بانها غير قادرة بان تتمشى جيدا مع نمو المرور ، وتصديقا لهذه الحقيقة فانه لا يعتبر توسيع الطريق هو الحل لمشكلة المرور ، ولكن التخطيط المتوازن الصحيح الذي يشمل الارض والوضع الاستراتيجي هو الحل الصحيح لاسعاف تضخم المرور . يعتبر تخطيط المدينة الشامل مفقودا جدا من منظر اغلبية المدن العربية الشاسعة .

٢ - تعتبر الحاجة لعمل شامل على مقاس كبير جدا لتخفيف المرور المخطط ، وتقليل الحوادث وزيادة امكنة وقوف السيارات . انه يجب عمل مجهود مباشر وموحد وكذلك صرف نفقات مالية كافية تعتبر ضرورية كاسعافات اولية للمدن العربية .

٣ - توجد امثلة عديدة لحلول حركة مرور جيدة في كل العالم ، وعلى الاخص في المانيا والولايات المتحدة الامريكية التي يمكن ان يقتدى بها في المدينة العربية التي تقاسي الالام المرور .

٤ - من الصعب جدا التنبؤ بمستقبل حجم المرور في العالم العربي، ولكن الافتراض المأمون بان النمو سيزداد جدا في بحر العشرين سنة التالية ، بسبب تدفق اهل الريف للمدينة والزيادة في الثروة القومية والفردية .

٥ - بينما الاجراءات العادية الوقتية والاختراعات والتحسينات المؤقتة يمكن ان تعمل على تحسين احوال المرور في المدينة العربية ، الا ان جراحة حضرية اساسية مع بناء حضري جديد سوف ينقذ المدينة من الاختناق والخسارة والكآبة .

يعتبر الحل الصحيح لمشاكل حركة المرور التي تواجه المدينة العربية المتطورة هو تحدى كبير بالنسبة لولاة الامور العرب . وليست فقط مشكلة المرور وامكنة مواقف السيارات تعتبر حاجة مريضة وقطاع اقتصادي خطير في البلاد العربية ، ولكن هذا التحدى المحكم والمبدع والخيالي الذي يقابله ولاة الامور سوف يكون له تأثير كبير على شكل المدينة العربية لدرجة ان الشخص يمكن ، بكل تأكيد ، ان يقول بان شكل وجمال مستقبل المدينة العربية سوف يحدد بواسطة كيفية تدبير مشاكل المرور والوقوف .

١٢ - انقاذ المدن العربية

اول ما يفعله المرء في تخطيط المدن هو ، من البديهي ، ايقاف اخطاء التخطيط الفظيعة ، وتعطيل اي عملية بناء مفلولة كخطوة اولى يستهل بها لدراسة مخطط رئيسي شامل . وكل ما عدا ذلك ترقيع « وتخریط » اذا ما سمح لتدفق الاغلاط ان تصبح كالجرف الساقط يزداد اندفاعا ليعقد مشاكل المدينة .

في تخطيط مدينة بيروت ، مثلا ، يجب ان تكون الخطوة الاولى هي ايقاف التدفق الجنوني نحو البناء المفلوط . وبالامكان دعوة كل خبراء العالم الى بيروت ، فلن تجدي نفعا قيد شعرة جميع تعاويذهم السحرية اذا لم يكبح جماح الفورة البنائية الجنوني والترايد والتضارب في اسعار الاملاك والاراضي في المدينة والمتاجرة فيها . وانتقدت دمشق من هذا الجنون الحضري لما اوقف مثل هذا الجنون الحضري وانتقدت الكويت ايضا عن طريق تجميد البناء في وسط المدينة لمدة سمحت للمخططين اعادة النظر في التدفق العمراني العظيم . وان عمليات مثل هذا التخفيف واعادة الدرس ضرورية جدا والا فان الجنون الحضري اللولبي سيبلغ كل محاولات الاصلاح المدني والحضاري الاخرى وعندما يتوقف الجنون المدني عندئذ ينسحب للعقل والمنطق مجالا للعمل .

يمكن للمرء ان يوقف او يخفف من اخطاء البناء الجارف الفوغائي في المدن بوسائل عدة منها :

١ - تجميد او تعطيل تام لعملية البناء الصاخبة حتى اعلان سياسة تخطيط جديدة وسليمة .

٢ - تشريع قوانين جديدة تنفذ بموجبها وسائل التخطيط المنسق الجديدة .

٣ - ترك الامور كما هي وعمل مخطط شامل يفرض تنفيذه حال الانتهاء منه اذا فشلت الوسائل الاخرى .

٤ - القيام بحملة اعلامية تربوية فعالة عن التخطيط والبناء وتجديد المدن لتثقيف العقلية الحضرية عن الامور الحضارية والتعميرية .

وعندما يكون العمران في المدن يستهدف الربح الهائل السريع ، ومبنى على التكهّنات ، يصبح كالسيل الجارف يدفن كل شيء يقف في طريقه ، اذا لم تتخذ الاجراءات السليمة والايجابية للحد من هذا الاتجاه . تجابهنا هذه الاوضاع في جميع المناطق التجارية في المدن ، ولهذا تكون هذه المناطق مكتظة بالسكان ، كثيرة الضجيج وخطرة لا تصلح ابدا للروح والنفسية الانسانية ولا حتى للجسد .

يظهر انه لا يوجد حل اساسي فعال لمعالجة امور المدن ، وخاصة المدن المزدحمة عدا العملية الجذرية . ولكي تبدأ العملية التنظيمية الاصلاحية الجذرية ، لا بد من اعطاء المخدر أولا . وفيما يتعلق بالتخطيط المدني ، فان عملية التخدير هي عبارة عن توقيف الفوضى التي يتصف بها اجمالا التوسيع العمراني الجنوني والتي تهدد جميع مدن العالم ومنها مدن العالم العربي .

وقد يبدو هذا الحل ، لأول وهلة ، حلا عنيفا وفيه تطرف الا انه ، في المدى الطويل ، اقل تكاليفا من السماح لعملية البناء الخاطئة ان تتوسع وتعم . وعندما تقوم محاولة في المستقبل لتصحيح الاخطاء الخاصة بهذه العملية ستكون التكاليف باهظة جدا ان لم تكن مستحيلة .

وعندما جابه المجلس البلدي الكويتي الموقر في سنة ١٩٦٠ فيضا من المشاكل المدنية تلك المشاكل التي كانت تتضخم يوميا تحت تأثير الموارد الضخمة والحاجة الماسة الى التطور والعمران - قضى المجلس اكثر من شهرين يناقش المشكلة ويدرسها ويمحصها ليختار احسن الطرق العملية والتكنيكية لحلها . وبعدئذ اختار اسلوب « اعادة تطوير » المناطق التجارية المركزية . وبعد هذا القرار المهم اتخذ قرارا مهما آخر الا وهو ايقاف عملية البناء حتى يعاد تخطيط المناطق التجارية في المدينة على اسس مبادئ التخطيط والبناء المعاصرة . كل هذا قد تم ، اذ ان اربعة قطع من المنطقة المركزية التجارية ذات الاحدى عشرة قطعة قد نظمت من جديد وبيعت قسائمها بالزاد العلني وباسعار جيدة .

يكون العمران الحضري في بعض الحالات قد امتد وتعمق كثيرا ولا يصلح حتى لمثل هذه العملية « الطبية » . ان مدينة بيروت هي المثل الكلاسيكي الذي يبدو للذهن . ان قلب المدينة في بيروت اصبح متحجرا جدا ولا يصلح لاية عملية تخطيط معقولة تنفذ اقتصاديا . كذلك الحال في عمان . اما دمشق فهي في حال احسن ويمكن اجراء عمليات « جراحية » جذرية في مناطقها المركزية .

وقبل ان يصبح الوضع في المدن العربية اشد سوءا مما عليه ، فهذا هو الوقت المناسب الذي يجب ان تقوم به لا السلطات البلدية فقط بل السلطات الحكومية والهيئات الشعبية ، لاتخاذ خطوات جريئة لاتقاذ مدينة الغد العربية . والا فان مدينة الغد قد تصبح ما فوق طاقة الاصلاح وعملية التطوير . لذلك يتوجب على كل سلطة عربية مسؤولة عن تطوير وتجديد المدينة العربية ان تنظر الى المشاكل المدنية - الحضارية نظرة الجد ، وعليها ان تتخذ الاجراءات السليمة الحاسمة لمنع تكاثر المشاكل الحضارية حيث تصبح متحدية للحلول السليمة والاقتصادية . فبناء المدينة العربية الجديدة هو ايضا الاساس لبناء الحضارة والثقافة العربية الضرورية لتقويم وتقوية الجسد العربي السياسي (البودي - بوليتيك) .

١٣ - المجالس البلدية والوضع الحضاري في العالم العربي

لقد حضرت مئات من جلسات المجالس البلدية في كثير من الدول العربية وكان حضوري لهذه الجلسات بصفتي مستشارا في تخطيط وتنظيم المدن لهذه أو تلك البلدية . وحضرت أيضا كثيرا من اللجان الفنية المنشقة عن هذه المجالس بالإضافة الى اللجان التخطيطية الملحقه بوزارات المالية والاقتصاد والشئون الاجتماعية . وحضرت زيادة على ذلك كثيرا من جلسات المؤسسات والهيئات في مختلف بقاع العالم العربي . وقمت بمهمة المستشار لكثير من الحكومات والوكالات الحكومية الخاصة بالتخطيط والشئون التنظيمية البلدية .

لقد كان أهم ما يبحث من مواضيع في هذه المجالس واللجان والهيئات والمؤسسات والوكالات هي ما كانت تتعلق عادة بشئون تخطيط الاقليم أو المدينة أو القرية . لقد كانت هذه الاجتماعات عديدة ، يصعب عدّها أو حصرها ، وكان أغلب مناقشاتها صاخبة وعاصفة . ومع ذلك فقد كان قليل منها هادئ أو أقرب ما يشبه الخمول ان لم يكن الخمول بذاته .

وكان أعضاء هذه المجالس واللجان والهيئات والمؤسسات والوكالات عادة من الاشخاص الغير محترفين مثل رجال الاعمال وأصحاب المصالح والتجار أو غيرهم من غير ذوي التخصص في المهن الهندسية أو المعمارية أو التخطيطية . كان هؤلاء الأعضاء يقومون ببحث الموضوعات المدرجة في جداول الاعمال المعروضة عليهم .

لقد كانت هذه الجلسات دائما مشوقة وممتعة جدا ، على الاقل بالنسبة لي ، لان مناقشاتها التي كانت تدور فيها نادرا ما تصل الى صلب أو فحوى موضوع التخطيط أو الشئون التنظيمية البلدية التي تدور حول مرافق وتجميل المدينة . فقد كانت تعالج ، غالبا ، كل شيء ما عدا القلب أو الروح لمادة التخطيط وأوجهها المتشعبة من مناظر جميلة وعلم وفن وتصميمات واجتماعيات واقتصاديات وغيرها .

لقد كانت تدور مناقشات هذه الجلسات عادة حول التفاصيل التي كانت معظمها صغيرة وتافهة . وكلما كانت هذه التفاصيل صغيرة وتافهة كلما كانت المناقشات فيها وطيسة وحامية . وبذلك تضيق المواضيع المهمة كما تضيق الغابة بسبب كثرة أشجارها . وعندما ينحرف الموضوع كثيرا عن اهتمام الجمهور ، ويبعد عن الاعتبارات الصحيحة والسليمة ، ويهجر الاوليات والمبادئ التخطيطية ، فان المناقشات تزداد تدريجيا وتعمق تفصيليا . عندئذ تصبح المسائل التافهة جدا مهمة جدا وتصير

كثبان الارض جبالا شامخة وتضحى الجبال الشوامخ كنبانا سطحية . وكلما تزداد وطأة وحرارة المناقشات ، فان التداول يصبح أكثر قدسية . وكلما ازدادت قدسية التداول فانها تتحول الى عقائد ، وعندئذ تصبح قوانين ثم تنشر كخرائط تنظيمية مساحية ... ثم يتبع ذلك التشريع فالتنفيذ ، حتى تأخذ المدينة شكلها ... وعندما تأخذ المدينة شكلها تصبح المدينة لا شكل لها : ان ما على الانسان الا أن يرى ويدرس بعض المدن اليوم للاقتناع بصحة ما نقول .

ان كثيرا وغالبا ، ما تسمى بعض الامور والمسائل الهامة علما أو فنا حتى يفرق الصالح العام ، بسبب هذه المسميات في ضباب كثيف من الاقوال والقرارات ، فتصبح متناقضات في شكل علم العسائي أو فن المثلوجات ، حتى يصير صاحب المعنى الفصيح أو المنلوج الخفيف في دوامة يصعب عليه النجاة هو بنفسه منها .

وفي خلال هذه المناقشات الغير مجدية والمجادلات البيزنطية ، فان روح القرارات غالبا ما يكتنفها الضباب ويعتمها السحاب حتى تصبح مكفهرة وسوداء قائمة . وهكذا ، يجلس الانسان غالبا مرتبكا حتى يفقد وعيه بأهمية الموضوع المعروض للبحث ، بل ويشعر بالفربة والبعد عنه الذي طالما أخلص له وتفاني من أجله بعد أن درسه نظريا ومرنه عمليا ... وأخيرا ، يعتقد في نفسه بأنه ما هو الا عجلة أولية ، بل سنة من ترس هذه العجلة الداخلة ، في تكوين اقليم كبير منظم الذي طالما تمناه كي يبنى ويشيد للبشرية الحضرية المثقلة بعظام الامور وجلالها .

ومن هذه الجلسات العديدة التي حضرناها ، فانه يصبح متعبا وتضحى شعوره باردة . لقد بدأت السؤال لنفسي فيما اذا كانت هناك حاجة الى مخططي مدن على الاطلاق خصوصا في بعض اجزاء العالم العربي؟ لقد شاهدت كثيرا من الحالات التي استقر فيها شكل المدينة كنتيجة لحديث عابر تافه، بدلا من استقراره كنتيجة للدراسة واعية وعلمية وجدية.

وغالبا ما يحدث أن يضيع وقت أكبر في اختيار اسم الشارع من الوقت الذي يصرف في تصميم وإنشاء الشارع نفسه ثم يأتي بعد ذلك دور المراسلات التي لا نهاية لها حول اجراءات نزع الملكية التي تستغرق وقتا أكثر وأطول من الوقت الذي يستغرق في تصميم المناطق المنزوعة الملكية . وأدهى وأغرب من ذلك أن يأخذ شكل وشكليات الدعوات التي توجه للاعضاء لحضور الاجتماع أهم بكثير من المواد المدرجة في جدول الاعمال . وأشد مما تقدم غرابة هو ما يدور في بعض الجلسات ذاتها من مناقشات عويصة ومضنية حول ما اذا كان يجب أن يكون عرض الشارع ٢٠ مترا أو ٢١ مترا ... وما اذا كان صاحب العقار يجب أن يرتد بينائه مترا أو مترا وربع متر عن خط تنظيم الشارع ... وهكذا تحتل المسائل التافهة الوقت الأكبر من الجلسة والتي تأخذ من الاعضاء مجهودا أكبر الى ان يحين موعد انتهاء الجلسة فتنفذ على لاشيء من دراسة الامور الجدية التي هي في جوهر تكوين المدينة من جميع النواحي .

انه لمشوق ، بل وممتع أيضا ، ان يحضر الانسان مئات الجلسات ويزداد اهتمامه بها طالما هو قادر على تسجيل انتصارات تنظيمية وهندسية . لقد حدث هذا بالفعل عندما كنا نعمل على اعادة تخطيط المنطقة المركزية التجارية لمدينة الكويت حينما اتخذت قرارات بالغة الاهمية بالنسبة لاساس مستقبل تنظيم المدينة . ان الانسان يمكنه ان يبتكرو ويخلق تخطيطات كافية وتفاصيل وافية طالما كانت تأخذ مجراها عمليا . على ان جلسات المجلس البلدي ليست دائما قوية وحاسمة كما حدث بالنسبة لجلسات مجلس بلدي الكويت من يونيو سنة ١٩٦٠ حتى وقتنا الحاضر أو كما حدث بالنسبة لجلسات مجلس بلدي دمشق عندما اتخذ فيها قرارات مهمة .

عندما تصبح جلسات المجالس البلدية غير مشوقة ، فانها لا تصير ضعيفة فقط بل تضحى سئمة جدا . عندئذ تبعث في الانسان الملل ويتطرق الى نفسه المرارة والتعب . وبالتالي ، يتحول الى انسان ساخر مشتمز . وغالبا ما تقتزن هذه السخرية أو الاشتمزاز بالتشاؤم . عندئذ يفقد الانسان متعة العمل الفني الخلاق بل وأهمية التخطيط ذاتها . وكثيرا ما تكون مناقشة عشرة أعضاء أو أكثر كالدائرة - لا أول لها ولا آخر يفقد أثناءها الانسان أو هي خيوط تفكيره - ان وجدت - والتأثرة في فضاء لا حدود له .

لقد ضاع وقت ثمين في معظم جلسات المجالس البلدية حول العالم أثناء المناقشات والمداولات والكلام بسبب عدم الارتكان الى قواعد صحيحة تكون أساسا أوليا لجميع المناقشات . ومن ذلك التفرغ الزائد في دراسة وبحث التفاصيل ، بدلا من التعمق في بحث أسس الموضوع ، حتى ضاعت نتيجة لذلك فرصا ذهبية لا تعوز وتخطيطات علمية خيالية لا مثيل لها حقا ... انه لمن الضروري ان تكون المناقشات والمداولات حيوية كي يمكن وضع أسس المشاريع . عندئذ ، يشترط أن تكون المناقشات واسعة وشاملة ومبنية على مبادئ تخطيطية سليمة من علم ومعرفة كبيرة . فاذا كان البحث يدور حول موضوعات علمية ذات درجة عالية فان على أعضاء المجالس ان يكونوا فريقا كاملا من المتخصصين في الحقول الحيوية للتخطيط وهي الحقول التي تضع نواة الموضوع وابتكاره وتطوره . على ان هذا الرأي بذاته لا يسلم من التعرض للنقد حيث يبرز سؤال وهو : « ما هي حقيقة التخصص في هذه الحقول ؟ » وما الذي يبحثه المجلس وما الذي يتركه لفريق المتخصصين ؟ حقا ... ان المشكلة ليست جديدة ... ولا هي أيضا سهلة . انها قديمة كقدم الانسان ... وصعوبتها تكمن في طريق المعالجة ... اما حلها فيتوقف عليه طبعاً شكل المدينة في المستقبل ، وخصوصا في بلاد مثل البلاد العربية .

ان مجلس بلدي الكويت يعتبر فريدا بذاته ... تماما كدولة الكويت ذاتها . انه فريد في روحه وشعوره وعمله ... وفريد في بعد نظره لكل ما هو جديد ومفيد ... يتكون هذا المجلس الفريد من اثني عشر عضوا

بالإضافة الى رئيسه ومديره العام وأمين سره . انه فريد بسبب دعوته للموظفين الفنيين لحضور جلساته كي يستأنس بخبرتهم أثناء طرح النقاش في كل ما يتعلق بالشئون الفنية المعروضة عليهم . هذا المجلس عمل ... واستعمل العلم لينير طريق عمله .

ليست كل المجالس البلدية مثل المجلس البلدي الكويتي . فكثير من المجالس البلدية قد حوت ، للأسف ، أعضاء لا يمكن وصفهم إلا بأنهم ذوي عقول غير حضرية ويفتقرون الى معلومات أولية في الشئون الحضرية . انهم غالبا ما يكونون ، بسبب ما ، لهم من كثرة المصالح التي تخصهم مشبعين بخدمة أغراضهم ويضنون بوقتهم في خدمة الصالح العام ... صالح المواطنين الذين انتخبوهم . وأدهش من ذلك انهم يصبحون هم المستفيدين عن طريق تخييرهم واختيارهم لامور مذهلة ومحيرة التي تكون قطعاً على حساب الصالح العام وسعادة قاطني المدينة .

انه بضياح هذه الفرص الذهبية والمقدسة بالنسبة للمدينة فانهم يجردون المواطن فيها من حقوقه الحضرية المكتسبة ، زيادة على ذلك فانهم يشوهون الحالة الاقتصادية،بالإضافة الى الاساءة للنظام الحضري للمدينة. أما الحالة الاقتصادية فتعتبر الجوهر الاساسي في العالم العربي ... هذا العالم الذي يحاول جمع شمل مصادر الدخل فيه .. لبنني ويدبر المدينة والاقليم . وعلى هذا ، فان وظيفة المجالس واللجان والهيئات والوكالات والمؤسسات ، ان تقترب من الهدف الاصلي وهو الاستفادة من الموارد في العالم العربي بأحسن الطرق الممكنة . وأحسن الطرق هي الطرق العلمية.

وفي الختام ، لا يسع الانسان الا ان يوافق على ما جاء في الفقرة (٥) من القرارات التي اتخذت في المؤتمر الدولي للتخطيط المنعقد في القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٦٠ للبحث في شئون المدن العربية الكبرى وهو كمايلي:

مسئولية وسلطة البلديات :

١ - معظم المدن العربية ليس لديها هيئات بلدية قوية معززة بسلطات كافية . وقد نتج عن ذلك نمو غير منتظم . الا ان المدن الحديثة تحتاج الى سلطة كافية خصوصا بالنظر الى ازدياد تطبيقها لمخططات الخطة الرئيسية الشاملة . ولا يمكن تنفيذ ذلك الا البلديات ذات السلطات الكافية ، لتضمن معاونة وتعاون المصالح الحكومية المختلفة والمعنبة بالامر .

٢ - يجب ان يكون اشتراك الجمهور في شئون مدنه فعلا بالنسبة لروح المدينة العربية الحديثة .

٣ - يجب وضع اموال كافية في متناول البلديات لتمكنها من مقابلة احتياجات الحاضر والمستقبل مثل الخدمات العامة كوسائل النقل وامداد المياه وشبكة الكهرباء وجمع القمامة . ويجب ايضا ان تهيء اموالا لتمكن البلديات من الاستحواذ على الارض بأثمان معتدلة في حدود المساحة المنتظر ان يشملها اتساعها في المستقبل بالنسبة للصالح العام .

الجزء الثاني
في العلم والتنظيم

١٤ - التخطيط العلمي وعدم التخطيط عامة

قد يكون مرانا رياضيا جديرا اجراء مقارنة بين مسألتى التخطيط العلمي وعدم التخطيط عامة في استعمال الامكانيات والمصادر والاحتياجات العربية أو سوء استعمالها .

بالتخطيط العلمي يحاول المرء ، بطريقة واعية ، ان يحصر مصادر اقتصاد منطقة ما للحصول على اقصى الفوائد لشعبها . وان المرء ليعتقد بان هذا التعريف عادل وغير متحيز ، وبسيط أيضا ، لطريقة وهدف معقدين . اما عدم التخطيط فهو محاولة ترك الامور تسير كيفما اتفق دون مبالاة بحسن استعمال مصادر معينة ، وبدون اعتبارا ، او بدون اعتبارا واع على الاقل ، لقيام منافع عادلة للاغلبية القصوى من الشعب المعني . ان هناك من يعتقد جازما بان التخطيط المطلق ، او الكلي يجلب الفردوس (اليوتوبيا) في حين ان ثمة من يعتقد ان التخطيط هو الطريق الاكيد للعبودية . ومهما يكن من امر ، فان المرء لا يستطيع ان يوافق ايا من الطرفين : التخطيط اوعدم التخطيط . فوائد اكيدة بالنظر الى التنظيم الحاضر في العالم العربي .

اجل ، ان وضع بلاد كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لنظمها الخاصة للتخطيط الكلي أو الجزئي ، لا يعني ان هذه النظم مناسبة ، على العمى ، وبصورة أو باخرى ، للعالم العربي . ان العالم العربي يجب ان يضع نظمه الخاصة لتسيير الاشياء وتطوير المصادر وانتهاج طريقته الخاصة لمختلف مجالات العمل . فالكويت هي المثل الاول لدولة عربية مزجت النوعين العقائديين الاساسيين السائدين في العالم بطريقة حكيمة .

على انه مهما يكن العالم العربي فريدا ، فانه لا يستطيع ، لامد طويل ، ان يتهرب من العناصر أو الخصائص المفيدة للتخطيط السليم . ان التنظيم السليم العلمي العام يمكنه ان يجلب فوائد كبيرة للعرب عن طريق توحيد وتنسيق اجزائه وسياساته ومشاريعه من أجل المصلحة العربية العامة .

وان احد المجالات التي يمكن للتخطيط فيها ان يجلب فوائد ايجابية هو المجال الجغرافي والاقتصادي ، أو - الجغرافيا - . فالجغرافيا والطوبوغرافيا لا يقيمان وزنا للحدود والقيود التي يضعها الانسان . فاذا استطاع العرب ان يستعملوا على الاقل النطاق الجغرافي والاقتصادي كتمهيد للتخطيط العلمي ، فانهم ولا شك سيكونون المستفيدين .

وتعتبر منجزات مشروع وادى التنيسي في الولايات المتحدة مثلا على فائدة التخطيط فكان هذا المشروع الاقليمي الواسع قد انتج فوائد جزيلة لعدد من الولايات الجنوبية . فلو قامت كل ولاية على حدة ، بتخطيطها المحدود الخاص ، مهما كان سليما فان هذه الولايات لم تكن

لتصل الى اهدافها التي امكن الوصول اليها عن طريق تخطيط مشروع وادى التنيسي . ان هذا النموذج من التخطيط هو الذي ينبغي ان يتبع في العالم العربي . وان المرء يشعر بان هذا النوع من التخطيط يمكن ان يكون اسلم اساس للتخطيط السياسى فى المستقبل. كما ان المرء ليعتقد جازما بان هذا النوع من التخطيط لا يؤدى الى العبودية بل على العكس ، يؤدى الى النفع الاجتماعى والاقتصادى للجماهير العربية .

ان مصادر الثروة العربية، فى الرجال والمادة ، تعمل بها ، كليا وعمليا ، يد التخطيط الحكيم لما يجلب البركة لهذا الجزء من العالم . والان ، والكويت على عتبة التخطيط الشامل بتأسيس مجلس التخطيط ، يمكنها تطبيق جميع الاسس التخطيطية العلمية السليمة لمواجهة مشاكل المستقبل التي تعترض لجميع دول العالم . فالتخطيط السليم هو السبيل العلمى لمواجهة المشاكل وحلها حلا سليما وجذريا .



١٥ - غيبة العلم في تنظيم أكثر المدن العربية

ان العالم العربي كان عرضة لعوامل مفاجئة في التمدن والعمران الحضري وخضع لها بسبب حالات نفسية معقدة وعوامل اقتصادية شديدة ومؤثرات سياسية عديمة النظر . وقد سببت مثل هذه الحالات الفريدة والالاحاحات المستمرة كثيرا من المساوئ التي عمت وانتشرت وتغلبت على الوضع العربي الحضري عامة .

حتى ولو كان العلم والمنطق البسيط موجودا كدليل لآلات التطوير في البلاد العربية ، فان الانسان يجرأ ويسلم بأنه لربما منعت العوامل الموروثة ذات الصلة بالحوادث والأوضاع الصعبة من اتباع طريقة أكثر ترتيبا ، ان حالة الملكية المعقدة والحالة السياسية المزعومة وتقلبات العرب كافراد وكأمة والضغوط الخارجية الغير متوقعة على العالم العربي ولاشغال العرب عموما بالسياسة والتجارة كانت كلها عوامل تشغل نار الحرب ضد أى طموح لتخطيط علمي منطقي . وبالإضافة الى كل هذا فان العلم والإدارة العامة والتشريع الحديث وموظفي الحكومة المختصين وروح الجماعة كانت ، عموما ، غير موجودة أثناء فترة الرواج والانتعاش ولازمته على طول الخط .

وحتى يومنا هذا فان التخطيط ، كنظام علمي وتوجيه سليم في العالم العربي (ما عدا بعض الحالات) لم يكن موجودا في كل بلد قد يكون لديه ما يسمى بمجلس التخطيط أو مجلس الأعمار أو وزارة التخطيط ومع ذلك فحتى يومنا هذا فان التخطيط الطبيعي والاقتصادي والقومي بالمعنى المفهوم في كل البلاد الاشتراكية وحتى بعض الرأسمالية منها التي تستخدم التخطيط ، فهو قطعاً لا يزال على عتبة التبنى ما عدا بعض الدول العربية .

لقد كان التراخي الطبيعي الاساسي ، سواء اكان على مستوى المجلس البلدى او على المستوى القومي ، عائقا ان لم يكن عدوا لمحاولة أى شخص كان يود تطبيق تخطيط علمي منطقي او تخطيط شامل ، وما يعتبر في البلاد العربية أدوات أساسية ولا غنى عنها في التخطيط حتى وقت قريب لم يكن له وجود في البلاد العربية الا مؤخرا في بعض الحالات . ويعرف الكاتب أكثر من مدينة عربية يزيد عدد سكانها عن ٣٠٠.٠٠٠ نسمة وليس لديها حتى خارطة أساسية ملائمة يعول عليها من حيث المعلومات الإحصائية والبيانية . انما يوجد لديها تقديرات تقريبية لا يمكن الاعتماد عليها لعمل تحليلات مفيدة للتخطيط ولا يوجد تعداد فني مبني على طرق إحصائية علمية . ولا تعد الإحصاءات الشاملة ناقصة لاستخدامها علميا فقط بل لا توجد ايضا الخصائص والصفات الأساسية

للسكان مثل العمر ونوع الجنس . كذلك لا توجد ارقام احصائية تعطي صورة صحيحة لتنقالات وتحركات السكان المختلفة . أن كل ما يعرفه الانسان هو ما يحدث عادة من انتقال السكان من الريف الى المدينة ولا يعرف في البلاد العربية طرقا منظمة للدراسة الاجتماعية المعروفة في البلاد العربية بالنسبة لانتقالات وتحركات السكان وأعمالهم واستقرارهم أو رحيلهم .

اما طريقة تلوين الخارطة للاستدلال بها على الكثافة السكانية وانواع الصناعات وتخصيص المناطق والحدائق وهلم جرا والتي تعتبر لاغنى عنها لمهندس تخطيط المدن فهي حديثة العهد جدا في مدينة أو مدينتين فقط .

ان مجالس بلديات المدن الكبرى ينقصها الموظفون الضروريون كي يقوموا بأى نوع من المسح الحضاري الشامل . ان مخطط المدن قد تعود علي عمق واتساع واهمية عمليات المسح التي تستخدم كاستدلالات أو معلومات أولية للتخطيط . لا توجد مدينة عربية مجهزة بموظفين لجمع ومقارنة وتحليل المعلومات علميا والتي تلزم لتكوين وتنظيم المدينة العربية .

لقد ساءت حالات حركة المرور في بعض البلدان العربية جدا ومع ذلك لم تعمل اى عمليات للمرور ترشدنا على اماكن الازدحام أو أوقاته . لقد عمل احصاء المرور في دمشق في يونيو سنة ١٩٥٩ ولكن لم يكن هناك موظفون فنيون لكي يستخدموا المعلومات التي حصلوا عليها ويترجموها الى حلول علمية .

ان الخارطة الاساسية لمعرفة استعمالات الارض تعتبر اداة ضرورية واضحة في تحليل استعمالات الارض الموجودة واتجاهات النمو فيها والتي بمقتضاها يمكن التكهن بالحلول والتوصيات ولا تزال هذه الخارطة الاساسية في معظم البلاد العربية غير معروفة مع تفصيلاتها الكافية كي تصلح لاستعمالها عمليا وعلميا .

لتخصيص المناطق المختلفة في المدن العربية وجود في العالم العربي . فمعظم المدن العربية لها خارطة كروكية للمناطق وخارطة مساحية ايضا التي غالبا ما تكون غير مشمولة أو مجهزة بجهة رسمية أو تبريرات علمية فذة . ان خرائط المناطق قد اعدت بسرعة بواسطة مستشارين أو مهندسي المدينة أو موظفين بدون الرجوع الى أي دراسة علمية . وعلى العموم ، فان تخصيص المناطق ما هي الا عملية أولية وتنفيذها مرن جدا ولذلك تعتبر عقيمة وعديمة الاثر .

تكون المجالس البلدية العربية عادة مشغولة بتصريف اعمالها الكتابية الروتينية أو بمنح رخص البناء أو برصف الطرق والأرصفة أو بمراجعة تنفيذ التعهدات والمراقبة لدرجة لا يبقى لديها وقت كاف للتفكير والتخطيط الصحيح . وعادة ما تكون هذه المجالس البلدية في حاجة ملحة

لموظفين او ان موظفيها الموجودين ليسوا اكفاء ولا اهلا لمراكزهم في اقسامهم الفنية التي هي اشبه بصورة كاريكاتورية . منها بقوة فنية فعالة .

ان مرتبات مهندسي مجالس البلديات فهي ضئيلة عامة لدرجة انهم يضطروا غالبا للجوء لوسائل معوجة ليكملوا مرتباتهم الشحيحة . تمتد هذه الوسائل المعوجة من الرشوة الى مزاوله اعمال خاصة التي تصبح ، بمضي الوقت ، اهم من مسؤولياتهم الحكومية .

انه لا يوجد فقط مهندسي تخطيط مدن متمرنين (ما عدا في حالات قليلة) بل حتى اذا ما وجد مهندس معماري في مجلس بلدي فانه غالبا ينقصه التمرين . وجميع اصحاب المهن التي تساعد مهندس تخطيط المدن ليسوا ممثلين في جهاز المدينة الفني مثل خبراء في تنظيم حركة المرور وفي المناظر الطبيعية وفي فن العمارة وفي التشريع الحضري وفي المالية والاقتصاد والادارة البلدية وفي الصحة ... الخ . كل هؤلاء غير موجودين في أغلب الأحيان ، ان لم يكن في كل اقسام المجالس البلدية الفنية في اكثر الاحيان .

ليس فقط تخطيط المدن كعلم غير موجود في البلاد العربية بل حتى لو وجد فانه لا يستمر طويلا لانه ، لكي يبقى ، فانه يلزمه مساعدة علمية من الهيئة الادارية للمجالس البلدية . قليل من رؤساء مجالس المدن او اعضاء مجالسها يعرفون القليل عن علم ادارة او قيادة المدينة اذا ضربنا صفحا عن التشعبات الفنية لادارة وتسيير دفة المدينة . حقيقة انه غالبا ما يوجد من ضمن اعضاء المجلس البلدي مهندسون لكن هذا لا يؤهلهم لعمل تنظيم ابتدائي في تخطيط المدن اذا تفاضينا طبعنا عن تورطهم في ادارة المدينة .

لهذا ليس بغريب على الانسان ان يعرف على العموم بأنه لا توجد انظمة او سياسة سليمة تضبط نمو المدينة العربية ضبطا علميا سليما . فلا يوجد نظام اقتصادي يؤثر على استخدام الارض ما عدا سياسة الاستغلال والمضاربة الغير ممنوعة . ولا يوجد عمل ميزانية فنية علمية ولا مشروع يعطي له الاولوية في التطوير والتعمير ويوجه بمناهج مالي وعلمي . وتحصل معظم البلديات على موارد ودخول غير كافية لفرض ادارتها الداخلية . اما شكل الضرائب واساس موارد الدخل فهي عتيقة بالية لا تتمشي مع الحقائق المتزايدة للحياة الحضرية المعاصرة في اكثر البلاد العربية .

ان مجالس البلديات الصغيرة المحيطة بالمدينة الكبيرة هي ، كقاعدة عامة ، مستقلة بذاتها تنمو كيفما اتفق حتى لو كانت في مناطق متعارضة ولا يوجد الا القليل المتناسق بين اعمالها على مستوى اقليمي للمنطقة كلها ، او مستوى اقليمي للعاصمة او المدينة الكبرى وما حولها فقط . ان نمو معظم المدن هكذا تركت لقوى سوق الاستغلال التي لا ترحم

ولهذا لا تستطيع المدينة ان توقف او توجه او تؤثر على القوى التي كان يجب استخدامها لصالحها . حتى لو كان التشريع واضحا واكثر فاعلية ليساعد المجلس البلدى على التغلب على هذه القوى فان مشاكل الموظفين وكل ما هو مختص تقف عقبات كؤود في طريقه .

باستثناء بعض الحالات الخصوصية القليلة فان صورة المجلس البلدى في العالم العربي تستدعي الفرع ... اعمى يرشد اعمى في ظلام دامس ولو ان رسل الظلام من وقت لآخر ترفع اصواتها في غضب او انزعاج او ازدراء فالجميع يشعر بسعادة في كل ما يجرى حوله . ان شهوة الناس لامتلاك الفيلات والسيارات ووسائل التسلية الخ تجعل هؤلاء الذين يفكرون في اللجوء الى الشعب كي يتدخل في انقاذ الوضع يفكرون مرتين قبل ان يشغلوا انفسهم في مثل هذه المحاولة . ان الانتعاش ما زال في معظم المدن العربية وما لم تكن الحكومة قوية جدا لتتدخل متعمدة لتبطيء او تحد من سير الرواج الى ان تعاد دراسة وتعريف الوضع بدقة ، فان الانسان يميل الى استنتاج عدم جدية الاصلاح المنتظر ما لم تبطيء او تحد حركة الانتعاش عوامل خارجية . ان العوامل المؤثرة قوية جدا والقوانين الفعالة معقدة جدا والرغبة والمهارة لعمل الاصلاح موجودة فقط كرسوم كروكي تقريبي .

يظهر ان ما فعلته الجمهورية العربية المتحدة في الشؤون البلدية هو الطريق الوحيد الذى يمكن اتباعه . ان جعل جميع الانظمة التي تعالج مستقبل شكل وقدر المدينة تحت مسئولية وزارة الشؤون البلدية والقروية لهي خطوة لا يمكن لاي بلد عربي ان يتجنب اتخاذها . ان مثل هذه الوزارة يجب ان يكون لها سلطات قوية . يجب ان تحصل على احسن الكفاءات الموجودة في تخطيط المدن والاقاليم وكل الانظمة الاخرى المتفرعة والمكملة لتنظيم المدن . يجب ان يخصص لها ميزانية كافية . ويجب ان تخضع العمليات البلدية لتوجيهات الوزارة في المسائل التنظيمية العليا . يجب ان يقوموا بتنفيذها حسب ما يصدر اليهم من اوامر متسلسلة ولا يكونوا كملوك او اباطرة صغار على ممتلكات لا يمكنهم (بسبب الوضع الماضي العتيق والحالة السريعة المتغيرة) ان يشكوا او ينفذوا السياسة او النظام البلدى السليم بصرف النظر عن السياسة القومية التي تقود حقيقة رخاء الجماعة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفني .

اما اذا تركت المدن العربية الكبرى الى اصحاب الاحتكارات والاستغلالات فانها ستتحول الى احياء مزدحمة حقيرة من الخرسانة والزجاج والاصباغ كما تسير بعض اجزائها الحديثة بخطى سريعة نحو هذا الاتجاه .

لا ينقص فقط العلم والموظفين المدربين جيدا كي يساعدوا على عمل التنظيم وعمل السياسة التي يتمشى بمقتضاها المجلس البلدى ولكنه يوجد نقص ايضا في رسم السياسة التعميرية والتطويرية في معظم الدوائر الحكومية الاخرى . مثال ذلك بدلا من تشجيع الاستثمار في الصناعة

ليساعد على نمو اقتصاديات المدن فان الصناعة المتغلبة في معظم العالم العربي هي الصناعة غير المنتجة اى صناعة تأجير المباني التي تؤدي حتما الى الافلاس القومي . اليوم كل عربي يفكر في لا شيء غير شراء ارض لاستغلالها أو بناء عمارة لتدر عليه عوائد خيالية من توظيف ماله . ان هذا الضعف قد ينسب الى نقص في الخبرة وفي تخطيط الاقتصاد القومي او لعمل سياسة بذلك .

بالاضافة الى هذا التركيز في البناء كتسلية وطنية فانه يوجد نقص في التعاون والتنسيق بين دوائر الحكومة المختلفة والولايات والسلطات التي تعمل في التخطيط . ان موضوع تقرير النظام او تثبيت النظام هو غالبا ما يكون صعبا لتتبع خطواته لان السلطة عادة واسعة وليست محدودة جيدا . مثال ذلك في وقت ما وفي بلد عربي صغير لم يكن موجودا قلة من جهات التخطيط تعمل . فكانت المجالس البلدية تعمل بطرقها الخاصة وبمواردها المحدودة . وكانت هناك مجالس بلدية وسلطات لتخطيط المدن ومصلحة من ضمن وزارة الاشغال العمومية تعمل في نطاق المراقبة ولكن هذه السلطات كانت دائما غير صريحة في علاقاتها مع المجالس البلدية (من الغريب انه لم يكن لها سلطة على عاصمة ذلك البلد) وكانت ايضا سلطة الانشاء والتعمير التي انشئت على عجل ووجدت نفسها سريعا مشغولة في وضع تخطيط حوالي ٥٠ قرية ثم ماتت موتة سريعة . وفي نفس الوقت كان خبراء النقطة الرابعة ومجلس المساعدة الفنية التابع لهيئة الامم المتحدة يعملون عبثا . وفي آن واحد ابقت الحكومة سنة كاملة شركة اجنبية لدراسة احتياجات الاسكان في ذلك البلد . وبينما كان المجتمع منهمكا في العمل كانت وزارة التصميم تحضر كل انواع التقارير والمشاريع والمقترحات حتى بدون علم بقبية المصالح الاخرى . بعد ان ابقت الحكومة مستشارا فرنسيا ليضع المخططات الرئيسية لمدينتين كبيرتين بينما ، كانت ادارة مشروع مهم تعمل بدون الاستفادة من اى نصيحة في التخطيط وكانت مصلحة الطرق في وزارة الاشغال العامة ، مع خبراء النقطة الرابعة واخرين ، تعمل مشاريع لطرق سريعة بدون الاستفادة من اى استشارة هندسية علمية وماذا كانت تعمله وزارات الشؤون الاجتماعية ووزارة الزراعة في مجالات المراكز الاجتماعية والجماعات الزراعية ... الخ لم يكن احد مطلع عليها . ويجب ان يضاف الى هذه الارجوحة «اللاتنسيقية» عامل عدم استقرار وتغيرات رؤساء الدوائر والموظفين الفنيين الخ ... الشيء الذي يجعل حتى تطبيق العلم عملا شاقا ومستحيلا .

كل هذا حدث في الاوقات السياسية المزعزعة والغير مستقرة وهي الشروط الجوهرية للعمل الصحيح لاي حكومة مهما كان مستواها ، ان ما حدث في العالم العربي لم يكن فقط فوضى كبيرة في الوضع الحضري والاقليمي ولكن خسارات كبرى في المادة والوقت والمال والدراسات ومقدار كبير لتأخير وتكرير المشروعات الحيوية .

يعتبر العالم العربي في مجموعه (في اكثر من قطاع واحد) دراسة في التناقضات . فمنطقة جغرافية اقتصادية طبيعية على طول التاريخ والمشاكل الاجتماعية المتشابهة كان يجب ان توحد فنيا . ومع ذلك فقد قسمت لدرجة لا يمكن معها عمل تخطيط . اقليمي علمي . وهذا التناقض الطبيعي بكل جذوره المعقدة العويصة تشرح ايضا بعض الحوادث العريضة في التخطيط الحضري العربي وبعض الشذوذ الذي بسببه تقاسي العواصم العربية الكبرى مصاعب كثيرة .

ولو انه يوجد في العالم العربي مشاريع ومبان ذات مظهر وتصميم جيد ، فان الامثلة التي ينقصها التعاون والتنسيق يمكن كشفها بسهولة . ان الموانئ الجديدة لمدن اللاذقية والكويت والدمام - والمطارات الجديدة في القاهرة وبيروت ودمشق - وشبكة الطرق الجبلية في لبنان والطرق الممتازة في الكويت ومجال الانظمة الاقليمية في الجمهورية العربية المتحدة كلها تشير الى وجود جراءة وحيوية في العالم العربي . وكل ما ينقصه هو طريقة عمل سياسة صحيحة ذات تخطيط علمي واسع المدى وعمل منهج للتمويل الحديث ورفع مستوى الهندسة ووضع برامج اولويات لتنفيذ المشاريع حسب خطة مدروسة ومنسقة على مدى طويل .



١٦ - ضرورة عملية الاحصاء في التنظيم المعاصر

الاحصاء علم متشعب الاختصاصات يستعمل كأساس واداة للدراسات الفنية والعملية المختلفة . وحقل تنظيم المدن الشامل بمعناه المعاصر ، يتطلب عملية الاحصاء الفني كأساس ضروري للحصول على جميع المعلومات اللازمة والتي تتعلق بالسكان وحجم مرور السيارات وانواع المباني وانواع ومساحات الاراضي المستعملة للاغراض المختلفة الخ وعلم الاحصاء اليوم علم واسع متشعب ، فيه اختصاصات ودراسات واسعة وعميقة ، حتى اصبح اليوم علم يدرس في الجامعات واصبح يجري التخصص فيه على مدى خمس سنوات او حتى اكثر . فالبلاد افريقية المتطورة تستعمل عملية الاحصاء - وذلك بواسطة المسح الفني في مختلف الحقول - للحصول على المعلومات الاساسية الدقيقة واللازمة للدرس والتحليل كخطوة اولى قبل البدء بوضع السياسة العامة والتصاميم النهائية .

وتعتمد عملية الاحصاء في هذه الايام على دراسات واسس واساليب ونظريات وعمليات علمية وعملية . وتتطلب هذه العملية ، في اكثر الاحيان ، ادوات وآلات حسابية الكترونية تحتاج المطيل من التدريب عليها . ومما يذكر ان الالة المعروفة « بالعقل الكهربائي » هي من اهم الآلات التي تستعمل في عمليات الاحصاء والتحليل المعقدة .

والعرب الآن في طور حيوي بالنسبة للنمو والعمران . وليكون هذا النمو سليما ومركزا على احدث الاسس والنظريات المعاصرة ، توجب علينا ان ندخل عصر الاحصاء العلمي الالي ، لنوفر لاجهزتنا الادارية والعلمية والتخطيطية المعلومات الصحيحة اللازمة لتنير طرق وضع السياسات المختلفة في حقول التخطيط القومي المتشعبة .

وحقل تنظيم المدن الشامل - وخاصة حقل تنظيم المدن والاقاليم - لا يمكن ان يقوم على الاسس الصحيحة والسليمة الشاملة بدون استعمال وتطبيق الطرق الحديثة للمسح وجمع المعلومات وتطبيق جميع اسس وقواعد الاحصاء . فالمدينة مسرح بشري وآلي كبير ومعقد ومتقلب ، واوضاع المدينة وسكانها في حالة تطور مستمر ، لا يتمكن الانسان ان يحصرها ويعرفها بعمليات سطحية يمكن الاستفادة منها عمليا وعلميا . فايام التنظيم المدني التي لم تدخلها العوامل الاجتماعية والاقتصادية والمساحية والاحصائية كمؤثرات ايجابية في الدراسات التحليلية والتصميمية ، يجب ان تكون ايام ماضية ويجب علينا ان ندخل عصر الدراسات العلمية الوافية لبنني عليها مجتمعنا الحضاري في المستقبل . ووسيلة الحصول على المعلومات اللازمة هي عملية المسح الاحصائي العلمي

في جميع الحقول المترابطة . وفيما يلي جدول مختصر يبين بعض الدراسات الاحصائية اللازمة والتي يجب ان يحصل عليها وبرزها بواسطة الخرائط والبيانات والجداول والخطوط البيانية .

نموذج للمعلومات المتطلبة لدراسة مشاريع تنظيم المدن والتي تتطلب اجراء عمليات مسح احصائية

(أ) مسح حركة المرور :

- ١ - العدد الحالي لسيارات النقل والركاب .
- ٢ - عدد سيارات النقل والركاب المستوردة سنويا .
- ٣ - عدد اجازات القيادة التي اصدرت خلال الخمس سنوات الماضية على الاقل .
- ٤ - تعداد لحركة المرور من قبل خبراء في المرور .
- ٥ - كمية البضائع المستوردة سنويا بواسطة البحر والجو والبر .
- ٦ - عمل تعداد لموظفي الحكومة وبيان محل عملهم وسكنهم .

(ب) السكان :

- ١ - عدد العائلات في مختلف اجزاء المدينة في الوقت الحاضر .
- ٢ - الزيادة في عدد العائلات خلال العام الماضي نتيجة :
 - ١ - للزواج .
 - ٢ - للهجرة الى المدينة او منها .
 - ٣ - للموت .
- ٣ - تركيب السكان .
- ٤ - التركيب الجنسي .
- ٥ - الجنسية .
- ٦ - نوع العمل .
- ٧ - عنوان السكن .
- ٨ - عنوان العمل .
- ٩ - الدخل .
- ١٠ - التعليم .

- ١١ - تصنيف العائلات حسب عدد الاطفال .
- ١٢ - السواح والزوار الذين يمرون في البلاد سنويا .

(ج) المسح الطبي :

- ١ - نسبة المواليد خلال الاعوام الماضية .
- ٢ - نسبة الوفيات خلال الاعوام الماضية .
- ٣ - اسباب الموت خلال الاعوام الماضية . (حوادث ، امراض وباء ، الخ ...)
- ٤ - وفيات الاطفال .
- ٥ - عدد حالات انواع المرض خلال الاعوام الماضية .
- ٦ - عدد الاسرة في كل مستشفى .
- ٧ - عدد الاطباء والاختصاصيين .
- ٨ - عدد ايام المرض خلال الاعوام الماضية .
- ٩ - عدد المستوصفات حاليا .
- ١٠ - عدد المرضى الذين ترددوا على هذه المستوصفات خلال السنة الماضية .
- ١١ - عدد الاسرة في المستشفيات المقترحة .
- ١٢ - عدد الاسرة في المستشفيات التي ستهدم او يستغنى عنها .

(د) الحرائق :

- ١ - عدد الحرائق في مختلف المناطق خلال العام الماضي مقسمة حسب البيوت السكنية والمباني والمناطق الاخرى مع بيان اسباب الحرائق .

(هـ) المسح الاسكاني :

- ١ - عدد البيوت القائمة في مختلف المناطق مقسمة حسب الاجارات .
- ٢ - عدد البيوت الخالية في مختلف المناطق .
- ٣ - نسبة البيوت المستأجرة في هذه المناطق .
- ٤ - عدد القسائم الجاهزة للبناء عليها في هذه المناطق .
- ٥ - عدد البيوت المأهولة بعائلة واحدة في مركز المدينة التي ستزال .

- ٦ - عدد البيوت قيد الانشاء .
- ٧ - تعداد البيوت حسب فئات مختلفة مثل جيد جيدا ، جيد ، متوسط ، غير صالح للسكن ، مضر بالحالة الصحية والاخلاقية الخ ...
- ٨ - بيان استعمال مختلف اراضي المدينة .

(و) التعليم (الاولاد والبنات كل على حدة) :

- ١ - عدد المدرسين الحالي لكل مدرسة .
 - ٢ - عدد التلاميذ الحالي لكل مدرسة .
 - ٣ - عدد امكنة المدرسين الشاغرة لكل مدرسة .
 - ٤ - عدد امكنة التلاميذ الشاغرة لكل مدرسة .
- مخطط يبين جميع مواقع رياض الاطفال والمدارس الابتدائية ، والمدارس المتوسطة ، والمدارس الثانوية ، ومدارس المعلمين ، والكليات الصناعية والجامعات والمعاهد الخاصة الخ ...

(ز) متفرقات :

- ١ - مخطط يبين جميع الملاعب الرياضية .
- ٢ - مخطط يبين :
 - (أ) المساجد والبنيات الدينية الاخرى .
 - (ب) المقابر .
 - (ج) املاك الاوقاف .
 - (د) المدارس .
 - (هـ) المكاتب .
 - (و) الابنية الحكومية العامة والشبه عامة .
 - (ز) الحدائق العامة .
 - (ح) مراكز الصناعة والتجارة .
- ٣ - مخطط يبين برنامج تنفيذ الطرق .
- ٤ - قائمة بالمشاريع :
 - ١ - قيد التنفيذ .
 - ٢ - الموافق عليها ولكنها لم تطرح للمناقصة .
 - ٣ - الغير موافق عليها ولكنها مقترحة او قيد الدرس .

(ح) العدد الكلي للدكاكين والعدد الشاغر منها في كل من مراكز المدينة .

(ط) المسح الجوي :

يبين احوال المدينة الراهنة والذي يمكن استخلاص معلومات احصائية مهمة منه .

كل هذا ضروري اذا اردنا ان نصل الى نتائج مفيدة وحلول سليمة وبيئات سكن جميلة ومريحة واقتصادية . كل هذا ضروري لمستقبل المدن والبلاد العربية . فالتجارب الماضية تدل بوضوح ان عدم الاعتماد على الاحصائيات العلمية يقودنا على ارتكاب اخطاء جسيمة تكاد تنزف اقتصادنا الوطني . ان عصرنا هذا هو عصر العلم . والاساس الذي يجب ان نبني عليه علميا هو ذلك الاساس الذي يعتمد على عمليات المسح الاحصائي في جميع النواحي التي يتألف المجتمع - بمعناه الشامل - منها .



١٧ - افكار ختامية للتأمل : لا مضر لنا من العلم والحكمة

ان ما هو مطلوب اليوم بالذات ليس مجرد معرفة او مهارة فنية ، انما هو العلم والحكمة دون سواها . ولا ينطبق هذا القول على العالم العربي فحسب ، بل على الدنيا بأسرها . ان العلم لحكمة ضرورية في تسيير شئون الامة مثلما هي ضرورية في تنظيم أي مدينة . ولقد كانت هناك حالات رغم تغلب المهارات الفنية فيها كان ينقصها قرارات حكيمة وكانت هناك ايضا حالات اخرى رغم نقص المهارة الفنية والخبرة الواعية فيها انتجت اعمالا باهرة بعد ان اتخذ بصدها قرارات حكيمة وعلمية .

ولقد يسهل علينا ايجاد هيئة او لجنة تقوم بتخطيط المدينة العربية وتزكية القائمين بها ، بل والعثور على المهارات الضرورية . ومن الممكن ايضا الحصول على الاموال اللازمة للتحسينات . ولكن ما ليس سهلا ولا ممكنا ايضا هو اكتشاف الحكمة لتذليل العوائق وبلوغ الكمال كي تخلق الضروريات وتتحصل على نتائج عظمى باقل الاضرار والأحوال .

وتعتبر الحكمة اجمالا اندر اداة فعالة على المسرح العربي الحضري والقومي معا . وهما يعتبران عروتان متلازمتان لا تنفصمان . فاذا قلنا ان تنظيم المدن المبني على الحقائق العلمية والاحصاءات البيانية هو ضرورة لازمة للعالم العربي ، فاننا نذكر القول اللازم الضروري . واذا قلنا ان ٩٠ ٪ من مخططات تنظيم أي مدينة او بلدة او قرية في العالم العربي غير مستوفاة وغير كاملة فاننا نذكر الحق . واذا قلنا ان معظم مجالس بلديات المدن العربية تسير على غير هدى وان موظفيها الفنيين ذوي المعيات غير منتجة فاننا نذكر بان الانسان نفسه مريض عندما يتجنب معرفة مرضه . واذا قلنا ايضا بوجوب تدريب القادة مهنيا واداريا وعلميا وان الرجال المدربين ليسوا بالضرورة قادة او اداريون فاننا نذكر القول الصحيح . واذا قلنا ان الحكمة النبيلة واتخاذ القرارات الصحيحة هما ضرورتان في تسيير دفة شئون الانسان فاننا نذكر ما ينادى به النقاد . واذا قلنا ان اخطاء مؤسفة ارتكبت ، ولا تزال ترتكب ، في تشييد صرح المدينة العربية فاننا نذكر جهلنا بالقوى المحركة والتعقيدات المحزنة في العالم العربي وعدم استخدام العلم والحكمة والهندسة السليمة في كثير من الاحياء ، الشيء الذي يتوجب علينا ان تغلب عليه .

اذن ماذا يمكن ان يقال حتى لا يكون قولا معادا او مطولا او سخيلا ؟ ما هي العلاجات ؟ ما هي الحلول ؟ ما هي طرق الوصول ؟ ما هو الدواء لامراض التطوير العمرانية في البلاد العربية ؟

ان الاجابة على كل ذلك هو عدم وجود رد شافي واضح . لان ما ينطبق على جمهورية عربية قد لا ينطبق على مملكة عربية . وما ينطبق على اصحابى قد لا ينطبق على الجبال وما ينطبق على اليوم لربما لم ينطبق على الامس ولا هو بالضرورة يجب ان ينطبق على الغد . ولهذا كله ، وبدلا من الوقوع فى ورطة من الحلول وتجنبنا من الاسترسال فى وصف الادوية والعلاجات ، علينا ان نسأل هذا السؤال :

ما هو الهدف من التخطيط ؟

وما هو المطلوب من الحكومات ؟

فاذا كان التخطيط آلة توجه العمل بحكمة وترفع الخير العام . واذا كان المطلوب من الحكومة ينطبق مع هذا الهدف . فان الحكومات وقتئذ تعتبر ملزمة امام شعبها باجراء التخطيط المبني على العلم والحكمة والفلسفة .

واذا ما سلمنا بهذا ووضعت الاهداف الصحيحة جنبا الى جنب مع نهضة قومية تنادي بالتخطيط فلا بد من التخطيط ان يتم على الاسس العلمية الحكيمة والسليمة .

لقد لمسنا مدنا عربية خططت على مستوى عال حتى اصبحت مدنا مثالية وشاهدنا مدنا لم تخطط بالمرّة فاصبحت مدنا مكتظة بالسكان موبوءة بالامراض الحضارية . وراينا مدنا لا تخطط فيها يذكر امتازت بتأثيراتها المعمارية والعمرانية والطبيعية ، بينما انعدام مثل هذه المظاهر الجميلة تعتبر كارثة فى كثير من المدن المخططة . وعرفنا مدنا حظيت بثروة من المواد الطبيعية وبثروة من الرجال الاكفاء ، ومع ذلك فقد هدرت قواها وانهارت مقوماتها . بينما هناك مدن ذات ثروة محدودة من المواد والرجال نمت وترعرعت وازدهرت وارتقت بسلوكها الطريق العلمي الحكيم .

ليس هناك اجابات ممكن لفرد واحد تقديمها حتى تتمشى مع الوضع العربي العام بالرجوع الى المقياس البشري وباللجوء الى القيم الانسانية للوصول الى حياة اصيلة كريمة . ان الامر يحتاج الى علم وحكمة وفلسفة اكثر من الثروات فقط . . . ويحتاج الى معلمين اكثر من خبراء وفنيين . . . ويحتاج الى تعليم عال نوعا وفنا اكثر منه عددا وكمية . . . ويحتاج الى وداعة وتواضع من القادة اكثر من انشاء المطارات والموانئ والطرق والجسور . . . ويحتاج الى تبسيط الروتين للمواطن الكريم مع حكوماته اكثر من انشاء الاشياء الغير مفيدة . . . واخيرا يحتاج الى حب انساني ليتغلب على جشع الانسانية .

واذا كان لا بد من محو التشويه وتنظيف شوائبه التي حلت بالمنظر العمراني والوضع العربي ، فيجب ان تطهرها الجيوش بالقوة او تعوضها الحكومات بمبالغ باهظة لنزع ملكيتها ، الامر الذي يستحيل على جميع المدن العربية اللجوء اليه . الا ان هذا التشويه الحضاري يمكن بسهولة

ازالته اذا ما تطورت وتجددت الآراء واذا ما ردت للجماعات حقوقها الوراثية الاولى واذا ما توقفت المضاربات التجارية الحضارية المتناهية كي تنهيا وتتركز عوامل وفرص النجاح .

والى ان نرى مدينة مثل بيروت قد خصصت حدائق لوحداثها السكنية للعب الاطفال وتنزه الكبار فسوف نصبح متفائلين ونقترح اقتراحات اكبر .

والى ان نرى مدينة مثل عمان قد انخفضت اثمان الاراضي الشاسعة والمحيطة بها فسوف نصبح متفائلين ونعمل على مقترحات اكبر .

والى ان نرى بعض مدننا الكبيرة قد عينت مهندس تخطيط مدن متمرن لبلدياتها ، عندئذ نصبح متفائلين وتتجدد رغبتنا القصوى على عمل مخططات اكبر .

يجب ان يتحلى مهندس تخطيط المدن والاقاليم فى ارجاء العالم العربي بالصبر والحكمة والاناة . ويجب ان يستعد لتعريض صداقته بمن حوله للضياع ، خصوصا اذا كانت صداقته تجمع مهندسين ومعماريين ومقاولين ومؤلفين كبارا . ويجب ان يجتمع فى القاعات وفى الاروقة ويناقش الجماعات ويحضر الاجتماعات ويشرح الآراء ويكتب المقالات . ويجب ان يطوف دوائر الانتخابات مع اعضاء البرلمان ويمضي وقتا مع العمدة والمحافظين . ويجب ان ينظم التقسيمات ويرتب القوائم الفرعية حتى تحظى بالنجاح اللازم .

يجب ان يعرف بانه غير معضد من فلاسفة المشرعين وفطاحل المستغلين وجهابذة المحتكرين . ويجب ان يعرف ان كثيرا من كبار السياسة سوف يمشون فى ركابه حتى يحصلوا على مطاعمهم وسوف ينفضون من حوله بعد الوصول الى اغراضهم .

انه يجب ان يتولى رعاية جميع المهندسين والمعماريين والمساحين والرسميين والمخلصين الذين يتولى ادارتهم ... انه يجب ان يهتم بدوى المهبة منهم حتى يعاونوهم عندما يطالبه السياسة بالحاح بتجهيز المخططات وتحضير الرسومات ... انه يجب ان يلحق ويدرس كل شيء من الرسم الى فن التصميم ومظاهر التخطيط ومعالم التنظيم .

وقد يكون كل ما تقدم من الاسباب سببا فى وجود النزر اليسير من مخططي المدن يعدون على اصابع اليد الواحدة فى العالم العربي . ولكي يصبح الانسان مخطط مدن بمفهوم معنى الكلمة لهو صعب المنال .

اذا ظهر الانسان بانه كان صلبا فى رايه وشديدا فى انتقاداته لحركة التخطيط العام فى العالم العربي اليوم ، فلربما كان ذلك لجه العميق له ولدفع الضرر الكبير من تشويه بقاعه الجميلة . فاختاء تنظيم مدنه العديدة التي انت بها بعض العقول او سببتها الاطماع الشرهة لبعض المستغلين ... اصحاب القول المشهور « ومن بعدي الطوفان » يجب ان

توقف . ان الانسان تتولاه الدهشة وتملكه الحسرة حينما يرى ملايين الدنانير والجنيهات والليرات والروبيات والريالات تصرف في كثير من الاحوال بدون حساب وتبعثر هنا وهناك كي تنتج ابخس وادنى الاعمال واتفه مناظر الجمال . ان الانسان يتألم وينفجع حينما يرى الجيل الصاعد من الشبان الذين بدأوا حياتهم مثاليين يفقدون آمالهم : يائسين وتاركين حبل الامور على الغارب غير عابئين .

ان الانسان يقلق ويحزن حينما يرى الجيل المعاصر من العرب الذين تعودوا على الفوضى في الفن المعماري وعلى الجشع في استغلالهم التجاري بينما ترعرع آباؤهم واجدادهم في أحضان الطبيعة فحشوقها وقسروا خصائص المباني وجمالها فاتقنوها رغم ما كانوا عليه من تواضع وبساطة تضرب بها الأمثال .

ان الانسان يشفق على عقولهم ... وكما قال مامفورد « ان العقل يصنع المدينة والمدينة تصنع العقل » . وانه ليرجى لعقول الجيل الصاعد الذي سيحمل على اكتافه مسئوليات ادارة دفة الدولة والمدينة العربية ان لا تنزلق في تيار رواج وانتعاش الاشغال الجارف .

تعتبر كبرى المدن العربية المزدهمة والمكتظة بالسكان قرى نامية اذا ما قارناها بعواصم العالم الكبرى مثل طوكيو ونيويورك ولندن وموسكو وشنغهاي وبومباي . ان عدد سكان الاردن ولبنان اقل بكثير من نصف عدد سكان لندن وحدها . فاذا لم تعالج المشاكل ، وهي لا تزال نسبيا بسيطة في المدينة العربية في مرحلة تطورها المعاصر ، فاننا نتفاعل اكثر من اللازم اذا توقعنا التغلب عليها بسهولة واذا ما استخدمنا كثيرا من الطرق الحالية البالية في معالجتها .

يجب على العرب ان يتخذوا قرارا جذريا فيما اذا سمحوا للمدن الكبرى ان تنمو وتتسع كي تصبح مدنا عظمى بكل ما يكتنفها من مشكلات ومعضلات ، او يتبعوا سياسة اللامركزية وخلق بلدان صغيرة تابعة حول المدينة الام كي تستوعب الصناعات .

يواجه مهندس تخطيط المدن العربي مشاكل شاسعة جدا تتراوح من ايجاد طرق للنمو تتناسب مع التخطيط الاقليمي الى خلق المناظر الطبيعية التي تحيط بالمدينة الى وقف زيادة كثافة المدينة الى اكتظاظ حركة المرور وهلم جرا .

يوجد اليوم في العالم العربي نشاط حيوي عظيم فقد تيقظت له الجماهير وظهرت حركات العلم والحكمة على جميع الجهات وازدادت دفعا وتغلغل في جميع البلاد العربية . سوف تتولد وتتركز مطالب الشعب في المطالبة باسكان اكثر ومدارس اكثر ومستشفيات اكثر وكذلك سوف تنشأ وتنمو صناعات جديدة ومليون وواحد من الاشياء والظروف المصاحبة لتغيرات الاوضاع الاجتماعية والملازمة في انتقالات المظاهر الاقتصادية .

هل ستعم الفكرة السائدة والرائدة العالم العربي بقرار جماعي موقع على نفمة الاصوات الناعمة كمقدمة لتطورات جارفة وايداننا لتغيرات عارمة؟.

واذا قارنا ما هدف اليه المجلس البلدي في غضون الثلاثة سنين الماضية بالقرارات العلمية والحكيمة ، نجد ان سلطات الكويت البلدية لم تراع هذه القرارات الاهمية فحسب ، بل انها وضعت اكثرها قيد التنفيذ . ونأمل ، والكويت على عتبة انتخاب مجلس بلدي جديد وتكوين جهاز فني لمجلس التخطيط الجديد ، ان تكون العلاقة بينهما علاقة علمية تنسيقية فنية ، اذ ان مستقبل هذا البلد النامي المتطور ، كي يكون سليما من النواحي العمرانية والتنظيمية والاقتصادية، يجب ان يركز على التعاون والتنسيق والعلم والقرارات الحكيمة الانفة الذكر .



الجزء الثالث

التنظيم والكويت

١٨ - الكويت :

ماضيه وحاضره ومستقبله

تنفرد مدينة الكويت ، القديمة منها والحديثة على السواء ، بصفات خاصة تميزها عن مدن العالم ، من نواح متعددة . وربما كانت المنطقة التي تشملها الكويت اليوم - قديمها وحديثها - احدى المناطق غير العادية في تاريخ الانسانية كلها .

ان الحالة في الكويت فريدة من نوعها الى درجة ان كل سلعة تقريبا من السلع التي يستهلكها الناس ويستعملونها - ما عدا البترول - هي سلعة مستوردة اما عن طريق البر أو البحر أو الجو . على ان مستوى المعيشة ، اذا قيس بتعدد الخدمات وثمنها ، يضاهي أعلى المستويات في العالم .

ان الطريقة التي تقوم بها الكويت ، بشكل طبيعي ، على الجانب الغربي من الخليج العربي ، عند حافة ما يعرف بخليج الكويت ، تشكل وضعاً فريداً من نوعه ، فالمرء لا يستطيع مطلقاً ان يتأكد من اتجاهه عند وصوله الى الكويت ، اذ غالباً ما يخطئ بين الشرق والغرب ، وبين الجنوب والشمال . وان منظر الشمس ، وهي تعكس امامها مشهداً واسعاً للبحر ، قبل ان تنحني انحناءاتها الطبيعية لتغيب في الغرب ، ليذهل المرء حقاً ، علاوة على ذهوله لمجرد مشهد شروقها وغروبها ، وحدهما .

ويجد المرء ، بكل تأكيد ، ان العربي هنا ليس عادياً ، بل عربي انمي في نفسه طباعاً ممزوجة بتعدد الاتجاهات والنشاطات . فقد حارب الكويتي الصحراء من جهة ، وحارب البحر من الجهة الاخرى ، كما غاص الى أعماق البحار في اتجاه آخر أيضاً . فهو رحالة صحراء ، وجواله بحار ، وتاجر في آن معاً . ولما كان على الكويتي ان يحارب قساوة الصحراء والبحر معاً ، بالإضافة الى ضراوة الطقس ، فقد استن لنفسه نظاماً ، نوعاً من « روح الجماعة » ، وأمانة في التعامل يصعب العثور عليهما في أماكن أخرى

لقد بنى الكويتي لنفسه مدينة الكويت غير العادية ، في الجزء الداخلي من شبه الجزيرة التي تكون خليج الكويت ، كيما يتمكن من مقارعة الصحراء والبحر معاً . ففي هذا المكان ، تخف قليلاً حرارة الرياح أثناء مرورها فوق خليج الكويت ، قبل ان تصطدم بالأرض الام . وفي هذه النقطة أيضاً ، يهدأ البحر عادة لايواء السفن التي بناها الكويتي ليمخر بها عباب البحار ، والتي ما زال يبنها حتى يومنا هذا .

أما الكويت القديمة ، فانها - كمدينة - تنفرد في شيء آخر أيضاً ، اذ ربما كانت هي أصدق المدن العربية طباعاً مع شقيقتها « الهفوف »

المنحدرة بمحاذاة الساحل ، وهي تمثل بذلك ، دونما اي مفالطة ، الحكمة القائلة : « الحاجة أم الاختراع » . فقد بنى حولها سور منحني ليحميها من هجمات الأعداء والعواصف الرملية اللافحة . وقد بنيت الكويت في موقع ملائم على البحر ، فهي تواجه إيران والعراق من جهة ، وقد أنشأت اتصالات تجارية مع الهند والشرق الأقصى ، من الجهة الأخرى . ولم يبدأ الكويتي العربي ، الا منذ مدة قريبة ، في لقاء أخيه العربي القادم من الغرب .

ولما كانت الحياة قاسية على ابن الكويت ، فقد ابتدع صناعات وفنوناً ، ووسائل وأساليب ، تمكنه من البقاء على بقعة هي ، من الناحية الطبيعية ، من اقصى البقع على وجه البسيطة . وقد نجم عن ذلك ان المدينة لم تنشأ وتبن وتحم بطريقة استراتيجية فحسب ، بل ان تقسيمها الداخلي أيضا قد انشئ بطريقة تجعلها تلبي حاجات الحياة اليومية . فقد بنيت بشكل محكم متراص ، ففيها الفجوات والفتحات اللازمة ليدخل منها الهواء النقي ، وفيه الظل ، ويتيسر المرور . فهي بذلك آية فنية في نوع التخطيط العضوي الاساسي الذي تطور ليلبي الحاجات الاساسية . هذا النوع من بناء المدن القديم يبرهن أن العلم والحاجة استعملوا في إيجاد نمط تخطيطي يناسب الأوضاع الراهنة .

أما البيوت التي أقامها الكويتي ، فقد تطورت هي أيضا تطورا عضويا ناشئا عن مقتضيات وضع قاس ، اذ بنيت الدور لتلبي المتعارفات الاجتماعية ، وأحوال الطقس ومدى توافر مواد البناء . ولم تكن هنالك أى رغبة في المظاهر في طريقة تصميمها . فقد بنيت قريبا بعضها من البعض الآخر ، بشكل بسيط ينم عن الوقار ، وبقيها العواصف الرملية والحر الشديد . ولما كانت تلك الدور تبنى عادة بشكل يتسع لاقامة باحة واسعة ، فقد أصبحت هي الوحدة التي تدور حولها حياة الأسرة الكويتية . ولا تزال البساطة التي بنيت بها الجدران ، وكثافتها ، واستعمال قسرم الخشب لبناء السقوف ، وحجم النوافذ وأمكنتها ، وتجميل الأبواب والنوافذ ، بطريقة تتجلى فيها البساطة والذوق المرهف ، كل ذلك ما زال يلفت انتباه العين الحساسة التي يزعمها رؤية البهرجة والتقليد المستصدر للهندسة الحديثة ، وما أكثر تفشيه اليوم في الكويت وفي كثير من المدن العربية غيرها .

ويشير منظمو المدن عادة الى المدينة التي تنمو نموا طبيعيا ومنطقيا بحيث تلائم سكانها بأنها مدينة عضوية ، وذلك بعكس المدينة التي تنمو بموجب خطة صارمة ومرسومة من قبل ، سواء أكان شكلها هندسيا أم غير هندسي ، بالنسبة لمقاييس التنظيم الحديث . ولذلك ، فإن مدينة الكويت القديمة تعد من الناحية العلمية الصرفة مدينة عضوية ، شأنها في ذلك شأن الكثير من شقيقاتها البلدان العربية مثل دمشق وحلب وتونس وبافا وطنجة . أما منظرها ، اذا ما شوهدت من الجو ، فمذهل حقا . فهناك الجمال في شكلها العام ، والمنطق والعلم في توزيع أجزائها

المبعثرة ، والطرافة في تخطيطها الهندسي . وهناك التنوع غير المتناهي للمشاهد القائمة داخل تلك الوحدة ، التي هي المدينة . فكل متسع ، وكل شارع ضيق ، وكل شكل ، قد نما عبر الزمن ليلبي حاجات معينة . وعندما كبرت المدينة وتشعبت ، أصبحت تعبر عن حضارة معينة : لقد أصبحت تعبيراً عن التجول في البحار ، والترحال في القفار ، والفوص على الآلاء ، وأصبحت تعبيراً عن المجتمع الذي يسيطر فيه الرجل ، يهتدى فيه بهدى دينه الحنيف - الاسلام .

فمن خلال الاسلام ، اكتسب فن الهندسة المعمارية المسجد ، وهو شكل تتجلى فيه قمة الجمال الهندسي . فالتصرف الفني بالقبة والمئذنة ، والساحة ، واتساع المكان ، واستعمال الخصائص العربية للتزويق الهندسي ، كل ذلك يمكن مشاهدته خلال مدينة الكويت القديمة كلها . وعندما يقترب المرء من المدينة من جهة الصحراء أو البحر ، يرى ان المئذنة تهيئ العنصر المعاكس الذي ساعد على تلطيف الشكل المسطح الأفقي للمنظر ، وذلك بتزويد معالم عامودية ، ترتفع فوق مستوى الطبقات الأولى والثانية التي تعم المدينة .

وعلى محاذاة الشاطئ المواجه لخليج الكويت ، قامت صناعة بناء السفن الصغيرة . ولا يزال بالاستطاعة مشاهدة العمال ، حتى يومنا هذا ، يدقون قواعد السفن الخشبية الجديدة . لقد مخر الكويتي عباب البحار بهذه السفن ، وأنشأ العلاقات التجارية والاجتماعية مع العراقي والبراني والهندي وغيرهم . وكلما تنقل المرء اليوم في أرجاء الكويت ، استطاع أن يشاهد مزيجاً حقيقياً من السكان ، حيث تضفي كل جماعة على البلد لونا جديداً ، وتساعد على اكسابها صفة جديدة في سرعة تبدلها وتعدد ملامحها .

ولقد اخذت البضائع تتدفق بكثرة على شبكة المتاجر المتداخلة المدهشة في المدينة ، من الميناء القديم الذي استبدل الآن بميناء حديث كبير . وعندما يسير المرء عبر أسواق المدينة ، يذهله جو تلك الأسواق ، وتنوع البضائع التي فيها ، وتعايش كلا القديم والجديد معا . وتتكون لدى المرء صورة عن الصناعات والتجار وسكان المدينة ، وكيف كانوا منذ مدة قريبة يناضلون من أجل البقاء ، وهم يعيشون ويعملون قرب بعضهم البعض . ولا يسع المار خلال تلك الأسواق الا أن يتأثر بتنظيمها العلمي وعلاقتها ، بعضها ببعض الآخر ، وبالكيفية التي يتعاون السكان فيها على حل مشكلة السوق حلا حديثاً . واليوم ، نجد منظمي المدن في أميركا وأوروبا يعالجون هذه المشكلة، اذ يوفرون حلولاً بأعادة تنظيم مناطق العمل المركزية ، على اساس فكرة ان السير الآلي يجب أن يستثنى من المناطق التي تكثر فيها السابلة .

لقد كانت الكويت القديمة ، حتى حقبة من الزمن مضت ، أو ما إليها ، مجرد بلدة عربية فطرية ، لقد كان لونها بنياً غامقاً ، وكانت مجمعة في منطقة استراتيجية ، يحوطها سور مخرز يمتد من البحر الى البحر .

ولا تزال بقايا ذلك السور تشاهد في نقاط أربع حول المدينة ، فتنجلي عنها مشاهد ممتعة تطل على الانشاءات القائمة حديثا داخل المدينة القديمة . ويستطيع المرء ان يشاهد ايضا بعض الأشجار النامية حول الأبواب القديمة للمدينة ، وكذلك على طول الأجزاء الوسطى من شوارع المدينة العريضة ، مما يقف شاهدا على الجهود الجبارة التي تنم عن الجلد والصبر ، تبذلها الحكومة لادخال الخضرة الى بقعة من الأرض هي من أشد بقاع العالم صعوبة .

ولقد صمد أهل الكويت لشدائد الطبيعة ، والحر ، والعواصف الرملية ، وندرة المياه والبحر الذي يكثر مده وجزره ، حتى لقد أخضع الملاحه الى رحمته . ولا يزال أهل الكويت يذكرون الأيام التي كان ماء الشرب يستورد فيها بكميات كبيرة من العراق ، ويذكرون الأيام التي لم يكن فيها تبريد الهواء معروفا بعد ، كي يلف من قيظ الصحراء الخانق . واليوم ، يشرب الكويتيون ماء البحر مقطرا ، ويعيشون ويعملون في أماكن مكيفة بالهواء . انهم يمتلكون ، ويقودون كل أنواع وأحجام السيارات التي يمكن تصورها . وفي المطار شركات طيران عديدة ، مرهقة بالعمل على نقل المسافرين والبضائع . وحول كل زاوية ، ترى البنايات الجديدة قائمة ، بينما الأشجار والحداثي يمكن مشاهدتها في جنبات مدارس المدينة ومستشفياتها ومكاتبها التي تضاهي أحسن المباني في بلدان أخرى . ويرى المرء عددا كبيرا من الدوائر الحكومية مشغولة بالتخطيط لتوسيع المرافق العامة والمدينة . كل شيء مشير ، كل شيء يعمره الشعور بالتوقع والامل ، وكل شيء يتطلب عملا شاقا .

ويمكن مشاهدة المهندسين والأطباء والمقاولين والتجار من كل ركن من أركان العمورة يعملون بانهمالك في الكويت . حقا انها لمدينة سريعة الازدهار ، متفجرة الطاقات ، وحديثة الازدهار اذ يقف خلف كل هذا النشاط - الزيت والطموح الكويتي ورأسمي اسس التخطيط الشامل الحكيم .

أما قصة الزيت في العالم العربي ، فانها لقصة معلومة ، وآثارها في بلاد الخليج العربي ، وبصورة غير مباشرة في بلدان مثل لبنان ، هي أيضا معروفة . فبينما كان الزيت يضح من حقول الزيت، كانت الواردات تنصب على الشرايين الاقتصادية لمعظم البلاد العربية ، محدثة بذلك ازدهارا اقتصاديا سريعا لا تعرف له حدود. ولم يقتصر الأمر على الكويت وحدها ، اذ شعرت مناطق أخرى أيضا بأثر واردات النفط ، مثل المملكة العربية السعودية وقطر والبحرين . غير أن الكويت تأثرت به أكثر من غيرها وبدأت قبل غيرها تكيف نفسها لتنسجم مع الوضع الجديد .

واستسلمت المدينة القديمة لضغط التوسع ، فهدمت الجدران ، وأقيم مكانها « حزام أخضر » سيزداد نموا على مدى السنين . وان ذلك ليذكر المرء بمئات المدن الأوروبية خلال العصور الوسطى ، عندما أخذت أسوارها تستسلم لضغط التصنيع .

ولقد استسلمت الصحراء المجاورة الى شبكة من الطرق الواسعة،
التي قسمت المناطق النائية في الخارج الى وحدات سكنية متجاورة . ويستطيع
المرء ان يرى اليوم ، بدلا من الازقة والمنعطقات القديمة المتعرجة الضيقة ،
طرق واسعة تتخللها الساحات الدائرية ، والشوارع ذات الاتجاهين
والدوائر النصف قطرية . . حتى المدينة القديمة نفسها ، اخذت بأسلوب
الشوارع الجديدة ، واتسعت شبكة الطرق فيها حتى جمعت القديم
والحديث ، وربطت بينهما . وانتشرت المستشفيات والمدارس ومباني
الحكومة والمناطق الصناعية والمساجد وغيرها بسرعة كبيرة داخل المدينة
القديمة وخلال اجزائها الجديدة . وبينما لم يزد عدد سكان الكويت على
الستين الفا قبل عشر سنوات ، أصبح فيها اليوم حوالي ٣٠٠.٠٠٠
نسمة ، وبينما لم يكن فيها قبل عشر سنوات سوى حفنة من السيارات ،
أصبح فيها اليوم من السيارات ما يزيد عن ٥٠.٠٠٠ سيارة . فان نسبة
امتلاك السيارات في الكويت نسبة مرتفعة جدا ، كما يعرف كل من يقود
سيارة عبر المدينة الشيء الذي يكون صعوبات جمة لمنظم المدن .

ولقد كانت الكويت ، بصورة عامة ، أحسن حالا من معظم البلدان
الآخري التي ازدهرت ازدهارا سريعا . فقد اعتمدت على العلم ، الى حد
بعيد ، في تنظيم شؤونها البلدية . وانفقت بسخاء على طرقاتها ومدارسها
ومستشفياتها وبيوتها . وانفقت بسخاء على اجتذاب المدرسين لتسلم زمام
امكاناتها وادارتها الآخذة في الاتساع . واتبعت سياسة نيرة ، لتسهيل
دخول أولئك الراغبين في المساهمة في بناء الكويت الجديدة . لقد انفقت
الكويت بسخاء على بناء المنافع الحكومية وانفقت بسخاء على المستشارين
والخبراء والمقاولين ، كما انفقت بسخاء في بعض البلاد العربية المجاورة ،
فدفعت بعجلة اقتصادها نحو الحركة . ولا يمكن لأحد ان ينكر ان حكومة
الكويت تصرفت في هذه الحقبة من الازدهار الذي لا حدود له ، كاعقل
ما يمكن توقعه في ظروف يتحكم فيها الضغط ، وتبدل المفاهيم ، ومشكلات
أخرى ، وفي محيط موبوء بضرارة الطبيعة .

واليوم ، اذ يتطلع المرء الى المدينة ، وخاصة من الجو ، فانه ليذهل
لمقدار التطور الذي حصل خلال العشرة الاعوام الماضية ومداه . ولكن
المرء ليذهل كذلك لمقدار العمل الذي لا يزال ينبغي القيام به ، كي
تصبح الكويت بالفعل مدينة ذات كفاية عملية ، تتحلى بميزات طيبة وترنو
الى أهداف طيبة أيضا . ان المرء ليدهش اذ يجد انه يجب إعادة بناء
قسم كبير من المدينة القديمة ، ليس على الطريقة المتقطعة التي جرى
بموجبها البناء حتى سنة ١٩٦٠ ، بل بموجب أحدث مفاهيم تنظيم المدن .
وانه ليذهل المرء ان يعرف بحجم المباني التي يجب ان تبني لاسكان
المقيمين الذين نقلوا من اماكنهم في البلدة القديمة . ولاسكان العائلات ذات
الدخل المحدود كما يذهله عدد المشروعات التي يجب القيام بها لمحو
البقاع الناشرة في المدينة ، وتلبية طلبات متزايدة لاعداد متزايدة من
السكان . ويذهل المرء الجهد الذي يجب ان يبذل لتوجيه نمو المدينة

والإشراف على ذلك النمو في الاتجاهات الصحيحة ، وتوجيه فن العمارة فيها توجيهها يلائم أحوال الطقس والتقاليد والتراث العربي ، وتأتي مع ذلك معبرة عن تقاليد فن العمارة العربية التي هجرت مدة طويلة تحت ضغط السرعة . ويذهل المرء الجهود التي يجب أن تبذل لتجميل المدينة وزراعتها على نطاق علمي واسع ، كما يتوافر بذلك الظل ومناظر أجمل تقع عليها عين الإنسان . ويذهله كذلك التحديات التي تواجهها السلطات المسؤولة في حل مشكلة المياه الحلوة ، الحيوية جدا لكلا الإنسان والنبات معا . يذهل المرء التحدي الذي يفرضه إنشاء مركز حكومي وبلدي للكويت . وان تحقيق ذلك كله يتطلب نظرة حديثة في شؤون إدارة المدينة . وانه ليغمز قلب المرء شعور قوى بالثقة والامل بأن السلطات المسؤولة في الكويت تدرك أهمية كتابة السفر الثاني بسرعة في تاريخ إنشاء الكويت ، وهو سفر لا يمكن كتابته الا بتضامن من الجهود لدى مختلف دوائر الحكومة ، وهي تتخذ من العلم والتخطيط والفكر الاقتصادي الحديث ، منارات تهديها سواء السبيل في سياسة الانماء والتعمير والتقدم .

لقد ازدهر خلال عصر النهضة في أوروبا ما يعرف باسم « الدولة المدينة » . وعادت التجارة بالواردات ، والواردات بالانماء ، وهكذا ازدهرت الفنون والعلوم والآداب . والكويت اليوم أشبه ما تكون « بالدولة المدينة » ، وقد انعم عليها بواردات تستطيع ان تجعل منها « مدينة النهضة » العربية الحديثة . وهناك فرصة فريدة للفن والهندسة والنحت وتخطيط المناظر الطبيعية للازدهار في هذه البقعة الفريدة من الأرض . وانه لينبغي على الإنسان أن يفكر تفكيراً جريئاً ، وأن يفكر تفكيراً كبيراً . يجب عليه أن يضع لنفسه أهدافاً ، ثم يعمل على حشد موارده لتحقيق تلك الأهداف . ويجب على الإنسان أيضاً أن ينسق جهوده وهو يعمل على تحقيق الأهداف المرسومة ، حرصاً منه على اجتناب الاخطأب والازدواج والضياع في العمل . والعلم هو الوسيلة الوحيدة والسليمة والاقتصادية للوصول الى جميع الأهداف المطلوبة .

وتدخل الكويت الآن أكثر مراحلها تحدياً . فالذي حققته حتى الآن مدهش حقاً . وأما ما لا تزال تستطيع تحقيقه ، فانه لا يحير اللب فحسب ، بل يثير الحس ويلهب الخيال . فلقد كانت الكويت حتى الآن أشبه ما تكون بالشباب الفتى الجسور ، فحققت تقدماً مذهلاً ، اذا قيس ذلك التقدم من ناحية الكمية وحدها ، وان هذا الشاب الفتى يدخل الآن الفترة التي ينتظر منه ان يؤدي فيها أشياء أعظم وأهم . انه يدخل الفترة التي تبدأ فيها قيم حضارية كالفلسفة والبحث والثقافة والفن والتعليم العالي والروحانيات تعنى له أكثر بكثير مما كانت تعنيه قبلاً ، فهو بحاجة الى تلك القيم . ان الإنسانية كلها بحاجة ماسة الى هذه الميادين الروحية والفلسفية والثقافية والعلمية .

وليست الكويت بحاجة الى ان تكون مجرد مدينة تؤدي الخدمات فحسب ، بل انها تستطيع الاستمرار في النمو ، وان تعبر خلال نموها

عن مقومات اجتماعية . انها تستطيع ان تنمو حتى لتعبر عن وعي بعيد في الحكم وتطور في الروح والجمال للعين . وكلما نمت ، استطاعت ان تبني مدينتها الحكومية وسائر مرافقها بطريقة تجعل من السير على الحكومة والمواطن ان يتعامل بانسجام وبشكل ملائم وكفاءة وضمن اطار جميل من المشاهد والاجواء المتناسقة . ولا شك ان الموقع القائم الى جوار المطار الحالي ومن حوله - والواقع في قلب المنطقة كلها - وهو نعمة من السماء تساعد على انشاء المدينة الحكومية ، بمبان بسيطة ، متينة ، جميلة المناظر ، ترمز الى الساعد الحكومي للكويت . ويمكن ان يشيد الى جانب هذا ، مركز المدينة الثقافي والبلدى ثم يوسع بشكل يمكن معه انشاء اماكن كقاعة بلدية ، ومسجد كبير ، ومكتبة شاملة ، ومتحف ، ومركز لتدريب الكبار ، ومعارض عامة ، وساحات داخلية واسعة للالعاب الرياضية . وسوف تقوم هذه المراكز في المدينة شهورا على حرص الانسان على معاني العدالة والاخوة والجمال . ويمكن كذلك اقامة طريق كبير (كورنيش) حول المدينة من الصليبيخات الى الاحمدى ، بمداخل وملتقيات له مع اطراف المدينة ليوفر للناس منتزها ومتنفسا . اما الضرر الواقع بشواطئ الكويت الجميلة ، فيمكن اصلاحه بشكل تستطيع معه هذه الجهة من المدينة ان تبقى امد الدهر شاهدة على عناية الانسان بحاجات الطبيعة والروح معا .

اما المدينة القديمة ، فانه بالاستطاعة اعادة بنائها تبعا لمفاهيم تنظيم المدن الحديثة ، التي من شأنها ان تخفف الضغط عن المدينة المختنقة ، وتحل مشكلات السير فيها ، وتمهد الطريق لزراعة العشب الاخضر ، وتفتح الافاق للبلدة ، وانه يمكن تحقيق ذلك بدق وبساطة ، بحيث يحافظ على الصلة مع تراث الماضى ، كالاسواق والبنائات الكويتية وسائر بقايا الماضى .

اما السكان المتزايد عددهم فيمكن اسكانهم في مناطق مجاورة جديدة تصمم خصيصا ، وينفذ تصميمها بحيث يوفر اكبر قدر ممكن من المتعة والراحة . يجب ان تقام كل بناية تقترحها الحكومة على موقع يختار بعد دراسة علمية دقيقة ، لأن سوء اختيار مواقع البناء هو العدو السرى الاكبر لحسن فعالية ومجال المدينة .

ان التخطيط يبدأ حلما . لقد بدأت أعظم الاشياء في التاريخ احلاما في المخيلة ، ثم تم تنفيذها بارادة السلطة وبراعتها . وفي الكويت ، التي تواجه اشد قساوات الطبيعة ، يجب على المرء أن يكون صاحب خيال جرىء كي يحقق تنفيذ القوى الضرورية التي تتغلب على قسوة المحيط وتلين من حدتها .

علينا أن نتساءل : هل ستصبح الكويت مجرد مجموعة من الشوارع والطرق ، أم هل ينبغي ان تصبح وسطا مجتمعيًا تجاريا سكنيا متوازن الاطراف ، ضمن اطار خطة عامة تتضمن ارقى ما وصل اليه التفكير والعلم

في التنظيم المعاصر ؟ ان الجواب على هذا السؤال يجب ان يأتي ايجابيا
حالا من الحكومة . وسينطوى على الجراة والخيال وعلى قواعد جديدة
في الشؤون المدنية . والشعور الذي يعترى المرء هو ان السلطات المسؤولة
ستختار الطريقة المعاصرة في كتابة السفر الثاني من انماء الكويت بالعلم ،
وتوفر بذلك على نفسها طفرة النمو السريع .

وبينما نرى العالم مقسما تقسيما عنيفا الى جهتين عقائديتين
اقتصاديتين ، نجد الكويت ، « الدولة المدينة » ، قد نجت من برائن الحرب
الباردة . انها دولة رأسمالية متطرفة ، وفي الوقت نفسه ، يصعب ان
نجد مثلا لضماعاتها الاجتماعية في الدولة الاشتراكية المتطرفة . فالطب
والعلم مجانيان ، ومسؤولية الاسكان تقع على عاتق الحكومة ، وليس فيها
ضرائب على الاطلاق ، وفيها دستور جميل ومجلس امة وعدة مجالس
أخرى .

وان دولة تستطيع ان تحقق معجزة اجتماعية اقتصادية كهذه ،
بينما العالم يتخبط في صراع سياسي ، لقادرة ، اذا هي حشدت جهودها ،
ان تحل مشكلة تموينها بالمياه ، ومشكلات التنظيم الاداري في جهازها
الحكومي ، ومشكلة توجيه نمو المدينة من ناحية « الاقتصاد المالي »
الصرفة ، على حد تعبير أحد الفلاسفة المعاصرين ، لاكمال تحقيق « اقتصاد
-انساني » تام . ان التخطيط الجيد والمتين دواء مر المذاق ، اما التخطيط
الانتهازي فهو السم النقا . والمشكلة هي ان هذا السم ذو طعم جيد في
الوقت الحاضر ، ولكنه ، مع الزمن ، يؤدي الى الشلل ، بينما الدواء
المر يشفى مع الزمن . والدواء المر هو الدواء الصحيح ومواده هي العلم
والفكر والحكمة والاقتصاد والتخطيط .



١٩ - التباين الحضري الصارخ بين القديم والجديد في الكويت

ان الفرق بين قرية وارة الكويتية وبين مدينة الكويت الحاضرة ، أقل ما يقال فيه انه مثير للدهشة . ان التباين في نوعية التحضر تقوم متجاورة في هذه المنطقة ، شهادة على موجة الرخاء التي تكتنف النمو المفاجيء للمدن حينما تلقى قوة اقتصادية قاسرة - في هذه الحالة البترول - بثقلها على مسرح حضري . ولا تختلف الكويت في هذه الناحية عن كراكاس من حيث احساسها بدافع عوائد البترول ووطأتها . وليس بعيدا جدا عن الكويت ، على الخليج العربي ، تقع مشيخات الخليج الضعيفة اقتصاديا حاليا - وان تكن غنية باللؤلؤ - والتي لا يزال نسجها المدني والاجتماعي آسنا ، تنتظر بشوق (الذهب الاسود) لعمل لها ما عمله للكويت وبعض مناطق السعودية العربية . فأبوظبي ودبي والشارجة وعجمان وام القوين ورأس الخيمة والفجيرة قد تعتمد قريبا في الاعتماد في معيشتها على البترول كجاراتها في الشمال مثل البحرين وقطر والسعودية والكويت - وما يسمى بالمنطقة المحايدة بين البلدين الاخيرين .

ففي هذه المنطقة من الصحراء العربية العظيمة المأهولة بالبدو والقبائل البدوية والتي كتب عنها ابن خلدون وصفا شائقا ، فان ثورة مدنية لم يسبق لابعادها نظير آخذة في الحصول . وعلى وصف ابن خلدون في - المقدمة - فان ثمة ثقافة مزهرة في مكان (البدو فيه عاجزون عن الاستقرار في مدينة ذات حضارة كبيرة) ! ثم يقول - ان الثقافات القائمة تأتي من الاسر . وتكون عميقة الجذور حينما تكون الاسرة مستمرة وعميقة الجذور ، أما في الكويت فان الاسرة الحاكمة تنتمي الى آل الصباح . والبناء القائم في الكويت يأتي من هذه الاسرة الحاكمة التي بنت مدينة فريدة ذات معاهد ونظم ومقاييس فريدة . فقد تمت المعاهد الحضريّة والاجتماعية وازهرت بشكل يثير غيرة الشرق الأدنى . وقصة هذا التطور من التفرد على المسرح العربي ، بحيث تعتبر قيمة بالتمحيص ، مع بعض التفصيل ، لان العالم العربي - بحسنه وسوئه - قد تلاقى فجأة هنا للعيش .

لقد اتبعت السلطات المسؤولة في الكويت سياسة أساسية هي في جوهرها سديدة انسانية وتقدمية لاقتصاد مزدهر . وكانت هذه السياسة الأساسية السياسة الاجمالية السديدة التي اتبعتها السلطات المسؤولة برعاية سمو الامير ، وعززتها . وهي تقوم على الانفاق لتوظيف جزء كبير من عوائد البترول في مختلف النواحي التطورية للكويت : فالطرق الرئيسية والمستشفيات والمساكن والمدارس والخدمات والدواء المؤم والمساجد

والبعثات التعليمية وتسوق السلع من بين مظاهر حاجة اجتماعية اساسية شرعتها الحكومة وشجعته وغذتها . واموال الاستملاك التي تدفعها بسخاء للحصول على الاراضي اللازمة لمختلف انواع التحسينات في المدينة ، قد وضعت في ايدي الناس مبالغ كبيرة من المال انفقوها بدورهم على نوع من التطور في القطاع الخاص يجاري التطور في القطاع العام . وتشاهد نواتج التطور الخاص والعام في كل مكان بشكل يدعو الى الاعجاب والتشجيع .

لقد قامت السياسة الاساسية للحكومة الكويتية ولا تزال على الانفاق السخي على مختلف نواحي رفاهية الشعب . فكان الوضع هنا ، لذلك ، مما لو اتبع في بلد كالولايات المتحدة ، سمي اقتصادا رفاهيا ، وفي بلد كالمملكة المتحدة . سمي اقتصاد دولة اشتراكية ، وربما سمي اسماء اخرى في بلاد اخرى . وقد ساعدت اثار هذه السياسة الكويتية الاساسية من حيث اعمال الانفاق على احدث ازدهار ملحوظ في الكويت وخارجها وخاصة في لبنان .

واذ تقاس الكويت بمساحة سطحها المسوح او بعدد الامتار المكعبة من الخرسانة التي صبت او بكميات الحديد والزجاج والخشب التي استعملت ، او ما الى ذلك ، فان سياسة الكويت الاساسية الخاصة بالانفاق الانتاجي يضعها في رأس قائمة الشعوب التي انفقت بسخاء لتحسين اوضاع شعبها واوضاع شعوب اخرى كثيرة عربية وغير عربية . وسيتمكن الاقتصاديون والاقتصاديون المخططون وخبراء السياسة المالية يوما ما من تدوين مجهودات الكويت احصائيا وعلميا وتحليليا . كما قد يعتمد الى جانبهم نظراء ابن خلدون من المراقبين الاجتماعيين والعلميين الى وصف النهضات العميقة والمتفرعة التي اقامتها دولة الكويت الفتية .



٢٠ - يوم ((طوز)) في الكويت ومعناه العلمي

ان ليلة ١٥ آذار - يوم ١٥ آذار الشهير - وصباح ١٦ منه بالكويت شهد عاصفة رملية هوجاء .. ان العواصف الرملية بالكويت بوجه خاص وبالجزيرة العربية بوجه عام ليست ظواهر غير اعتيادية ، الا ان عاصفة ١٥ و ١٦ آذار تعتبر فريدة في نوعها ، وذكرها لا تمحى من مخيلة الفرد . ان الرمل الهائج الذي دفعته الرياح العاتية ما يقرب من ميلين الى طبقات الجو العليا شكل عاصفة أرضية ذات قوة وخصائص غير اعتيادية . وبالاختصار يمكننا القول باننا استيقظنا ونحن ملتحفين بطبقة كثيفة من الرمل الناعم الملح الذي من كثرة حبه لنا يلتصق بوجه خاص في مداخل خياشيمنا .

ان كل بوصة مربعة من البيت ، ومن آلاف البيوت بالكويت ، كانت مغطاة بالرمل ، حتى ان السيارات كانت مطلية بطلاء اصفر فاتح ، ويظهر ان الرمل استراح لهذا الوضع حتى انه كان يرفض أية محاولة لازالته عنها .

كانت الساعة السادسة والنصف صباحا عندما فتحت عيني - وهذا هو الوقت الاعتيادي ليقظتي - في هذا الجزء من السنة ، ولما نظرت الى الخارج رأيت الدنيا ملتفة بظلام دامس وضوء احمر حمرة أشد قليلا من حمرة اللهب الوهاج في حقول الزيت بالبرقان على بعد عشرين ميلا ، والذي اعتدت ان اراه دوما .. ولو اني لم لاحظ الدخان الذي كان يملأ غرفة النوم لظننت ان الساعة هي الثانية صباحا ولرجعت للنوم مرة ثانية - الا ان ساعة يدي والساعتين الاخرين دلت على ان الساعة هي السادسة والنصف صباحا . لقد حاولت ان أرى سيارتي الا ان محاولتي ذهبت هباء فالرؤيا كادت تكون معدومة - اقل من عشرة اقدام - والوهج الاحمر يزداد باستمرار .. اني بالحقيقة لم ار مثل هذا المنظر من قبل ، اذ انه لا بد وان كميات كبيرة من الرمل اللعين كانت في الهواء حتى تغير لون شمس الكويت الى احمر - وبالفعل هذا كان الواقع - كانت الحالة كان زوبعة هوجاء قد لفت الكويت ، وانفي كشریان مسدود لا يسمح الا بمرور ما هو القليل لدرجة اني شعرت واحسست بحالة الذين يموتون خنقا .

في الساعة السابعة بدأ يتغير اللون الاحمر الى لون برتقالي غامق ، شبيهه بالالوان التي تصدر عن انفجار قنبلة ذرية ، او التي ترى في الصور الملونة .. وبعد ان زادت شدة الرياح كانت التوافذ الحديدية تنفث بين الفترة والاخرى الرمل نقشا للدخل حتى امتلات الغرف وأصبحت رائحة كل شيء في البيت رمل في رمل .

لقد اتصلت بمكتبي مرتين ولكن يبدو انه لم يستطع احد من موظفي

المكتب ان يصل اليه ، وبعد المحاولة الثانية رد علي احد الموظفين الذي استطاع ان يصل الى المكتب . هذا وقد اعلنت محطة الاذاعة بان المدارس ستعطل اليوم وتأكدت ان هذا يوم مرعب لعين .

بعد نصف ساعة تقريبا تغير الوهج ذو اللون البرتقالي الى لون ليموني اصفر ، وبدأ الضوء ينتشر اكثر في الخارج ، الا انه في الداخل اصبح الوضع اشد واكثر عدم احتمالا فقمتم وفتحت الباب وخرجت فوجدت ان الجو اكثر احتمالا من الداخل فعدت الى الداخل وفتحت جميع النوافذ وبدأ الغبار يتحرك ، الا انه لم يكن هنالك تحسن ملموس فعدت واغلقتها ، وبعدها تغير اللون في الخارج الى اصفر مضيء وبدأت الرياح تهدأ والشمس ترتفع والغبار يترسب رويدا رويدا .

لقد استغرق تنظيف غرفة واحدة في البيت من مخلفات هذا اليوم (الطوز) يوما كاملا . اني سابقي اذكر يوم ١٥ مارس من هذه السنة ١٩٦٣ والصباح الذي تلاه ، وسابقي اذكر كذلك صبر وصلابة وقوة احتمال رجل الصحراء العربي الكويتي الذي يقوم ببناء الكويت ويتحمل ويجابه العن واقسى طقس .

اني سابقي اذكر هذا اليوم من آذار ليس حبا فيه بل لاحترام أولئك الذين يتحملون مثل هذا الطقس الرديء - لأولئك الناس الذين يبنون ويشيدون نهضة عمرانية في هذا النوع من الطقس القاسي اللعين ، والذين قضوا مددا طويلا في صراع مع الضيق . ان الله سبحانه وتعالى قد عوضهم كثيرا واخيرا عن الانتظار الطويل والصبر الكثير والمقاومة التي لا تلين لهذا الطقس اللعين .

ومن يشاهد يوم « طوز » قاسي في الكويت ويعاني المتاعب من رداءة الطقس هذه ، يعرف انه يجب ان يكون لمثل هذا العامل الاهمية الكبرى في وضع التصاميم التنظيمية والهندسية الملائمة ، لتتدارك ، الى اقصى حد ممكن ، تخفيف وطأته على حياة المواطنين . ان مثل هذا الطقس يجب ان تكون له دوافع تنظيمية وهندسية وعلمية هامة في ايجاد الحلول والتصاميم المناسبة والسليمة ، واي تصاميم تقليدية ، ولو استوردت من أوروبا وأمريكا ، لا حظ لها بتاتا ولا فائدة اذا طبقت بدون تكريس اداة العلم والفكر والمداورة الاستراتيجية الفنية . فالطوز وشدة الحر وقلة المياه وانسباط الارض هي العوامل الاولى التي يجب ان تدل وتدفع المهندس نحو الحلول والسبل الحكيمة في وضع هيكل ونمط مدني وحضاري في تكوين المدينة والمنزل والحديقة . لذا علينا الاستعانة بالعلم والبحث للحصول على التكوين المناسب بالنسبة للظروف المحلية الفريدة . ويوم « طوز » شديد في الكويت عليه ان يدفعنا للتفكير جديا وعمليا لتداركه من اساسه وفي وضع الاسس التنظيمية والهندسية بطريقة جذرية وجريئة لبناء مدينة تتناسب مع الظروف الطبيعية المحلية .

٢١ - الكويت : نمو ، تطور ، تنظيم

١ - توطئة :

هنالك مدن قليلة بين مدن القرنين التاسع عشر والعشرين لم تتأثر بصورة أو بأخرى أو لم تتغير بعض معالمها ضمن عمليات حركة التصنيع أو مشاريع التعديلات التنظيمية التي استلزمها تطبيق المبادئ التصميمية غير السليمة عند انشاء تلك المدن .

فقد اجتاحت العالم العربي - وخلال الخمسة عشر عاما الماضية على وجه التحديد - موجة نشاط عمراني كبير لامست معظم مدنه وادت الى قيام حركة عمرانية دائبة في مختلف أقطاره . واذا ما تفحصنا مدينة بيروت مثلا ندرك الى اي مدى جعلها ضغط التصنيع وعدم توفر الاسس التنظيمية الصحيحة لها في حالة لا تحسد عليها من الناحية العمرانية . غير ان مدينة الكويت الفريدة من نوعها قد تكون المدينة العربية الوحيدة التي لم تدخر وسعا في سبيل تطبيق اسس التنظيم السليمة جاهدة في اذلال العقبات التي تعترض نهضتها العارمة - تلك النهضة التي يفديها الدخل الكبير المفاجيء .

لقد ذكر العلامة ابن خلدون قبل ما يقرب من ستمائة سنة في مقدمته المعروفة « ... ان البادية اصل العمران والامصار مدد لها » أي ان الصحراء هي مهد وموطن الحضارات والمدن . ومما لا شك فيه ان ابن خلدون لم يكن يفكر في النفط بل لم يخطر له ذلك على بال عندما أبدى تلك الملاحظة الثابتة ان الصحراء العربية الكبرى - وهي بمثابة خضم واسع من الرمل - تتميز رغم خشونتها وقسوة الحياة فيها بأشياء كثيرة . وان اخر ما تميزت به حديثا هو انشاء المدن الكبيرة في المناطق التي اكتشف فيها النفط ، ولعل اهم هذه المدن هي مدينة الكويت الفريدة في نوعها والبعيدة كل البعد في مميزاتها عن عالم الخيال .

ان انشاء المدن قد واكب دائما نشاط الانسان عبر الزمن والمسافات وما هو الا كتابة ، كتابة ليست بالحبر على الورق وانما بالعمارات والطرق والحدائق على صفحة اليابسة ، فهي أوضح انواع « الكتابة » التي تعطينا دونما خطأ صورة جلية عن مدى تقدم او تخلف اي مجتمع في الحضارة ، وهي كذلك الكتابة التي يستطيع الانسان ان يقرأ من خلال انقاضها وبقاياها تاريخ الجنس البشري قبل اربعة او خمسة او حتى ستة الاف سنة .

كانت بالاسس مدينة الكويت القديمة وها هي اليوم مدينة الكويت الجديدة ، والامس واليوم يقفان على بعد مرمى حجر من حيث المسافة

ولكنهما مجرد عشر سنوات من حيث الزمن ، وفي مدينة الكويت يختلط الامس باليوم ويسيران على وئيرة واحدة من جميع الوجوه . أما قصة الامس واليوم ، قصة الكويت قبل اكتشاف النفط وما رافقها بعداكتشافه فهي شيء فريد غير عادي . فهي المدينة التي تطورت خلال عشر سنوات من مدينة ساحلية في طرف الصحراء محاطة بالاسوار تتسم بالطابع الشرقي القديم الى مدينة ممتدة عبر الصحراء تختلف في تصميمها عن مدينة الامس باتساعها وبالعمارات التي انشئت فيها وبالمناظر الرائقة التي اكسبها اياها تطورها الشامل . وهي المدينة التي كانت لعشرة اعوام خلت تتألف من الاسرة الكويتية التي كانت تخضع لحكم الاقلية وتعيش على التجارة والفوص فاصبحت اليوم على النقيض من ذلك دولة مستقلة لها مجلس وزراء مؤلف من اربعة عشر وزيرا ومجلس امة ومحاكم وسلطات قضائية ، الخ ... وهي اليوم مدينة فريدة جديدة بالاهتمام العلمي بحد ذاتها .

انها المدينة التي تجمع بين طياتها اقصى مقاييس النظم الراسمالية والديمقراطية والاشتراكية وهي بذلك مدينة فريدة من نوعها ليس في العالم العربي فحسب وانما في العالم اجمع . وبطبيعة الحال نتج عن هذه الامور كلها وعما رافقها من فلسفة السرعة الفائقة في التطور وجود مدينة فيها مختلف النظم الاجتماعية والثقافية التي تستغرق وقتا طويلا لتقريبها الى الوضع الذي يمكن معه وصفها وتحديد معالمها من الانشائية والجمالية والاجتماعية . فقد دخلت الكويت العصر « التكنكراس » بسرعة لا مثيل لها في التاريخ .

لقد استغرق التطور الناشئ عن الثورة الصناعية في اوربوا وامريكا قرنا ونصف القرن من الزمن بينما لم يستغرق تطور الكويت سوى عشرة اعوام فقط ، اذ ان العصر الآلي الذي نعيش فيه الان قد احدث تحولا جذريا في كافة النواحي العمرانية والثقافية والاجتماعية في الكويت . فالاتصال المباشر بين المدينة والصحراء من جهة وبين المدينة والبحر من جهة اخرى قد تغير فجأة ونشأت معالم حياة جديدة على هذه البقعة من منطقة الخليج العربي .

قبل عشرة اعوام كانت مدينة الكويت قرية عربية بدائية تجثم على مقربة من الخليج الكويتي متماسكة الجوانب ضد قسوة قوى الطبيعة العابثة ومعتمدة في معيشتها على التجارة والفوص وصيد السمك . وكانت الكويت القديمة تتسم بطابع المدينة العربية الصحراوية الواقعة على الشاطئ - داكنة اللون ، متشابكة ومحاطة بالاسوار . وكان سكانها متحدي الكلمة بشعور جماعي قوي وروابط منيعة فرضها تاريخ وطبيعة المنطقة التي يقطنونها . وكانت الكويت انذاك تشكل مجتمعا متكاملا له خصائصه وميزاته الطبيعية والاجتماعية البارزة ومقوماته المايئة . واليوم اصبحت الكويت ذات شخصية مختلفة الملامح الاجتماعية والطبيعية سائرة في عملية تطور سريع . غير ان نطاق التغير والتطور

الحضري والطبيعي فيها (وهو من اختصاص منظم المدن) لا ينسجم تماماً مع التطور الذي نلمسه في البناء الاجتماعي للمجتمع الكويتي لأن مبدأ التطور الاجتماعي الخاص بتنمية العلاقات الاجتماعية هو من اختصاص علماء الاجتماع ، غير أنه يطيب للمرء فعلاً أن يشاهد النواحي الحضرية والطبيعية للتطور الذي أحدثته المبالغ الخيالية التي انفقَت على تطوير مدينة الكويت القديمة منها والجديدة ويشاهد المرء اليوم في الكويت جميع أنواع المساكن البدائية بالقرب من المساكن الحديثة ، وكذلك يرى البيت البدائي بجانب البناية الضخمة الحديثة - الحديثة بكل ما تحمل الكلمة من معنى - مع سرعة التحول التي تفرضها عمليات التطوير السريعة . . فترى هنا البدوي الذي يصفه ابن خلدون في مقدمته قد أصبح سائق سيارة وميكانيكياً وطالبا ومتمدبنا ونرى أيضا التغير الجذري في أحوال السكان وفي العادات وفي القيم . ونرى على هذه البقعة الصغيرة نسبيا التي بدأت براعمها تتفتح - نرى عليها كل مظاهر التطور . فقد تطورت الحياة البدائية المتسمة بالبساطة والسكون الى حياة مدنية آلية أجاجة . فأصبحت الصحراء تفخر بالشوارع والعمارات، والامزجة التي كانت بالامس وأدعة هادئة أصبحت بين عشية وضحاها متوقدة مهذبة مفاخرة . فهنا يمتزج العرق بالرمل كما يختلط الناس من مختلف الأنحاء في بناء المدينة التي ما ان تتم حتى يتبدل تماما المفهوم والانطباع التقليدي عن حياة الصحراء .

ان البنائين في الكويت لا يختلفون عن اخوانهم في العراق او المملكة العربية السعودية او الجمهورية العربية المتحدة او الاردن او سوريا او تونس او مراکش . فان وحدة الحاجة الى بناء المدن تجمع بينهم في جميع اقطار العالم العربي ، غير ان الفرق يتمثل في ان العربي في الكويت قد طفر فجأة في الطموح الذي تصحبه الرغبة الملحة في تقليص خمسمائة عام في خمسة اعوام . وهو بهذا يبدو وكأن السنوات الطويلة التي قضاها في شظف من العيش قد بعثت فيه هذا الطموح العارم للاستفادة من الفرصة التي لاحت له للتعويض عن السنين المرة التي قضاها في الكفاح والمتاعب والصبر .

٢ - مدينة الكويت القديمة :

لقد بنيت مدينة الكويت القديمة على الخليج الكويتي باتجاه البحر وتبلغ مساحتها حوالي ثمانية كيلو مترات مربعة . وكان يحيط بها حتى عام ١٩٤٧ سور (*) من الطين بني على عجل خلال شهر رمضان عام ١٩٢١ للدفاع عن المدينة ضد الغزاة اثر معركة الجهرا المعروفة في تاريخ الكويت . وكان يتخلل ذلك اربع بوابات او «دروازات» هي : الجهرا ، نايف ، شعب ، صباح ، بالاضافة الى بوابة شمالية صغيرة ، وكانت هذه البوابات تفضي الى الصحراء المترامية الاطراف . ولعل اهم ميزة حضارية

(*) يذكر انه كان للكويت سوران : الاقدم يحيط اقدم منطقة في الكويت والاحدث وصل الى « دروازة » الصباح حاليا .

لمدينة الكويت اليوم هي المقارنة الحاسمة بين المدينة القديمة المتراحة والمدينة الجديدة المتسعة . وهنا - اكثر منها في اي مكان وزمان - توجد انواع متباينة من الانشاءات العمرانية ، فالمدينة القديمة او ما تبقى منها متراحة بمبانيها القديمة ، اما المدينة الجديدة فمساحتها اكبر من مساحة المدينة القديمة بعشرين مرة وتتميز بعماراتها الكبيرة المتناثرة ، بينما كانت المدينة القديمة ذات بيوت صغيرة شيدت حول الطرق الرئيسية للمارة : (الزكاكات او الزوارب) التي تعطينا صورة واضحة عما يمكن ان تكون عليه المدن العربية القديمة . وكانت مناظر المدينة القديمة بسيطة وهندستها بسيطة ايضا ، اما المناظر الجمالية فيها فكانت تتمثل في المناطق المزدهمة والنسيمة على السواء كالاسواق والصيداين وفي المساجد (بقببها ومناثرها) . وكان الميناء القديم هو حلقة الاتصال بين الكويت والعالم الخارجي . وكانت حافة شارع السيف القديم نشاطا ملاحيا وجدا عمليا متعدد الالوان ، فهنا اعمال الشحن وهناك اعمال بناء السفن الشراعية الخ . وكان القادمون الى الكويت انذاك سواء بطريق البحر او عبر الصحراء يشاهدون عن بعد مدينة عربية اسلامية صحراوية . ومع ان اجزاء كبيرة من مدينة الكويت قد تغيرت جذريا بصورة او باخرى الا انه لا يزال هنالك في المدينة القديمة بعض الاحياء التي لم «يضر بها» التنظيم بعد ولم يطرأ عليها أي تغيير وهذه تعطينا بالطبع صورة ناطقة عما كانت عليه الحال في الكويت منذ زمن غير بعيد .

لقد كانت المدينة القديمة تشبه شقة سكن ضخمة وكانت اسواقها بمثابة مخزن كبير وازقتها وشوارعها او «حاراتها» كانت تشكل الطرق الرئيسية فيها . وكانت ساحاتها مراكز للاجتماعات العائلية وللصناعة وللتنزه ، وقد تحقق فيها توازن - كتوازن مدن العصور الوسطى - بين الانسان والانسان ، بين الانسان والخالق ، بين الانسان والطبيعة ، وبين الانسان ومناوئيه البحر والصحراء والحرارة الشديدة وانعدام المياه العذبة و «الطوز» الخ . هكذا كان الوجه الاجتماعي والحضاري لمدينة الكويت عندما داهمها النفط بكثير من المشاكل . فقد ازداد دخل الكويت من النفط منذ سنة ١٩٤٨ حتى وصل في الوقت الحاضر الى ما يقدر بحوالي ٢٠٠.٠٠٠.٠٠٠ ديناراً . وقد كان اثر هذا الدخل الكبير على الاراضي بالغا وجذريا فقد محى تقريبا المعالم الطبيعية والاجتماعية للعهد الماضي فأصبح العمل البطيء نتيجة لذلك حركة عمرانية جارفة تحولت بسرعة نحو انشاء عاصمة واقليم ومحافظة للدولة . وقد تم انشاء هذه المرافق بسرعة فائقة ذات رقم قياسي في عملية انشاء المدن في الصحراء . فقد تحولت المناطق الضيقة القديمة الى ميادين واسعة ذات مناظر مختلفة وحيث كانت السيارات في الكويت تعد على الاصابع في عام ١٩٤٨ نجد فيها اليوم اكثر من خمسين الف سيارة . وقد حلت الميادين والفيلات والشوارع الواسعة محل الاماكن المتراحة والساحات الصغيرة واصبحت السيارة شيئا هاما لدى المواطنين وهي تعتبر الان - وفي الكويت بالذات - رمز للتطور السريع غيرت بواسطتها النمط الحضري القديم وقلبته الى الجديد .

٣ - الانفجار الحضاري :

لقد شعر المسؤولون في الكويت أنهم يستقبلون عهد تطور حضاري كبير فسارعوا الى الاتفاق مع احدى الشركات لتقوم باعداد مخطط تنظيمي للمدينة وليس يهمننا الان موضوع ما اذا كان المخطط المذكور عمليا وعضوياً ام لا ، انما المهم هو انه تم اعداد مخطط للمدينة القديمة يمتد بها بعيدا خلف الاسوار ليشمل جزءا كبيرا من الاراضي التي تم إنشاء المباني عليها في الوقت الحاضر . وكانت النقاط الرئيسية للمخطط المشار اليه تتألف من طرق متفرعة من الطرق الرئيسية التي تؤدي الى مداخل المدينة وتمتد على محاذاة السور الدائري الذي يحيط بها . وكانت نقط تقاطع تلك الطرق هي « الدواوير » أو « الدورات » التي نراها اليوم . وقد صممت المناطق الواقعة بين هذه الطرق بشكل يسمح لها بان تكون مناطق سكن في ضواحي المدينة . وقد اعد مخطط لمناطق السكن المذكورة والمدينة القديمة التي اعتبرت كأنها لم تكن ، اذ انه كان هنالك في وقت ما فكرة لعدم العبث بها تنظيميا . الحديث . وقد بوشر في عام ١٩٥٢ بتنفيذ مخطط المدينتين القديمة والجديدة مع التعديلات التي ادخلت على مخطط عام ١٩٥١ للبلدية ، وقامت دائرة الاشغال العامة انذاك (وهي اليوم وزارة الاشغال العامة) وقد تخلت للبلدية عن اعمال تنظيم المدينة واعمال المساحة في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٦١ بزيادة عدد موظفيها لمواجهة التطور المنتظر . وقد اصبحت دائرة الاشغال العامة نتيجة لذلك انشط اداة حكومية وحققت المعجزات ، غير انها لن تكون في البلدية معصومة عن الخطأ الهندسي ، فقد وقعت بعض الاخطاء الهندسية الجذرية دون ان تلاحظها الدائرة المذكورة ، اذ ان ومنذ سنة ١٩٥٢ تطور علم وفن وهندسة تنظيم المدن على نطاق علمي واسع ، واذا ما اعتبرنا مستويات التنظيم التي كانت موجودة انذاك نجد ان خطة تنظيم الكويت تنسجم علما وهدافا مع فكرة التنظيم الاساسية لكنها في الوقت نفسه لا تخلو من بعض الشوائب التي كان بالإمكان تفاديها . ولا يزال موضوع تنظيم المدينة القديمة يشكل الى هذا اليوم لاقسام التنظيم والمساحة قضية حساسة لان العقبات التي يواجهها المسؤولون في اعادة بناء المدينة ليست كثيرة فحسب وانما باهظة التكاليف وحساسة ايضا . اذ ان عليهم ان يتدبروا امور ملكية الارض والعقارات في المدينة القديمة - وهذه عملية استنفذت الكثير من جهود التنظيم والمساحة دون أن تترك لها الوقت الكافي واللازم للاشراف الدقيق على عمليات اختيار المواقع واستعمالات الاراضي ، وتصميم مجموعات الابنية وهندستها ووضع مخطط رئيسي للمستقبل البعيد . فهنا ارتفعت اثمان الارض بشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ - وما زالت توالي ارتفاعها - بحيث اصبح استملاك مكان لوقوف السيارات مثلا يتطلب مبالغ ضخمة من المال . وقد كانت هذه العملية على اية حال احدى طرق توزيع دخل البترول على المواطنين ، وادت عملية التثمين دورها على خير وجه باعطاء الملايين اثمانا كبيرة لاراضيهم . اما عملية الهدم في المدينة القديمة فقد

سارت بخطوات سريعة تمهيدا لانشاء الشوارع الكبيرة ذات الجانبين ولاعداد مواقع للمدارس والمرافق العامة الاخرى . وقد اعدت مناطق سكن في ضواحي المدينة لايواء المواطنين الذين اخلوا مساكنهم ، والسى جانب ذلك قامت الحكومة بتنفيذ برنامج عام لانشاء المستشفيات والمدارس ومحطات الاطفاء والطرق ومخافر الشرطة والميناء والمطار والمرافق العامة الاخرى الخ ، مما ادى الى نهضة عمرانية رائعة لمست آثارها في العالم العربي عامة اذا لم تتجاوزه وقد اتفق ان نشطت هذه الحركة العمرانية في الوقت الذي كان يبحث فيه ابناء فلسطين عن عمل وسرعان ما قدم عدد كبير منهم الى الكويت وشغلوا مناصب مسؤولة بالنسبة لوجه نشاط الحركة العمرانية ، كما تدفق على الكويت كثير من الايرانيين والعراقيين والهنود وكثير من ابناء اقطار الخليج الاخرى ليكونوا مجتمعا متعدد الجنسيات وليساهموا بدورهم في عملية التطوير المندفعة . ونشطت الحركة الى ابعد طاقاتها فامتلات الاماكن بالعمران كمناطق السالية وحولي ، بينما انشئت قرى جديدة مثل ابرق خيطان والفروانية وجليب الشيوخ . وكذلك بدأت الحكومة تواجه مشكلة تأمين المساكن للمواطنين ، فقد ازداد عدد السكان في الكويت من ١١٠.٠٠٠ نسمة في عام ١٩٤٨ الى ما يقارب من ٣٥٠.٠٠٠ نسمة في عام ١٩٦٢ .

٤ - ما هو التنظيم ؟

ليس التنظيم الشامل السليم مجرد هندسة او رسوما جميلة وانما هو علم واسع يشمل دراسات وابحاثا علمية واحصائية وهندسية واجتماعية وفنية ، اذ يقتضي التنظيم الصحيح ان تستمد المدينة شكلها ومظهرها من عوامل اربعة هي : الجغرافية ومعالـم الارض والفلسفة العمرانية والحياة الاجتماعية وهذه العوامل الاربعة التي يستوحي منها انشاء المدينة - اية مدينة - تضم جميع العناصر التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند انشاء المدن . فالجغرافية تشمل عنصر المناخ الذي يستلزم دراسة علمية دقيقة ومعالـم الارض تشمل عناصر هامة ايضا مثل طبيعة موقع المدينة والوضع المائي الارضي ان وجد ، وتطبيق مبادئ التنظيم الصحيح فيما يتعلق بهذه الامور عامل اساسي في تصميم مواقع المدن . اما الفلسفة العمرانية فهي عنصر اذق من العنصرين السالفي الذكر لانها تتصل بالنواحي الاجتماعية والمعنوية والجمالية اكثر مما تتصل بالنواحي الطبيعية الملموسة ، واما عنصر الحياة الاجتماعية فتناول جميع خصائص ومميزات وعادات البيئة . وقد كان الجمع بين هذه العوامل كلها في انشاء المدن وتطويرها يعتبر عملا بطوليا في عالم العمران . وتجدر الاشارة هنا الى ان بعض المدن نمت وتطورت وفقا للعوامل الاربعة السالفة الذكر تلقائيا ، وكانت المدينة العربية التي تعتبر مدينة الكويت القديمة صورة حية لها تمثل ذلك النوع من المدن . واذا ما قمنا بدراسة دقيقة للتوزيع العام والاصلي للسكان في مدينة الكويت فاننا نجد ان هذه المنطقة السكنية قد اتسعت بسرعة واحاطت بالمساكن الاصلية ، حيث ان عملية توسيع

المدينة قد نشطت بشكل ملحوظ . ومما هو جدير بالذكر ان مناطق السكن الاصلية في الكويت كانت منطقة الجهرا (وهي واحة تبعد قليلا عن البحر وقد اوى اليها السكان لوجود المياه العذبة فيها) ثم مدينة الكويت القديمة (وكانت تسمى في الاصل الكويت ومعناها الحصن) ثم السالمية (الدمنه ، رأس الارض ، البدع) والفنطاس وابو حليفه والفحاحيل والشعيبة وهذه جميعها مناطق سكنية انشئت على شاطئ الخليج ، اما الصحراء فقد اغفلت لان القرب من البحر كان ولا يزال يشكل مكانا معقولا للسكنى لعدة اسباب . وبالنسبة للكويت تعتبر جميع عوامل العمران قاسية من حيث الطبيعة وقد تكون طبيعة الارض اقل قسوة ولكنها رغم انبساطها الرملي الشاسع لا تسهم بشيء في تسهيل وسائل الحياة او العمران عليها . اما العوامل الاخرى فهي في منتهى القسوة وقد تطلبت عقلا راجحا ويدا جبارة لانشاء مدينة رائعة وفرت بجميع مستلزمات وضعها الفريد . ولتأخذ عامل المناخ فقط لنتمعن على اساسه في الانشاءات العمرانية التي تلت .

ان المناخ عامل هام في بناء المدن ، وهو مع الجغرافية وفلسفة العمران ومعالم الارض وعادات السكان يشكل العنصر الاساسي لانشاء المدن ، اذ تتأثر الهندسة المعمارية بالمناخ الى حد كبير . وقد كان تلاصق المباني في المدن العربية القديمة - وربما كان ذلك نتيجة للمس والاحساس والحاجة وليس نتيجة التصميم المقصود - ينسجم لمحض الصدفة مع تدابير اتقاء الحر اللافح ، فلو كانت المباني متباعدة نسبيا لكانت الحرارة الشديدة والعواصف الرملية قد زادت من متاعب السكان وضاعفت مشاكلهم . وللمناخ تأثيره الفعال واعتبارات الخاصة كعامل مقرر في انشاء المدن وقد راعت الهندسة المعمارية الحديثة تأثيرات المناخ من حيث الصحراء فقد اغفلت لان القرب من البحر كان ولا يزال يشكل مكانا معقولا للسكنى لعدة اسباب .

وبالنسبة للكويت تعتبر جميع عوامل العمران قاسية من حيث التصميم فاصبحت تضم انشاء المظلات كجزء من المباني اتقاء للحر ، وما هذا الا احد وجوه التدابير الهندسية الكثيرة التي تتخذ بهذا الشأن ، اما في الكويت فلم يول حتى الان المناخ الحار الفريد من نوعه الاهتمام اللازم من حيث الهندسة . وتعتبر هذا الشأن - من تكوين المدينة الشامل الى تصميم العمارات الفردية منها - شأنا يستوجب الاهتمام والدراسة من الان فصاعدا .

٥ - الاعتبارات المناخية :

ان اعتبار المناخ كعامل رئيسي في الهندسة المعمارية وانشاء المدن ليس فكرة حديثة فقد درست هذه الفكرة في سالف العصور ، وقد تحدث سقراط عن اهمية التنظيم وقال فيثروفيوس قبل ٢٠٠٠ سنة : « ان طريقة البناء يجب ان تكون متباينة لان جزءا من الكرة الارضية يتعرض لحرارة الشمس اللافحة بينما الجزء الاخر يكون بعيدا عنها وفي مكان اخر تتأثر الارض بتلك الحرارة على مسافة معتدلة » وقال ابن

خلدون قبل ستمائة سنة » : ان ظروف البناء متباينة في المدن المختلفة وكل مدينة تتبع في هذا الشأن الاساليب الفنية المعروفة لدى سكانها وتتقيد بالاحوال المناخية والظروف المختلفة الاخرى بالنسبة لغنى هؤلاء السكان او فقرهم . وبالرغم من ان هذه الملاحظات تبدو واضحة للجمهور فان المهندسين كانوا يخالفونها وهذا ما يفسر عدم وجود الطابع الاقليمي في انشاء كثير من المدن العربية . ويستطيع المرء ان يجد عدة اسباب للتشابه الملاحظ في الهندسة المعمارية التي تطبق ليس في الكويت فقط وانما في كافة ارجاء العالم العربي . وبعض هذه الاسباب هي ما يلي :

(ا) سرعة الاندفاع في الانشاء ، مما يفتقر غالبا الى التصميم الرشيد .

(ب) صناعة التكيف والتدفئة التي يفترض فيها ان تصحح اي خطأ هندسي حصل بالنسبة للمناخ بالرغم من ان ذلك التصحيح يكون بضمن .

(ج) عدم وجود البحوث الهندسية الكافية التي تقرر شكل البناء في اي مناخ معين ، اذ لم يمارس المصممون حتى الان في هذا المضمار سوى مزاجهم والتقليد الاعمى لغيرهم وتبين آراء اسلافهم .

(د) الافتراض السائد بين المهندسين بأن لا فائدة تذكر يمكن جنيها من تصميم المباني بصورة تنسجم مع المناخ .

(هـ) وجود مهندسين سطحيين بدلا من مهندسين مهرة اذكياء يقومون بالعمل الخلاق اللازم .

اما من الناحية العلمية فان العوامل التي تفرض وجودها بالنسبة للتنظيم في الكويت هي الحرارة والعواصف الرملية وقلة المياه العذبة واتساع الصحراء وضخامة الثروة . وهذه العوامل الفريدة يجب ان تفرض كيفية انشاء المدينة من الناحية العلمية وهندسة المباني وتنظيم الساحات والميادين . وفي الوقت الذي توجد فيه اماكن - كبيروت مثلا - لا تتوفر في جميع انحاءها حتى الطرق الواسطة التي يمكن ان تسير عليها السيارات ، حدث عكس ذلك تماما في الكويت حيث اخذت السيارة بعين الاعتبار المركز الخاص في تنظيم المدينة ، غير انه في الوقت نفسه اوليت العوامل الحساسة - كالمناخ مثلا - اهتماما طفيفا ، في الوقت الذي يجب ان يكون فيه العامل الاساسي الاول ويمكن ان يعتبر تنظيم مدينة الكويت انجازا فخما لاماكن كثيرة عدا الكويت اذ ان نوع التنظيم المطلوب هنا ليس موضوعا غامضا او لغزا او مسألة صعبة الحل ، فاذا ما كان مطلوبا هو نوع من التجاذب والتنافر العمراني والتلاصق والانفراج بدلا من الامتداد والتفرع المنتظمين . فقد كان بإمكان النموذج البنائي القديم ان يكون مصدرا تستقي منه فكرة تطوير المدينة من كافة

الوجوه ، غير انه بدلا من ذلك اثارت الطرق الرئيسية والدواوير والطريقة غير العضوية التي استعملت في اختيار مواقع البناء اغمضت عدة اعتبارات تنظيمية أساسية . غير ان دقة وبراعة التصميم نادرا ما تفهم على المستوى الحضارى بالرغم من كثرة انواع الابنية التي اتسمت بمختلف التصاميم الهندسية المعمارية متجاهلة الاعتبارات الهامة الاخرى .

ان الاهمية الزائدة التي اوليت للشوارع هي مسألة اخرى كان من الاولى ان لا تراعى على هذا النحو في التنظيم المبدي . ثم ان امتداد المدينة الذي يستلزم نسبة من كثافة السكان اقل بكثير من النسب المقبولة يشكل مسألة اساسية اخرى تتطلب دراسة نقدية . وقد اثرت هذه النقاط على امل ان تولي اهتماما خاصا في التنظيم المقبل في الكويت وفي شبه الجزيرة العربية وتعتبر مدينة الكويت مدينة فخمة من وجهة نظر الانسان العادي الذي تعود على رؤية الشوارع الضيقة والهندسة البسيطة بوجه عام والمستوى البسيط للمرافق العامة . ان الانسان العربي العادي في الكويت يدهش فعلا - ولدهشته هذه ما يبررها - عندما يشاهد اصدق الجهود تبذل في عملية تنظيم المدينة ويرى المستويات الرفيعة التي وصلت اليها المدينة ومرافقها العامة .

وخلال السنوات العشر القادمة عندما يتم انشاء المشاريع الجديدة وينتهي اعادة التعمير في داخل المدينة وبانتهائه تكون بعض الأخطاء التي وقعت قبلا قد صححت . وعندها سيكون من حق الانسان العادي والعالم ايضا ان يتوقعا ان تصبح الكويت المدينة العربية العصرية الاولى . ولا حاجة بي هنا لذكر النواحي التنظيمية الهامة التي تتصل بموقع المدينة العربية العصرية الاولى . ولا حاجة بي هنا لذكر النواحي التنظيمية الهامة التي تتصل بموقع المدينة وامتدادها والتخطيط الشامل لانشائها . ولا يفوتني ان اذكر ان تطبيق مبادئ التصميم المعماري في انشاء البنايات لم يكن الا جزئيا حتى الان . لذا ، ان من الضروري ان يعطى فن التنسيق بين عناصر الهندسة المعمارية عناية اكثر في المستقبل بالنسبة للمناطق التي انشئت والمناطق التي يعاد تنظيمها . وخصوصا عندما تنشأ في الكويت بنايات ضخمة جدا تنفق عليها مبالغ طائلة يجب ان يولى الاهتمام الفائق لامكانية الحصول على افضل النتائج الانشائية والتنظيمية لهذا العمل الضخم . ولا يحتاج المرء ان يكون نقادا حاذقا في فن انشاء المدن ليدرك ان الفرص التنظيمية والهندسية الذهبية التي سنحت للكويت لم تستغل جميعها حتى الان استغلالا شاملا ، وفي هذا المجال لنا المستقبل ليدر التنظيم والهندسة نتائج لا مثيل لها اذا علمنا ان التنظيم والهندسة هما حقيل واحد لا يتجزأ ، وعلى المهندس ان ينظر اليه نظرة قائد الاوركسترا «للسنفونية» .

وعلاوة على ذلك كان هنالك اتجاه لتوسيع المسافات الفاصلة بين العمارات عند التخطيط الامر الذي من شأنه ان يفقد التنظيم ميزاته المستحبة من حيث التناسب والمطابقة والقياس والمسافة علما بان الحكم

النهائي على سلامة التنظيم وصحته يمكن في انسجامه ومطابقته للعوامل الطبيعية والطاقت الاقتصادية والقوى العاملة والاعتمادات المخصصة للمستقبل ، وهذه جميعها تلخص في اخفاء صفة المعقولة على التنظيم الاجتماعي الطبيعي ، لان المدينة والعمارة يجب ان يتخذا شكلهما وتكوينهما وفقا لاحوال السكان وعلاقاتهم الاجتماعية وطبقا للعصر والمكان وان يستمدا هذا الشكل وهذا التكوين من العوامل المتصلة بما اوردنا . وبالنسبة للكويت ، حيث ان عوامل التنظيم حادة ، فان الحكم على تطور المدينة من مدينة قديمة متراسة الى مدينة حديثة واسعة يجب ان لا يستثنى النواحي العلمية الدقيقة للتنظيم ، بل يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار جدبا جميع هذه العوامل لخلق ، ليس فقط مدينة فخمة بطرقها وعماراتها ، بل مدينة فريدة من النواحي الجمالية والتناسبية والمناخية والاقتصادية .

٦ - المجلس البلدي يعمل بجرأة وبوعي : ١٩٦٠ - ١٩٦٢ .

قليلة هي المجالس البلدية التي حققت انجازات هامة في ميدان التنظيم مثل ما حقق المجلس البلدي الحالي في الكويت . ففي مدة سنتين من تأسيسه بذل هذا المجلس (الذي كان من المفروض ان تنتهي مدته في صيف عام ١٩٦٢ ومددت الى اذار عام ١٩٦٢) اقصى الجهود سواء ككل او من خلال لجانه الفرعية - وعلى مر الايام - في ارساء الحجر الاساسي لدعائم نمو الكويت المقبلة وفي معالجة القضايا الرئيسية الملحة . وكانت جلساته المتعددة والتي زادت - رغم المدة القصيرة - على المائة جلسة (عدا مئات الجلسات التي عقدتها لجانه الفرعية) كانت تشهد وعيا وادراكا وجدية وعملا دأبا ومناقشة حادة مما حدا بالمصممين المحترفين الى الاعتزاز بعمق وشمول المباحثات التي جرت وجعل المجلس البلدية الاخرى تفيط المجلس البلدي في الكويت على انجازاته الرائعة . منذ ان اسس هذا المجلس البلدي الذي لا مثيل له في عام ١٩٦٠ وهو يواجه المشاكل الشائكة ، وكان عمله تحت كل الظروف اقل ما يقال فيه انه شاق ومغن ومعيق . فكان على المجلس ان يمسك بناصية الحركة المنطلقة في المدينة ويوجهها التوجيه السليم وهذا عمل ليس بالسهل طبعا . وقد حمل المجلس هذه المسؤولية وحقق في سنتين كثيرا من المعجزات في مضمار التنظيم ستبدو اهميتها في السنوات الخمس او الست القادمة عندما يتم انشاء المشاريع الضخمة التي وضع المجلس البلدي احجار اساسها .

ولعل اهم واشق انجاز حققه المجلس البلدي هو قراره الحكيم الجريء بتطوير المنطقة المركزية التجارية بكليتها (والمكون من ١٠ قطع) بدلا من تركها تنمو تدريجيا على اساس تنظيمي قديم او على اساس مرتجلة . وباتخاذ هذه الخطوة الحاسمة فتح المجلس البلدي بابا جديدا للمدينة العربية كما انه امن قلب المدينة ووضع لها مخطط التنظيم

اللائق وضمن لها وجود مركز مدني وتجاري حديث خلال الاربع او الخمس سنوات القادمة .

ولعل اهم قرار يتلو ذلك هو نقل الوزارات في المستقبل من داخل المدينة الى ضاحية العدلية . وسيخفض هذا النقل من ازدحام حركة المرور في المدينة القديمة ويزود الكويت « بمدينة الحكومة » التي ستضم اكثر الوزارات والدوائر الحكومية مسهلة بذلك كثيرا من الامور . والمقصود من تصميم مناطق السكن الثلاث : الخالدية والعدلية والرميثية هو اعداد المساكن اللازمة لايواء العائلات التي اخلت مساكنها في المدينة القديمة لاغراض التنظيم وقد تم فعلا انشاء منطقة الخالدية ، وسيجري قريبا توزيع منطقة العدلية تمهيدا لمباشرة البناء عليها . اما منطقة الرميثية فهي الان قيد الدراسة التفصيلية . ان مناطق السكن هذه المصممة لايواء حوالي ٢٥٠٠٠ نسمة هي الان في دور التنفيذ والتوزيع والتصميم وكل منطقة مزودة بمرافق عامة من الدرجة الاولى لا مثيل لها في اي مكان اخر .

ثم هنالك انجاز اخر حققه المجلس البلدي هو تمهيد الطريق لانشاء الكورنيش وذلك بان قرر نقل العوائق التي تعترض ذلك المشروع الضخم وهي محطة بناء السفن وسوق الخضار (الحسبة) الى مناطق اخرى . اما الاتربة التي تتراكم نتيجة الهدم في المدينة القديمة في عملية اعادة تنظيمها تنقل الى الشاطئ وتكدس هناك بفية التمهيد الذي ما ان تتم تصاميمه من قبل الشركة التي اختارها مجلس الانشاء للقيام بهذا العمل حتى يكون قد تم تمهيد قسم كبير من الشاطئ لانشاء « الكورنيش » .

وهناك عمل هام اخر قام به المجلس البلدي وهو الموافقة على شق خمس طرق رئيسية ستكون عند انشائها الحلقة التي تصل جميع ارجاء الكويت ببعضها البعض بصورة معقولة . وستكون إحدى هذه الطرق طريقا تمتد على محاذاة طريق الكويت - الاحمدي الساحلية الحالية . وقد ووفق على هذا التنظيم هناك بقصد الاستفادة من الاراضي الواقعة ضمن منطقة الكويت - الفحاحيل كمناطق سكن في المستقبل على بعد اربعة او خمسة كيلومترات من الساحل . وسيوجه هذا التخطيط توسع مدينة الكويت في نطاق دائري ومحاذ بصورة عامة للساحل بدلا من الامتداد داخل الصحراء .

ثم ان المجلس اتبع سياسة حكيمة في اختيار المواقع لشتى الاغراض العمرانية من شأنها ان تطور المدينة استراتيجيا من ناحية الاستفادة من طبيعة الارض . واوعز المجلس كذلك باجراء مسح جوي للكويت ودراسة لحركة المرور فيها وهذان الامران لا يمكن الاستغناء عنهما في التنظيم السليم . ولكي يؤدي المجلس الخدمات المنوطة به بحكم اختصاصه وضمن صلاحيته فيما يتعلق بالتنظيم والمساحة ، فقد اسرع في نقل هذه الاختصاصات من وزارة الاشغال العامة الى بلدية الكويت . والجدير

بالذكر هنا ان الاعمال الجاهدة والانجازات الرائعة التي يؤديها ويحققها هذا المجلس المؤلف من اثني عشر عضوا برئاسة سعادة الشيخ سالم العلي الصباح لا نهاية لها . فقد اتخذ هذا المجلس في سنتين من القرارات الحكيمة المبنية على اسس تنظيمية سليمة ما يستغرق تنفيذه عشرين سنة من العمل في المستقبل ، كما أنه مهد الطريق للمجلس البلدي القادم في حقل تنظيم المدن والأقاليم الشامل .

٧ - دراسة نقدية فنية :

ان الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها تصور الانشاء العمراني الفريد لمدينة الكويت هو النظر الى حسنات وسيئات تنظيمها . على انه مهما كانت عوامل النقص فأننا يجب ان لا ندعها تغطي جميع حسنات التنظيم الملحوظة والهامة والجديرة بان يدرسها المصممون العرب دراسة جدية . ويجب ان لا يغرب عن الذهن ان الكويت بشبكات طرقها المدهشة وعماراتها الفخمة انشئت خلال العشر سنوات الماضية فقط . وهذا بحد ذاته انجاز كبير .

لقد بنيت مدينة الكويت بسرعة البرق مع العلم انها انشئت في احدى بقاع الارض الخشنة ، وعلى المرء ان لا ينسى الانجازات الاجتماعية والمعنوية العظيمة التي تكمن خلف واجهات المباني الزجاجية والمبنية من الطوب . فاذا كان قد حدث هنالك خطأ في بعض الحالات في بناء الطوب او تركيب الزجاج او لم يكن هنالك تناسب او انسجام هندسي بينهما ، فهذا امر يمكن تصحيحه . غير ان الموضوع الاساسي هو ان الكويت ربما تفوقت على جميع اقطار العالم في ميادين الخدمات الانسانية والاجتماعية، علما بأن هذا القول لا ينطبق حقيقة على كثير من الاقطار التي لها ما للكويت من الامكانيات المادية .

وفي الوقت الذي نسمع فيه ان لم تبلغ فيه درجة وعمق نوعية وفعالية التنظيم من الناحية الهندسية الجمالية الشاملة . الذي وجه نهضة الكويت العمرانية حتى اوائل عام ١٩٦٠ حد الكمال فان التنظيم ، في حد ذاته ، كان أحسن العناصر البارزة في اوجه نشاط الحكومة ومجالات اعمالها . واذا ما قارنا مستوى التنظيم في الكويت بالجهود التنظيمية التي تبذل في المدن العربية النامية الاخرى ، نستطيع ان ندرك دون عناء ان مدينة الكويت هي المدينة العربية الوحيدة التي راعت مبادئ التنظيم السليمة من الناحية الفنية والجمالية والطبيعية والاستعمالية .

واذا ما راقب المرء عن كثب اعمال التنظيم في الكويت فانه سيدهش فعلا - اذا لم يذهل - للسرعة التي يتم بها البناء هنا . فما ان يتم اعداد المخططات العينة حتى تكون اعمال الهدم والانشاء قد بدأت فوراً ، اذ يرسم المهندس شكلاً ما على الورق ولا يمضي اكثر من اسبوعين حتى يرى ، وهو في طائرة هليكوبتر ، الخطوط التي رسمها وقد تحولت

الى اساسات للبناء او ساحات وميادين ويرى البنايات في ارتفاع .

ان مدينة الكويت تتطور باستمرار وتجري فيها عملية تحول سريع . فالنماذج القديمة تختفي لتحل محلها النماذج الجديدة والسيارات تجوب اليوم معظم انحاء المدينة بعد ان كان فيها اماكن لا تصلها السيارة والاماكن المزدهمة تتحول الى اماكن فسيحة ممتدة . ويشاهد المرء العمران في كل مكان وفي الحقيقة نمت المدينة في حركة انشائية جبارة ولا تزال تنمو . ثم ان المشاريع التي وضعت تصاميمها والتي تعتزم الحكومة تنفيذها سوف تستغرق حوالي عشرين سنوات اخرى وسوف تبقى الحركة العمرانية الدائبة خلال هذه المدة تلازم هذه المدينة الناهضة وسوف تضم مدينة الكويت انذاك المرافق الاجتماعية الممتازة التي تستلزمها ارفع مستويات التنظيم . ومن المتوقع ان يتخذ تطور مدينة الكويت المقبل في السنوات القادمة اتجاهها جديداً هو تحسين مظهرها والمناظر الجمالية فيها .

والجدير بالذكر ان العوامل التي أدت الى الزيادة السريعة في عدد سكان الكويت هي :

(١) تدفق العمال والموظفين وارباب الحرف والاختصاصيين من مختلف الاقطار المجاورة بحثاً عن العمل .

(ب) انخفاض نسبة عدد الوفيات بفضل تحسين الخدمات الطبية المجانية التي تؤمنها الدولة . وقد ضربت المدينة رقماً قياسياً في هذا التوسع الشامل وقد تجاوز المواطنون مع المستوى الرفيع من المعيشة الذي نجم عن الثروة العمرانية فأنشأوا لانفسهم مساكن فخمة وخدمات واسعة النطاق ، وتعاون القطاعان العام والخاص في حركة البناء الجبارة التي أدت الى الامتداد والتوسع الحضري الفريد .

واود ان اشير هنا الى ان المدينة التي تتوسع اكثر من اللازم لابد وان تواجه نتائج عكسية لهذا التوسع الزائد . وتبدد هذه النتائج العكسية في ثلاث نواح هي ناحية العلاقات الاجتماعية والناحيتان الجمالية والاقتصادية .

(أ) ناحية العلاقات الاجتماعية . ان المدينة في الواقع هي مكان لاجتماع السكان فاذا كانت ممتدة اكثر من اللازم وكانت اجزاؤها متباعدة كثيراً عن بعضها البعض وبالتالي كانت المسافات الفاصلة بين المراكز الرئيسية فيها بعيدة فانها لا تفي بالفرض الرئيسي من انشائها . ان الانسان اجتماعي بطبعه وهو على الرغم من وجود السيارة يميل دائماً الى «اللفة» و «الجيرة» والقرب من اخيه الانسان .

(ب) الناحية الجمالية : يجب ان تضم المدينة ساحات وميادين تتدرج مساحتها وفقاً لمختلف متطلبات المجتمع الذي يقطنها . فاذا كانت العمارات والابنية بعيدة كثيراً عن بعضها البعض فان عناصر التنظيم المدني والهندسة الجمالية التي تعتمد على انسجام القياسات وتناسب الساحات

وجمال منظر المدينة تفقد قيمتها وتبعا لذلك لا تتوفر للمدينة اية ملامح ذات قيمة جمالية كبيرة .

(ج) الناحية الاقتصادية : لا شك ان عملية تنائر المدينة اكثر مما يلزم تتطلب ثروة طائلة فالطرق والمرافق العامة التي يستلزمها ذلك التوسيع تتكلف الكثير من المال عدا عن استنفاد كثير من الاراضي التي يمكن الاستفادة منها لاغراض انشائية انفع .

ثم ان الفردية لعبت دورها ، كعامل مقرر في بناء المدينة بالاضافة الى العوامل الالزامية الاخرى ، فانتجت « الفيلا » او البيت الفردي الكبير الذي اتخذ موقعه ضمن مجموعة من المباني ، وادت في النتيجة الى تكاثر مثل هذه البيوت وانتظامها في صفوف . وبالاضافة الى ذلك فان فكرة انشاء المباني حول الساحات او « الاحواش » قد هجرت فصارت العمارات تطل على الشارع مما يعرض واجهات المنازل الخارجية الى قسوة العوامل الطبيعية المختلفة . وفي الوقت الذي يتميز فيه التنظيم المعاصر والتصميم العمراني الحديث بالجمع والتنسيق بين مختلف انواع المباني وبينما تدرك أقطار كثيرة أهمية الساحات التي أنشأ العرب فكرتها - ولكنهم لا يباهون لها اليوم - ينتاب المرء بعض الشعور بالمرارة بسبب عدم القدرة على تطبيق مبدأ الجمع بين مختلف انواع المباني وفكرة الساحات في تنظيم المدينة وهندستها وفي تصميم البيت وهندسته وبالرغم من أنه توجد في مدينة الكويت عمارات جديدة كبيرة وباهظة التكاليف لا تتفق من حيث الانشاء مع الهندسة الانشائية السليمة وحيث تعتبر الهندسة «العصرية» لكثير من الفيلات والعمارات تقليدا سطحيا للهندسة الجيدة ، يوجد عدد ملحوظ من المباني المعقولة يعوض عن النقص الفني في مباني الفئة الاخرى . فهناك محطة القوى الكهربائية وقصر الشعب وقصر السرة وملحق المستشفى الاميري وقصر السيف العامر القديم ومساكن الشيوخ والصليبخات وبعض «الفيلات» وبعض المدارس التي انشئت قبل عام ١٩٥٥ وبعض المساجد ومخافر الشرطة الجديدة وبعض الانشاءات الجديدة مثل العمارات الجديدة في المنطقة المركزية التجارية وسوق الخضار الجديد وقصر سعادة الشيخ سالم العلي - كل هذه تعطينا فكرة عن نوع الهندسة المعمارية التي تلائم طبيعة ومناخ الكويت . ويجب ان توجد الجهود لانشاء المباني المقبلة في الكويت بصورة تصلح للكويت وليس لالمانيا او السويد مثلا .

وليس حريا بالناقد الحضري ايا كان ان يجهل أو يتجاهل أهمية زراعة الاشجار في المدينة لتجميلها . وتبذل الان في الكويت جهود موحدة قيمة لتجميل المدينة وابجاد مناظر خلابة فيها بالرغم من جميع العوامل الطبيعية الميقة مثل الحرارة الشديدة وضعف خصوبة التربة الزراعية ووجود كميات محدودة من المياه . غير ان الجهود التي تبذل في ميدان زراعة الاشجار وانشاء الحدائق ، كحديقة البلدية الجديدة والتحميل العام تدعو الى الاعتزاز رغم ما يعترضها من عقبات مع العلم انه بالامكان اجراء

دراسات اعمق للموضوع وتوخي تصاميم افضل من شأنها ان تطور النتائج المرجوة من هذه الجهود.

ويجب ان يكون التجميل الزراعي عمليا وانسانيا اسوة بالهندسة وال عمران والتنظيم قبل ان يكون تزيينيا وفي الكويت على وجه الخصوص يجب ان يتمشى مع الظروف التي تلتزم بها الهندسة والتنظيم . فمزرعة الحكومة وحديقة سلوى وحدائق الاحمدي وحديقة قصر دسمان وحديقة قصر سعادة الشيخ عبدالله الجابر وحديقة البلدية الجديدة تمثل جميعا المستوى الذي يجب ان تكون عليه زراعة الاشجار في الكويت . والى جانب الاشجار والحدائق يجب ان يستحدث بناء النوافير في الكويت ويجب ان تحتوي الحدائق العامة على مظلات اكبر من الموجودة حاليا . ومن المؤسف ان تكون الجهود الزراعية قد وجهت لتجميل الطرقات الطويلة بدلا من الحدائق والميادين التي يتردد عليها المواطنون .

ومع تغير المناجم العمرانية والهندسية يميل المرء الى الاعتقاد بان الجهود التي تبذل في زراعة الاشجار وانشاء الحدائق العامة لتجميل المدينة ستسير في الاتجاه الصحيح وان انشاء منتزه البلدية في وسط مدينة الكويت لهو خطوة الى الامام في هذا الاتجاه . فعلى المهندس ان يدخل الخضار الى داخل المدينة وفي الميادين والساحات المستعملة وان لا يبدها في الخارج .

٨ - المستقبل :

ان ما حدث في الكويت حتى هذا اليوم يدعو الى الاعجاب . وكفة الحسنات ترجح على كفة الشوائب بنسبة محسوسة في مختلف الوجوه . وعلى ضوء تجارب الماضي هنالك يبعث على الاعتقاد بان المرحلة الثانية لبناء الكويت سوف تستفيد من الدروس التي اعطتها المرحلة الاولى في ميدان التنظيم والهندسة المعمارية (في النواحي العلمية والانسانية والجمالية) . وقد انتهى المجلس البلدي الحالي من اعداد رسم الخطوط العريضة لمستقبل التنظيم والهندسة للمرحلة الانمائية القادمة .

وستكون المرحلة الثانية بالاضافة الى اعادة بناء المنطقة التجارية المركزية ومدينة الحكومة ومناطق السكن الثلاث : الخالدية والعديلية والرميثية ، والكورنيش والمطار الدولي ومستشفين كبيرين ومستوصف عام لشتى انواع الامراض مع عدد كبير من المستوصفات الاختصاصية والمدارس ومخافر الشرطة ومحطات الاطفاء ومساكن ذوي الدخل المحدود ومساكن البدو والطرق واعداد تنظيم لفيلكة والمناطق الساحلية الخ ، ستكون مرحلة تطور صناعي وتشمل انشاء جميع المرافق اللازمة لحركة التصنيع . والصناعات المنوي اقامتها مستقبلا لاستغلال الفاز الطبيعي الذي يحرق حاليا في الاحمدي ستشمل صناعة الكيماويات البترولية والفولاذ والالومونيوم . وقد خطط موقع المنطقة الصناعية جنوب الشعيبة ومن المتوقع ان تصبح المنطقة الواقعة جنوبي الاحمدي

منطقة صناعة كبيرة . ويجري الان التخطيط على قدم وساق لانشاء محطة كبيرة للقوى الكهربائية ومصنع لتقطير المياه في الشعبة . ومما لا شك فيه ان حركة التصنيع هذه سوف تتبعها حركة عمرانية سريعة وسوف تنمو المنطقة مع الزمن حتى ربما تضاهي مدينة الكويت التي ستصبح انذاك المركز الثقافي والمالي والتجارب للدولة التي بدأت تنشأ فيها محافظات تبدو معالمها للعيان . ويشاهد المرء الان في الكويت مختلف الصناعات المتمثلة في صناعات الزيت والصناعات الاخرى . وعندما تتوفر للكويت المياه العذبة بكميات كافية ستتقدم فيها الزراعة والبستنة وصناعة الالبان . وستشمل هذه المرحلة ايضا توسيع نطاق الحركة العمرانية التي ستمتد الى الاجزاء الغربية من الدولة والى المنطقة المحايدة الآخذة في التطور السريع . ويمكن للمرء ان يتأمل نمو المدن الصغيرة في منطقة الروضتين وام العيش لتكون بيئات سكنية زراعية لها صناعات خفيفة محلية ، كما يمكننا ان نتأمل جزيرة فيلكه تتطور لتكون مشتى عالمي وقاعدة زراعية ومنطقة ترفيهية .

ويمكن مشاهدة منطقة او اقليم الكويت المأهولة من الجو ليلا عندما تكون كلها مضاءة بالانوار . وبعد ان يتم انشاء المنطقة الصناعية في الجنوب ومساكن البدو وانشاء العمران على محاذاة الساحل الدائري وبناء المطار الدولي الكبير تصبح المناطق المأهولة في الكويت متقاربة رغم اتساعها وامتداد اطرافها . ويجري الان اعداد مخطط تنظيمي لارحاء اقليم مدينة الكويت مع دراسة لاستعمالات الاراضي ودراسة لازدياد عدد السكان ومتطلبات حركة التصنيع بواسطة مسح صناعي جرى حديثا في الكويت لقد انتهت مرحلة تنظيم الشوارع والمباني في الكويت وبدأت مرحلة البناء والتخطيط الشامل في الدولة عامة . وتتطلب هذه المرحلة تنظيما علميا دقيقا يشرف عليه جهاز حكومي يكون مرجعه المباشر السلطة التنفيذية العليا للدولة . ومما يدعو للتفاؤل تكوين مجلس التخطيط الذي يمكنه ان يكون الجهاز الساهر على امور تطوير هذه الدولة .

ويجب ان يكون التنظيم الجديد ذا نطاق واسع وعميق وان يشمل كل نشاط حكومي يمت اليه بصلة كما يجب ان يضم جهاز تنظيم المدن الحكومي اخصائيين اكفاء في شئون التنظيم الاجتماعية والاقتصادية والمالية والصناعية والطبيعية والهندسية وان يعمل كأداة تنسيقية مع مجلس التخطيط يقوم بدراسة كافة مشاريع الدولة بعد ان تضع جميع أسسها على بساط الدراسة العلمية والاحصائية الدقيقة .

ان مستقبل الكويت لفريد . ولكي نعلق آمالا كبيرة على نتائج وثمار المستقبل يجب ان تكون الهيئة المسندة اليها اعمال التنظيم الشامل ذات مستوى عال من الفاءة . لقد ضربت الكويت مثلا يحتذى في مختلف ميادين النشاط بين اقطار العالم العربي وبإمكانها ان تضرب المثل كذلك في التخطيط المدني العلمي الشامل السليم .

٩ - افكار للتأمل :

غالبا ما يعترف الكويتيون وولاة الامور انفسهم جهارا ان مدينتهم الفريدة تضم كثيرا من المتناقضات ولا غرابة اذن ان تقع بعض التناقضات في التكوين الطبيعي للمدينة . فمثلا التنظيم فخم لكن التصميم المدني ليس كذلك ، والبنائات ممتازة ولكن ليس من الناحية الهندسية المعمارية الصميمة والهندسة الانشائية للمباني تثير الاعجاب لكن التصميم ليس كذلك . ان المدينة مدهشة كمجموعة اجزاء ولكنها ككل ليست كذلك . ثم ان ادارة وسلطة وميزانية العمران جيدة اما التنسيق فلا . ولا غرابة في هذا كله عندما يتأمل الشخص في ديناميكية نمو وتطور وتنظيم هذا البلد والسرعة العظيمة التي رافقت بناءه .

ان اول ما يلفت انتباه الزائر في الكويت طبيعة الحركة العمرانية الواسعة النطاق في منطقة الخليج العربي - بعد ثروة هذا القطر ، هو مناخها الذي يسوده الحر الشديد صيفا وطيبته في الشتاء . ثم يلي ذلك الشوارع الواسعة الممتدة والارصفة العريضة المبلطة والدورات الكبيرة الخضراء كذلك تلفت انتباهه محطة القوى الكهربائية الكبرى ومحطة تقطير مياه البحر . واخيرا وليس آخرا يلفت انتباهه المجهود الزراعي وذلك الوشاح الاخضر الذي تكتسي به الرمال هنا وهناك . هذا عدا عن العدد الضخم من السيارات والمتاجر والبضائع المختلفة الموجودة في مدينة لم تكن الى امد قريب معروفة الا لدى القليل من الناس .

وعندما تصبح هذه الانطباعات الاولى - المبنية على الاقدام والمادية الطبيعيين - مألوفا لدى الزائر يتكون لديه الانطباع الدائم ، الذي يجعله يعجب حقيقة بالكويت هو مستوى الخدمات الاجتماعية المدهشة التي يشاهدها هنا . اذ لا يسع المرء في الوقت الذي يتلقى فيه المواطن في معظم الاقطار الاخرى القليل في مقابل الضرائب والجهد التي يقدمها لحكومته ، اقول لا يسع المرء الا ان يعجب بهذه الدولة الفتية الواقعة على الخليج العربي حين يراها تقدم التعليم المجاني والسكن المجاني والخدمات الطبية المجانية - وهذه هي الاحتياجات الاجتماعية الاساسية للانسان . وها نحن نرى المستشفيات والمدارس والرعاية الاجتماعية بدلا من التماثيل والانصاب التذكارية وهذا لعمرى ما يبرز الاهمية الحققة والمكانة المرموقة لدولة الكويت - تلك المكانة المنبثقة عن الخدمات العامة التي تقدمها الدولة للمواطنين . كما ان اهميتها من حيث العمران تكمن في الانجازات الانشائية التي تؤدي خدمة اجتماعية التي حققها للمواطنين . ويود المرء مخلصا لو ان الاكثر من الاقطار العربية تحذو حذو الكويت في شتى الميادين لكي لا يبقى المواطن العربي تحت رحمة تجار الادوية والغذاء والعلم ، وعلى الاسوأ من ذلك كله ، تحت رحمة تجار المدينة والمدنية . هذا كله - والعالم على عتية قلق وحرب سببها الاساسي عدم وجود العدالة والخدمات الاجتماعية - يجعل من الكويت مثلا يقتدى به على الصعيدين العربي والدولي . ففي النهاية ، ليست

العمارات الفخمة والانصاب الكبيرة «والبولفرادات» الواسعة هي الغاية للانسان والانسانية ، بل هي الخدمات الانسانية والاجتماعية التي تقدمها الدولة للمواطنين . هذه هي المقاييس الحقبة التي يجب ان تدرس المدنية ورقبها وفلسفتها في اظلالها .

١٠ - الروضتين و أم العيش تطاولان التطور الاقليمي بعد الشعبية:

لقد كمنت خبيثة تحت رمال الكويت ، كميات وافرة من الثروة، منذ ما تعلم الانسان اضرار النار . وكان على العلم - ولا سيما علم الجيولوجيا الفذ - ان يكتشف اولا الثروة التي هي البترول، ويكتشف ثانيا ، ومؤخرا ، مادة الحياة ، التي هي الماء العذب .

لقد عرف الماء منذ فجر التاريخ على انه الباعث الشديد على التحضير . والتحضير هو الخطوة الاولى نحو الحضارة . ولذلك نمت الحضارة على ضفاف النيل والدجلة والفرات منذ خمسة الاف سنة بسبب وجود الماء في حين ان المنطقة المعروفة اليوم باسم الكويت قد عزلت عن ذلك - الا من حيث القليل الذي لا يذكر - بسبب ندرة الماء العذب فيها او عدم وجوده .

ولهذا المعنى اشارت الآية الكريمة في القرآن الكريم «وجعلنا من الماء كل شيء حي» . والواقع ان المياه قد بعثت دورا هاما في تاريخ العرب . وأن المرء ليسمع حتى في الوقت الحاضر عن «بحث» البدوي عن الماء ، وعن حاسة «شم الماء» الفريزية لديه . وهو انما استطاع ان ينافح خشونة الصحراء بهذه الحاسة العجيبة لديه ، بمساعدة بعيره سفينة الصحراء ، وقطعان غنمه .

اما ما فعله البترول للكويت ، فقد بات يدره كل شخص . واما ما يمكن ان تفعله المياه لها ، فقد يكون اهم واشد . بل ربما تغير مفهوم الصحراء وظروفها نتيجة اكتشاف مقادير وافرة من المياه الباطنية في منطقتي الروضتين وام العيش . ان مذخور الروضتين يقدر بزهاء اربعين كيلو مترا مربعا ، مساحة ، وما ينوف عن خمسين قدما ، عمقا . في حين ان مذخور ام العيش يقدر بزهاء اربعين كيلو مترا مربعا مساحة وما ينوف عن خمسة وثلاثين قدما ، عمقا . وبحسبة بسيطة يستطيع المرء ان يكون فكره عن ملايين الامتار المكعبة من الماء المخزونة تحت هاتين المنطقتين ، كما يستطيع ان يتصور كم يمكن لهذه المقادير الوافرة من المياه ان تفعله لمدينة الكويت وللانحاء الاخرى من الدولة ، اذا ما استعملت علميا وفي فطانة . هذا الى انه قد تكتشف ايضا «بحيرات» جديدة وعديدة اخرى في نواح عدة من الدولة عند تقدم عمليات الكشف المائي الذي تقوم به حاليا وزارة الكهرباء والماء مخزونة ثم بترشيح مياه المطر . ولهذا فان التقرير المنتظر بعد بضعة شهور ذات اهمية كبيرة للكويت .

ولان تزور هاتين المنطقتين ، وترى وتشرب من الماء الذي يضخ في الخزان الكبير في الروضتين ومنه يضخ الى مدينة الكويت، اجل ! لان ترى ذلك كله ، لما يبعث على الزهو والفخر والمباهاة . ولان ترى ايضا ما

يجري ثمة من « تزويد » هذين المذخورين بمياه المطر المخزونة ، لتدرك كم يمكن لعلم المياه ان يفعله بخريطة الكويت الاقليمية .
اما بالنسبة لمخططي المدن والاقاليم فان اكتشاف كميات وافرة من الماء في الكويت يعني الشيء الكثير ، اذ بالماء يمكن تعزيز عمليات الاعمار والتحضير والتوطين والزراعة وسواها من اعمال التطوير .
غير بعيد من الروضتين وام العيش ، ونحو مشارف الحدود العراقية اصبح يمكن الان حفر ابار الماء العذب التي تكفي لتزويد المستعمرات الصغيرة التي يتراوح عدد سكانها بين اربع مئة وست مئة شخص ، في سهولة وسرعة وبتكاليف اقتصادية . والتربة في تلك المناطق اقل ملوحة عنها في مناطق مدينة الكويت ، اذ هي مكسوة بالاشجار والخضرة .
وللغاز في بئر شركة النفط الكويتية بالروضتين نفس فوائد الغاز في بئرها الآخر بالاحمدي . وكل الامكانيات الدافعة الى تنمية التصنيع في منطقة الشعبية متوفرة بصورة ربما كانت اكثر ملاءمة في منطقتي الروضتين وام العيش . واذا كان تحضير البندو من الشئون التي تعني بها الدولة اليوم ، فان جميع العوامل متوفرة ايضا هناك بشكلها الجميل الداعي الى التفكير الجدي بتناول المنطقة تناولا « اقليميا » . ووضع مخطط فني دقيق للتنمية الاقليمية والتعمير « والتسكين » في تلك المنطقة لما تدعو اليه عوامل انشاء المستعمرات وتوليد الكهرباء ودفع عجلة الصناعة والزراعة . وبذلك يمكن اشادة مجموعة « حية » من اماكن السكن الصالحة لتوفير مستوى لائق من العيش الجيد لمئات الالاف من الناس . يضاف الى ذلك امكانية اقامة مشاريع مستحجات كبيرة (اماكن الترفيه والاستجمام) عن طريق حسن استعمال الماء وحفظه . وبذلك يمكن للكويتيين ان يشيدوا منشآت الزراعة والصيد والراحة والترفيه لايام الاعياد والعطل وسواها - كما هو حاصل في منطقة « صفوان » مثلا .

ويتوافر النظر في تصنيع منطقة « الشعبية » من حيث الكيماويات البترولية ، وقيام الفرص في جزيرة فيلكا لمنشآت الراحة والترفيه والزراعة وتوفر الامكانيات في منطقة الروضتين وام العيش بالاضافة الى ما اقدمت عليه الدولة من انشاء (مجلس التخطيط) ففقد بات على الدولة ان تقفز من اسلوب التخطيط المحلي الجزأ الى وضع مخطط عام شامل للدولة يكون فني ، ودقيق ، يأخذ بعين الاعتبار جميع الامكانيات والفرص والنشاط الجرم الفائر ، الراهنة في الكويت ، وفي جرة وسرعة . وبذلك تقتصد الدولة الشيء الكثير من الوقت والجهد والمال ، وتتفادى اسلوب « التجريب » والمجهود الجزأ ، وتفقد زعيمة العالم في التخطيط العلمي للدولة وهو ما تملك الوسائل لتحقيقه . فوضع مخطط علمي اقليمي شامل يراعى جميع العوامل والمؤثرات الكامنة في ارجاء دولة الكويت ويضع برنامج اولويات للشروع في المشاريع على مبدأ « الهم قبل الهم » ، والاكثر الحاج فوق الملح والاجدر حيوية فوق الحيوي . فللمخطط الشامل مزايا كثيرة لا تعد ولا تحصى ، خاصة لدولة صغيرة المساحة .

٢٢ - ميلاد وانشاء حديقة عامة وسط مدينة الكويت القديمة .

يعتبر التحويل الفجائي للمقبرة الكبيرة في شارع فهد الى حديقة عامة حدثا من اعظم التطورات في تحسين المدينة التي تمت خلال العام المنصرم . حيث انه حسب المؤلف عند انشاء حديقة في المدينة ان يتضمن امكانية الحصول على اموال لنزع ملكية الارض المتاحة لتحويلها الى حديقة . ويعتبر تاريخ انشاء الحدائق ظاهرة هامة في تطوير المدن . وقديما كانت توجد « حدائق بابل المعلقة » ذات الشهرة التاريخية وطبعا حديقة او « جنة عدن » . واليوم توجد الحديقة المركزية في مدينة نيويورك وكذلك « هايد بارك » في لندن وغابة بولونيا في باريس التي تعتبر جميعا من اشهر الحدائق في العالم . ويمكن الانسان ان يقدر ما قد تكون مدينة نيويورك عليه من وضع يدون حديقته المركزية الشهيرة التي تعتبر جزءا من الطبيعة في مدينة حرمت من صفات الطبيعة . وعلى الانسان ينسب الفضل الى سكان مدينة نيويورك الاولين الذين كانوا اواة في تحفظهم - بالنسبة الى جزيرة مانهاتن المزدهمة - لهذا الفضاء الحضري التنفسي كرثة لتلك المدينة العظمى .

في هذه الايام عندما تتعرض اسعار الارض واستغلالها الى اسعار مرتفعة وجنونية فان الانسان يمكنه ان ينظر باعتزاز وامتنان عندما يضرب بالمادة عرض الحائط ويقدم للمدينة فضاء اخضر ومفتوحا كمتنفس للمواطنين .

تعتبر القاهرة جميلة بسبب مساحاتها الخضراء الكبيرة ، وكذلك حدائقها العامة مثل حديقة الاورمان وحديقة الحيوانات المشهورة . ولدمشق عدد قليل من الحدائق الصغيرة الجميلة ولحلب حديقة ممتازة ان الحديقة الكبيرة او المنطقة الفضاء في قلب استانبول الجديدة تضيف على المدينة جمالا كما انها تصبغها بشعور الفضاء والسعة . وحتى مدينة بيروت الخالية من الحدائق تعتبر عزيزة على الانسان بسبب حديقة الصنائع الصغيرة فيها والتي كان يجب ان ينشأ مثلها في جميع المناطق التي على شكل عيش الغراب في هذه المدينة المزدهمة ولكن للأسف لم يحصل ذلك .

والان وبينما تتميز مدينة الكويت الجديدة بالاتساع - ولربما بالاتساع الزائد - حيث انها بنيت في مناطق مركزة حول المدينة القديمة الا ان المدينة القديمة كان ينقصها بالذات الفضاء الضروري الذي يحتفظ به عادة للتسلية واللهو والراحة . وبالنظر للمدينة من الجو فانه يظهر بان الفضاءات الكبيرة فقط - ما عدا الرقع الكثيرة للطرق الواسعة والدورانات العديدة - كانت عبارة عن المقابر القديمة . لقد ابتلع الفضاء

في مدينة الكويت القديمة بدرجة كبيرة بواسطة طرقها العامة ودوراناتها العديدة ومبانيها المختلفة واخيرا بإمكانه وقوف السيارات . اما الفضاء المخصص لتسليّة سكان المدينة فلم يكن موجودا بحجم كافٍ ولا في مكان مناسب .

كانت توجد مقبرة كبيرة مسورة في قلب الكويت ، وكانت محاطة من جميع الجهات بالطرق الواسعة وبعض الدكاكين القديمة . وكانت علامة الحياة الوحيدة خلف هذا الحجاب الحجري الذي يحيط بها هي الاشجار القديمة التي تمكنت من النمو اعلى من السور المحيط بها . لقد كانت هذه المقبرة مهجورة ومنسية منذ زمن طويل ولم يلاحظها او ينتبه لها احد ، ولقد استعملت - كمثل كثير من الحالات المشابهة لها حول العالم - لاغراض فاسدة ولرمي القاذورات . لم ينتبه لها احد الا عندما اشتدت حركة المرور حولها واقيمت المباني بجوارها ، عندئذ لفتت نظر الانسان لها كوسيلة ممكنة لتخفيف بعض المشاكل الحضرية حولها . ولم يكن بعيدا عنها القطعة رقم ٣ التي كانت اول قطعة تعمّر في المنطقة التجارية المركزية ويجاورها ايضا القطعة رقم ٥ المعدة للتعمير وليس امامها الا المقبرة تطل عليها . ومن وجهة نظر تخطيط المدينة لم يكن سهلا ابعاد فكرة تمرير شارع وسطها كوسيلة لتخفيف حركة المرور المزدحمة حولها وعلى الاخص على طول شارع عبدالله السالم (شارع الجديد سابقا) وشارع فهد وميدان الصفاة ، ولم يكن ايضا ممكنا تجنب اعداد حديقة مكانها في قلب مدينة الكويت . وكان يمكن تنظيم المباني حولها على شكل افضل ونظام احسن من وجهة نظر المنظر المدني والتصميم الحضري اذا توقفت المقبرة عن ان تكون سببا للاموات وحولت الى حديقة للاحياء .

ولكن في الدين الاسلامي كما في الاديان الاخرى توجد مدارس فكرية قوية ضد فكرة العبث بالمقبرة لآلة اسباب مهما عظمت شأنها وكبر امرها . ان مثل هذا التحفظ الديني التقليدي كان قويا جدا لكي يشبط من همم المحاولات التي عملت لتحويل المقبرة الى حديقة لقد نمت العقيدة الدينية على مر الزمن حتى جعلت استعمال المقبرة لاغراض اخرى غير الدفن من الامور المحرمة .

وعلى كل حال ، فبينما كانت هذه المقبرة - في الازمان القديمة - على حدود قرية الكويت الصغيرة وقتئذ الا انها اصبحت اليوم في قلب المدينة الحالية واصبح من غير الممكن اهمالها جديا لاستعمالها في دائرة الترفيه الحضري للجمهور . ولما كانت الحداثق تعتبر من المعالم الضرورية في مجالات الترفيه العام ، ولذا اصبحت التساؤل هو لماذا لا تحول هذه المقبرة الى حديقة ؟ هذه هي المشكلة التي عرضت على المجلس البلدي وطرحت على بساط البحث بين اعضائه الموقرين .

في يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٦٠ ارسل المجلس البلدي خطابا الى مدير عام دائرة العدل بالكويت وهذا نص الرد عليه :

السيد الفاضل مدير عام دائرة العدل الموقر ،

تحية ،

بناء على الكتاب المؤرخ ٢٢/٥/١٩٦٠ م مرجع م/٢٦/٥-٣٩٤٧
الوارد من الرئاسة بتوقيع امين سر المجلس البلدي المتضمن طلب اعطاء
الرأي الشرعي بالنسبة لتحويل المقبرة المجاورة لشارع الدهلة الى حديقة
عامة بعد ان اتضح ان هذه المقبرة لم تستعمل منذ اكثر من خمسين عاما
ونفيد :

بانه قد جاء في مذهب الامام مالك رضي الله عنه قال ابو الضياء
خليل في مختصره (والقبر حبس لا يمشى عليه ولا ينش ما دام به)وعندنا
ان الجلوس على القبر جائز والمراد بالنهي عن ذلك الجلوس عليه للفائض
والبول وكذا فسرهم مالك وروى ذلك مفصلا عن النبي صلى الله عليه وسلم
وكان علي رضي الله عنه يتوسدها ويجلس عليها وقال ان ابن حبيب
لا بأس بالمشي عليها اذا عفت واما القبر مسنم والطريق دونه فلا احيه
لان في ذلك تكسير وقال ابن عبد الغفور تحرث المقبرة بعد عشر
سنيين ان ضاقت عن الدفن وقال غيره لا يجوز اخذ حجر المقابر العافية،
ولا لبناء قنطرة او مسجد وعلى هذا لا يجوز حرثها ثم قال وان حرثت
جعل كراها في مؤنة دفن الفقراء وقال ابن رشد اما بناء مسجد على المقبرة
العافية فلا كراهية فيه وقال ابن القاسم لان المقبرة والمسجد حيان على
المسلمين ودفن موتاهم فاذا لم يكن التدافن واحتيج ان تتخذ مسجدا فلا
بأس لذلك لان ما كان لله فلا بأس ان يستعار ببعض ذلك على ما النفع
فيه اكثر والناس احوج اليه . وفي حديث ثالث للمالك عن ابي الرحال من
التمهيد انه يجوز النش لعذر وان جابر بن عبد الله رضي الله عنه اخرج
اباه من قبره ودفنه بفسر ذلك الموقع وكذلك فعل معاوية بمحضر من
الصحابه ولم ينكروه عليه اللخمي نقل الميت بعد دفنه ليس بحسن ولا
يبلغ ذلك تأييم فاعله وسمع ان القاسم ان احدثت قبور بفناء قوم في
غيبتهم ثم قدموا تسوية قديمهم بالرمي عليها ولا احب تسوية جديدها
ابن رشد ان ما كرهه في الجديد لانها في الافنية ولو كانت في الملك المحوز
لم يكرهه بل لهم نبشها وتحويلها الى مقابر المسلمين كعقل معاوية بن
عرفه في الاستدلال بفعل معاوية نظرا لانه انما فعل ذلك لمصلحة عامة .
حاجيه ابن سهل افتي بعضهم بالمشي على اسنمة القبور وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يشق المقابر على اسنتها لا بينها وقال غيره المشي
على المقابر لمن له قبر ضرورة ويأمر بالتحفظ ان لا يهدمها وللضرورة احكام
..... اقول وهذا بجملته صريح في جواز تحويل المقبرة موضوع
البحث الى حديقة عامة لانه قد مر عليها نحو سبعين سنة منذ ترك الدفن
فيها لضيقها عن الدفن وقد دفن المغفور لهما محمد وجراح في المقبرة
الجديدة الكائنة قبلي نايف ١٣١٣ هـ بعد انتهاء الدفن بالمقبرة موضوع
البحث بمدة خصوصا وقد عفت هذه المقبرة الان ولم يبق اثر لاسنمة
القبور التي فيها وهو موافق للمذهب الحنفي وللمذهب الحنبلي وفي

الفتوى الصادرة من المفتي العام في عمان بالاردن بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٣٧٥ هـ الموافق ٣٠ حزيران ١٩٥٦ والمنشورة في العدد الثاني السنة الثانية المجلد الثاني مجلة «هدى الاسلام» التي تصدر شهريا من مجلس الشؤون الاسلامية في عمان ما يؤيد ما ذهبنا اليه من الجواز لا سيما وقد اصبحت هذه المقبرة بؤرة لاجتماع الرعاع من الجهلة والاولاد للعبث والفساد والقاء الاوساخ والقاذورات مع العلم انها في موقع هو قلب البلاد ورثتها ومتنفسها وقد احيطت بالعمارات الشاهقة مما يجعل بقاؤها بشكلها الحالي غير لائق بل ومضر بالمصلحة العامة .

هذا وتقبلوا في الختام وافر التحيات

قاضي المحكمة الشرعية

وفيما يلي نص رد قضاة المحكمة بالكويت :

السيد مدير دائرة العدل المحترم ،

بعد كريم التحية ،

اطلعنا على كتاب سيادتكم رقم د ع - ٦٠/١٥٣٦/١١١/٢٠ المؤرخ ٦٠/٧/٦ م ، ومعه كتاب دائرة البلدية بشأن الفتوى في تحويل المقبرة المبينة به الى منتزه عام لما جاء به من اسباب .

وجوابنا عليه ان رأي الفقهاء في هذا الموضوع متعدد ، منهم من اجاز تحويلها بالبناء عليها والزرع فيها ومنهم من لم يجز ذلك ابدا . ونظرا لان طبيعة العمل القضائي تمنع القاضي من الفتوى نظرا لان كل موضوع عرضة لان يكون موضع دعوى بالمحكمة فاذا ما ابدى القاضي رايه سلفا في الموضوع منع من نظر الدعوى المعروضة فتتعطل الاحكام ، لذلك نصت القوانين في البلاد التي نظم قضائها على منع القضاة من الفتوى ومع ذلك نرسل لسيادتكم مع كتابنا هذا العدد الثاني من السنة الثانية لمجلة « هدى الاسلام » وهي مجلة اسلامية علمية ادبية اصلاحية تصدر عن مجلس الشئون الاسلامية بعمان وبها فتوى المفتي العام في عمان ردا على سؤال رئيس البلدية واعضاؤها بعمان في نفس هذا الموضوع بالذات وقد اجاز في فتواه الانتفاع بمثل هذه المقابر بالبناء او الزرع واقامة الاسواق عليها بالشروط الموضحة بها استنادا الى النصوص التي اوردها فيها وقد رجعنا الى اصول هذه النصوص فوجدناه امينا في نقلها وانها مطابقة لاصلها ولدائرة البلدية ان تأخذ بهذه الفتوى او تأخذ بالرأي الاخر .

وتفضلوا بقبول تحياتنا ،

قاضي المحكمة محمد الرفاعي ، قاضي المحكمة عبدالله العيسى ،

قاضي المحكمة احمد ابو طيبان ، قاضي المحكمة محمد رمضان ، قاضي

المحكمة محمد عثمان ، قاضي المحكمة عبد القادر العبد .

ان ما ركنت عليه الهيئات الشرعية والدينية في الكويت هو ما جاء في مجلة «هدى الاسلام» التي تصدر عن ادارة الشؤون الاسلامية كل شهر في عمان والمبينة فيما يلي :

باب الفتاوى والاستئلة والاجوبة مقبرة دارسة

سماحة المفتى العام في عمان الافخم ،

ما قولكم دام فضلكم في مقبرة في بلدة قلقلية مضي على اخر قبر دفن فيها سبع وثلاثون سنة واحاطت بها الدور العامرة بالسكان وعليه اصبح الجهال لا يقومون باحترامها وتسرب اليها الاذى باختراقها الطرق ووضع القاذورات والزباله عليها فهل والحالة هذه يصح البناء عليها سواء للحوائت او المساكن واستعمالها سوقا للخضار التي تأتيها من كل جانب على ظهور الدواب او الكارات او السيارات واذا سمح الشرع في ذلك كله فكيف الطريقة الشرعية لاستعمالها هل ينبش القبور وجمع العظام ووضعها في المقبرة الجديدة او بوضع عظام كل قبر يدفن وحده (١) افيدونا الجواب ولكم الاجر والثواب .

٢١ ذي القعدة سنة ١٣٧٥ موافق ٣٠ حزيران سنة ١٩٥٦ .

رئيس البلدية واعضاؤها

الحاج احمد محمد عبد الرحمن ، عبد الفتاح المحمود ، عبد الرحيم السبع

وكان رد المفتى العام :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على محمد وآله

ان المقبرة متى بليت اجسام الموتى فيها ودرست لا مانع من الانتفاع بها بالبناء او الزرع او البيع والشراء فيها واتخاذها سوقا لذلك ومن النصوص التي تفيد ذلك من مذهب الحنفية ما نقله ابن عابدين في حاشيته عن الزيلعي (ولو بلي الميت وصار ترابا جاز دفن غيره في قبره وزرعه والبناء عليه) وعلق على قول مخالف لهذا بقوله (قلت لكن في هذا مشقة عظيمة فالاولى اناطة الجواز بالبي) وقد اعترض على المنع من الحفر الى ان لا يبقى عظم بأنه عسر جداً وفي البحر من كتاب الجنائز (وان نقل من بلد الى بلد فلا اثم فيه لانه روى ان يعقوب صلوات الله عليه مات في مصر وحمل الى ارض الشام) ومن النصوص في مذهب الحنابلة ما في الاقناع وشرحه (واذا صار الميت رميما جازت الزراعة

(١) توضع عظام كل قبر في حفرة وحدها .

والحرث في موضع الدفن وغير ذلك كالبناء ، قاله ابو معاذ) وما جاء في كتاب المفني (وان تيقن ان الميت قد بلى وصار رميما جاز نبش قبره ودفن غيره فيه) ثم قال (وسئل احمد عن الميت يخرج من قبره الى غيره فقال اذا كان شيء يؤذيه قد حول قبر طلحة وحولت عائشة وسئل عن قوم دفنوا في بساتين ومواضع رديئة فقال قد نبش معاذ امراته وقد كفت في خلجان فكفنها ولم ير بأسا) وان من ينظر الى البلاد والمزارع والاسواق والمتاجر بل ما هو اقدر من ذلك واكثر امتهانا فانه لا يشك انه جميعه قائم على مقابر لان وجه الارض قد عمته المقابر كما قال الشاعر :

خفف الوطء ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد

ولم نزل نرى المسلمين ينتفعون بالمقابر الدارسة بالبناء او غير ذلك دون انكار من العلماء ولا معارضة من الفقهاء وان المقبرة المسئول عنها ما بقي منها وصار رميما يباح الانتفاع بارضه بالبناء واقامة الاسواق بظاهر ما نقلناه انما من اقوال الحنفية والحنابلة انه يباح زرعه والبناء عليه وغير ذلك وما لم يبل فانه يجوز نقل عظامه اذا كان في نقله فائدة له وصيانة من انحذار الاقدار اليه وامتهانه يمشى الناس عليه والدواب وبول الكلاب وعلى مذهب الحنفية يستدل على هذا بما نقلناه عن البحر من ان نقل الميت من بلد الى بلد لا آثم فيه والاحتجاج بنقل جثة يعقوب من مصر الى الشام فان النقل من مكان الى مكان في بلد واحد اهون من النقل من قطر الى قطر والمفروض في الميت انه بعد طويل زمن تكون جثته قد صارت عظاما وقد كان النص في نقل عظام الميت من مكان الى مكان صريحا في مذهب احمد وذلك في جوابه لمن سألته عن ذلك بقوله (اذا كان شيء يؤذيه) اي ينقل لذلك وفي جوابه لمن سألته عن قوم دفنوا في بساتين ومواضع رديئة وقد استدلل بنقل عدد من قبور الصحابة رضوان الله عليهم وعلى هذا فان غلب الظن بان القبور قد بليت تحفر او تسوى فان وجد فيها عظام حفر لتلك العظام في مكان اخر ووريت وليحذر من كسر العظام فانه لا يجوز حتى لو كانت لكافر وقد ورد ان كسر عظام الميت ككسر عظام الحي ولم يبح نقل الميت الا لان في بقاءه ما يؤذيه فاذا لم يكن ما يؤذيه فانه توارى عظامه حيث هي وقد اجيز ان ينش القبر بعد ان يكون رميما لدفن غيره معه اذا كان ذلك لضرورة وتجمع عظام الميت الاول وتميز عن جثة الثاني والله اعلم (١)

وهكذا تهيأ الوضع عندما حيد قاضي المحكمة الشرعية بالكويت فضيلة الاستاذ احمد عطية تحويل المقبرة الى حديقة ، وقد استند الى فتوى المفتي العام في مجلة هدى الاسلام وارسل كتابا الى مدير عام دائرة العدل في ١٢/٢٣/ ١٩٦٠ ، هذا نصه :

(١) توضع عظام كل قبر في حفرة وحدها .

لحضرة الاجل مدير دائرة العدل في الكويت المحترم ،

بعد التحية ،

ارفع لحضرتكم جوابا على كتابكم المؤرخ ١٢/١/١٣٨٠ هـ والموافق ١٩٦٠/٧/٦ ، والمتضمن الاستفتاء من المحاكم عن جواز استعمال المقبرة القديمة وتحويلها الى حديقة عامة بناء على الكتاب الصادر من المجلس البلدي الى رئاسة العدل بتاريخ ١٩٦٠/٥/٢٢ وقد اعتذر قضاة المحكمة الشرعية عن الجواب لكون القاضي لا يجوز له الفتوى واكتفوا بجواب صادر في مجلة هدى الاسلام الاردنية بتاريخ صفر ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٧ طبق السؤال الصادر من مجلس بلدية الكويت وحيث ان الجواب ينبغي ان يكون على المعتمد من المذاهب الاربعة بلا تتبع للاقوال الضعيفة لان بعض المذاهب لا تخلو من رخص غير معتمدة ، لهذا احرر الجواب على المعتمد من المذاهب وعلى الاخص مذهب الامام احمد رحمه الله تعالى .

فالمقبرة محترمة عند جميع الاديان على اختلافهم ولا يجوز التعرض لها وفي مقدمتهم الدين الاسلامي كما وردت بذلك الاحاديث عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لان يجلس احدكم على جمرة فتخرق ثيابه فتخلص الى جلده خير له من ان يجلس على قبر وعن عمرو بن حزم قال رأني رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا على قبر فقال لا تؤذ صاحب هذا القبر او لا تؤذه . وعن بشير بن الخصاصية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يمشي على قبر في نعلين بين القبور فقال يا صاحب السبتين القهما . وحديث عائشة مرفوعا كسر عظام الميت ككسر عظم الحي والرسول صلى الله عليه وسلم هو المشروع عن ربه وهو القدوة الحسنة كما قال تعالى فقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وكل يؤخذ من قوله ويرد الا صفوة الخلق صلى الله عليه فيؤخذ من الاحاديث الواردة احترام الاموات وانه لا يجوز الجلوس على القبر ولا المشي بين القبور بالنعلين وان القبر حبس على صاحبه اي وقف عليه كما نص على ذلك الائمة في كتبهم المعتمدة وقال الامام احمد رحمه الله تعالى ولا يباح نبش قبر مسلم مع بقاء رتمته الا لضرورة كأن دفن في ملك الغير بلا اذنه والاولى تركه ومن ظن انه بلي وصار رميما جاز نبشه ودفن غيره فيه وان شك في ذلك رجع الى قول اهل الخبرة فان حفر فوجد فيه عظاما دفنها مكانها واعاد التراب . كما ان ولم يجز ان يدفن فيها ميت اخر عليه هذا ما ذكره علماء الحنابلة في كتبهم المعتمدة تمسكا بالاحاديث الواردة ان المقبرة لا يجوز ان تستعمل حديقة او غيرها ما لم تكن ترابا ويتحقق بلاؤها وان المقبرة لم تحدد بسنين معلومة او مدة محدودة بل الامر يرجع الى اتربة الارض حرارة وبسرودة فالارض الحارة تبلى الاجساد فيها سريعا والباردة لا تبلى الا بعد مدة طويلة كما هو عندنا في الكويت وقد انتخب الشيخ يوسف بن عيسى من مدة اربع سنين عندما وجه مثل هذا السؤال ان يكشف عليها وبعد الكشف من فضيلة الشيخ يوسف فوجدها لم تبل عظامها وافتي بعدم التعرض لها .

والحالة هذه والمسألة دينية لا محل للآراء فيها او التعليقات عنها والواجب التمسك بالدين والاخذ باقوال سيد المرسلين لقوله تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال تعالى . فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم . وفي الختام تفضلوا باجمل التحيات والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لم يضع قسم التنظيم في دائرة الاشغال العامة وقتا في اعداد تصميم للحديقة مكان المقبرة الكبيرة . لقد استخدم شيئا من بعد النظر عندما فكر بتقسيم الحديقة الى جزئين : جزء كبير للعموم وجزء اخر صغير للعائلات وفصلت الحديقتان بواسطة طريق متسع اشتق عمدا كي يكون وصلة للمرور الى البحر من شارع فهد . لقد فتح هذا الشارع لهذا السبب ولكون الفتوى لم تمنع في فتح شارع وسط المقبرة وبذلك خدم هذا الشارع المبني على تفكير بعيد النظر حركة المرور عندما هدم سور المقبرة القديم . لقد ابتداء العمل في انشاء الحديقة الكبيرة وركز فيها النشاط ثم فتح الشارع بينها وبين حديقة العائلات . لقد جهز التخطيط الرئيسي بسرعة بينما سارت الرسومات التفصيلية بنفس السرعة التي اقيمت بها الحديقة مما يعتبر عاملا فائقا وممتازا في حد ذاته يمكن وصف تصميم الحديقة بانه غير متماثل ومكون من عدة انشاءات اقيمت حول بركة مثلثة الشكل في الوسط . يوجد للحديقة عدة مداخل اهنها الواقعة على شارع فهد . ويؤدي احد المداخل الى الطرف الجنوبي ويمتد موازيا لشارع فهد وعلى حدود مدرج يصلح لان يكون مكانا لعزف الموسيقى او القاء المحاضرات . اما الممر الداخلي فتوجد به عدة برجولات من الخرسانة تكون شكل منجل حول البركة . وتوجد داخل الحديقة انشاءات هنا وهناك مثلثة الشكل او على شكل عيش الغراب يستظل تحتها الرواد في شهور الصيف الحارة . لقد تخلفت صفوف الاشجار القديمة بعد هدم السور على طول شارع فهد وهيئت تحتها مواقف لانتظار نحو ٢٥٠ سيارة . اما السور الجديد فقد صمم من دربزينات عربية مبسطة . وعندما تزرع الحديقة بالحشائش والاشجار والزهور سيكون لها جو مهرجاني في قلب مدينة الكويت . لقد شق الطريق وسط المقبرة القديمة وبذلك ساعد على تخفيف حدة المرور في احد قطاعات المدينة المزدهمة .

سوف يبدأ في انشاء الحديقة الصغيرة ، اي حديقة العائلات ، في الجهة المقابلة للحديقة الكبيرة وسيهيئ التصميم فيها نوعا من البرجولات التي تلقي الظل ابتداء من المداخل وبيضة دورانات منها جزء مسقوف يحيط بالبركة الوسطى وسوف تهيب منطقة للعب الاطفال وكذلك بعض الانشاءات التي تلقي الظلال وتقي الرواد من حرارة الشمس المحرقة ناهيك عما تجلبه من منظر طبيعي اخاذ . هذه الحديقة تجاور قطعتين من المنطقة التجارية المركزية التي سوف ترفع من شأنهما لوقوعهما بالقرب منها .

ان شيئا وجيها ينبغي ذكره هنا وهو كمية التربة السطحية التي اضيفت لارضية المقبرة . انها خدمت غرضين : اولا تهيئة ارضا زراعية

بدلاً من الطبقة الرملية وهو نظام اتبع في جميع انحاء الكويت وثانيا تجنب الحفر بعمق داخل الارض ، وبالتالي تجنب العبث ببقايا الاموات . اضيف الى ذلك ان عمق هذه الطبقة الزراعية من الارض يبلغ حوالي متر مما يجعل عظام الموتى في مأمن من العبث بها .

لو كان الانسان لديه فسحة من الوقت لدراسة المنظر الطبيعي ، وكذلك تفاصيل اثار الحديقة من تخوت ومقاعد واسوار ومصاييح اضاءة ونافورات وتماثيل وبرجولات . . الخ فانه كان من الممكن تهيئة تصميم ممتاز ولكن كل شيء في الكويت يعمل ويجري بسرعة البرق ، ومع ذلك فمن حسن الحظ ان تصميم الحديقة الذي عمل على وجه الاستعجال كان معدا مبدئيا قبل ان تصدر الاوامر بانشاء الحديقة .

لقد انشئت هذه الحديقة في موقع مرتفع الثمن من وجهة النظر الاقتصادية البحتة وهذا مما يعتبر مفخرة ومائزة لولا الامور في المجلس البلدي . وكذلك ينسب الفضل ايضا لحكمة القاضي بالمحكمة الشرعية السابق فضيلة الاستاذ احمد عطية الذي رأى بناقب فكره تلك التعقيدات الحضرية والاجتماعية المتضمنة في الاحتفاظ بالحالة الراهنة للمقبرة ، وكذلك ينسب الفخر ايضا لجماعة المخططين والمصممين لسرعتهم وتخليهم في تصميماتهم الفذة وسرعتهم في ابرازها الى حيز الوجود . وعندما تفتح الحديقة للجمهور في سنة ١٩٦٢ فانها تعطي متنفسا للمواطنين ومكانا لهم للراحة والتسلية في مدينة تغلبت فيها الآلات على الطبيعة . وفوق هذا وذاك فان انشاء هذه الحديقة سيعطي ولاية الامور مبررا في استخدام مساحة كبيرة من الارض في قلب المدينة لاجراض روحانية وجمالية وتسلية ، وبذلك يقوى ايمان الانسان بأن الانسان لم يصبح مجردا تماما من القيم الروحانية وانما يشهد باهميتها بل ويفضلها على اقتصاد واستغلال الارض في منافع مادية .

وفي مناسبة اخرى ، اقترح كاتب هذه السطور تسمية هذه الحديقة في قلب المدينة باسم ابن خلدون كذكر لهذا العالم العربي الذي كتب منذ ٦٠٠ سنة مضت عدة ابحاث ممتازة عالجت المدينة من وجهة نظر تخطيطها وفن العمارة فيها وانشائها بالاضافة الى المظاهر الاجتماعية المختلفة فيها . انه من المناسب فقط لانسان له عبقرية كأبن خلدون ان يعترف به العرب اليوم ويطلقوا اسمه على احدي حدائقهم الهامة .

ان ميلاد وايجاد حديقة في وسط الكويت يعتبر عملا واحدا فقط من الاعمال العمرانية الكثيرة التي قامت بها الدولة الناشئة وهي تقف مع جماعة الامم القادرة وتفاخر بالتحسينات الحضرية وكذلك بالمعاهد والمؤسسات مثل الطب المجاني والتعليم المجاني . وعندما يدرك الانسان ان الارض في مدينة بيروت المزدهمة تستغل بجنون لاقامة المباني عليها ولا يترك متنفسا كحديقة للسكان الذين ينمون بسرعة فان الانسان يقدر الفضل لحكمة مجلس بلدي الكويت في تحويله رقعة الارض وسط المدينة والغالية الثمن الى حديقة عامة . وان الانسان ليرجو ان تحذو البلدية حذو هذه السابقة وتحول جميع المقابر المهجورة منذ زمن طويل داخل المدينة الى حدائق غناء تسر الناظرين .

٢٣ - نحو التخطيط الشامل والسياسة الثابتة للإسكان في الكويت

دراسة نقدية

(١) مقدمة

تتكون المدينة من جماعة من الناس ، وتحتاج الجماعة الى مأوى وتسهيلات في سبل المعيشة . ومن ثم تتولد الحاجة الى تشييد الابنية المختلفة الانواع والاحجام والاغراض . والنوع الوحيد المهم والمتكرر من الابنية هو الخاص بالسكن ، سواء كان ذلك كوخا متواضعا أو فيلا بحديقة فيحاء أو شقة بعمارة سكنية أو قصر ذي حدائق غناء . والوحدة السكنية التي تختلف في الحجم تبعا للغرض الاجتماعي والامكانية الاقتصادية ، هي الوحدة التكرارية التي تتكرر - من الوجهة المثالية - بعدد الاسر اذا جاز للانسان أن يبرز معنى التكرار الى نهايته القصوى .

لم يعد غريبا تبعا لذلك أن نواجه الوحدة السكنية ومجموعات من الوحدات بل وتجمعات من المجموعات الوحيدة على آفاق الحقول الحضرية . ولهذا السبب ، فإن معالجة السكن بالنسبة للانسان سوف يكون له تأثير مباشر على الشكل والانشاء والهيئة والانتشار وكذلك الهيكل التكويني للمدينة واتساعها ان بناء الوحدات السكنية تكون غالبا جزءا أساسيا وذات قيمة رأسمالية شاملة ومنصرف سنويا وكليا على الجماعة . وعلى هذا الافتراض ، يشكل بناء المساكن قطاعا مهما واساسيا للقاعدة الاقتصادية الاجتماعية .

ان نوع ووحدة وحجم وتصميم وكمالية الوحدة السكنية تصنع وتحدد بواسطة القوة الاقتصادية لشاغل الوحدة السكنية . وعلى هذا نجد ، اذا فحصنا أصل أي مدينة ، مجالا واسعا جدا بين الأسكان المنخفض جدا للعمال والأسكان الكمال جدا للجماعة ذات القدر الاقتصادية الكبيرة . ان البناء الاقتصادي ، وغالبا الاجتماعي ايضا ، لاي جماعة ينعكس طبيعيا وبسرعة بواسطة حجم ونوع المسكن المنتشر في المناظر الحضرية والريفية . وفي سابق الزمان، عندما كانت تقوم زعامة دينية أو سياسية في جماعة ، فان ممتلكات الحاكم أو قصره كان يقف عاليا شامخا ومتغلبا على غيره من صور الخيال الأفقية والرأسية للمدينة ويحاط عادة بسلسلة من المباني المتواضعة التي يقطنها المحكومين . كان أصل المدينة في تلك الايام الغابرة بسيطا في تركيبه العضوي ، ومن الصعب تمييزها . وان نظرة واحدة من الجو تدل بوضوح ان يقطن الحاكم وابن يقطن المحكومين وابن كلاهما

يعبدون . فالمدن الاوروبية في العصور الوسطى واكثر المدن العربية القديمة تبين بوضوح وتعكس الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الراهن في تلك العهود .

لكن بمرور الزمن وازدياد التعقيدات الصناعية قد توقفت المدينة على ان تكون تركيبا عضويا بسيطاً . فنمت في الحجم وامتدت وانتشرت معبرة ، عن اضافة الاستعمالات المختلفة للارض الجديدة المتولدة وعاكسة تلك الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية المضافة والتي كونت التركيب الحضري الجديد المشتت والمعقد . ان مثل هذا الاختلاف والمغالطة نما بلدون رادع ليعطي صورة كبرى لامثال تلك المدن الهائلة مثل نيويورك وباريس ولندن وطوكيو وموسكو والقاهرة الخ . . ان البناء المتمدن عن سعة بتعقيداته الحضرية الهائلة قد عكس بمواد الخرسانة والزجاج والاسفلت تلك الابعاد الجديدة للتركيب الاجتماعي والاقتصادي التي حركتها تعقيدات ومغالطات الثورة الصناعية او دوافع الدخل الكبير .

ولكي ندرس تكوين المدينة يجب رؤية ومعرفة التكوين الاقتصادي والاجتماعي لجماعة بالذات التي بقدرتها بسط حسابياتها ونشر اتجاهاتها نحو الخارج مكونة مايسمى بالمدينة . ولكي ندرس الاصل الحضري يجب رؤية ومعرفة القيم الاكثر دلالة وعزة لجماعة معينة وكذلك القوى الدافعة من ورائها . ولكي ندرس اجزاء المدينة القديمة والجديدة ونقارن الواحدة بالاخري يجب معرفة ورؤية تغيير الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي حل بالجماعة المعنية .

فعندما ندرس مثلاً قرية « وارة » الصحراوية القديمة في دولة الكويت ونقارنها بمدينة الكويت المعاصرة النامية ، يجب رؤية ومعرفة التغيرات الجوهرية السريعة جدا والاساسية والهائلة التي حلت في هذا الجزء من الصحراء العربية المترامية الاطراف . كذلك، يجب رؤية ومعرفة الثروة التي كانت سببا في خلق الجماعة الحديثة التي اصبحت ، بين عشية وضحاها ، حضرية ومزدهرة وآلية . ولكي ندرس هذه التحولات والتطورات الحضرية السريعة والمفاجئة يجب رؤية ومعرفة التأثير المشكل للدخل والاقتصاديات على ضوء اتساع وعمق ومعنى نمو المدينة . ويجب ايضا درس الاسس الفلسفية التي ادت لهذا التوسع والنمو والازدهار .

هذا التحول الهائل العظيم بالنسبة للاسكان قد اصبحت ، بدوره ، طباعا مميذا لدرجة انه احتوى على مختلف درجات الاسكان من كوخ او عشة متواضعة الى قصر شامخ اشتمل على كل الكماليات قادرة على التحول المعجز لم تكن كل اجزاء التضخم او النمو الحضري قادرة على الارتقاء والتطور والتحول بنفس القدرة والسرعة والمعدل . ورضوخا للقوانين العضوية والحية والنامية ، فقد استسلمت الاجزاء الميتة للمدينة المعقدة لبعض الحقائق التاريخية ، ولقد نما وتطور بعض قطاعات من السكان اسرع من غيرهم ويعبر عن ذلك بمواد الصفيح والقش والزجاج

والرخام والالومنيوم على طول التوسعات الحضرية الجديدة الهائلة على وجه البسيطة .

وكما ان مدينة الكويت قد تعرضت لنمو مفاجيء وغير متوقع حتى انها اثرت لدرجة ان تمدداتها واندفاعاتها قد تشعبت في كل اتجاه عملي وبدون ادنى مقاومة ثم تشعبت من البلدة الفطرية القديمة على طول شاطئ الخليج العربي وتجاه الصحراء ، فلقد امتدت واتسعت المدينة الاصلية بسبب المخطط الذي وضع سنة ١٩٥١ ، من جهة ، ومن جهة اخرى فقد تبعت الخطوط الأقل مقاومة بالنسبة لاستعمالات الأرض وامتدت من الميناء الى موقع المطار الحالي ومناطق الاستقرار السكنية العديدة .

(ب) الانفجار الحضري

لقد حدثت اخطاء اساسية في التنظيمات الكبرى لاستعمالات الارض في كثير من المدن لان التخطيط العام لم يبين على دراسات شاملة لاستعمالات الارض ولا على عمل مسح وتحاليل لحركة المرور يسترشد بها ولم يبد اي اهتمام بالاعتبارات المناخية الدقيقة . ان مجال المهارة في الحسابات ، بالنسبة للناس واللبنات ، قد ترك لاستراتيجية الحظ والصدف بدلا من استراتيجية الدراسة والتحليل في كثير من الاحوال . وتبعاً لذلك قد ظهرت في بعض الاحيان شبكة من الشوارع المشتتة والغير اقتصادية بدلا من ظهور شبكات حضرية مندمجة واقتصادية . وقد تخلفت في كثير من الحالات المنافع الاساسية (مثل المياه والمجاري والكهرباء والهاتف) عن ملازمة ومتابعة العمران الحضري . . وان لحقت بها حيناً فانها تتخلف عنها احيانا مما يسبب مضايقات غير مستحبة ونفقات طائلة . . . هكذا كان نمط النمو السريع الاندلاع من الاسباب التي دفعت المدن الى الاتساع بدون فسح المجال للدراسات العلمية والوافية لتوجيه التطور .

لم يكن المقصود في هذا التقرير عن سياسة الاسكان والتخطيط ان نعدد الاخطاء الحضرية والفكرية الواسعة التي تعرضت لها كثير من المدن ولا حتى لنحصر الاخطاء الفنية بالتفصيل . لان الاخطاء النظامية الكبيرة والدقيقة عديدة جدا لدرجة اننا نحتاج الى مجلدات عدة لاستيعابها . فغياب العلم والتخطيط يؤدي حتما الى اخطاء كثيرة متنوعة .

وهناك قطاع آخر ارتكبت فيه اخطاء فنية كقطاع التخطيط الا وهو القطاع السكني بالنسبة لاختيار الارض واستعمالاتها فيه . لقد خططت المناطق السكنية بسخاء خصوصا بالنسبة لما يسمى بالوحدة السكنية التي تميل الى حد الاسراف المفرط في استعمال الارض بالنسبة للمناخ وعوامل كثيرة اخرى . لقد اضيفت اراضي فضاء او قطعاً من الاراضي الشاذة الاشكال هنا وهناك الى مساحة الشوارع الفسيحة والتي تعتبر زيادة عن الحاجة (بالنسبة الى حجم حركة المرور فيها) مما سببت لمدينة تعدادها ٣٢٠.٠٠٠ نسمة تقريبا ان تمتد وتتسع خارج

دائرة كل الحدود المعقولة من طرف لآخر . اما التسهيلات التي منحت للوحدات السكنية مثل الدكاكين والسينمات والمقاهي والقاعات وغيرها فقد شيدت في بعض الحالات بدون علاقه لعدد السكان . بناء على ذلك، يواجه الانسان حالات واوضاع غريبة في الشؤون التنظيمية : مثل شبكة من الطرق الغريبة الشكل وشبكة من المرافق اما المتزايدة او الناقصة . . وشبكة من الاخطاء في قياس احتياجات السكان واقتصادياتهم الحقيقية . وكل هذا ناجم عن عدم اجراء مسح للضروريات ودراسة واقعية للمتطلبات .

عندما يحتاج الانسان الى فراغ غير مجزا ، فانه يجده مقطوع الاوصال لا يصلح لخلق تخطيط حسن . وعندما يحتاج الى فراغ صغير، يحظى بفراغ شاسع ، وزائد على المقياس البشري . وهكذا قد تركت المحافظة على الفراغ واستعماله وتفصيله ومناورة تدبيره الى الظروف المحضة . تحتاج كثير من المباني المجمعمة والمتداخلة بعضها الى تحديد وتماسك وتناسق وتكوين . لقد استعمل قليل من الخيال في تخطيط الموقع الذي يعتبر اداة ذات قوة فعالة في نحت واحداث نتائج سكنية وفراغية سارة للناظرين . تسبح المباني في فراغ غير ثابت الاساس ، وغالبا ما يكون في وضع شاذ بالنسبة للطرق العامة التي تعين المناطق السكنية . وعندما تبني مساكن الاسكان بالجملة لجماعات ذوي الدخل المحدود فان التصميم لكلا الموقع والمنزل لا يظهران ما يمكن اظهاره عضويا . لقد بنى الفراعنة في « كاهون » لجماعة العمال احسن مما بنى المهندسون والمخططون المعاصرون حول العالم من بيوت هي اشبه بعلب السردين او صناديق الطرود لذوي الدخل المحدود . وفي مناطق متاخمة لحدود اكثر المدن الكبيرة يعيش العمال والكادحون في اكواخ حقيرة جدا يصعب وصفها . ونجد في الكويت كما نجد في مدن كثيرة اخرى سلسلة هائلة وغريبة ذات طرفي نقيض من انواع السكن من جهة صفتها وحجمها ومقياسها ومظهرها ان لم نذكر شيئا عن فن العمارة فيها . لم يأت المعمارون ولا المخططون عن انواع الاسكان في الكويت من القصر الى الكوخ بأي جهد عادل وعلمي ومنصف لهذه الحالة الفريدة الملية بالتحديات والامكانيات الخلاقة . وحتى الان لم ينجز شيئا ذا مغزى معماري يتناسب مع امكانيات الكويت والفرصة التي وهبتها للمهندسين والتي لا مثيل لها . حقا ان الشيء الوحيد ذا المغزى البارز والمعماري الكامل بالنسبة للعوامل المشتملة في قوى الاقليم من الوجهة الحضرية والمعمارية والهندسية البنائية هو وجود الاجزاء التي لم تمس بعد من المدينة القديمة .

واذا ما نظرنا الى منظر لمدينة الكويت مأخوذا من الجو كما هي حاليا مفككة الاجزاء ومجزأة الاوصال فانما ننظر بأسى على عدم التناسق الهندسي الممكن ايجاده وخلوها من تأدية الوظيفة المطلوبة بأحسن الطرق في هذه الاوضاع الفريدة . وباختصار فاننا ننظر الى تجميعات ما عدا ما توجد في هذه اللخطة احيانا وبالصدفة من بعض المناظر والتأثيرات السارة . وحتى ذلك لا يعد حقيقة في صورة الشوارع والمنازل والانشاءات التي يراها الانسان على صورة فوتوغرافية جوية للكويت . وسواء على الاقدام او من

السيارة فان المؤثرات الجمالية لا تقارب ما كان قديما من حيث الفلسفة الهندسية الجذرية .

ان ما حدث يعتبر عبارة عملية كبرى في البناء ناهيك عن عدم تأدية الوظيفة المطلوبة وعدم وجود النمو العضوي فيه وافتقاره في طبيعته الجمالية في كثير من الاحيان .. لا شيء فيه عضويا يمكن ان يكون اساسا ومرشدا للنمو والاضافات الحضرية كي يرى فيه الانسان اصل البناء الحضري وطابع الكويت الخاص . اكثر الاشياء كأنها وليدة الصدف . اكثر الاشياء كانت نتيجة للتجربة والمخاطرة الغير علمية من الناحية الهندسية كل شيء كان تحت رحمة ضربة تصيب وضربة تخطيء . كل شيء كان غير عضوي بل ومفرطا باهظا ، الى ان تدخلت السلطات المختصة ووقفت تحارب المهندسين والمخططين ، تلك التجارب التي كادت ان تفقد الكويت الفرصة الفريدة لبناء المدينة العصرية المثلى .

لا تزال تواجه المدينة اخطارا اساسية جمة . ان الانسان قديسي اخطاء الماضي ولكن الاخطاء التي تكمن في الأفق كجنين لهي وخيمة العواقب ومنذرة بالسوء ومهددة وخطيرة وما لم يعترض عليها الانسان ويصحح فانه لا يمكن الصبح عنها كما حدث في اخطاء الماضي . ويجب الانتباه الى حقيقة هامة وهي ان الكويت لا تزال تواجه مشكلة الاسكان في الشهور والسنوات القادمة فان حجما كبيرا من الاسكان يتطلب تحضيره لفئات الدخل المختلفة .

على ان ما يتطلب مواجهته ، في نفس الوقت الواحد ، هو شحذ الهمم او تثبيطها .. ان كل ذلك يتوقف على ما اذا كانت قوى التصميم والعلم والعقل ستفوز ام اذا كانت قوى الكميات والتجارة الهندسية والمزاج الشاذ سيتغلب .. ان كثيرا من المؤثرات بالنسبة لبناء المساكن لمختلف طبقات ذوي الدخل المحدود يجب ان تنسق بمهارة بواسطة الدولة الفنية لكي نتجنب رسم باقي المناظر الطبيعية الصحراوية البكر بشواذ جديدة التي قد تصبح لوثات لا تمحى لسنين عديدة آتية وتكبد الدولة مصاريف جمة .

لقد كانت حكومة الكويت سخية جدا في توزيع عائدات النفط بين المواطنين والاجانب على حد سواء . وتابعت سياسة مصروفات كريمة على تحسينات رأس المال ، وكذلك مبالغ باهظة على نزع الملكيات . وجعلت ايضا في الامكان الحصول على آلاف القسائم للبناء للأشخاص الذين راحت ممتلكاتهم ضحية فنوس التخطيط . وبوجود الارض والمال والناس فقد بني في الكويت المأوى لكل الطوائف والاجناس . ولقد استقر القطاع المتحضر من السكان يعني المستخدمون الوطنيون والاجانب في مساكن مرضية وحسنة . لقد شيدت آلاف المباني لحقيقة اكتفاء كثير من قطاعات السكان لاحتياجتها الاسكانية .

لقد هيأت الحكومة مساكن لقطاع كبير من الكويتيين ذوي الدخل المحدود والذي من اجلهم تجهز مواقع القسائم وتعمل التصميمات الجديدة

لها كي تستوعب حوالي ثمانية الاف منهم في غضون السنين العشر القادمة. ولهذا الغرض فان القطعة المعروفة بالرميشية والتي تقع في جنوب السالمية كانت من ضمن المناطق الكثيرة المخصصة جزئيا لاسكان ذوي الدخل المحدود . ان المساحة التي تقرب من ٥٠٠ هكتارا سوف تخطط تبعا لمظاهر التخطيط المعاصر وتمد بالمرافق الضرورية لحوالي ٢٣٠٠ منزل للجماعة الذين من اجلهم سوف تبني تلك المنازل وسيختار لهم نموذجين من نماذج ذوي الدخل المحدود . لقد انتخبت هذه المنازل الشرقية والغربية من مسابقة معمارية اقيمت بين مهندسي الدول العربية بواسطة وزارة الاشغال العامة . ان التصميمات التي اختيرت تناسب مناخ وخصائص الكويت الطبيعية المعروفة وتكون تقدما مرموقا في فن الهندسة المعمارية وبساطتها واقتصادها . ان مثل هذين النموذجين لذوي الدخل المحدود سوف يتكلف كل منهما حوالي ٥٠٠٠ د.ك. وهو مبلغ كبير اذا ما قسناه بما تتكلفه منازل ذوي الدخل المحدود في اوربا وامريكا . ولكن عندما تتكلف الفيلا العادية في الكويت خمسة اضعاف هذا المبلغ فان الانسان يدرك ان المبلغ المرقوم لتلك المساكن لذوي الدخل المحدود انما هي مبالغ مناسبة سيكون النموذجان على درجة جيدة من حيث التصميم والانشاء وسيشغل كل منهما مساحة ٢٧٥٠ م^٢ للقسيمة التي ستسور بحائط خارجي وسوف تشتمل على غرفة جلوس وغرفة طعام وغرفتي نوم وحمامين ومطبخ وجراج . وسيراعي قسم التنظيم توزيع هذه البيوت بطرق فنية تخلق جوا هندسيا متناسبا ومتنوع .

قبل ان يذهب الانسان ويناقش الاضواء والتوريطات الخاصة بمشاكل البدو والريف والاسكان خارج مدينة الكويت يجب عليه ذكر المناطق الشاسعة داخل المدينة والتي تكون المناطق السكنية . لقد انشئت عدة مناطق سكنية فعلا . ويوجد في الوقت الحالي حوالي ٧٠٠ منزل في الخالدية تحت مراحل الانشاء المختلفة بواسطة مقاولين احرار على ارض كانت ملكا للحكومة ووزعتها على اشخاص اخلوا من مساكنهم داخل المدينة القديمة التي نزع ملكية اصحابها ثم خططت . لقد اعطت الحكومة لهم الاولوية في الحصول على قسائم في منطقة الخالدية ومنطقة العدلية لبنوا عليها منازلهم . ولكن ما بنوه حتى الان في الخالدية ليس على درجة كبيرة من الابتكار والالهام من الوجهة المعمارية والاقتصادية والجمالية المطلوبة في الكويت .

والان وبخلاف الوحدات السكنية والمساحات التي تخطط وتنظم لبناء منازل لذوي الدخل المحدود توجد عدة قطاعات من السكان تقطن في دولة الكويت وتفرض تحديا للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية والاسكانية وتستدعي حلا ملهما وسريعا . انهم قبائل البدو الذين يجذبون الى المدينة بتأثير المناطق الحضرية المشعة منها . بعد هذا يوجد العمال او طائفة عمال البناء والمقاولون الذين من المنتظر ان يكثر عددهم بسبب التصنيع وما يترتب عليه من انشاءات ثانوية ضرورية .

ان العمال البدو المؤقتين ،اي الذين يشتغلون في مواسم العمل فقط، وكذلك عمال البناء الذين هم اكثر استقرارا نسبيا يصنعون وضعا هاما لمشكلة استيطان جدية في ضواحي المدينة . انها حقيقة معروفة وهي انه اذا لم يبد اهتمام علمي لدراسة الحالة الاجتماعية دراسة وافية وشاملة لمشاكل الاسكان التي تخلقها هذه القطاعات المختلفة من السكان، فان نتائج اجتماعية ومادية وجمالية مؤسفة سوف تكون وشيكة الوقوع . ان مثل هذه القطاعات من السكان يجب ان تدرس امكانية اسكانهم بدقة علمية وعمل جدي .

وللتغلب على هذه التهديدات يلجأ المقاولون البعدي النظر ، والذين لا يبحثون الا عن الربح اولا واخيرا الى الحكومة عارضين عليها انواعا مختلفة من المشاريع الاسكانية السريعة . انهم يقدمون حولا سريعة ورخيصة بل مبتذلة لمشاكل الاستيطان لهؤلاء القطاعات من الشعب . ان لهذا النوع من الجماعة ، التي يبحث عنها هؤلاء المقاولون، والتي تمثل اقل القطاعات حظا وامتيازاً بالنسبة للسكن ، واجب على الحكومة البحث لاسكانهم اسكانا لائقا وانسانيا واقتصاديا بأسرع مايمكن . وذلك بعد اجراء الدراسات الفنية الوافية كي ينتج عنها احسن نوع من السكن بأقل التكاليف .

تبحث الحكومة غالبا وبايمان صادق عن الحلول . ان عنصر السرعة غالبا ما يحرض المسؤولين ويستفزهم على اتخاذ عمل سريع . ان الانسان ليتذكر كيف انه منذ اكثر من سنتين قد طلب من وزارة الاشغال العامة تحضير مناقصة لبناء مساكن لعمال البناء لاسكان ١٠.٠٠٠ عامل على شكل عنابر للنوم . لقد ترك الرقم لمراجعته ولانقاصه فوصل في بحراسبوعين الى ٢٠٠٠ فقط . ولقد اقترح موقعا على طول طريق الاحمدي والعشيرج ، الا ان تصميم وانشاء تلك الصناديق الاسكانية قد جذبت نحوها انتباه المقاولين من جميع الجهات والفئات حتى تبخرت في النهاية على لا شيء . . ان ما كان يدور في خلد المقاولين هو مظلات آلية التي اظهرت خيالا ضئيلا او جاذبية ضعيفة في التصميم المعماري او الفكر الاجتماعي او الاقتصاد الطبيعي . ولربما قد فشل المشروع بسبب ما كان سيعطيه للصحراء الكويتية من منظر واحد او اثنين من البقع الشبيهة بمباني المعسكرات والتي تعد غير مناسبة . ان الانسان ليتذكر ايضا كيف انه منذ سنوات قليلة خلت قد تحركت الحكومة عن طريق وزارة الاشغال العامة لانشاء جزء من مدينة العمال التي يعرف الانسان كاتبها وتجردها من اي فكرة ويعرف كذلك شكلها المزرى لبضع مئات من الوحدات على طريق الجهرة . انه لمن النعمة ان مجموع المساحة المخصصة لهذا الاسكان لم تبعد وبذلك يتسنى لولاة الامور وقت كاف لاقامة دراسة شاملة بخصوصها .

يعتبر موضوع الاسكان اليوم مشروعا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وجماليًا بالغ الأثر والاهمية . فليس هو بمثابة ضياع وقت للمقاول

المعماري ولا هو بتمرين عادي في الهندسة للمهندس المعماري . انما هو حقل مترامي الاطراف ذات تشعبات اساسية عديدة . ان كيفية حل مشكلة الاسكان على العموم ومظاهرها على الخصوص سيكون له تأثير كبير على شبكة وشكل المستلزمات الاجتماعية والاقتصادية والرئية والمادية فيما بعد بالنسبة للمنظر الحضري الاقليمي للكويت .

تواجه الكويت اليوم كثيرا من البرامج الاسكانية التي لم تنسق او تدمج بعد في اساسات تصورية عامة او افكار تخيلية اجتماعية او توزيع فطري مادي . لا يوجد حتى الان مشروع حضري اقليمي يرشد الى نوع وقياس المسكن ، ولا حتى يوجد مشروع اسكاني شامل تدرجي بهذا الخصوص . ولا يوجد ايضا مكان للعمل ولا امكانيات للنقل ولا فكرة لمستقبل شكل الكويت المرغوب فيه بالنسبة لظهور اي مشروع مفاجيء للاخذ به او لتحقيقه . ان اكثر ما يحتمل ان يحدث هو الرجوع الى حلول سريعة . ان ملايين الدينارات على وشك الصرف في هذا او ذاك المشروع الاسكاني الكبير بدون وجود تحضير مدروس كلي شامل ، اي مخطط لكل التطور العمراني ، ولا نقول شيئا عن السياسة المقررة لمستقبل النمو الحضري وتوسعه . لا توجد فكرة ثابتة لشكل ونمو المدينة ولا توجد اي سياسة ترشد النمو في المستقبل خارج المدينة لكي يجعل المدينة نموذجا صالحا ومنطقيا ويناسب مخططات على مدى طويل من الزمن كما انه يخدم اغراض تخطيط المدينة . كل هذا يجب ان يحضر في المرحلة المقبلة ويحضر على امتن واسلم الاسس التنظيمية العلمية .

يخشى الانسان ، ما لم تتخذ السلطات العليا عملا لدراسة ومعاينة وارشاد التطورات الوشبكة الحدوث ، ان تتضاعف المشكلات التي ارتكبت في الماضي في الحقل الحضاري وخاصة على اطراف وحدود المدينة . على الانسان فقط ان يرى صورة فوتغرافية لمنظر الكويت من الجو التي تظهر بوضوح المناطق المحددة بالجهة والكويت والشعبية ليتدارك جيدا حالة ونوع النمو الحضري المبعثر ، ولا نقول شيئا عن عدم جدية اقتصادياته وخلوه من تادية وظيفته في شكل المدينة العام . ان بناء وهيكل المدينة الظاهر يدعو الانسان الى الحيرة والامتعاض من النواحي الفنية والهندسية والتنظيمية .

لمعالجة المشكلة بادهى طريقة ممكنة في الوقت الحاضر على الحكومة ان تعرف شيئين حالا ويجب ان تتخذ قرارات اساسية بالنسبة لهما :

١ - ما هو مستقبل شكل وتكوين الكويت ؟ وماذا يكون بالنسبة للعوامل الكثيرة المحددة والمشكلة في وضع غير محدد ؟ ولهذا يعتبر اتخاذ قرار اساسي بالنسبة لحركة وشكل النمو ضروريا .

٢ - يجب ايضا ان نعرف ان الاسكان ليس مجرد بناء مساكن ولكن هو - نوعا ما - حقلا دافعا ومعقدا ومتشعبا ، يتطلب جهازا ذات

معرفة عالية ، حيث ان الاسكان ينشأ من عوامل اجتماعية ومن حقائق بيانية واحصائيات تعدادية قبل ان يترجم الى طابوق وخرسانة .

(ج) شكل المدينة

يجب ان تتخذ المدينة شكلها وتكوينها وبناءها ، كلما امكن ، من المقتضيات الجغرافية والطوبوغرافية والفلسفية . هذه المنابع الثلاثة للالهام في تكوين نمو المدينة تحتوي على جميع العناصر والعوامل الضرورية التي يجب ان يؤخذ حسابها في تكوين المدينة . وكلما يدرس الانسان عن قرب توزيع السكان العام والاصلي فيما يعتبر اليوم « الكويت الكبرى » فانه يكتشف بسهولة هذه المساحة التي نمت سريعا كي تطوق النواة الاصلية لاستيطان السكان . ان عملية التجمع والاندماج قد حدثت ولا تزال تحدث . واذا تكلمنا باسهاب فان اصل ومصدر الاستقرار الجماعية كان بقرية الجهرة وبلدة الكويت القديمة وضاحية السالمية والفنطاس وابو حليفة ورأس المنجف والفحيحيل والشعبية الخ . . فقد جذبت الناس الشواطئ البحرية . اما في داخل البلاد ، اي الصحراء ، فلم يجذب الناس لان قرب البحر هيا مكانا اكثر منطقيا بالنسبة للاستيطان والاستقرار .

عندئذ اتت الاحمدي - مدينة شركة النفط - التي اختير موقعها من وجهة النظر العملية في رقعة مريحة بين الكويت القديمة وحقول البترول وميناء الاحمدي وسحر وخضرة قرى الشاطئ الشرقي والبلجات الشرقية للكويت . لقد اصبحت الاحمدي الجهرة الحديثة . . « بلدة واحة » . . . مندمجة نسبيا ومخضرة وبسيطة وعملية ، ذات امكانيات سخية للتوسع من جهة الشمال والغرب . حتى المنازل التي صممت للاحمدي قد استمدت بعض الالهام من العوامل الثلاثة اي : الجغرافيا والطوبوغرافيا والفلسفة . واهم شيء في كل هذا هو انها اصبحت مغناطيسيا حضريا جاذبة نحوها النمو على طول طريق الاحمدي وجاعلة طريقين للوصول اليها : احدهما مارا بشارع المطار الدولي والمقوع والآخر موازيا لشاطئ الساحل وعلى بعد اثنين او ثلاثة كيلو مترات منه وهذا يستدعي عمل عمران حضري له في المستقبل . وهناك طريق اخر مواز للشاطئ وبين الاحمدي والسالمية اقر ان يخطط تبعا لقواعد معاصرة .

ان مستقبل شكل الكويت يجب ان يتخذ شكلا منحنيا وموازيا لشاطئ الخليج العربي حيث تكون المناطق السكنية اللبنة الاولى عليه . وبها العمران العريض ذات الشكل القوسي سوف تكون هناك تسهيلات حضرية كبيرة مثل المطار والصناعات المقترحة (التي اصبحت الحاجة لها ضرورية اليوم) والمعاهد العامة وغيرها . وحينئذ يمكن ان تكون المدينة منطقية ومعقولة وذات وظيفة شاملة واقتصادية واستقرار فسيح مريح .

طبعاً ان هذا النوع من التدبير الحضري ذات المدى الطويل يحتاج الى اقرار جذري كبير وفوري ، اذ ان اعادة توجيه نشاط العمران الحالي واعادة النظر في المظاهر المعهودة اليوم بالنسبة للحصول على الارض يعد امراً جوهرياً وبالغ الأهمية . وبهذه الطريقة يمكن الاستفادة من شواطئ الكويت الجميلة للسكن وايضاً يمكن ربط المدينة الام - الكويت - بالمنطقة الحضرية الصناعية بجوار الشعبية .

في هذا الادراك التصوري الرئيسي او المخطط العريض ذات المدى الطويل فان صناعة البتروكيماويات والصناعات الاخرى التي ستستمد مصدر تشغيلها من الغاز الفاقد من حقول البترول في الاحمدي تعد من الامور المهمة والتي يجب ان تدمج في مجمل المخطط الرئيسي الشامل . ان الاسكان الذي تتطلبه صناعة البتروكيماوية لعمالها يجب دراسته من الوجهة العلمية ويؤسس على خطه مجال واتساع ومدى وحجم الصناعات المقترحة ، وكذلك ايضاً يجب تأسيسه على حجم العمال المتوقع استخدامهم ، هؤلاء السكان العمال يجب ان يعتبروا كقطاع اساسي وجزء من تعداد السكان العام ويجب ان يوجه لهم الانتباه حتى يلتحموا مع الاستقرار الشامل . ومن هذا يترتب وضع مخطط تنظيمي رئيسي شامل لمنطقة الشعبية - الاحمدي من الان ، وبضمن هذه العملية ، يجب اعادة النظر بالتنظيم الراهن في كثير من الاحوال لتلافي التعقيدات والمصروفات غير الضرورية .

(د) سياسة الاسكان

انه من المتوقع في بحر السنوات العشر التالية ان تضطر الكويت مواجهة التحدي لتهيئة انواع مختلفة من المنازل للجماعات المختلفة من الناس الفير قادرين مالياً على القيام بتشييد منازل لسكنائهم . على الكويت ان تقابل مشكلة تسكين السكان الذين اخلوا من مناطق المدينة القديمة التي اصابها التحسين ، كذلك تهيئة منازل اكثر للسكان الحضريين الحاليين من جميع الطبقات . ان البدو والعمال قد انجذبوا بامكانيات العمل مثل برادة الحديد عندما يجذبها المغناطيس كي يبنوا بسرعة غالباً بالقرب من الاستقرار الجديدة . وكعلاج لذلك قررت الحكومة ان تعمل ولكن بسبب استعجالها للنتائج فانه يخشى ان تقع اخطاء تنظيمية اذا ما خلقت حجماً كبيراً من الابنية الجديدة بدون الدراسات الوافية .

تعتبر اليوم معونة الاسكان لذوي الدخل المحدود او المتوسط بالنسبة لحكومات كثيرة سياسة بالغة الأهمية . ان وكالات الاسكان او المصالح او المجالس او القومسيونات او الوزارات توجد لتنفيذ سياسة الحكومة في التصميم والانشاء والادارة بالنسبة للتعميرات الاسكانية العامة . تعتبر المعونة الاسكانية ضمن السياسة الحكومية لدولة الكويت حديثه . ولكونها على عتبات عهد اسكان جديد فان الحكومة الكويتية ليست في مركز ، بالنسبة للوقت او المال ، لتجرب وتحسن الاسكان العام

لان هذا المجال قد نمى ليكون حقلا حيويا ومعقدا مع شيء كبير من المعرفة والعلم والفن والاقتصاد . ان للكويت طابعها وعاداتها ومشاكلها المحلية التي يجب ان تدخل ضمن اطار الصورة الشاملة كي تحصل على احسن العوامل الفعالة للاسكان كي تناسب ظروفها الخاصة . يوجد المناخ ومواد البناء المحلية . ويوجد البناء الاجتماعي والحضاري . ويوجد الاقتصاد الخاص والفريد في نوعه . وتوجد الصفات الثقافية والمعالم الطبيعية للارض بين مليون وواحد من الصفات والمعتقدات والعادات التي يجب ان تدخل ضمن اطار الصورة في تركيب وتطوير برنامج الاسكان وفي بنائه وادارته وصنعه كهيئة اسكانية بدلا من مجرد تجمعات روتينية للنوم . لهذا ، وجب دراسة هذه المشكلة لخلق بيئات ثابتة وجميلة للسكن كل هذا يتطلب وضع برنامج فني علمي لمواجهة مشكلة الاسكان وربطها ربطا وثيقا بالمخطط التنظيمي الرئيسي العام للمنطقة الممتدة من الجهرة الى المنطقة المحايدة .

وبهذه الامور الاساسية السابقة الذكر بالنسبة لمستقبل نمو المدينة ومستقبل الاسكان التي سيولدها هذا النمو فانه من المستحسن على الحكومة ان تعيد النظر في نمو المدينة واحتياجات وسياسة الاسكان على ضوء جديد من العلم والفهم والمعنى . ان الانسان ليشدد على ان عصر التخطيط والبناء المشتت والغير مدروس دراسة وافية يجب ان يزول ويحل مكانه وعصر دراسة وعلم وعمليات المسح الفنية بواسطة اخصائيين بكل دقة وامانة . ان دفع اي برنامج لانه قدم بواسطة هذه المصلحة او تلك الهيئة ... او بسبب عنصر السرعة سوف يسبب فقدان وخسارة جمة لهذه الدولة الفتية .

ان الانسان لا يسعه الا ان يشير الى المشروع الكبير لاستقرار البدو (مشروع يقصد به تحضير بدو الكويت) او تحضير سكان الكويت الرحل والذين لا يستقرون في مكان ما . لقد اقترح على ان يبنى بسرعة ٧٠٠٠ مسكن في منطقتين : احدهما ٣٥٠٠ مسكن في الشمال الشرقي للاحمدي والاخرى ٣٥٠٠ مسكن بالقرب من مدينة العمال في الصليبخات .

بينما سياسة الحكومة هي ان تستوطن وتحضر وتحسن جماعة البدو الذي تعتبر مشكورة من أجله والامر الذي يجب عليها ان تستعجل وتضبط بدقة مثل هذه المخاطرة العملية وتعمل على اختيار الموقع من حيث ميزاته العمرانية والانسانية لتلك الوحدات المقترحة . بالاضافة الى ذلك يجب على الحكومة ان تفكر في ال ٣٥٠٠ منزل بانها ليست مجرد كمية من المنازل هنا وهناك ، ولكن بانها كسكان تعدادهم على الاقل ١٥٠٠ نسمة لهم قيمتهم الاجتماعية الثابتة . ان مثل هذا العدد يكون استقرارا انسانيا جوهريا بكل المسرات والتسهيلات الاجتماعية والانسانية واللوازم التي ستولد ، وكذلك الوزن الذي سوف يكون لها تأثير على التركيب الحضري حاليا وفي المستقبل . يجب ان يرى الانسان الدراسات الاجتماعية الضرورية ودراسة وفحص هذا العدد ل ٧٠٠٠

مسكن واعادة تصميم المساكن والمواقع المقترحة ودراسة تكوين الاسرة لتحديد حجم الوحدة السكنية وتوزيعها، وكذلك دراسة تشابك التركيبات الاجتماعية التي ستنتج عن ال ١٥٠٠٠ شخص في الوضع الاقليمي الموجود، وكذلك بالنسبة لامكنة العمل المريح لمستقبل هؤلاء السكان .

ان الانسان ليمعن النظر في مثل ما قاله المؤرخ الاجتماعي ابن خلدون منذ قرون خلت « ان البدو غير قادرين على الاستقرار في مدينة تعداد سكانها كبير » وعلى الانسان ان يمعن النظر ايضا فيما اذا كان في قدرتهم العيش بالقرب من مدينة مستقرة عامرة . على انه مما لا شك فيه هو ان البدو سوف يستقرون ان عاجلا وان آجلا . ولكي نثبت مرحلة الانتقال من حالة قبائل رحل الى حالة جماعة مستقرة فاننا نحتاج لاكثر من مجرد تهيئة فراغ للسكن ويجب على وزارة الشؤون الاجتماعية ان تهيئ معلوماتها لهذه الحالة وتقوم بالدراسات الوافية وتفرض الناحية الاجتماعية لهذه المشاكل على المهندسين . فهذا هو الطريق الصواب لا العكس .

لقد فكر في مشروع اخر بناء على رغبة الحكومة وذلك منذ حوالي سنتين وهو تهيئة مساكن لعمال المقاولين . وبناء على طلب وزارة المالية بني منزل نموذجي في موقع قرية العمال بالصليبخات . . وتكلف ضعف المبلغ للمنزل المقترح في مشروع تحضير واسكان البدو . على ان المنزل يعتبر جيدا في تصميمه وفي انشائه ويظهر المشروع الاول لاختيار المنازل وكذلك تهيئة قلب او نواة مركزية للجماعة علامات اصلية ممتازة . على ان دراسة اكثر على ضوء العوامل المذكور آنفا تعتبر مبررة حتى تناسب اهمية المشروع اقليميا .

ان اقتراح انشاء مدينة للعمال تلحق بالمصانع البتروكيمياية ، واختيار موقع لها جنوب الاحمدي ، لهو مشروع اخر مهم ويحمل في طياته صورة شاملة لحركة وسوق الاسكان ، على انه يجب ، في مثل هذه المشاريع ان تنسق امكنة العمل والمسكن بالنسبة لبعضها من حيث المسافة والحجم والتركيب العام . كل هذا يستلزم كثيرا من العمل التحضيري والدراسة والمسح كي تضع حجم المساكن الاولية التي نحتاج لها داخل اطار صورة كاملة . . وكذلك يستدعي الامر دراسة العوامل الاقتصادية التي يمكن ان تخدم الجماعة . . بالاضافة الى توزيعها وتنظيمها بالنسبة للمناظر الطبيعية الحضرية والاقليمية .

لذلك فان الحكومة تواجه حجما كبيرا ومنوعات عديدة من الاسكان التي بسبب اعاناتها المتعددة او منحها الفورية سوف تقوم هي بانشائها . يجب ان تبدأ مباشرة باخذ الرعامة في ارشاد الفكرة والتنوع والمكان للأسكان . واذا لم يوجد مشروع كدليل رئيسي او مخطط رئيسي مجهزا حالا ليطوى الموقع بأكمله وتعقيداته العديدة فان هذه المنازل سوف تبني بطريقة غير اقتصادية ان لم تكن بدون وجه حق . انه ممكن بعثرتها او بناؤها بدون سبب او تنسيق في كل جهة . ويمكن ان تكون

رخصة وبالتالي اقل من المستوى القياسي بل و غير اقتصادية ان لم تكن
خطرة ويمكن ان تنمو بدون معاونة تسهيلات الجماعة وهكذا خالقة
بحورا وبحيرات وبركا من تجمعات بشرية خالية من العناصر الضرورية
والترابط الاجتماعي .

لقد آن الاوان للقيام بتخطيط نمو المدينة وانشاء الاسكان، من جميع
الانواع ، من مستويات التجارة والتخمين الى مستويات منظمة ذات
اعتبارات اقتصادية وعلمية وحيوية . واذا لم يعمل هذا الان ، فان
الانسان سوف يستيقظ يوما ما بعد عشرة سنوات ليجد الكويت قد
تحولت الى تركيب حضري كبير معقد .

لقد اظهرت الكويت - في العشر سنوات الماضية - قدرتها الهائلة
لتشييد المساكن وتعبيد الطرق واقامة المرافق العامة ... والتي ، بمحض
النظر وجسامة الحجم ، قد اوجبت الاحترام والمدح والثناء . وفي خلال
العشر سنوات الاتية يجب ان تستعرض الكويت من الان قدرتها الموروثة
كي توجه كل نموها في المستقبل بطريقة تتمشى مع الاسس العلمية
والعضوية الخاصة بالنمو . ولهذه الملايين التي صرفت فانه من المحتم
ان يصرف جزء صغير جدا منها في عمل مسح تنظيمي شامل ودراسات
علمية حقيقية . ان الوقت لم يفقد بعد لتوجيه المدينة كي تنمو عضويا
وجماليا وتؤدي وظيفتها على اكمل وجه . ولا يعتبر الوقت متأخرا كي
تبرز على آفاق الكويت اعظم التنظيمات التي يستحق العيش فيها
للجماعات الذين يتعاونون لايجاد الراحة والجمال لاقليم المدينة لسنوات
عديدة قادمة .

ان نمو وتخطيط المدينة في المستقبل يجب ان يدرس دراسة علمية
حسب برامج علمية تأخذ بعين الاعتبار الصناعة والاسكان واستعمالات
الاراضي الاخرى وشبكات الطرق الاساسية وغيرها من المتطلبات والعوامل
الكثيرة . ويستوجب حياكة جميع العوامل والمؤثرات والمتطلبات ضمن
اطار المخطط الرئيسي الشامل البعيد المدى . علينا ان نبدا اعداد مثل
هذا المخطط على احدث الاسس العلمية من اليوم .



٢٤ - الخالدية والعديلية :

أحدث منطقتي سكن في ضواحي مدينة الكويت

لعل مدينة الكويت - الفريدة من نوعها لكونها المدينة الدولة - هي المدينة العربية الوحيدة حتى الآن التي ثبتت فكرة تنظيم مناطق سكن في ضواحيها ، فمنذ ان اوجد برى فكرة انشاء مناطق سكن في ضواحي المدن قبل حوالي اربعين عاما ، اصبحت هذه الفكرة متأصلة الجذور في علم وفن تنظيم المدن .

ان الفكرة الاساسية التي تمكن من انشاء مناطق سكن في ضواحي المدن هي ان هذه المناطق يجب ان تشتمل على عدد محدود من السكان وعلى المرافق الحياتية الضرورية لهؤلاء السكان مثل الاسواق ومدارس ابتدائية وعيادة طبية ومكان للعبادة وان تشيد جميع هذه المرافق في الاماكن المناسبة من كل منطقة يتسنى للسكان الوصول اليها بأمان وعلى الاقدام . وان تكون بعيدة عن طرق حركة المرور الرئيسية وان تحتوى على منتزه مناسب ومرافق رياضية وترفيهية ، ويشترط ان تؤلف خمس أو ست من هذه المناطق في جملتها مجتمعا له جميع مستلزماته كالمدارس العليا والقاعات العامة ومرافق التسوق والترفيه الخ .

ويستطيع مهندس التنظيم اختيار عدة وسائل وخطط لتعيين الحد الفاصل لكل منطقة من مناطق السكن السالفة الذكر ، وكثيرا ما يكون هذا الحد فاصلا طبيعيا مثل المناطق المائية او الاراضي التي لا تصلح للبناء ، وغالبا ما يكون ايضا احد شرايين حركة المرور الرئيسية ، ويعتبر هذا الاخير اعم وسيلة تستخدم حاليا في تقسيم مناطق السكن في ضواحي المدن الى وحدات ، كما يكون الحد الفاصل في بعض الحالات علاوة على ما ذكر منتزها او حديقة او مبنى كبيرا او مجموعة من المباني تشكل في طبيعتها حدا ثابتا .

وعندما بدأ اعداد خطة توزيع المياه في الكويت قبل عشرة اعوام طبق المهندسون المسؤولون انذاك فكرة انشاء شبكة عامة قسمت الاراضي الممتدة خارج المدينة القديمة التي كانت تحيط بها الاسوار الى مناطق يعرف البعض منها اليوم على وجه العموم بالشامية والفيحاء والدسمه والخالدية ، وتعتبر الخالدية أحدث منطقة سكن قررت الحكومة الكويتية تخطيطها ويجري الآن العمل فعلا لتنفيذ هذا التخطيط وانشاء المساكن .

كلنا يمي حقيقة البناء المتشابه الذي نراه في المدن العربية القديمة التي تعتبر الكويت مثالا واقعيا لها ، كما ندرك ايضا جمال هذه المدن العربية القديمة رغم انعدام العمارات الفخمة والشوارع الجميلة والخمائل الخضراء اذ ان الذين بنوا هذه المدن القديمة نظموا بناياتهم ، التي تبدو

في نظرنا غير منتظمة ، بعناية وجهد ومنطق عملي وبطرق سليمة احدثت
اثارا طيبة كما اوجدت حولا عملية للمشاكل التي كانت تواجههم آنذ ،
فقد كان الجامع ومثذنته يشكلان المنظر العام للمدينة ويلفتان انتباه
المشاهدين الى روعة الهندسة والانشاء .

وبما ان الحاجة الى قسائم البناء تزداد يوما بعد يوم في الكويت ،
يطلب من جهاز تنظيم المدن في بلدية الكويت باستمرار ان يقدم عددا اكث
من القسائم للكويتيين الذين استولت الحكومة على املاكهم الواقعة في
المدينة القديمة لاغراض اعادة تنظيمها وانشاء منتزهات ومنافذ للشوارع
ومواقف للسيارات فيها ، ولاغراض عامة اخرى . والنشاط التنظيمي
لمدينة الكويت القديمة هو الآن في ذروته كما ان عملية الاستيلاء على
الاملاك داخل المدينة تزداد يوما بعد يوم وبالتالي تزداد الحاجة الى قسائم
البناء .

ومن المسلم به ان اعادة اسكان المواطنين الذين قضت جميع اعمال
التنظيم باخلائهم لمساكنهم كانت دائما تثير اعقد المشاكل لجميع المجالس
البلدية في العالم ، فلا غرابة اذن ان تكون مسألة اعادة الاسكان في الكويت
تشكل مشكلة ملحة مثلها في اى مكان آخر باستثناء حقيقة واحدة وهى
ان الارض هنا متوفرة لانشاء مساكن جديدة وان الاموال اللازمة لشراء
هذه الارض وتنظيمها واعادتها لاغراض العمران هى لحسن الحظ
متوفرة ايضا .

لقد خصصت السلطات الكويتية للسكان الذين اخلوا مساكنهم
القديمة الواقعة في مناطق التنظيم قسائم مجانية للبناء عليها ، وخططت
عدة مناطق سكن ووزعت قطع ارض صالحة للبناء على العائلات المستحقة
وما على المرء الا ان يقوم بجولة في السيارة حول ارجاء مدينة الكويت
الجديدة ليشاهد تلك المناطق - كالشعب والدعية والدسمة والقادسية
والفيحاء والشامية وكيفان والشويخ - التي تم انشاؤها مع المدارس
الخاصة بها والمرافق الاخرى التي اكتملت وتعمل بانتظام . والى الجنوب
من منطقة كيفان مباشرة وبين طريق المطار الجديد وشبكتا الطرق الثالثة
والرابعة والطريق التي يجرى شقها حاليا لتكون بمثابة اول طريق فرعية
للمطار الجديد تقع الخالدية - احدث منطقة سكن في ضواحي مدينة
الكويت بجرى انشاؤها حاليا . وما ان تم تخطيط ومسح حوالي ٦٧٠
قسيمة في هذه المنطقة حتى وزعت جميع هذه القسائم بالاقتراع السرى
على العائلات المستحقة المدرجة اسماؤها في القائمة الطويلة المتضمنة
اسماء طالبي القسائم الجديدة . ويجرى حاليا بناء مئات البيوت في
منطقة الخالدية ومن المتوقع ان يتم انشاء جميع المساكن المقررة لهذه
المنطقة خلال ما يقرب من عشرين شهرا من الآن وسيتم كذلك شق الطرق
وبناء البيوت والمرافق العامة مما يعمل على ايجاد مجتمع جديد
ونموذجي لسكن حوالي اربعة آلاف نسمة .

الخالدية

ان تصميم منطقة الخالدية تعبير صادق عن الحقيقة ، فهي ترمز الى فردية الانسان الكويتي - وهى ميزة عربية خاصة - التى فرضت نوعا منسقا من المساكن أى بيتا منفردا للعائلة واستبعدت فكرة اتصال البيوت ببعضها البعض او انشائها فى صفوف .

وبما ان فكرة المدارس المختلطة لا تزال غير مقبولة فى الكويت فقد نتج عن ذلك ازدياد ملحوظ فى عدد المدارس . وهناك حقيقة واقعة فى بقعة رئيسية من منطقة الخالدية اصبحت بمقتضى الحال احد المداخل الرئيسية الى المنطقة ، وقد ادخلت فعلا تحسينات كثيرة على تصميم منطقة الخالدية اذ تركت مساحات واسعة بين المباني الرئيسية كالمساجد والمدارس ومراكز رعاية الاطفال والمرافق الاخرى وبين المباني المجاورة لها لتتاح للمهندسين والمعماريين فرصة ابداء مواهبهم الهندسية لمصلحة المارة والسواقين . والجدير بالذكر ان التصميم الجديد لا يسمح بوجود حركة مرور كبيرة او سريعة داخل المناطق المحددة للسكنى الهادئة الامينة، كما خصصت مساحات واسعة من الارض لاقامة المنتزهات والملاعب عليها ، بالإضافة الى تخصيص مساحات واسعة اخرى لوقوف السيارات . اما تصميم الشوارع العامة فقد تم بشكل يحول دون سرعة السير ويسمح باقامة مجموعات مختلفة من البيوت كما يبعد شبع ملل الرؤيا الى اقصى حد ممكن . اما المدرسة الابتدائية فتقع فى منتصف المنطقة تقريبا ، وكل منطقة من المناطق الفرعية الاربع مع مراقفها الخاصة صممت بشكل مناسب للمارة والسواقين ، وقد خصصت قطع كبيرة من الارض فى اواسط الطرق الرئيسية لغرس الاشجار والزهور .

اما قسائم البناء فى المنطقة فهي نوعان من حيث المساحة . وتبلغ مساحة القسيمة من النوع الاول ٧٥٠ مترا مربعا ومن النوع الثانى ١٠٠٠ متر مربع ، ويشترط فى المباني التى سوف تقوم على هذه القطع ان تتمشى مع انظمة العمران الجديدة التى تبنها المجلس البلدى عام ١٩٦٠ . وتحكم هذه الانظمة مقاييس حواشي قطع البناء والنسبة المئوية للارض التى سيتم عليها العمران وشكل البناية وارتفاعها .

ولمنطقة الخالدية ميزات كثيرة التى تؤهلها لان تكون مثالا يحتذى فى المدن العربية الاخرى التى تستفيد فعلا من انشاء مناطق سكن فى ضواحيها كمرحلة اولية فى مواجهة تزايد السكان وازدياد الاحتياجات والمتطلبات اليومية لهؤلاء السكان .

وما منطقة الخالدية الا جزء من المنطقة الكبرى المطلوبة بصورة عاجلة للعدد المتزايد من العائلات التى اخلت مساكنها . وجرى اعداد مخططات مفصلة لانشاء منطقة سكن جديدة تسمى العدلية وذلك بعد ان وافق المجلس البلدى على تصميم وتخطيط هذه المنطقة المعدين من

قبل دائرة تنظيم المدن التابعة لبلدية الكويت . ووزعت قسائم العدلية التي تبلغ اكثر من ٨٠٠ قسيمة في شهر شباط ١٩٦٣ .

العدلية :

ان تخطيط منطقة العدلية شائق فمساحة المنطقة الاجمالية تبلغ $١٧٥ \times ١٤٥ \times ١٥ \times ١٦$ كيلو مترا او حوالي ٢٢ كيلو مترا مربعا (اى ٢٣٠٠٠ هكتار) ويتضح من هذا ان هنالك ما يقرب من ٣٠٠٠ متر مربع او ثلاث دونمات لمعدل العائلة الواحدة واذا ما اعتبرنا ان هنالك نوعين من القسائم - قسيمة ٧٥٠ مترا مربعا وقسيمة ١٠٠٠ متر مربع كما ذكرنا سابقا - ندرك ان هذا النوع من التخطيط يوفر لكل قسيمة بناء ضعف مساحتها تقريبا عدا عن الشوارع والمنزهات وامكن وقوف السيارات والمساجد والساحات العامة والمدارس ومراكز الاطفائية والشرطة والاندية والملاعب وجميع مرافق المجتمعات الضرورية الاخرى . والحكومة الكويتية لا تدخر وسعا في تقديم اعلى نماذج التخطيط وارفع مستويات التسهيلات اللازمة لكونها قادرة على ذلك .

ويبدو التخطيط العملي لمنطقة العدلية شائقا تماما للاسباب التالية:

- ١ - التنظيم الهيكلي الفكري الشامل .
- ٢ - انشاء المناطق الفرعية وتنظيم المساكن المحيطة بمدارس الاطفال والمساجد .
- ٣ - خطط تنظيم قسائم البناء التي تم استخدامها لانتاج نماذج شائقة ومتنوعة من هذه القسائم .
- ٤ - مراعاة حركة المرور بالاجمال وحركة المرور المحلية وهذه امور تحتاج الى دقة وعناية .

١ - التنظيم الهيكلي الفكري الشامل :

تقسم المنطقة المربعة الشكل تقريبا الى اربع مناطق واسعة وتعتبر ثلاث من هذه المناطق مناطق فرعية وتعتبر الرابعة مركز المنطقة الكبرى (اذ تضم السوق والقاعة العامة والمسجد ومقر البلدية والمقهى والمكتبة الخ .) . وهنالك ناد رياضي ومنزه ومساحات كبيرة خصصت لاغراض مدرسية مختلفة ، كما ان هنالك شوارع واسعة تفصل بين المناطق الفرعية الاربعة او تكون حد لهذه المناطق .

٢ - انشاء المناطق الفرعية :

سوف يتم انشاء البيوت في تنظيم شائق حول مجموعة مبنى روضة الاطفال والمسجد وعدة دكاكين التي تشكل بحد ذاتها نواة المنطقة الفرعية ويجري تنسيق البيوت بطريقة يتم معها تشكيل وحدات سكن متقاربة او احياء مع منزه صغير او ميدان مكشوف يخصص لكل مجموعة من البيوت .

٣ - خطط تنظيم القسائم :

تنظم القسائم بعدة اشكال فيمكن ان تكون متعرجة مثلا او منكشمة الى الداخل او متصلة بغيرها او منقسمة الخ ، بقصد اقامة انشاءات منسجمة وجذابة عليها . وفي كثير من الاماكن تنظم مجموعات من القسائم بحيث تكون صالحة لاقامة عمران جميل عليها جميعها .

٤ - مراعاة حركة المرور :

يمكن الوصول الى مواقع السكن من الشوارع الفرعية لمناطق السكن التي تؤلف بحد ذاتها طرقا قصيرة فرعية او ممرات متفرعة عن الطريق الرئيسي . والشارع الفرعي شارع خاص يستعمله عدد محدود من البيوت وبهذه الوسيلة يتلافى سكان المنطقة اي ازعاج قد تحدثه حركة المرور . وعلاوة على ذلك توجد طرق للمارة تؤدي الى مناطق مدارس الاطفال والمساجد .

هذا وقد خصصت مساحات من الارض في المناطق الفرعية لبناء مدرسة ابتدائية للبنات واخرى للبنين ومركز المنطقة يقع في المكان المناسب بالنسبة لجميع مناطق السكن .

وهكذا عندما يتم بناء مساكن منطقة العدلية سكان تلك المنطقة بالراحة والرفاه والاطمئنان والمناظر الجميلة ، اذ ان الشارع المحلي الذي طالما كان يشكل المنظر الرئيسي في المدينة قد حسب له حساب آخر بموجب التخطيط الجديد ، بالإضافة الى ان حركة المرور تقتصر على الشوارع الرئيسية فقط بينما تتخلل مناطق السكن المتجاورة شوارع فرعية خطت حولها قسائم البناء بطريقة بعيدة قدر الامكان عن ان تكون طريقة آلية .

بعض الملاحظات :

المدن ، على وجه العموم ، ملأى بالشوارع ومع ذلك فان عددا قليلا من الشوارع في المدن يشكل تكملة او انشاءات هندسية في هذه المدن ، اذ ان الارض يساء استعمالها في تطبيق الاساليب غير المدروسة وغير المناسبة المكتملة من حيث العمل والمظهر . وتجدر الاشارة هنا الى انه امكن تجنب كثير من الاخطاء عند تخطيط منطقتي الخالدية والعدلية ، على اية حال ، يود المرء لو كان بالامكان ان تزداد كثافة السكان او ان تجمع انواع النباتات المختلفة - من البيوت الفردية الى البيوت المنتظمة في صفوف البيوت المؤلفة من شقق في نموذج تصميمي واحد . لذا يجب مراقبة ودراسة سير العمل في منطقتي الخالدية والعدلية بعناية في المستقبل .

هذا وقد تعاقدت البلدية مؤخرا مع شركة سويدية لتنظيم المدن لتعمل هذه الشركة جنبا الى جنب مع دائرة تنظيم المدن في اعداد رسوم مفصلة لبرنامج انشاء منطقة سكن كبيرة في الرميثية التي تقع الى الجنوب

من السالمية مباشرة . وهذا البرنامج سيعد اكثر من الفي قسيمة للبناء على ان تكون مساحة نصف قسائمها ١٠٠٠ متر مربع والنصف الآخر ٧٥٠ مترا مربعا ستنشئ عليها الحكومة مساكن لذوى الدخل المحدود . وتتعاون الشركة المذكورة مع دائرة تنظيم المدن التي زودتها بجميع خرائط المسح المفصلة وجميع الآراء والمستويات التنظيمية والهندسية المعمول بها في الكويت مع كافة المعلومات القيمة الاخرى ، وقد اختير موقع الرميثية ليؤوى ٢٣٠٠ عائلة كجزء من تنفيذ فكرة التخطيط الشامل للمدينة التي وافق عليها المجلس البلدي ليوجه انتشار مدينة الكويت جنوب السالمية وعلى محاذاة شاطئ الخليج العربي .

وهكذا سيري المرء في السنوات القليلة القادمة مناطق الخالدية والعديلية والرميثة وقد ضمت ٣٧٠٠ عائلة (٢٠٠٠٠ نسمة تقريبا) مضيقة بذلك مناطق سكن جديدة الى مدينة الكويت الاخذة في الاتساع ومساهمة في سد الحاجة الى عدد اكثر من البيوت للاسكان .



٢٥ - مرحلة الكورنيش الأولى في الكويت

١ - وضع الجبهة المائية

ان المدن التي تقع على طول امتداد مائي سواء كانت جزءا من محيط او بحر او بحيرة او نهر ، تستحوذ في حد ذاتها على ميزة جمالية بسبب ما يخلقه الماء من انعكاسات جميلة بالنسبة للارض كاختلاف اللون الابيض عن اللون الاسود ، واختلاف التيارات الموجبة عن السالبة ، ومن هذه الميزة الفريدة تكتسب المدينة الشاطئية تباينا مرئيا على مدى البصر يصبغها بصفات جمالية رائعة ، الماء على صفحته ترقص المآذن والابرار ، المساجد والكندرائيات ، الاكواخ ، وناطحات السحاب ، ترقص كلها رقصات فريدة في نوعها ، رقصات تسحر العين ، وتحير الفؤاد وتحرك لب الطفل ورجل الشارع والفنان .

انها مياه النيل ، التي تعطي القاهرة مظاهرها الحضرية الساحرة ، تنعكس على صفحاتها اشجار النخيل ، وترقص كالحية الرقطاء عندما تتلوى على نفحات موسيقى الثعابين . ان التركيبات المعقدة للمعابد في مدينة بنارس التاريخية ، لترقص طربا على صفحات مياه الفانجيز وبدون شبكة الترع في أمستردام والبصرة وكوبنهاجن وبانكوك ، تصبح هذه المدن مجردة من سحرها الخفي واجوائها الحضرية ، وملامحها الفاتنة ، وماذا تكون جزيرة مانهاتن لولا ملايين الانعكاسات لقممها المسطحة الحضرية على صفحات المياه حولها . ان المدى التوبوغرافي الذي يتداخل مع الماء المحيط به تداخلًا طبيعيًا يعطي مدينة ريودي جنيرو جمالها الرائع . ان مدينتي مسقط وعدن اللتين اقيمتا على مساحة معوجة ومكسرة ، تكمن فيهما مزايا جميلة بفضل ارتباطات الارض بالمياه . وتكتسب مدينة العقبة ميزتها الجمالية من موقعها فوق المياه الزرقاء المتلألئة على خليجها الجميل . وتقع معظم بلدان سويسرا على بحيرات أو أنهر مثل لوسرن ومونتر وجنيف وزيورخ وتدين بسحرها الاخاذ لموقعها على شاطئ البحيرة او النهر حتى لندن هذه المدينة الضخمة المتشعبة في القرن العشرين اشتهرت بسبب ارتباطاتها المعقدة بشواطئ نهر التيمز . وباريس ماذا تكون لولا وقوعها على السين ذى الجسور السحرية وعندما يمتطي الانسان مركبا في استوكهولم او في موسكو فانه يدرك بسهولة الارتباط المحبوك بين الارض والمياه ، وكذلك انطباع التأثيرات المتلازمة على سطح الماء . وطنجة بكل منطقتها القديمة المشهورة (بالقصبة) ترتفع كالقلعة على المياه الزرقاء المحيطة بها ، فتمنح جلالاتها لموقعها . ومدينة جبل طارق ! ان كل من يراها يستهويه موقعها مع تلك الصخرة المواجهة للبحر .

واستأنول ! كيف ستكون يا ترى بدون بحر مرمرية والبوسفور ، وفارنا ميناء بلغاريا لا أدري كيف سيكون موقعها لو لم تكن على مياه البحر الأسود . حتى روما تكتسب جزءا من الجمال من مياه نهر تمبر الضحلة وغير الواضحة والجبيل قرية الصيد في السعودية الا يعود الفضل في جمالها الى الخليج العربي ؟ او الجبيل (بيلوس) التاريخية في لبنان الا يكتسب سحرها العجيب من البحر الابيض المتوسط . ان مدى عناق منظر الارض للبحر الشهير هو الذى يعطي جونية في لبنان منظرا من أعظم المناظر الجبلية في العالم . وخرمشهر في ايران انها فاتنة وقريبة من قلب الانسان بفضل الطباق الناتج عن منظر امتزاج الارض بالمياه . وماذا تكون دمشق بدون بردى و .. و .. الى آخره .

ان عدد المدن في العالم التى حظيت بامتياز تمتعها بواقعها على الجبهة المائية لهي كثيرة جدا . وتمتد الشواطىء على سواحل المحيطات في العالم وكذلك الحال في البحيرات والانهار التى تقع عليها كثير من المدن بطريقة او بأخرى ، سواء اختير موقعها بجداراة أو كان موقعها خطأ فان ملاصقتها وقربها من المياه كاف لكي يجعلها جميلة ، ساحرة فاتنة . ومن المؤسف تماما ان المدن التى تكتنفها الارض وتفتقر للماء كالقدس وطهران وحلب والرياض ، لاتتمتع بالسحر والفتنة والجمال الذى تحدثه الشواطىء .

ب - ميلاد الكورنيش في الكويت

بسبب جمال موقع الارض المطلة على البحر يمكن للانسان عادة ان يوجد كعلامة مميزة طريقا عريضا او ضيقا او شارعا ما ، او مشى على طول هذا الخط اللطيف .

ويعتبر الكورنيش على ساحل المحيط في بومباى ، وكذلك الكورنيش على شاطئ النيل في القاهرة وحتى كورنيش بيروت ، مع قصره ، تعتبر كلها روائع خالدة تمنح هذه المدن جمالا وتحمي جبهاتها المائية من التعدي أو العمران التجارى الاستغلالي ولو انه في كثير من الحالات ، مثل ما حدث في بيروت ، قد سمح خطأ بالعمران على الجزء المقابل للبحر من الكورنيش مما سبب نتائج وخيمة .

لقد تنبعت مدينة الكويت - في الوقت الحاضر - الى مميزات جبهتها البحرية على طول خليج الكويت الذى تطل عليه المدينة القديمة ، وأدركت انها مكان ممتاز يجب توسيعه وتحسينه ورفع مستواه حتى يصبح كورنيشا او جبهة مائية او طريقا للنزهة . ان الطريق على طول الخليج في الوقت الحاضر ، (أى شارع الخليج العربي) يعتبر مسدودا من جهة البحر لوجود عدد غير قليل من المباني وبالأخص في منطقة المستودعات والجمارك التابعة للميناء القديم ، والتي استبدلت بالميناء الجديد ، الذى يقع بعيدا على الجهة الجنوبية من الخليج . ويوجد أيضا مستودع كبير

لسوق الخضار يحجب كثيرا من منظر البحر . وكذلك قصر السيف القديم بالإضافة الى قصر السيف الجديد الذي يبنى حاليا ، كلها عوائق تحجب المنظر البحري ، وتحرمنا من جماله الرائع .

منذ اكثر من ٨ سنين كان ولاية الامور في المجلس البلدي مطلعين على حقيقة وضع الكورنيش من حيث انه لا يمكن خلقه بين عشية وضحاها ، ولذلك فقد عانوا الجهد وقاسوا المتاعب في سبيل وضع الاساس الحقيقي لكورنيش المستقبل ، حيث ان العقبات الكامنة والصعوبات الحادة والمتحجرة ، في مثل هذا العمل الكبير ، في وجود مثل هذه المباني ، تعوق التسهيلات المرتجاة على الكورنيش ، وينبغي العمل على تهيئة امكنة بديلة لها في جهة اخرى وبسرعة ايضا .

ويطرح سوق الخضار المشكلة الاولى، وراى المجلس البلدي هو الصواب بوجوب نقله الى جهة اخرى من المدينة لكي يظهر منظر البحر ، ويخفف حركة المرور العقدة التي يحدثها وجود السوق على شارع السيف . لقد اختير موقع جديد في منطقة الشويخ الصناعية الذي يعتبر موقعا مريحا ومناسبا كمكان لسوق خضار الجملة وهو في مرحلة الانشاء الآن . وكذلك سينقل المسلخ الى مبنى حديث خارج المدينة قريبا .

والعقبة الثانية التي واجهها الكورنيش هي منطقة بناء السفن على طول شارع الخليج العربي ، لقد اتخذ قرار لنقل هذه الصناعة التاريخية الحساسة ، الى عشرينج حيث جهز لبنائي القوارب والدوب مرفأ بسيط وقسائم لتركيز عملياتهم . ويشعر الانسان بأن جو الجبهة المائية لن يرفع مستواه ما دامت تعترضه هذه العقبة لان الجو الساحري لمنطقة بناء القوارب هذه ليس فقط رائعا ونفيسا ، ولكنه سيكون من الصعب جدا انفصاله عن الجبهة البحرية . واما تسهيلات المرفأ القديم مثل الابنية والعنابر والمستودعات . الخ فسوف تنقل على مر الزمان الى اماكن اخرى .

وقصر السيف القديم يترك على ما هو عليه لاسباب عاطفية ولطابعه المعماري العربي الجميل .

ويوجد مبنى لمخفر الشرطة على الجبهة المائية الحالية ولكنه مثل المباني العديدة القليلة الاهمية يمكن هدمه . ان مساحة كبيرة من البحر قد استخلصت وصارت ارضا ، خصوصا المكان المقابل للمستشفى الاميري . ومع ذلك فالبلدية مستمرة في ردم البحر ، هنا وهناك ، واعداد مساحة مأخوذة من البحر لاقامة القاعدة الاولى للكورنيش .

ان طريق التنزه على الجبهة المائية الكويتية دخل دور البناء منذ اكثر من ٢٤ شهرا وخلال السنة الحالية فان كثيرا من الانشاءات الجديدة التي ستحل محل المباني القديمة سوف ينتهي تشييدها ، وان مساحة من البحر اكبر سوف ينتهي ردمها وتصبح ارضا .

لقد ولد كورنيش الكويت وعلى جانبه الارضى يرى الانسان

القطعتين من المنطقة المركزية التجارية، ٢٠١ تتخذ - حاليا - استعدادات لاعادة تعميرهما .

لقد ذلت اكثر العقبات الكبرى واصبح الكورنيش بطول ٧ كيلو مترات تقريبا في دور الانشاء وقبل اعداد الرسومات وعمل النماذج .

ولا يسع الانسان الا ان يحلم بكورنيش شامل للكويت . ولا يسع الانسان الفاحص للجبهات المائية الجميلة للخليج الكويتي والخليج العربي، الا ان يتطلع بأفكار شاملة وان يطمح الى اقامة هذا الكورنيش الكبير والبعيد المدى .

ان الانسان يعتقد بجد بأنه ، لكي تكون الجبهة المائية فيها حياة ، يجب الا تقتصر على المظهر والفرجة ، بل يجب الا تهمل نواح اخرى مثل حركة المرور العامة وتهيئة مداخل مألوفة للماء والبلاجات التي يجب ان تخلق - مهما كان الامر - على طول الساحل الكويتي .

ان الانسان لا يمكن ان يغفل جاذبية كورنيش ممتد تقريبا من عشرين الى الجبهة المائية لطريق السيف - حوالي ٧ كيلو مترات الى الجزء الجميل المتموج بين قصر دسمان والرأس والمتجه صوب الجنوب نحو الشعبية . ان مثل هذه الفكرة الكبرى تعتبر ضرورية لاسباب حيوية أقل منها فكرة اخرى هي حماية شواطئ الكويت القيمة الجميلة .

ان مثل هذا المخطط سوف يصل الاستوانات التقليدية والقديمة من الجبهة الى المنطقة المحايدة ويهيئ طريقا للنزهة هادئا ومريحا ، وكذلك توجد اماكن للتنفس وفرص للتسلية على طول الخط الساحلي . وكنتيجة لهذا يجب منع كل بناء محاذ للبحر على طريق الكورنيش الكبير وفسح منطقة للبلاجات كممتلكات عامة تبقى طبيعة محفوظة . ولكي يبدأ ميلاد الكورنيش الكبير يجب اصدار قانون بمنع اي نوع من المباني على بعد ١٠٠ متر من منسوب الجزر العالي . ان هذا يجب ان يتحقق الان وفورا لكي يحول دون اقامة اي ابنية كبيرة وباهظة التكاليف وسط امتداد الكورنيش الكبير .

هذا المثل الواسع من التفكير يعتبر ابعد حكمة من التفكير الحالي المركز في الاصل على كورنيش السيف البالغ طوله ٧ كيلومترات . بينما هذا الشريط (البالغ طوله ٧ كيلومترات) يمكن ان ينظم هندسيا ويخطط موقعه بطريقة افضل ، حيث ان المدى الابعد لاستعدادات الموقع الطبيعي، يجب بأى وسيلة ان لا يحل محله المدى الاقصر لمنظر الكورنيش القصير .

ج - المرحلة الاولى للكورنيش

من المعتقد عموما بأن فكرة الكورنيش الحالي قد ظهرت اولا لدى شركة المقاولات التي صممت وشيدت ميناء الكويت الجديد . لقد قدمت هذه الشركة منذ اكثر من خمس سنوات تصميما عرض على المجلس

الاعلى ومجلس الانشاء في ذلك الوقت . الا ان هذا العرض الاصلي لم يلق حماسا حقيقيا ، ولو انه منذ حوالي سنتين تقريبا قد اعاد مجلس الانشاء احياء الفكرة وطلب (عن طريق وزارة الاشغال العامة) من اربع شركات بريطانية ، وواحدة كندية تقديم تصميمات للكورنيش محدد بمحطة القوى الكهربائية في الشويخ من جهة الغرب والمتحف بالقرب من قصر دسمان من جهة الشرق فاعاد بذلك تثبيت الفكرة للكورنيش .

ان مشروع الجبهة المائية تبعا لمطالب وزارة الاشغال العامة كان عليه ان يشتمل على ما يأتي :

- (أ) انشاء حوائط البحر الساندة الضرورية .
- (ب) اعادة انشاء مرفأ السفن الصغيرة الموجودة حاليا في موقع جديد .
- (ج) انشاء حوض جديد للقوارب .
- (د) اعداد مجال يسمح بانشاء المقاهي والمطاعم وامكنة الاستحمام والفنادق في المستقبل .
- (هـ) انشاء طريق مزدوج ومقسم ذي اتجاهين .
- (و) ادخال اي تحسينات او تسهيلات اخرى يمكن ان تقترح حسب رغبة المصمم .

منذ ان كان الكورنيش في هذا الجزء من الكويت في طريق الانشاء (بنقل العوائق المرئية للماء تدريجيا الى امكنة اخرى) فان الانسان يظن ان ردم الارض كان يمكن عمله تلقائيا بردم الانقراض والدبش المستخرجه من العشر قطع المعاد تعميرها في المنطقة التجارية المركزية من المدينة . ان الانسان قد يحتفظ عندئذ ربما بحجم صغير « لمنطقة بناء السفن » وكذلك المرفأ القديم الذي يمكن ان يصبح نوعا من الاحواض للمراكب الصغيرة ، تاركا جزءا من المساحة لاصحاب المنشآت البحرية الصغيرة . ان قصري السيف ، القديم والجديد ، في الحقيقة يمكن ان ينسقا ضمن التركيب المستقبلي للارض والماء ، عندما يعالج بمهارة كمنظر طبيعي ، وفي هذه الحالة لا يمكن ان تتجاوز تكاليف هذا الكورنيش الصغير عشرة ملايين دينار بدلا من ٢٦ مليون دينار ، ونستطيع بذلك ان نوفر مبلغ ١٦ مليون دينار ترصد ضمن تكاليف المراحل التالية من الكورنيش الكبير ويجب الا يعطى هذا الاقتراح اهمية ثانوية بل يجب ان يولد اهتماما مشوقا لدى ولاة الامور . ليس من الافضل ان تحقق عشرة اضعاف الكورنيش مقابل ثمن عشرة ؟

لقد ذكرت لجنة التنظيم بوزارة الاشغال العامة عند دراسة مشاريع الشركات المذكورة بعض الاعتبارات التنظيمية الهامة التي تؤثر في مستقبل المدينة وهي :

- ١ - الاخذ بعين الاعتبار تطور وعمران الجبهة المائية بالنسبة لباقي المدينة من حيث توحيدها وتكتيلها على المدى الطويل .

٢ - تكامل حركة مرور للجبهة المائية المقترحة مع الاطار الاخضر الحالي وشبكة الطرق الدائرية بالمدينة .

٣ - امكانية مزج الجديد بالقديم لغرض اقامة حلقة اتصال دائمة بين صفات ومظاهر المدينة القديمة منها والجديدة .

٤ - وحدة المشروع وتكامله من وجهة تنسيقه مع اجزائه المنفصلة.

٥ - وجوب مطابقة اوجه الخيال والابتكار والابتداع المبين في التخطيط المقدم .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات فاز مشروع الشركة الكندية على باقي المشاريع ، وكانت تكاليف مشروع الشركة المذكورة تتجاوز عشرين مليون دينار ، وطلب مجلس الانشاء من الشركة اعادة التصميم على اساس تخفيض التكاليف الى النصف ، وفي هذا الطلب الحكمة والسداد وبعد النظر لان ذلك يحقق لنا المرحلة الاولى من الكورنيش واعداد العدة للمراحل التالية البعيدة المدى . وبعد ان درس المجلس البلدي مشروع الكورنيش ابدى ملاحظات قيمة اخذت بعين الاعتبار في وضع المخطط الاول النهائي لهذا المشروع

عندما يقترح الانسان اليوم اقامة كورنيش ، فان الناس ستنبهر بمسافة الخمسين او الستين كيلو مترا التي ستمتد على طول الشاطئ. ولكن عندما يدرك الانسان امكانيات الكويت الهائلة ، وكذلك التقدم الكبير في انشاء الطرق في بلدان امريكا او المانيا ، وكذلك مئات الآلاف لطرق من الدرجة الاولى التي تنشأ حول العالم ، فان هذا المشروع لا يثقل كاهل الكويت خصوصا وانه يعد حيويا جدا لها ، لاسباب طبيعية ووظيفية وجمالية ، فضلا على كونها ضرورية يجب التخلي عن فكرة الكورنيش القصير ، كي تحل محلها فكرة الكورنيش الكبير . ويجب اقتناص كل فرصة مالية وتشريعية لتحقيق نهايته القصوى . ان الوقت المناسب لتدبير هذا المشروع على مدى زمن طويل ، هو الان . وكذلك يجب اتخاذ الاجراءات الفعالة على طول الجبهة البحرية ، باصدار قرار لهذه الغاية حالا . ان كل ذلك يعتبر ضروريا بسبب مقتضيات تكوين الموقع ، وكذلك بسبب المدى الجغرافي الممتد في المدينة . ان تحديد حدود الخطوط العريضة لمثل هذا التطور يمكن ويجب عمله حالا الان ، وكل بناء يظهر على طول الساحل الان ، يخلق عقبة في طريق المستقبل ، مما يجعل امكانية انشاء كورنيش شامل ومكتمل بعيدة الوقوع . ان كل تهاون في عدم منع اقامة البنايات على طول الساحل قد يستوجب في المستقبل ردم مسافات من البحر كبيرة لفسح مجال لاقامة كورنيش كبير ، وتكلف الدولة حينذاك تكاليف باهظة ربما ستعوق تنفيذ هذا المشروع .

لقد تغيرت الجبهة المائية لشارع السيف القديم ، واستسلمت لعوامل التوسع والضغط الشامل للمدينة . ومنذ حوالي عشر او اثنتي

عشرة سنة، كانت جبهة شارع السيف المائية هي سبيل المعيشة بالكويت وكان على احد جانبيها البحر او الخليج وعلى الجانب الاخر الارض او اليابسة . ومن جهة البحر كان يتحقق استقبال البضائع والاطعمة والسلع ، وكانت صناعة بناء السفن الصغيرة والمرافأ الصغير ، يواجهان جبهة المدينة - التي اندمجت بكلياتها - حيث تعيش فيها طبقة التجار البارزين . وكانت ديوانياتهم حلقات تناقش فيها المسائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، فكانت اشبه بمدينة نموذجية عضوية حقيقية ، انشئت حسب متطلبات ومقاييس الاشياء في ذلك العصر .

لقد تغير اليوم ميزان الاشياء ، وتبدلت اشياء تقليدية على طول واجهة السيف . لقد اوجدت السيارة معاني جديدة للسرعة والمقياس، وكذلك حدثت تغييرات اساسية في اوضاع التفاعلات الاجتماعية الخ . .

دع الجبهة المائية للسيف بكل الوسائل تنظم هندسيا على احسن واجمل الطرق الممكنة ولكن دعها تكون جزءا من الشاطئ المنحني الممتاز بحيث تحافظ على الخطوط الساحلية للكويت، وعندما يحصل ذلك فانها تلقائيا تخدم بطرق شتى امتداد المناطق السكنية عليها ، دع النفقات المقررة للكورنيش الصغير توزع بانتظام وتزداد - اذا احتاج الامر - كي تبني الكويت خطها الامامي الحضري ومجراها الحيوي .

ان الاعمال الكبرى في بلورة المتمدن ، تحتاج الى تفكير جريء واحلام كبرى يجب ان تكون غابتها هي صنع النتائج والاحداث في المستقبل الذي يتخله ويدركه الانسان ثم يبدأ بخلقه في الحال ، والا فسوف نواجه دائما بعض الاعمال ونعالجها بهمة ضئيلة وفي وقت متأخر .

فعلى الانسان ان يقرر كمبدأ عام ما يلي :

١ - يجب ان يحل كورنيش الستين كيلومترا محل كورنيش السبعة كيلومترات كفكرة اساسية للمستقبل .

٢ - يجب ان تقصى جميع المباني على طول امتداد الستين كيلو مترا ، على الاقل ، نحو مائة متر من مستوى منسوب الجزر العالي .

٣ - يجب على قسم تنظيم المدينة ان يعطي سلطة لوضع الخطوط العريضة للستين كيلو مترا من الكورنيش على ان ينسق ذلك مع مخطط رئيسي شامل للكويت .

٤ - يجب ان لا يسمح لاي بناء ، مهما كان نوعه ، على جانب البحر من الكورنيش سواء على امتداد الستة كيلو مترات او الستين كيلومترا .

٢٦ - المركز الحكومي للكويت

ان مدنا كثيرة قد ازدهرت واتسعت عبر التاريخ فاصبحت عواصما ، على نحو لندن وباريس وطوكيو . ومن جهة اخرى ، فقد جرى اختيار وتصميم مواقع المدن الكثيرة الاخرى لجعلها عواصما ، على نحو واشنطن - الولايات المتحدة ، وكانبرا - استراليا ، ومؤخرا برازيليا - البرازيل . ومهما كان السبب ، اى تاريخي او ناجم عن تصميم سابق ، فان وجود مركز للاعمال الادارية والحكومية والسياسية هو امر مهم ولا مناص منه . ان جمع اماكن الاعمال الادارية للحكومة في بقعة مركزية واحدة كان ولا زال يعتبر امرا اساسيا وضروريا للغاية . ان هذه حقيقة واقعة مهما كان نوع المركز الحكومي المراد انشاؤه ، أي لدولة او لمدينة .

ففي لبنان ، تطرق الحديث كثيرا خلال السنين الست المنصرمة عن مدينة او مجموعة مباني حكومية لاستيعاب معظم الهيئات الادارية للحكومة ، وذلك بدلا من ان تكون متناثرة ، حسب حالتها الراهنة ، في مختلف احياء بيروت ، مما يسبب المشقات الجمة للمواطنين في انجاز معاملاتهم مع الدوائر الحكومية الى ما هنالك من عرقلة للسير . وحيث ان اكثر مكاتب الحكومة اللبنانية تشغل مباني مستأجرة ، لذا فان هذا الوجود المجزا للحكومة بشكل خسارة مالية مباشرة . وبناء عليه ، فقد قررت الحكومة اللبنانية ان تجعل من المدينة الحكومية ، التي سبق واعلن عنها في مجالات كثيرة ، حقيقة واقعة وذلك باعلانها رسميا بانه سيباشر عما قريب باختيار الموقع والشروع بالتصميم . ونظرا لندرة وجود الارض الكافية في بقعة واحدة ، فمن الجائز جدا ان يكون هنالك اكثر من مركز واحد للحكومة في مدينة بيروت . والحكومة الاردنية ايضا هي الآن في طور اعداد دراسات لمركز لها في عمان . والرياض قد بنت مركزا جديدا للحكومة هناك .

وفي الكويت ، فان الوضع الراهن لا يختلف عن ذلك السائد في بيروت وعمان وغيرها من المدن العربية اذ قد اتسعت الدوائر الحكومية بسرعة خلال العشر او الاثنتي عشرة سنة الاخيرة ، وقد كان يبادر الى تدبير فسحات جديدة للمكاتب في كل يوم بغية مواجهة الطلبات المنهالة والمتكاثرة بصدد المكاتب المستحدثة ، كما وان المكاتب الحكومية في الكويت متناثرة في احياء شتى من المدينة القديمة . وعامة ، ان هذه المكاتب القديمة مزدحمة ، وغير مناسبة لكثرة الاعمال وهي تسبب في عرقلة السير في اشد الاماكن ازدحاما بالمدينة ، وبهذا فهي تفاقم من حالة السير المعقدة . ان نقل هذه الدوائر الحكومية من المدينة القديمة ، بقدر المستطاع ، سيخفف من وطأة السير في اوقات الازدحام الصعبة في المدينة القديمة .

وقد دار الحديث في الكويت ايضا ، منذ اربع او خمس سنوات ، عن انشاء مباني جديدة لمختلف الدوائر الحكومية . وبالفعل ، فانه قد تم انجاز مبنيين حكوميين ضخمين ، وهما مبنى البلدية الحديث ومبنى وزارة الارشاد والانباء ، وكلاهما واقعان على ناصية احدى المناطق التي تعج بحركة السير ، الا انهما لا يمتان بأية صلة لحركة السير او للمنطقة التي شيئا فيها من الوجهة المعمارية . وحتى مؤخر ، لم تكن هنالك اية فسحة لكي تستعمل كموقف للسيارات لاي من هاتين المنطقتين المزدحمتين . وعلى نحو هاتين الدائرتين الحكوميتين ، فقد حضرت التصاميم المعمارية كافة لثلاث او اربع دوائر اخرى منذ فترة من الزمن ، في حين ان مواقع هذه المباني قد اختيرت كيفما اتفق ، اى في اماكن لو كانت قد اختيرت بعناية وعن قصد لما لاقت نجاحا اكبر في خلق الازدحام .

وثمة دائرة حكومية اخرى ، وهي دائرة الكهرباء والماء والغاز ، كانت تقوم بتحضير التصميم لمبنى مكاتبها الذي كان سينشأ في مكان ما على الناحية الجنوبية للحزام الاخضر ، ولاسباب معمارية واقتصادية ، فان حكومة الكويت قد وجدت بانه من الانسب رفض جميع التصاميم الخاصة بانبية المكاتب الحكومية هذه .

وقد اتجه الميل ، في احدى المراحل الانشائية للكويت ، لوضع الدوائر الحكومية كافة في الحزام الاخضر ، الا ان هذه الفكرة قد ابعدت لتحل محلها فكرة الموقع الذي يشغله المطار حاليا . ان هذه رقعة كبيرة من الارض وموقعها مركزي بالنسبة لمركز المدينة ولاجزائها المتفرعة والاختدة في النمو والامتداد وباستطاعتها ، من حيث المساحة ، استيعاب معظم الدوائر الحكومية بسهولة . ان هذه البقعة لها ميزات الموقع والاتساع وهي تحاذي الحزام الاخضر من جهة والحديقة الكبيرة للمدينة من الجهة الاخرى . بيد ان نقطة الضعف الوحيدة فيها تتركز في عنصر عدم اليقين بصدد الاتساع القبل لمدينة الكويت . فاذا ما اتسعت المدينة بصورة كبيرة في المستقبل ، فان هذا الموقع لن يبقى مركزيا كما هو عليه الآن ، وحينذاك لن يستوعب التوسيع النسبي . فضلا عن ذلك ، فان هذا الموقع هو محط الانظار في المدينة من حيث جعله منطقة سكنية - فلو فرضنا جدلا بان هذه المنطقة قد قطعت الى قسائم سكنية ، فانها ستستوعب بسهولة حوالي ٦٠٠٠ شخصا ، وذلك عند محور الازدحام في المدينة ، واذا ما تم تخطيط هذه البقعة لتصبح منطقة سكنية ، فانها ستسد الفراغ المحاذي للحزام الاخضر ، وبهذا يتحسن المنظر من الوجهة المعمارية .

هذا وقد تم تحضير مسطح لموقع المركز او المدينة او مجموعة المباني الحكومية في مكان المطار الحالي ، الا انه في جلسة اللجنة الفرعية المنبثقة عن المجلس البلدي والمنعقدة في ١١ شباط ١٩٦١ اثرت نقطة هامة من قبل السيد مرزوق الفنيم ، احد اعضاء المجلس ، وهي عما اذا لم يكن الموقع في العدلية ، جنوب الطريق الدائري الرابع ، اكثر مناسبة لاستيعاب المركز

الحكومي ، وقد وضع هذا الاقتراح تحت دراسة جدية منذ ذلك الحين واتضح بان ذلك الموقع مناسب أكثر من موقع المطار الحالي من حيث التطورات البعيدة الامد . ويستنسب موقع العديلية هذا لعدة اسباب وهي مدرجة فيما يلي :

- ١ - من جهة اقليمية وتنظيمية .
 - ٢ - انه اكبر من الموقع الحالي للمطار .
 - ٣ - انه اقرب للأنشاءات الحكومية الكبرى مثل المطار الدولي الجديد (المرحلة الثانية) ومحطة التجارب الزراعية ومصنع الطابوق الرملي الجبلي وموقع معدات تصريف القاذورات ومحطة الاسلكي ، الخ ...
عدا عن انه اقرب للاحمدي ايضا .
 - ٤ - ان بعده عن المنطقة المركزية التجارية سيخفف من مزج حركة سيرها مع حركة سير موظفي الحكومة .
 - ٥ - ان هذا الموقع مركزي اكثر بالنسبة لتكاثف السكان الحالي والمقبل .
 - ٦ - سيكون بمثابة مغناطيس يجتذب التحسين في المنطقة المجاورة له عامة ، وبذلك يجتذب بعض المرافق من المناطق الزدحمة في المدينة .
 - ٧ - سيشاهد الزائر لدى وصوله المدينة من جهة الطريق المنعطف « الخالدية - الاحمدي » المصمم حديثا (يعادل علوه في الوسط ٦ - ٧ طوابق) منظرا جميلا من الواجهة المعمارية .
 - ٨ - انه مواجه تماما لحديقة المدينة من جهة ، في حين ان جزءا فقط من موقع المطار الحالي يواجه الحديقة المذكورة .
 - ٩ - انه سيشرف اكثر على منظر المدينة القديمة .
 - ١٠ - سيزول النقد من حيث ان هذا الموقع ابعد من موقع المطار الحالي لدى تسير خطوط نقل منتظمة في الكويت ، وعندما يعم انجاز المعاملات الحكومية اكثر فأكثر عن طريق البريد والهاتف ، ولدى اتساع المنطقة المركزية التجارية باتجاه الحزام الاخضر .
 - ١١ - ان موقعه مفضل من الواجهة الاستراتيجية .
 - ١٢ - وانه مفضل من حيث التطورات الزراعية والصناعية والاقليمية المقبلة .
 - ١٣ - انه مناسب اكثر من حيث استعمال الارض وطريقة توزيع السكان .
- ان الاتجاه المنتهج في تصميم وتخطيط موقع المطار الحالي للمركز الحكومي قد استعمل لموقع العديلية . ان فكرة التخطيط مبسطة وتنفذ

بطريقة مباشرة ، اذ يقسم الموقع الى قطع للوزارات المختلفة . وسيكون هنالك فسحة كبيرة تحيط بكل دائرة لمواجهة التوسع في المستقبل كما وستكون هنالك فسحة كبيرة تستعمل كموقف للسيارات . اما بناء المكتب الرئيسي ، فهذا يتألف من عدة طبقات ، وهو ذو تصميم مبسط يركز بطريقة تجعل واجهتيه الرئيسيتين مقابلتين للشمال والجنوب ، وهذا امر مهم جدا بالنسبة لطقس الكويت الصعب . اما المباني ، فهذه لن يتعدى علوها الستة او السبعة ادوار ، كما وان الاقسام الكبيرة في المباني ، على مثال قاعات الاجتماع الكبيرة ، فسيعمل على تشجيع تصميمها ليكون متفقا وسقوف الطوابق لاعطاء الميزات الافقية ولايجاد الساحات المفتوحة والامكنة ذات المظلات والمناظر الخلوية الجميلة والنوافير والبرك . واذا ما دعت الحاجة للتوسع ، فسيكون من السهل ، بفعل الفسح الكبيرة المتوفرة حول كل مبنى حكومي ، تصميم الاضافات على سبيل فروع او ملاحق للمبنى الاساسي .

ويعتقد بان التكوين الهندسي الكلاسيكي الشامل سيكون كحل مفتعل ومفروض ، اذا ما دعت الحاجة للقيام بانشاءات اضافية في المستقبل . وفضلا عن ذلك ، فان التكوين الهندسي المفتعل لن يكون ممكنا ، في هذه المرحلة ، نظرا لكثرة التفسير الذي يمكن ان يطرأ على احتياجات الوزارات المختلفة .

ان المنطق والاسلوب العملي والاقتصاد والكفاءة ، كما وان الاخذ بعين الاعتبار الاحتمالات المتوقعة في المستقبل البعيد ، بصدد توسيع الدوائر الحكومية ، تقضي بتأسيس مركز حكومي موحد في العديلية ، وانشاء ابنية ذات طوابق متعددة ، ويكون تركيزها متمشيا مع حالة الطقس ، مع ترك فسح بينها كي لا تتعرقل اعمالها او توسعها في المستقبل ، عدا عن ان هذه الدوائر ستنسق لاعطاء منظر جميل خلاب .

وفي المستقبل ، عندما يرتفع هذا المركز الحكومي الجديد ، سيشاهده المواطن وكذلك الزائر لدى نزوله في المطار ، اذ انه سيعلو شاهقا فوق الابنية المحيطة به كافة ، وسيبدو كبرهان واضح وجلي للفن المعماري الحديث والاسلوب العملي والكفاءة والاهتمام اللائق الذي تعيره حكومة الكويت لهيئتها الادارية .

ومن وجهة النظر التنظيمية ، ولاسباب واضحة كثيرة ، فانه لن يكون من الحكمة جمع او توزيع الدوائر الحكومية ضمن مدينة الكويت القديمة ، واهم هذه الاسباب هو ان المساحة المتوفرة ضمن المدينة القديمة لا تتسع لاستيعاب النشاطات التجارية للمدينة والنشاطات الحكومية معا . فنقل الجزء الكبير من وزارات الحكومة الى منطقة العديلية هو عمل علمي يساعد على تذليل الصعوبات التنظيمية الكبيرة التي تواجهها في الكويت داخل السور المزال . وباقرار موقع العديلية للمركز الحكومي ابدت السلطات المسؤولية والحكمة وبعد النظر في تطوير الكويت باساليب علمية معاصرة .

٢٧ - جزيرة فيلكة : انماء فردوس الكويت المنسي

يصل الانسان جزيرة فيلكة - التي تشبه شكل الكلية - بعد مضي حوالي ربع الساعة في رحلة تقطعها طائرة الهليكوبتر من الكويت . وتبعد هذه الجزيرة الصغيرة نحو ٢٥ كيلو مترا من شمال الكويت وهي عبارة عن ارض منبسطة وفي عزلة تامه عن مدينة الكويت المزدهرة . وتنحصر اهمية الجزيرة لسكانها القليلين الذين يعيشون في قرية عربية فطرية على الشاطئ الجنوبي منها .

تتبع الجزيرة دولة الكويت ، وتعتبر جزءا من اراضيها حيث أنه يمكن المشاهدة فيها الكثير من العمران والتسهيلات الموجودة بالمرح الحضري في مدينة الكويت ، ولكن بصورة مصغرة ، كمحطة القوى الكهربائية وعدد من المدارس والمستوصفات ومحطات اطفاء وغيرها من المنشآت الحضرية .

تعتبر المعيشة في الجزيرة بدائية وبسيطة . على انه اذا احتاج الانسان الى الراحة والتسلية فانه سوف يجد هذه الجزيرة المدهشة فردوسا لاحلامه بسبب هدوئها الشامل وبعدها عن العالم الصاخب . وقبل اكتشاف النفط كانت الجزيرة جنة الصيادين وكان صيد اللؤلؤ هو العمل الرئيسي لسكان الجزيرة . أما الماء العذب فيستخرج من بضعة آبار تكفي لرى بعض الخضروات وقليل من الاشجار المبعثرة هنا وهناك .

وفي احد طرفي الجزيرة توجد « المزارعة » ، وهي احدى الروابي التي يروى عنها الكثير من الأساطير . فهي المكان الذي يذهب اليه الناس ليضحوا بالاغنام ويكفروا عن خطاياهم ويتمنوا تمنياتهم وآمالهم .

تعتبر الجزيرة خالية من السكان ما عدا الذين يقطنون القرية الصغيرة . ولقد اكتشف منذ زمن ليس ببعيد بعض الآثار التي كانت تنقب عنها البعثة الدينماركية ، واثبتت هذه الآثار ، بدون شك ، بان الاسكندر الاكبر قد عبر هذه الجزيرة أثناء تجولاته نحو الشرق . ومما يؤكد ذلك هو العثور على معالم معمارية وحليات زخرفيه في المعبد المكتشف في الجهة الشمالية الغربية من الجزيرة ، كانت سائدة في مباني العصر الذي عاش فيه ذلك القائد المقدوني . وهناك آثار اخرى من بقايا استعمار البرتغاليين للجزيرة ، على ان بعض المصادر تنسب تاريخ بعض الآثار المكتشفة الى ٥٠٠ سنة مضت .

وهكذا ... فان هذه الجزيرة الفطرية التي تقع على مرمى الحجر من مدينة الكويت الصاخبة والمشغولة بأنواع المعيشة المعقدة تعتبر ميزة

كبرى للكويتيين ، خصوصا اذا ما هيئت وعمرت بالمسرات والتسهيلات الضرورية لكي تصبح مشتى عالميا على مستوى دولي اثناء الشتاء والخريف عندما يكون جو الخليج العربي جوا مثاليا في الوقت الذي يكون فيه جو البلاد الاخرى باردا جدا .

تعتبر شواطئ وبلاجات الجزيرة نظيفة ، بالاضافة الى جمالها الزائد لدرجة يمكن مقارنتها بفخر مع اعظم بلاجات العالم . ان انعزال الجزيرة عن العالم الصاحب وقربها من مدينة الكويت يجعلها مكانا مرغوبا فيه يستحق أن يفكر فيه كمشتى عالمي للجوء اليه طلبا للراحة والتسلية . يمكن تنظيم السفر للجزيرة عن طريق هليكوبتر في اوقات معينة او بواسطة معديات خاصة . ويمكن تهذيب البلاجات الفطرية وانشاء ملاعب رياضية للجولف والتنس وكرة السلة وكرة المضرب وكرة القدم والرمية وغيرها . ويمكن ايضا انشاء فنادق من الدرجة الاولى وبلحق به نوع من فنادق الموتيل به التسهيلات الخاصة بها . وكذلك يمكن اقامة مدرج مسرحي في الهواء الطلق لترقص وتغني عليه فرق الباليهات والاوربات المشهورة في مهرجانات كهرجان بعلبك في لبنان مثلا ويمكن ايضا انشاء مدينة ملاهي للاطفال على شكل مدينة ملاهي «والت ديزني» بأمريكا . واخيرا يمكن تهيئة حدائق عامة وتخصيص حديقة للحيوانات . كل هذه التسهيلات يمكن ان يتصورها الانسان ويهيئ لها حملة دعاية على مستوى عالمي بين الاوساط التي تنشد الراحة والتسلية وتمضية وقت الفراغ . ويمكن انشاء مطار صغير حيث تستعمله طائرات ذات مواعيد منتظمة اثناء موسم الشتاء الذي يلجأ اليه الناس كما يلجأ الكويتيون الى المصايف اثناء موسم الصيف .

لهذه الاسباب يجب تهيئة مخطط رئيسي لتعمير الجزيرة يتمشى مع المقترحات المذكورة اعلاه . كذلك يجب ترك قرية فيلكة الحالية على ما هي عليه من طبيعية فطرية بدون اى اضافات كبيرة كلما أمكن . ويجب ترك منطقة على حده لبناء فيلات فيها لتمضية نهاية الاسبوع في موسم الشتاء للكويتيين ثم ربط هذه المنطقة مع المخطط الشامل للجزيرة .

لهذا اننا نتساءل: لماذا لا تصبح جزيرة فيلكة مشتى دوليا ومكانا عالميا لتمضية اوقات الفراغ ومزاولة الرياضة والتمتع بوسائل التسلية واللهو في دولة الكويت ؟ ان كل من يبحث عن مشتى يكون لديه غالبا من شهرين لثلاثة شهور ينشد فيها الراحة والتسلية ، وفي الوقت نفسه يمكنه زيارة ايران والعراق والسعودية والاردن ومصر . . . وحتى باكستان والهند .

هل يوجد مكان اخر اكثر جاذبية وذات مزايا كبرى في موسم شتاء غير جزيرة فيلكة ؟ ان هذه الجزيرة يمكن ان تهيئ مكانا مريحا لطالبي الراحة ومكانا مدهشا لمنشدى التسلية وملاعب عده لمولعي الرياضة ومكانا فذا لمحبي الآثار ، ناهيك عن مناخها الممتاز ، واخيرا يعطي للزوار الأجانب فرصة زيارة مدينة الكويت .

انه لمن المزايا الكبرى لشعب الكويت ولحكومته الساهرة على رفاهيته

ان تصبح الجزيرة مشتى للكويت والبلاد العربية جميعا .. فتستغل كمصدر للدخل بالإضافة الى استعمالها كمكان للراحة والتسلية واللهو ، خصوصا اذا ما قارناها بالماثر والاعمال العظمى التي حدثت بمدينة الكويت .. وبذلك تصبح جزيرة فيلكة مشتى وفردوسا للكويت .. ويمكن ان تكون للكويت ما تكونه جزر الاميرة لاستانبول .. او ما تكونه جزر اليونان لاثينا .. او ما تكونه جزيرة كابري لروما .. او ما تكونه جزر الكناري لاسبانيا .. بالإضافة الى هذا فان تعمير فيلكة يمكن ان يلطف من حرارة الكويت اثناء فصول الصيف المحرقة لوجودها بالقرب منها ولوجود الملاهي فيها . وكل هذا ممكن باستخدام علم التنظيم والهندسة بالاساليب الفنية المعروفة .

لقد صرح أحد خبراء السياحة الألمان اثناء زيارة حديثة له في الجمهورية العربية المتحدة لتشجيع تأسيس عدة فنادق على ضفاف النيل: «اذا كانت لديكم هذه الشمس الساطعة فلماذا لا تبيعوها لسكان اوروبا؟» . أنها حقا لملاحظة ثابتة لبلد مثل مصر ، لديها الشمس زيادة على ما تستوعبه وتعرضه للسائح من تاريخ عتيق وآثار ليس في الدنيا لها مثيل .

ان جزيرة فيلكا التي هي على بعد مرمى الحجر من الكويت لديها الشمس الساطعة والرمال الناعمة ومياه البحر الهادئة والسماء الصافية والهدوء العظيم يمكنها أن تمنحها للسائح الباحث عن أمكنة ذات مزايا فذة من جمال ساحر وترويح للنفس باهر وترفيه للانسان زاهر . هذه الجزيرة الغير عادية والتي فكر القائد المقدوني اسكندر الاكبر ان يحل بها وهو في طريق فتوحاته نحو الشرق ، نعم هذه الجزيرة يجب ان تعتبر كرصيد ومورد دخل كبير لدولة الكويت . اننا لن نضيع أو نخسر أى تعمير يحل بهذه الجزيرة القابعة في الخليج العربي . بل على العكس فاننا سوف نستفيد من التعمير والتطوير الفعال لهذه الجزيرة كمشتى عالمي ومركز للسياحة ومكان للهو والتسلية . انه توجد الجزيرة ... وتوجد ايضا الأموال اللازمة لتعميرها ... وتوجد أيضا الموهبة للقيام بتخطيط عبقرى لها ... ولا ينقص شيئا غير اضاءة النور الأخضر لابتداء العمل فيها .

لقد اتخذ المجلس البلدي ، منذ حوالي أربعة شهور أو يزيد ، قرارا بالاجماع بخصوص طلب تخطيط جزيرة فيلكا . وأخذت المصادر المختصة والجهات السياحية علما بذلك لما لهذه الجزيرة من امكانيات ومزايا سياحية .

ان ماتراه العين وما لمستته الحواس على الطبيعة في هذه الجزيرة يعد فعلا مشجعا لتطورها . فالأرض خصبة ويوجد بجوفها مياه حلوة . وتوجد شواطئ ممتازة في الجزيرة وتوجد بها أيضا قرية عربية أصيلة بالإضافة الى بضعة بقايا اثرية تاريخية وكذلك تكوينات صخرية ممتازة ذات أشكال ونماذج تمثالية رائعة تظهر اثناء المد والجزر المنخفض . وباختصار ، توجد بها كثير من الامكانيات والمطامح والآمال الفريدة . انها جميعا في انتظار تطوير حساس سريع .

ولهذه الأسباب كلها التي توجد بالجزيرة فانه يجب عمل مخطط رئيسي لتطويرها وكذلك يجب الاسراع في عمل مشروع مسبق لتعميرها واستثمار رأس المال فيها وحماية خصائصها ومميزاتها الجوهرية الفريدة .

يجب البدء بأسرع ما يمكن في عمل مخطط رئيسي شامل لتطوير وتعمير الجزيرة تبعا للأقتراحات العريضة التالية :

١ - يجب تخصيص شريط من الشاطئ بعرض ٣٠٠ متر على الأقل كشاطئ طبيعي مصان - اي كم منطقة خالية من المنشآت المدنية .

٢ - يجب تطويق الجزيرة بكورنيش موازى لشريط الشاطئ الطبيعي .

٣ - يجب تحريم نقل الرمال من الشاطئ للأغراض التجارية وما شابهها .

٤ - يجب تجميد جميع أوجه نشاط البناء مباشرة الى ان يعتمد المخطط الرئيسي رسميا .

٥ - يجب تصنيف أرض الجزيرة الى أراضى سكنية (فيلات و عمارات) وتجارية (مطاعم وكازينوهات وفنادق وموتيلات ودكاكين) وتسليية (حضرية كاللاهي وطبيعية كالشواطئ) وزراعية (جميع الأنواع المختلفة التي تتوقف على حالة وطبيعة الأرض) وغابات (أحراش وأحراج) وطرق ومواصلات (من طرق وشوارع ومسالك وممرات) .

٦ - يجب اعلان المساحة الكبرى من الجزيرة التي لا يملكها احد كأملك للدولة .

٧ - يجب مراقبة المنطقة من أى محاولات لاستغلال غير منظور أو احتكار غير مشروع بل ويجب احباطها ومنعها .

٨ - يجب البدء في دراسة انشاء وسائل نقل بحرية تخدم بكفاية ونظام من وإلى الجزيرة .

٩ - يجب البدء في انشاء محطة لتكرير المياه كي تمتد الجزيرة بثلاثة ملايين جالون على الأقل من المياه العذبة يوميا .

١٠ - يجب تخصيص مواقع للفنادق « والموتيلات » والملاعب وغيرها .

١١ - يجب تخصيص طرف الجزيرة المقابل للقرية كمركز زراعي لغرض التخطيط والأبحاث والتجارب وكذلك يجب اختيار مواقع للمشاتل .

١٢ - يجب البدء في تصنيف الأرض من حيث الاستعمالات المختلفة .

١٣ - يجب عمل تخطيط لمدة خمس سنوات ، يدعم بميزانية سنوية تمتد اثناء هذه الفترة لتابعة المخطط الرئيسي الذي يجب أن يعتمد كشيء ضرورى لتطوير الجزيرة وتعميرها .

١٤ - يجب البدء فى الرعاية لتشجيع السياحة والترويج لها سواء فى المحيط المحلى الأقليمي للمنطقة أو فى المحيط الدولي العالمي .

١٥ - يجب انشاء ميناء صغير لاستعمال الاهالي الخاص وآخر لاستعمال السياح .

١٦ - يجب اعطاء الاولوية المفضلة لانشاء خط جوي ومينائين للطائرات الهليكوبتر .

أن الإنسان لوائق جدا ومتحمس للغاية بل ومعتقد أيضا بأن كل هذه المقترحات الآنفة الذكر سوف تنفذ . لهذا ، يجب انشاء « هيئة تعمير جزيرة فيلكة » من جميع الجهات المهتمة والمعنبة بالامر فى دوائر الحكومة ويجب تنظيمها للسير فى العمل بطريقة يتفق عليها لارجاع هذا الفردوس المنسى فى الخليج العربي ، بواسطة العلم والتخطيط ، الى عالم الحقيقة .



٢٨ - التخطيط السليم للمدن :

الكويت القديمة تتطور حسب الاسس التنظيمية والهندسية السليمة

وجه المؤلف النداء التالي الى المجلس البلدى الكويتي الموقر حينما تصدى لمناقشة بحث مصير المنطقة المركزية التجارية في الكويت في شهر يوليو سنة ١٩٦٠ :

« ان الكويت اليوم آخذة بالنمو على نطاق واسع . وانها من عدة نواح اوفر حظا من اخواتها المدن العربية باعتبار ان قدرا كبيرا من الفكر والطاقة التخطيطيين قد استعملا في رعاية نموها . ففي الكويت نظام للمرور قل ان يجد المرء له نظيرا في مدن اخرى . وهناك فكرة الوحدة السكنية المجاورة ، مهما يكن من امر تطبيقها . وان مخطط المدن ليشعر بارتياح هنا ، وان ازعجته بعض اتجاهات النمو الحاضر .

لقائل ان يقول ان الفصل الاول من نمو الكويت قد كتب . وانه لفصل ملئ بالفرائب والتجارب والنفقات العظيمة والاطفاء التي لا يمكن تفاديها ازاء ضغط الامور والثروات في الكويت .

اما الفصل الثاني في تطوير الكويت فهو في ايدي المجلس البلدى والسلطات في الكويت ليكتبوه . فاذا اطلق عنان الجراة والخيال ، فلك ان تتصور مدينة « النهضة » العربية . ويمكن الاستفادة من تجارب الماضي في تفادي معظم الاخطاء فيما تبقى من عمل ، كما يمكن تحقيق معظم مطامح مدينة عظيمة .

اننا نواجه اليوم مسألة اعادة تطوير المدينة القديمة ولا سيما مركزها التجارى . كيف يمكن اعادة تطوير هذه المنطقة التاريخية الحيوية ؟ اى شكل تأخذ - وماذا نريد ان نعمل منها ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة ليس من السهل توفيرها بسرعة . وذلك لان الاجابة تحتاج الى دراسة جدية وتفكير وتصميم جديين . على ان شيئا واحدا يمكن تاكيده بدون شك ، وهو ان الكويت القديمة اذا سمح لها ان تنمو على منوالها الحالي فستصبح مكانا غير مناسب ، مكان هو عبارة عن ابلشع مجموعة لحدث واغلى مواد بنائه . انها ستصبح مركزا تجاريا اخر ضوضائيا وغير صحي ، شبيها بالمدن الكثيرة التي يثور ضدها كل شخص .

ان السادة اعضاء المجلس مدعوون للنظر في النموذجين المعروضين عليهم بشاقب نظرهم . ويمثل هذان النموذجان الوضعين اللذين ستنمو

اليهما الكويت فيما اذا سمح لها ان تستمر على منوالها ونمطها الحضاري الحالي ، وكيف تبدو اذا ما طبقت مفاهيم التخطيط العصرية في رعايتها نموها . ويفصح النموذجان عن نفسيهما .

ان الكويت القديمة يمكن اعادة بنائها بحيث تصبح مكانا غير مريح وحتى تصل الى نقطة يفادها بحرية كل من المواطن والتاجر . او يمكن اعادة بنائها وفق اساليب الجمال وبحيث تستأهل ما ينفق عليها . انه يمكن اعادة بنائها بحيث تصبح مفخرة لا للكويتي فحسب ، بل لكل عربي : مكان تجارة وثقافة مكان اجتماع ومعيشة ، مكان استرخاء وعمل ، مكان تقول فيه الاجيال الصاعدة ان الكويت القديمة قد وفرت مكان البدء بانتصار العلم والمنطق والجمال على قوى الفوضى والتسوس والبشاعة .

ان في امكان سيادتكم ان تختاروا بين النظام والفوضى ، بين الجمال والقبح ، بين الاستثمار والمأمون او غير المأمون من جانب المواطن ، بين انتاج شيء يفتخر به او شيء يخجل منه .

ومع ان اختيار التخطيط العصري من الصعب اتخاذه لبعده عن السوابق المألوفة ، الا انه العلاج الوحيد مهما كان الدواء مرا . ان التخطيط العصري قد ينطوي على بعض النفقات الاضافية من جانب الحكومة ، ومزيد من العمل والتنسيق من جانب الدوائر الحكومية ، ولكن اختيار اسلوب ترك الامور على الغارب ليس اكثر كلفة فقط ، بل انه سيجر الى الندم .

وحينما يرى كم تنفق المدن الغربية على صلاح خرائب الاعمال الطائشة ، فان باستطاعتنا ان نتفادى كل ذلك بالعمل فورا بحكمة وجراحة ولمصلحة كل شخص ، ان كل عمارة تشاد الآن هي مجال تهديد لرفاهية الكويت اذالم تساعد على ايجاد كويت افضل » .

لقد كتبت الكويت تاريخ تخطيط المدن لنفسها وللمدن العربية في حميا شهري تموز وآب سنة ١٩٦٠ . ففي هذين الشهرين الحارين ، وفي غضون عطلة صيفية ، عقد المجلس البلدي سلسلة من الاجتماعات الطويلة للنظر في امور تخطيط مدينة الكويت ومستقبلها . في ذلك الوقت كانت غرفة اجتماعات المجلس البلدي اشبه بغرفة تصميم او قل بمشغل تصميم لتخطيط المدن . وكان البحث في تلك الاجتماعات مستقبل ما يسمى بالمنطقة المركزية التجارية في المدينة وهي المركز العريق لأكبر مجموعة بنائية في مدينة الكويت العربية التقليدية ، حيث الاسواق المشهورة عادة ومعال المدينة القديمة ووزارات الحكومة الخ . .

واكتشف المجلس البلدي ان تخطيط مدينة الكويت القديم قد اصبح من النوع الذي فات عليه العصر . وكان يتألف من لوحة حضارية غير متناسقة ، مؤلفة من مقاطع من الارض مقسمة تقسيما عرفيا . ويكتنف ذلك المنطقة المركزية التجارية ومجمل المدينة القديمة على صورة قسائم غير منتظمة الشكل ، تتألف من ملكيات كثيرة تتحدى التخطيط الاصيل والهندسة العملية والتصميم العلمي بسبب كثرتها واشكالها القديمة التي

لا تسنح الفرصة للتنظيم والهندسة حسب الاصول الحديثة . واكتشف المجلس ايضا ان على امتداد الشوارع الجديدة تنهض جميع اصناف العمارات الجديدة الجائمة بصورة غير متناسقة : مجموعة بنائية جديدة تفشى مجموعة بنائية قديمة لتزيد من تراكم وازدحام المدينة القديمة ، اذ انعدم فيها التصميم الشامل لضبط نمو وتكوين المدينة . واوليت المساجد والمدارس والبنائات الحكومية والدكاكين واسواق السمك واللحم نفس الاعتبار والاهمية في فراغات متجاورة . ولك ان تتصور ما عسى ان تكون عليه حركة المرور في مثل هذه الحالة فلم يعمل ترتيب حقيقي لوقوف السيارات في هذه المدينة التي تكاد تبلغ نسبة ملكية السيارات للفرد الواحد فيها اعلاها في العالم . ولا اعطي تفكير لمناطق التسوق للمساةرة مقامة حول ساحات ممهدة ومخضرة ، كما هو في كثير من نواحي اوروبا والأمريكتين . ولا اعطي لفكرة « البازار » العربية اهتمام رغم فوائدها العديدة . ولم يعط تفكير للمنظر الجمالي العام للعمارات ، ولا لتوحيدها وتوجيهها ولا الى هندستها المعمارية بالمعنى الناضج العريق . ولا اقيم وزنا للاحية تعادل نسبة الكثافة في السكان حسب اصول الاستعمال المدني المعروفة . كما لم يعط تفكير علمي لمسألة اختيار الموقع المناسب لانواع العمارات المختلفة الاستعمال والاحجام . وكان سبب كل هذه السرعة في البناء .

وهكذا .. نمو سريع ، وعقد في حركة المرور ، ونقص في أماكن وقوف السيارات ، وفقدان السلامة والراحة للمار والسائق كان هو الاصل لا الاستثناء في هذه المدينة المزدهرة المتطورة المزدحمة . وارتفعت اسعار الاراضي واغضي عن جميع الادواء الخطيرة التي تتصل عادة بوضع مزدهر . وتحدث كل شخص عن كل هذا كما يتحدث عن الطقس ولكن احدا فيما يبدو لم يستطع ان يعمل ازاءها شيئا ، الا عندما قرر المجلس البلدي ان يعمل وعمل !

هذا وقد حضر وقدم للمجلس البلدي نموذج تصميم صغير وبسيط يصور كيف تبدو المنطقة المركزية التجارية اذا نمت الى مداها على الاسلوب الحالي ، ومعه نموذج تصميم آخر للمنطقة نفسها يصور كيف تبدو هذه المنطقة وتعمل اذا ما طبقت مبادئ تخطيط المدن العلمية العصرية . فكان الفرق بين النموذجين واضحا ومعبرا حتى لأعين غير المهندسين . وسرعان ما جوبه اعضاء المجلس بقرار صعب : فاجيب على عدة اسئلة شفها وفي صورة احصاءات واسكتشات قدمها المشتغلون بالتخطيط . وتتابعت جلسات المجلس . ودعي مجلس الانشاء ومجلس التخطيط الى الاسهام في جلسات خاصة ومشتركة مع المجلس البلدي . وحصل في الكويت توتر وترقب لان رخص البناء جمدت بانتظار قرار المجلس في هذا الموضوع الحاسم . وصدر القرار النهائي وهو يقضي بان تأخذ الكويت بالتخطيط العصري الشامل . والآن ، وبعد مضي اقل من ثلاث سنوات على ذلك القرار البلدي التاريخي يمكن للمرء ان يشاهد بعض نتائج التنظيم العلمي التي بدأت تبدو للعيان . فالقطعة الثالثة من المنطقة المركزية التجارية -

وهي احدى المناطق الاحدى عشرة وفيها ثلاثة بنوك تقوم الآن على الاصول التنظيمية والهندسية السليمة . وفي الايام المقبلة ستبدأ حركة البناء في ثلاث قطع اخرى من المنطقة المركزية التجارية الحساسة . وفي نفس الوقت يلاحظ المرء الحداثق العامة وساحات وقوف السيارات والبنائات الكثيرة الاخرى تشاد حسب « سيمفونية » حضارية تنظيمية هندسية ستكتمل في غضون العشر سنوات القادمة لتكون مفخرة حضارية في قلب الكويت . ومن المحتمل ان يكون قلب مدينة الكويت ، بعد الانتهاء من اشادته على النظم الهندسية الجديدة ، انبض قلب مدينة في العالم واجمل قلب حضاري . فعلاوة على الاسس التنظيمية الجديدة التي طبقت في اعادة تنظم المنطقة المركزية التجارية ، تمارس بلدية الكويت ايضا تطبيق اسس الرقابة الهندسية المعمارية على المباني التي ستشاد على القسائم التجارية الجديدة . بهذه الطريقة تكون الكويت ربما اول مدينة في العالم قد طبقت اسس التنظيم التكويني الشامل وطبقت الرقابة الهندسية المعمارية ايضا ومما يجدر ذكره ان هذه الرقابة تهدف الى توجيه الهندسة نحو هندسة عربية حديثة تلائم الكويت .



٢٩ - اعاده تنظم المنطقة المركزية التجارية في الكويت

ان لمن يبيدهم تنظيم الكويت الحق بان يشعروا بالفخر والعزة لانهم اتخذوا قرارا في اغسطس ١٩٦٠ ، وذلك عندما وافق اعضاء المجلس البلدي ومجلس الانشاء والمجلس الاعلى على الاقتراحات المقدمة لهم من قبل قسم التنظيم حول اعادة انشاء المنطقة المركزية التجارية في المدينة على اسس تنظيمية حديثة . انهم بموافقتهم على هذه الاقتراحات قد سطوروا تاريخا تنظيميا خالدا للمدينة العربية عامة وللكويت خاصة .

ان قرارهم هذا ، بالاضافة الى انه قرار جريء وحكيم وبعيد النظر ، قد اخذ صفات التقدمية والشجاعة التي لا يتحلى بها الا الحكماء والفلاسفة .

لا بد ان نتساءل ما هو ذلك القرار الهام ؟ ولماذا اتخذ وماذا يعني بالنسبة لمستقبل الكويت .

لا شك ان كل من في الكويت قد لمس وشعر بالازدحام الموجود داخل السور المزال وانعدام وسائل الراحة واضطراب حركة السير ، وكذلك قلة الساحات لوقوف السيارات ، وعلى وجه الخصوص في المنطقة المركزية التجارية بالمدينة . ولا شك ايضا ان كل امرئ سواء كان سائرا على قدميه او راكبا سيارة قد تعرض لشتى انواع المضايقات والتعب والخسارة للوقت والمجهود من جراء حركة السير عند مروره في هذه المنطقة المركزية الحساسة من المدينة .

كل واحد ايضا يعرف كيف اصبحت ساحة الصفاة منطقة مزعجة للسير بدلا من ان تكون هذه الساحة منطقة جميلة منظمة على اسس حضارية صحيحة ، تكون قلب المدينة .

ان كل الامور التي اسلفنا ذكرها كانت معروفة لدى المسؤولين في الكويت ، الا ان انشاء شارع فهد الذي ادى الى وضع النقاط فوق حروف التنظيم الذي كانت تواجهه هذه المنطقة من المدينة .

اننا لا نحتاج الى خبراء في التنظيم لنرى الحالة المزعجة التي وصل اليها شارع فهد آنذاك ، ولا الى ازدحامه بالاف السيارات التي تتسارع وتتصارع لايجاد مكان تقف فيه ، وفي معظم الحالات لا تجد هذا المكان متوفرا فتدور على نفسها باحثه عليه ، الامر الذي يؤدي الى اضطراب وانزعاج في حركة المرور .

ان احوال شارع فهد آنذاك واحوال ساحة الصفاة كانت كتابة واضحة المعاني لاعضاء المجلس البلدي الموقرين ، اشعرهم بان اعمال الترميم

وحلولها لا تقود إلا لآسى تنظيمية عمرانية اخرى ، ولذلك فقد وافقوا على اللجوء الى خطوة جديدة كبيرة تبعدنا عن التجمع والازدحام والمركزية المتناهية .

هذا وقد تم في يونيو ١٩٦٠ اعداد مجسم تنظيمي يبين كيف تبدو المنطقة المركزية التجارية اذا ما سمح لعمال البناء ان تستمر على حالتها دون تنظيم حديث ، وكذلك اعد مجسم تنظيمي آخر يبين كيف يمكن ان تبدو نفس المنطقة اذا ما طبقت عليها الافكار التنظيمية الفنية المتحررة المعاصرة ، وقد وضع النموذجان بجانب بعضهما لدراستهما وامعان النظر فيهما من قبل اعضاء المجلس البلدي ، كما قدمت لهم المعلومات والارقام المؤيدة لكل من الجسمين . ان هذه الجسمات وجداول الاحصائيات لن يمكنها ان تكذب . وعلى هذا ، اذا ما بقيت الاجراءات التنظيمية القديمة تنفذ دون تنظيم حديث . فان الشلل حتما كان سيصيب العمران الحضاري في الكويت ، اما اذا ما طبقت النظم الجديدة والافكار الحديثة ، فبدىء الامل في انقاذ الوضع الراهن ، اذ ان هذه النظم قد قيدت المساحات المسموح بالبناء عليها ، وكذلك حددت ارتفاعات الابنية وامنت ساحات كثيرة لوقوف السيارات وادخلت في حسابها الملاعب والساحات والحدائق والاسواق التجارية وبناء دكاكين معقولة ووضعت اسس جديدة للهندسة المعمارية يمكن المهندس المعماري الخلاق ان يستفيد منها لوضع تصاميم جميلة .

ان القرارات العلمية التي اتخذت لم يجر اتخاذها اعتبارا ، فاجتماعات عديدة غير اعتيادية قد عقدت بين اعضاء المجالس المسؤولة المختلفة وجرى بحث ونقاش طويلان ، ووجهت اسئلة عديدة واجيب على كل سؤال حتى تم الحصول بالنهاية على القرار . ان الكويت ينبغي ان تصان لاهلها ولتجارها ولستثمري اموالهم بمشاريعها ، وكان القرار بجانب الافكار والامور التنظيمية الحديثة . ولتحقيق ذلك اوقف البناء مؤقتا حتى تم اعداد الدراسات التنظيمية والهندسية الجديدة وتم بيع القسائم الجديدة في اربعة مناطق من العشرة مناطق التي تكون المنطقة المركزية التجارية . ومن المعروف ان المنطقة الثالثة هي الان قيد التنفيذ وتوشك ان تنتهي اكثر العمارات المشادة فيها .

وفي الوقت الحاضر لا تستطيع اية مدينة عربية نامية ان تسمح للاخطاء المتكررة في السابق بان تتساوى بحالة الركود والفتور ، اذ ان احوال القرن العشرين تستلزم حولا من القرن العشرين لا حلول مستعارة من الماضي السحيق .

ان باتخاذ قرار اعادة تنظيم المنطقة المركزية التجارية بالكويت من اساسه ، تكون الكويت بذلك قد قفزت الى مركز الصدارة بين المدن لاعداد قلب للمدينة يكون مناسباً مع عام ١٩٨٠ . وفي السنين القادمة سيرز للعيان في المنطقة المركزية التجارية في الكويت تكوين هندسي جديد وهندسة معمارية جديدة ومناظر حضارية جديدة سوف تكون الاولى من نوعها في المناطق المركزية التجارية في العالم .

٣٠ - تنسيق المنطقة المركزية التجارية (م . م . ت)

في الكويت

تشهد المنطقة التجارية المركزية المكتظة بالمباني والسكان والتي تقع في قلب مدينة الكويت القديمة عدة تغيرات سريعة وجذرية . لقد كانت هذه المنطقة حتى يونيو ١٩٦٠ تسير بخطى سريعة في تطويرها وتعميرها . كانت المباني تتراكم فوق بعضها وكذلك كانت حركة مرور السيارات سيئة ، ناهيك عن ندرة وجود امكنة لانتظارها .

وفي اقل من سنتين كان نمو المنطقة المركزية التجارية (م . م . ت) قد اصبح ممهد التخطيط منطقي وسليم وبذلك انقل قلب المدينة القديمة بعد أن كان بؤرة متحجرة صلبة تحتوي على كل العلل والاضطرابات والابوثة والاوراجع التنظيمية التي اوجدها التوسع الحضري الحديث والسريع .

ومع ان الحرب بخصوص اعادة تطوير وتعمير ال (م . م . ت) قد اصبح الان في خبر كان او في سجل صفحات التاريخ فان عمل مجلس بلدي الكويت الخلاق قد دخل الان بطون التاريخ . ومع ذلك فان تطور وتحول ال (م . م . ت) يعد اي شيء ما عدا التاريخ لانه يعتبر حقيقة حية بعد ان جمد بناء هذه البقعة . وكما ان الجديد يأخذ مكانه بجوار القديم مبينا كثيرا من علل النمو السابق لعام ١٩٦٠ فان الانسان يتنفس الصعداء عند وقف الاخطاء التي كانت تهدد قلب الكويت .

وفي اقل من عامين فان التحسين ابتداء يظهر للعيان . وكما ان الوقت يمر والتعمير يتقدم بخطى واسعة فان الزمن سوف يكشف الحكمة الكامنة وراء هذا التشييد الحضري الهام الذي حل في بقعة من العالم العربي . وسوف يظهر الوقت ايضا اصطلاحا وشكلا حضريا لم يكن معروفا من قبل .

كان لطريق الوصول للتخطيط الذي اتبع في ال (م . م . ت) حدين . فلقد اوقف اولا بناء الكثير من المباني الجديدة التي كانت على وشك التشييد . واهم مثل نضربه لذلك هو انشاء سوق خضار جديد الذي كان حقيقة قيد التنفيذ في يونيو ١٩٦٠ لقد كان مقدر له ان يرتفع ٤ طوابق في رقعة مزدحمة بكثير من اوجه النشاط التجاري وفي موقع حساس بين شارع عبد الله السالم وسعود بن عبد العزيز . ثانيا قد حول الدور السفلي تحت الارض الى جراج وجعل سطحه مكانا لوقوف السيارات . وبهذا تم الحصول على مستويين لوقوف السيارات في بقعة تعد من اهم الامكنة المزدحمة في قلب المدينة القديمة . ومثلا اخر نضربه

ايضا هو المقبرة المسورة القديمة والتي تقع على شارعي فهد السالم وعلي السالم والتي حولت الى حديقة لتهيئة مدخل حتمي وموقف للسيارات ضروري فضلا على الحديقة ذاتها وهي لازمة جدا وسط البلد . لقد وطدت القطع العشر من آل (م.م.ت) وهدم منها حتى الآن القطع ٩٢٦٢٦١ وجزء من العاشرة . وبدء في انشاء وتعمير القطعة ٣ التي تحتوي على مصرفين كبيرين وسوق للصرافين وبعض مكاتب للشركات الكبرى . وسوف يوسع شارع عبد الله السالم الى ٦٠ مترا . يعتبر هذا كله تحسينا لازما وضروريا جدا . وعن طريق هذا العمل الجارف من التغيير والتعمير فان ميدان الصفاة سوف تتاح له فرصة تخطيطه لتشكيله مرة ثانية كي يتمشى مع حركة المرور المتزايدة والتي يجب ان يحفظها ويوجد لهذا الميدان مشروع طموح يتناسب مع اهمية موقعه .

تعتبر آل (م.م.ت) للكويث في طريق التنسيق الحضري الحكيم يوما بعد يوم . سوف يحل التنسيق كثيرا من الصعوبات الحضرية التي تراكمت على مر الزمن . وسوف يساعد التخطيط الجديد هذا على ايجاد شكل حضري ومعماري جديد . ان هذا يعد مغامرة شجاعة بل تكاد ان تصبح اسطورة قد صممت ثم نفذت في حينها . وسوف يزيد من هذه المغامرة شأننا عندما يصبح شارع فهد السالم ومبارك الكبير بمبانيهما الفخمة على حدود آل (م.م.ت) .

لقد شهدت بقية اجزاء المدينة القديمة ايضا كثيرا من الاجراءات العلاجية الاساسية . مثال ذلك نزع ملكية امكنة كثيرة لوقوف السيارات خلف الابنية المقامة على جانبي شارع فهد السالم . وكذلك هيئت كثير من الاراضي كأمكنة لوقوف السيارات لكثير من الابنية الكبرى التي من شأنها تولد حركة مرور كبرى مثل مبنى البلدية ومبنى وزارة الارشاد والانباء . وعند اعادة تخطيط المدينة القديمة فقد روعي تهيئة كثافة منخفضة من المباني مع نسبة عالية من الحدائق وأمكنة كافية لمواقف السيارات بالإضافة الى نقل الابنية الكبرى التي تولد حركة مرور كبرى الى المناطق المتطرفة من المدينة . لقد حدثت بالفعل كل هذه الاجراءات الحضرية الطويلة والعريضة والتي نفذت في خلال مدة أقل من ٢٦ شهرا . لكي تساعد على تحسين وتنسيق المدينة القديمة وبالاخص انقاذ وتخليص آل (م.م.ت) فيها من كثير من العوائق الحضرية الخطيرة . ولقد كان لنقل عشر وزارات حكومية من المدينة القديمة الى منطقة العديلية الجديدة خطوة اساسية وايجابية نحو تحرر المدينة القديمة ومنعها من ان تصبح مدينة مختنقة ومكتظة بالمباني والسيارات . ان الفضل لهذا كله يرجع طبعا الى الحكمة وبعد النظر والعمل المتواصل الذي قام به المجلس البلدى .

٣١ - الرقابة المعمارية على المباني في المنطقة المركزية التجارية في الكويت

يعتبر إعادة تعمير الاحدى عشر قطعة التي تكون المنطقة المركزية التجارية في الكويت حقيقة مفروغة منها الان . لقد هدمت حتى الان جميع المباني في القطع ١٠٣ و ٩٠ ما عدا المساجد والمدارس والمباني الحديثة العهد ، ويجري العمل الان في انشاء المباني في القطعة الثالثة من المنطقة المركزية التجارية . ويعتبر بنك الكويت الوطني اول مبنى يصمم في هذه القطعة ويجري العمل على قدم وساق في انشائه الان . لقد انتهى تصميم مبنى البنك البريطاني للشرق الاوسط الان وينتظر البدء في تشييده بين لحظة وأخرى . ولقد عرض كلا التصميمين لبنائتي البنكين على مهندسي العمارة في قسم التنظيم ببلدية الكويت لابداء الرأي ، وبذلك تصبح الرقابة الهندسية المعمارية ، في الواقع والحقيقة امراً كائناً في المنطقة المركزية التجارية بمدينة الكويت .

وبينما يتبع كل من البنكين الجديدين مالك مفرد واحد ، ووضع تصميماتهما مكتبان معماريان مختلفان ، الا ان بعض القسائم الاخرى التي تكون بقية القطعة قد بيعت بالمزاد العلني لعدد مختلف من الملاك الذين عينوا مهندسيهم المعماريين لوضع تصميمات مبانيهم . وبذلك تصبح مشكلة تنسيق وتوحيد الشكل المعماري ، لكتلة واحدة من المباني التي يمتلكها عدد من الملاك ويصممها عدد من المهندسين المعماريين ، من المشاكل البالغة الاهمية اذا وجب علينا الحصول على تناسق معماري وتوحيد هندسي . ومعنى هذا اننا نواجه نوعاً جديداً من الرقابة المعمارية يختلف عن النوع الذي واجهناه في البنكين .

لقد واجهتنا مشكلة واحدة بعد ان بيعت قسيمة من القسائم الثلاثة في القطعة الثالثة من المنطقة المركزية التجارية الى ثلاث ملاك مختلفين . لقد تقدم هؤلاء الملاك الثلاثة في حينه ، وعينوا ثلاثة مهندسين معماريين مختلفين الذين عرضوا بالتالي ، وفي فترة وقت وجيزة ، تصميماتهم للبناء المقام على القسيمة المملوكة للثلاثة ملاك : عندئذ ، لاحت توا التحديات ... لقد عرض كل من المهندسين المعماريين الثلاثة فكرة هندسية مختلفة ولو ان جميع الافكار الثلاثة قد تبعت الاشتراطات والنظم الموحدة العامة كارتفاع البواكي والارتفاع الكلي للمبنى التي وضعها المجلس البلدي .

لجابهة هذا الوضع ، عقدت عدة اجتماعات مع المهندسين المعماريين الثلاثة ولكن لا تزال النتائج التي وصلوا اليها غير مرضية للجنة الرقابة المعمارية . لقد واجه الانسان خطر عدم تمشى الزايا والفضائل المعمارية،

الناتجة عن المشكلة الواجبة ، مع الافكار الهندسية الحضرية الجديدة .
لقد كان لكل مهندس معماري طراز معين في فكره يمتد من طراز كلاسيكي
صارخ الى طراز عصري صارم الى طراز اسلامي ناضج . وكنتيجة لذلك ،
فقد اصبح من الواضح ، ازاء هذه الطرز المعمارية المتنافرة ، اتخاذ قرارات
حاسمة لحل المشكلة .

لقد عملنا ، على كل حال ، اثناء احد الاجتماعات رسماً كروكياً
سريعاً للثلاث المهندسين المعماريين . لقد كان عبارة عن رسم بسيط
واولي وحديث ، ومع ذلك فتوجد به جميع الصفات الاساسية للعمارة
العربية ثم وافق المهندسون المعماريون الثلاث على ان هذا الرسم الكروكي
المقترح يصلح لان يكون اساساً سليماً للعمل بموجبه فيما بعد ، ومضت
بضعة ايام عرض بعدها المهندسون المعماريون الثلاث الرسم الكروكي
المقترح بعد ان ادخلت عليه بعض التحسينات والتغيرات . ان كثيراً
من المشاكل التصميمية والفنية قد حلت نتيجة لهذه الاجتماعات التي
سادها روح التعاون والوثام . وبعد اجتماع آخر منتظر ، فان التصميم
سوف يكون جاهزاً حيث ان عنصر السرعة كان ضرورة ملحة . لقد تم
هذا الاجتماع يوم الخميس في ٢١ ديسمبر ١٩٦١ وتقابل المهندسون
المعماريون الثلاث لبحثوا ويفحصوا التصميم المتطور والناجم عن الرسم
الكروكي الذي اقترح وعمل منذ اسبوع مضى . وسيكون التصميم ، وهو
عبارة عن خليات مثلية تمتد من حائط المشى الى السقف ومن احد
طرفي البناء الى الطرف الاخر ، ذات طابع عربي حديث ، وذات حليات
وزخارف منقطعة على الواجهة وتحت خط سطح البناء ذات الحلية
المثلية الخفيفة .

وفي بحر سنة من الان ، سوف يرى الانسان هذا البناء الجديد
يتخذ مكانه ، متعامداً مع شارع عبدالله السالم وبين البنايتين الجديتين
للبنك البريطاني للشرق الاوسط وبنك الكويت الوطني . ان الانسان ليأمل
ان تنسجم المباني الباقية من القطعة الثالثة في المنطقة التجارية المركزية
مع نفس الطراز ، كي يتولد انسجام هندسي توافقي ويتوحد تشابهه
ابتكاري وتخليفي في هندسة المدينة ، وكذلك في التصميم والفن المعماري
الحضري .

يوجد بناء اخر يمتلكه عدة ملاك يعمل على تصميمه مهندسان
معماريان من الثلاثة المهندسين المعماريين السابقين . ولقد درست
رسوماتهم الاولى التي تقدموا بها وعلق عليها حتى تطورت حتى اصبح
شكل تصميم هذا البناء يختلف جداً عن البناء السابق ذكره وعن
البنكين ايضا . والقصد من ذلك هو الحصول على فن معماري حسن
ومناسب مع ظروف واحوال وبيئة الكويت المحلية . وفي الوقت نفسه
يكون خالياً من التكرار الملل او النقل المقنن او الاقتباس المسروق
للعمارية الرخيصة المستوردة والتي يسميها مستوردوها « بالعمارة
العصرية » والتي تشكل طابعها وتفرض سميتها على خطوط البنايات في
كثير من المدن العربية .

لقد اوضحت القطعة الثالثة من المنطقة المركزية التجارية حقيقة ملموسة ، ويعتبر تصميمها عموما عصريا . اما تصاميم مبانيها ، كل على حده فيعتبر مبتكرا وواضحا جليا . ان الانسان ليأمل في ان يستمر تعاون مشابيه بين المهندسين المعماريين الاحرار والمهندسين المعماريين في قسم التنظيم ببلدية الكويت حيث ان احسن طرق الرقابة المعمارية التي يمكن ان تنجح هي التي تنجم عن التعاون والتفاهم والتراضي ، وليست عن القسر والفرض والالزام . ان الانسان ليأمل ايضا بان السابقة التي سستمخض عن تعمير القطعة الثالثة من المنطقة المركزية التجارية سوف تؤثر بحالة فعالة على العمارة في القطع العشر الباقية ، وبالتالي على العمارة في باقي مدينة الكويت والتي انحرفت عن اصول العمارة العضوية - اي العمارة التي تنشأ نشأة طبيعية - في الخمس او الست سنوات الماضية لكي تتناسب مع الاحوال والبيئة الصحراوية ومع الرونق الهندسي العربي العريق .

لقد استعملت الرقابة ، اذا جاز لنا استعمال هذا اللفظ ، في النظام الجديد الذي اتبع في شكل المباني في المنطقة المركزية التجارية كي ترتفع بمستوى العمارة وتغذي المنطقة المعاد تعميرها بفن هندسي معماري يشق اصوله وعناصره من الشكل المعماري والطراز الهندسي العربي . ان الشكل والطراز العربي لا يتناقض ، بأي حال من الاحوال مع مستلزمات الكويت المعاصرة حيث ان هذه المستلزمات تتفق وتؤثر ، او يجب ان تتفق وتؤثر ، على الفن الهندسي المعماري . وبدلا من فرض الانظمة وسن التشريعات واصدار القوانين الملزمة والمجبرة والمحتمة ، فان الرقابة الهندسية تأتي عن طريق التعاون والتفاهم والتراضي ، لها تأثير فعال . واثمر جبار في رفع مستوى الفن المعماري . لقد ضاعت فرص معمارية لا تعوض في الكويت خاصة وفي البلاد العربية عامة ، حيث اقيمت كثير من المباني المعقدة والباهظة التكاليف والمستوردة من الخارج او المنقولة سطريرا من كل ركن من اركان العالم والتي لا تتناسب ، بأي حال من الاحوال ، مع طبيعة وجو وبيئة الكويت او البلاد العربية ، ناهيك عما تحدثه من اثر سيء في بناء الذوق والنفسية العربية الناشئة .

ان الانسان ليتفق مع مهندس عالمي عندما كتب عن الرقابة المعمارية في سياق كلام له :

«ان تحسين العمارة يمكن ان يأتي بواسطة التعليم والتعاون وليس بواسطة القانون والالزام، وتدين بعض المشاريع السكنية الناجمة بجاذبيتها الى التعاون والاتفاقات الخاصة بعد ان تعرض التصميمات على مهندس الجماعة او على هيئة تحكيم معمارية للاعتماد والموافقة »

لا يمكن الانسان ، على كل حال ، ان يطفىء النيران الحضرية والجمالية لوحده - من مجال النمو الحضري الشامل الى كبح جماح

العمارة الكاريكاتورية - لان هذا العمل يحتاج ، اذا اقتصر على الوجهة المادية فقط ، الى نضوج وجهاز فني دائم ومختص في التخطيط والتصميم والتنفيذ . لقد تمهدت ومهدت الأرض لتظهر الطريق الصحيح في جميع المجالات الحضارية في الكويت في فترة الثمانية عشر شهرا الماضية ، وظهر ذلك جليا في مجال التصميم والتحسين الحضاري والجمالي والتنظيمي والهندسي الحقيقي ولكن الوقت قد حان كي تنتبه الكويت وجميع البلاد العربية وتنظر بعين الجد الى عمل تنظيم من الاساس كي يعمل لتحسين الحضري ويحسن الجمال الحضري وينسق هذا وذلك في جميع مجالات بناء البيئة الحضارية في العالم العربي .

ان الرقابة المعمارية والابتكار والتعاون . . الخ لا تعتبر الا جزءا من المسؤوليات التي تواجه الاشخاص الذين يحملون عبئا هندسيا كي يتجنبوا خلق غابة حضرية من العمارة الخليطة فيما بقي من المناظر القليلة الباقية في مدن البلاد العربية ، وعلى الاخص من وجهة النظر الحضرية والمعمارية والوظيفية والجمالية .



٣٢ - علاقة تنظيم المدن بحوادث المرور وكيفية معالجتها بالتنظيم

ان تنظيم المدن كما يفهم اليوم ، حقل واسع يشمل العلم والفن معا ، كما يشمل العلوم الاجتماعية . فهو حقل واسع التشعبات ، يتطلب كل فرع منه تخصصا فنيا ، وفي الاساس يهدف تنظيم المدن الى خلق بيئة تلائم سكان المدينة ملائمة شاملة . لهذا يحتاج التنظيم الشامل الى مشاركة العالم والباحث والاجتماعي والفنان على حد سواء .

وبمرور السنين وازدياد المشاكل الصناعية والاجتماعية وتضخم حركة المرور ، تبين تدريجيا قصور عملية بسط المدن الى شوارع ، كما اتضح ان المزج الكيفي بين استعمالات الاراضي المختلفة من سكنية وصناعية وتجارية وترفيهية الخ . . . يؤدي الى متاعب واضرار كثيرة . ان استعمالات الارض المختلفة تولد احجاما متباينة في حركة المرور - الشيء الذي تعانيه اكثر مدن العالم بصورة عامة والكويت داخل السور المزال بصورة خاصة . اذ ان خارج المدينة مقسم ومنظم على وجه الاجمال بطريقة حديثه مبنية على فكرة الوحدة السكنية - الشيء الذي يجعل حركة المرور فيها مرضيا الى حد ما .

وفي كثير من المدن اليوم ، لم يتعد تنظيم المدن وسيلة بسط الشوارع بطريقة تقليدية دون مراعاة المؤثرات التنظيمية التي يجب أن تؤثر على شكل وعضوية المدينة . فالجواب الصحيح على السؤال الذي طرحتموه هو ان لتنظيم المدن ، بمعناه الواسع ، ليس له علاقة بمنع وتخفيف وتذليل حوادث السير فقط انما له كل العلاقة في ذلك . فتنظيم المدن هو الوسيلة الوحيدة لمراعاة مشاكل المرور التي تزداد تطورا يوما بعد يوم ، ويتطلب الكثير من الدراسات والابحاث والابتكار التي تعتمد على اختصاصات وعوامل مؤثرة كثيرة . ان معظم اسباب الحوادث التي تحدث يوميا في اكثر مدن العالم ، تكمن في علم وفن تنظيم المدينة . فتخطيط المدينة المعاصرة يجب أن ينبثق من العوامل الآلية والبشرية - لا من النمط الكلاسيكي النابع من باريس وواشنطن ودلهي وكانبيرا ، الذي ابتكر قبل زحف السيارات الداهم على المدينة والذي أحدث تغييرات جوهرية في جميع المفاهيم والاسس التنظيمية السابقة .

لم تكن الكويت في تنظيمها وبنائها السريع مدينة شاذة عن اكثر المدن الاخرى اذ انها بسبب وعدم امكانية الانسان على التنبؤ بما يحدث بالمستقبل ، تجابه بعض الاخطاء المعينة بالنواحي التنظيمية الشاملة . ومن الناحية النظرية والفلسفية المحضة ، يمكننا ان نقول انه ، لغاية الآن لم يكن في المستطاع التوفيق التام بين المدينة الصحراوية وكثرة

السيارات فيها . هذا لان المؤثران : أي الوضع الطبيعي الشامل وما يتطلبه من رعاية وحساسية واختراع ، وكثرة عدد السيارات ومتطلباتها من شوارع ومواقف لهما سبب ما نشاهده ونعاني من صعوباته اذ ان جميع المفاهيم الحضرية والتنظيمية هنا لا زالت في طور التمهض . ولا يسعنا الا ان نتساءل كيف يمكننا ان نستخدم التنظيم من الان فصاعدا لتذليل صعوبات المرور وتخفيف حوادث المرور بالنسبة للوضع الراهن ؟ وللجواب عليه نرى من الضروري مراعاة بعض نقاط مهمة منها :

١ - تنظيم وهندسة المرور والطرق يجب أن يرتبط ارتباطا وثيقا بتنظيم المدن الشامل . لهذا يجب ادخال خطة وهندسية المرور الشاملة في جميع اطوار الدراسات التنظيمية الواسعة .

٢ - يجب من ناحية المبدأ ، تخفيف ضغط المرور عن رقعة واحدة محصورة من المدينة ، الشيء الذي ان لم نفعله يؤدي الى وضع خطير تصعب معالجته الا بالطرق ذات التكاليف الباهظة ، مثل احداث انفاق وتقاطعات على أكثر من مستوى واحد وكراجات عالية لوقوف السيارات .

٣ - يجب أن نأخذ بعين الاعتبار ان التنظيم يقسم الى قسمين : التنظيم السلبي وهو كالطلب الوقائي ، الذي يمنع وقوع الاخطاء في المستقبل بتدراك الاوضاع الحالية . والتنظيم الايجابي : وهو تصحيح الوضع الحالي كاعادة البناء وایجاد مواقف للسيارات وتوسيع الشوارع الضيقة .

٤ - يجب علينا أن نطابق نظريات واسس هندسة المرور في توسيع المدينة أو في إعادة تنظيم اجزائها ، ومما هو جدير بالذكر ان اجراء عملية مسح المرور (الشيء الذي سيجرى في الكويت عن قريب) تعتبر الوسيلة الاولى لدى مهندسي التنظيم والمرور عند وضع المشاريع الحضرية . ويعتبر هذا المسح الهندسي للمرور عمل فني . وبدون هذا المسح يعتبر أى عمل تنظيمي ضرب من ضروب التخمين . فبازدياد حركة النشاط الحضري وحمولة المرور في شرايين المدينة الرئيسية وطرقها المتفرعة ، كما هو اليوم في الكويت ، يزداد احتياجنا الى اصدق صورة ممكنة لتركيب المرور . وتشمل عملية مسح المرور ثلاث نقاط اساسية وهي :

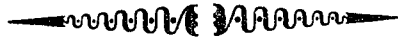
(١) تعداد المرور لتحديد الحجم الجارى في شرايين المدينة الرئيسية .

(ب) دراسة المرور من جهة الابتداء الى جهة الانتهاء - أى من مكان قيام السيارة الى مكان وصولها .

(ج) دراسة كفاية ساحات وقوف السيارات .

وفي السنتين الماضيتين أدى المجلس البلدى الموقر في الكويت خدمات تنظيمية شاملة لهذا البلد . فبعد ان درس الوضع في المدينة القديمة ،

وهي أكثر رقعة في المدينة تشكو من متاعب الحضارة الآلية اليوم ، قرر
اعادة تنظيم وبناء المنطقة التجارية المركزية على احدث الاسس - الشيء
الذى سيخفف في المستقبل الضغط عن قلب المدينة وتقليل الحوادث
المتزايدة والمتاعب الكثيرة . وباقراره لشبكة طرق اقليمية بعيدة المدى ،
نظر المجلس البلدى الى المستقبل ، وراعا مراعاة تنظيمية حسنة اليوم .
واتبع المجلس البلدى نظرية « اللامركزية » في التنظيم . فبهذا الاسلوب
الحكيم يمكن تحاشي الازدحام وتوزيع حجم وحمولة الطرق والمساحات
بطرق « استراتيجية » هي من صميم التنظيم المعاصر . ويمكن القول
بأن حل مشاكل السير في ساحة الصفاء أصبح ممكنا ضمن المشروع الذى
اقره المجلس البلدى لتنظيم المنطقة التجارية المركزية . فساحة الصفاء
هي أكثر منطقة للازدحام في الكويت . ولهذا السبب ان تحل مشاكل
السير فيها حلا جذريا وبدون تأخير . ويمكن القول بأن تقاطع شارع
عبد الله السالم مع شارع فهد السالم هو سبب هذه المشكلة . والحل
الجذرى الوحيد هنا هو فصل المرور فى الاتجاهين بواسطة نفق بالاضافة
الى ايجاد وصلات جانبية تسهل الدخول والخروج فى الساحة وحولها



٣٣ - حل مشاكل المرور في ساحة الصفاة

تعتبر المنطقة المحيطة بميدان الصفاة أسوأ منطقة مزدحمة بالمرور في مدينة الكويت . وتحتاج هذه المنطقة المكتظة بالمرور والعجيج الى عمل حاسم وسريع لحل عقد المرور من الاصل حتى يتجنب الوضع العام في الميدان الاخطار الناجمة عن المرور وتعقيداته وكذلك ضياع الوقت واستهلاك الجسم والآلة معا .

ولو ان المشاكل المنبثقة من تعقيدات المرور في ميدان الصفاة عويصة ، الا ان الآمال لايجاد حل جذري يعتبر في متناول اليد بسبب وقوع الميدان وسط المنطقة المركزية التجارية التي يعاد تعميرها الآن . ولهذا السبب يجب ان يحل اعادة التعمير الجديد مصاعب وضع المرور الحالي . فاذا فشل في القضاء عليها فان أهم أغراض الميدان الرئيسية تكون قد فقدت . وبناء على ذلك فانه من الواجب الاسراع في معالجة المشكلة دون ابطاء كلما أمكن .

يجب ان ينسجم حل مشكلة المرور في الميدان مع اعادة تخطيط القطع العشرة في المنطقة المركزية التجارية . لقد اعتمد تخطيط القطعة رقم (٩) (المسماة بالمراقب) ويشرع قريبا في ترميم الاراضي والممتلكات في القطعة رقم (١٠) (التي تقع فيها وزارة الدفاع ومكتب بريد الصفاة والبنك البريطاني للشرق الأوسط) وكلا القطعتين (٩) ، (١٠) يحدان ميدان الصفاة من جهة الجنوب .

يتولد المرور في الميدان من داخل المدينة القديمة نفسها التي سوف تصبح ، بالتدريج ، منطقة تجارية من الدرجة الاولى . ويتولد المرور ايضا من خارج الميدان بسبب ما تجذبه هذه المنطقة التجارية من مرور الضواحي التي نمت خارج أسوار المدينة والمتجهة صوبها .

يصب في ميدان الصفاة اربعة شرايين مرور مكتظة بالسيارات وهي : شارع عبد الله السالم جنوبا (شارع الامن سابقا) وشارع عبد الله السالم شمالا (شارع الجديد سابقا) وشارع فهد السالم غربا (شارع الجهرة سابقا) وشارع احمد الجابر شرقا (شارع دسمان سابقا) ان نظرة على صورة جوية مفصلة للميدان توضح تشعبا غير عادي لحركة المرور في شرايين المرور المذكورة اعلاه وفي مواقف انتظار السيارات الموجودة والمنتشرة على جوانب الميدان .

سوف يوسع الجزء الشمالي من شارع عبد الله السالم (شارع الجديد سابقا) الى ٦٠ مترا على طول جانبه الغربي وبذلك يصبح من أهم شوارع المدينة ، مبتدئ من دوران نايف بشارع السور ويمر بمبنى

البلدية الجديد ويقطع ميدان الصفاة ، ثم يستمر حتى يلتقي بشارع الخليج العربي (شارع السيف سابقا) على البحر . ومن جهة اخرى يحمل شارع فهد حركة مرور كبيرة ويصب في ميدان الصفاة بينما يأتي شارع احمد الجابر بمروره الكبير ايضا ويدخل نفس الميدان . هنا تحدث الورطة من هذه التحركات في قلب ومداخل الميدان .

من المسلم به ان حركة المرور في الكويت في ازدياد متصاعد ومن المتوقع ان تتعقد مشاكله اكثر فأكثر بمرور الزمن . على انه يمكن حل مشاكل وتعقيدات المرور بتخطيط القطع العشرة في المنطقة المركزية التجارية ، بحيث تتمشى مع سهولة المرور في ميدان الصفاة . يحد الميدان من جهة الشمال القطعتان (٥) و (٦) ويحده من جهة الجنوب القطعة (١٠) والتي تجهز الآن لنزع ملكيتها وهدم ما عليها من المباني وبالإضافة الى القطعة التي يقع فيها مبنى البلدية القديم . وبذلك يصبح الميدان قلب المدينة الذي يجب ان تقام على جوانبه مباني رئيسية (كالبرلمان مثلا) كي تتناسب مع عاصمة الكويت ذات الامكانيات الفريدة .

ان تقاطع شارع عبد الله السالم مع شارع فهد السالم في الميدان يخلق مشكلة سير عويصة . والحل الوحيد لها هو فصل المرور في الاتجاهين عن بعضهما البعض بواسطة انشاء نفق في الميدان ، مع تهيئة وصلات جانبية كافية كي تسهل الدخول والخروج في الميدان . يمكن حفر هذا النفق بطريقة لا تعوق حركة المرور الحالية . ان التأخير في انشاء النفق المذكور سوف يزيد من مشاكل وتعقيدات المرور أكثر مما هي عليه الآن . لذلك ، يجب الشروع في هدم المباني الموجودة في القطعة (١٠) واعادة تخطيطها والاستفادة منها باقامة المنشآت والآلات اللازمة لحفر وانشاء النفق المقترح .

ان مثل هذا العمل الاساسي في وسط المدينة يعتبر حاجة ملحة وأى تسويق في تنفيذه سيسبب حالة حركة مرور خطيرة في السنين المقبلة .



٣٤ - شبكة طرق رئيسية ضرورة تنفيذ على المدى الطويل لاقليم الكويت

إذا نظرنا الى مخطط اقليمي لمنطقة الكويت وما يجاورها ، والتي يدخل ضمن نطاقها منطقة غرب الجهرة وجنوب الاحمدي ، فان الانسان يرى بوضوح مستقبل شكل هذه المدينة السريعة النمو والتي يود أن يطلق عليها « الكويت الكبرى » لسهولة الدلالة .

إذا نظرنا الى « الكويت الكبرى » فان الانسان يكتشف كثيرا من الأوجه الهامة في منطقة تفجرت في مجموعات من الطرق الدائرية والاشعاعية لتصبح مساحتها على الاقل اثنتي عشر مرة مساحة منطقتها الاصلية التي كانت مكان الاستقرار منذ اكتشاف البترول منذ نحو الاثنتي عشر سنة الماضية . ويرى الانسان في خطوط عريضة شيئا يشبه الجمل ذو السنامين ويشير الخليج العربي والخليج الكويتي الى السنامين وعشيج الى الرقبة والراس وبلدتي الاحمدى والفحيحيل الى الذيل .

ويكون الخط بين الاحمدي والجهرة بالتقريب قاعدة ركوع الجمل ، بينما تشغل صورة الجمل منطقة صحراوية كبرى بما فيها اقليمي السنامين اللتين اصبحتا منطقتين مأهولتين . أما قرى الفنتاس وأبو حليفة والمنجف والفحيحيل والشعبية ... الخ .. فتكون ظهر الجمل المنحنى . تنبأ الانسان لهذه المنطقة الاقليمية الكبرى أن تكون ، في خلال الاربعين للخمسين سنة المقبلة ، منطقة اقليم الكويت ، أو « الكويت الكبرى » . وعلى هذا الضوء يجب على الانسان أن يستعرض هذا الاقليم اليوم ويؤمن له انشاء مخطط رئيسي اقليمي .

ولكي نجعل هذا النمو ممكنا ، فقد اعتمد المجلس البلدى خمسة شرايين رئيسية بأسرع وقت ممكن ، حيث أنه اعتبرها فاصلة في تشكيل مستقبل الكويت .

هذه الطرق هي :

١ - الطريق المسمى « بالطريق الدائرى الخامس » . انه يعتبر ضروريا لتهيئة اتصال شرقي غربي ، أى من بلدة الجهرة الى الرأس فى السالمية وهو يكشف أيضا ارضا فى الصحراء التي سوف يتقرر استعمالها بعد الدراسات والاحتياجات اللازمة لاستعمال الارض فى المستقبل .

٢ - طريق « المطار - الاحمدى » الجديد ويبتدىء من الطريق الفاصل للمناطق السكنية الجديدة (الخالدية والعديلية) وينتهي فى منتصف طريق « المقوع - الاحمدي » الحالي . هذا الطريق يعتبر ضروريا كي يتجنب المرور بالمطار الدولي الجديد ذو المرحلتين ، وكذلك يتجنب المرور فى قريتي ابرق خيطان والفروانية . وسوف يكشف كذلك

أرضا صحراوية بكرية التي سيحدد الاستعمال اللائق للأرض فيها حسب التخطيط العلمي الحديث .

٣ - « وصلة الجهرة - الاحمدى المباشرة » ، تعتبر هذه الوصلة ضرورية لأنها ستتمكن من عمل تركيزات المستقبل حول بلدتي الجهرة والاحمدى (وتشمل صناعات البتروكيميائية في المستقبل) وبذلك نتجنب المرور بمدينة الكويت . وسوف تكشف أيضا أرضا صحراوية التي سوف تصبح في المستقبل القريب أرضا مناسبة ولائحة للاستعمالات الحضرية المتنوعة .

٤ - « الطريق الدائري السادس » ، ويبتدىء من قرب منطقة آبار المياه الصليبية وينتهي بطريق « الجهرة - الاحمدى » (٣) . يعتبر هذا الطريق ضروريا لتهيئة اتصال مباشرة من بلدة الجهرة الى مركز المناطق الساحلية في المستقبل والتي من المستصوب ان تبني على طول ساحل الخليج العربي بين السالمية والشعبية . واهمية هذا الطريق تنحصر في تحديد أى نمو حضري في المستقبل نحو المطار ، وكذلك يكشف أرضا بكرية التي سوف تكون بدون شك في بحر العشر الى العشرين سنة المقبلة أرضا حيوية هامة لاستعمالات حضرية مختلفة .

٥ - « طريق الكويت الاحمدى » ، يسير هذا الطريق بموازاة الجناح الشرقي للأقليم والذي سوف يكون العمود الفقري للتعميرات السكنية في المستقبل على طول الساحل الشرقي بين السالمية والقرى الساحلية . سيمر هذا الطريق من امتداد الطريق الذى يقع شرق الحديقة والمدينة الحكومية ويستمر غرب قصر مشرف ويتجه صوب الطريق بين الاحمدى والفحيحيل ، ويكون بعده عن الساحل ما يتراوح بين ٥ و ٨ كيلو مترات .

تعتبر هذه الطرق الكبرى الخمسة الاساس والبناء لأقليم الكويت ، أو « الكويت الكبرى » في المستقبل . انها تعتبر بالغة الأهمية وضرورة حتمية لتؤمن سهولة المرور والدخول والاتصالات داخل الاقليم . وبهذه الشرايين الرئيسية ، فان الانسان يمكن أن يبنى أساس مستقبل دراسة استعمال الأرض عموما وبصفة عامة : مناطق سكنية ، تسليية ، نقل ، صناعة ، حدائق وهكذا . ان اعتمادها كأساس سوف يؤمن شبكة مرور جيدة في المستقبل وكذلك يساعد على توزيع حجم المرور بسهولة ومساواة .

أي تخطيط مبني على فكرة لا تشمل مثل هذا التصور الكبير يعتبر تخطيطا قصير النظر بل تخطيطا مشمتا . ان المخططات الكبرى تولد من الاحلام الكبرى ، احلام تبني على العلم والحقيقة والمنطقيات ، كي تؤمن اليوم مستقبلا جيدا للغد البعيد .

ان المجلس البلدى في الكويت أحسن صنعا عند اعتماده لهذا المخطط الاقليمي الرئيسى وتبنى الفكرة الكبيرة . انها لا تكلف الدولة شيئا حيث ان معظم الأرض التي سوف يشملها المشروع اكثرها من ضمن الممتلكات العامة ويكون هذا المخطط أساسا لبدء الدراسة الاقليمية اللازمة لوضع مخطط عريض لمنطقة الكويت .

٣٥ - توسيع شبكة الطرق الاقليمية للكويت

وافق المجلس البلدى قبل سنة على الخمسة طرق الرئيسية التالية :

- ١ - الطريق المسمى بـ « الطريق الدائري الخامس » .
- ٢ - طريق « المطار الجديد - الاحمدى » .
- ٣ - طريق « الجهراء - الاحمدى » الذى يربط المدينتين عبر الصحراء مباشرة .

٤ - الطريق المسمى بـ « الطريق الدائرى السادس » .
طريق « الكويت - الاحمدى » الموازى لساحل الخليج العربى .
بعد ستة أشهر من اعتماد المجلس البلدى لهذه الطرق الخمسة وجد أنه من الضرورى البدء بدراسة انشاء الطريقين (٢) ، (٥) اى :
(١) طريق « المطار الدولى - الاحمدى » الذى سوف يبعد عن المطار ويتجنب المرور عليه .

(ب) طريق « الكويت - الاحمدى » الذى سوف يتماشى بمحاذاة خط تشكيل الخط الجديد من القوى الكهربائية ذات الضغط العالي مبتدئا من الشويخ حتى الشعبية .

اليوم تحتم عوامل ودوافع التوسع العمرانى ومبادئ العلم التخطيطى فى الكويت تمديد شبكة الطرق العمومية المذكورة اعلاه والموضحة على الخارطة المرفقة الى ابعد من ذلك كي تشمل منطقة اكبر تحتوي على مجموعة بلدان الاحمدى والفحيحيل والشعبية ومجموعة مدينة الكويت ذاتها ومناطق سكنها الجديدة وحولى والسالمية .

توضح أحد الخرائط المعدة اشكال استعمالات الارض (اى الارض التي تستعمل للزراعة والارض التي تستعمل كحدائق والارض التي تستعمل لاقامة المباني عليها سواء كانت سكنية أم صناعية أم تجارية الخ . .) وكذلك الارض المستعملة حاليا (اى الارض التي استعملت للزراعة مثل ارض قسم الزراعة على شارع المطار الدولى والارض التي استعملت لغرض اقامة المباني عليها من تجارية وصناعية وسكنية مثل المنطقة المركزية التجارية فى قلب مدينة الكويت والمنطقة الصناعية بالشويخ ومناطق السكن العشرة الجديدة خارج السور المدينة المزال) فى اقليم « الكويت الكبرى » الذى يجب التفكير فيه جديا من الآن فصاعدا وهو الاقليم الممتد من منطقة الجهراء فى الشمال حتى حدود المنطقة المحاذية

في الجنوب من حيث أن كلا النوعين السابقين من استعمالات الارض (بصرف النظر عما هو مطلوب من استعمالات حالية) يكون تشكيلا مشتتا ومبعثرا فيتحتم تجميعها وامتزاجها معا كي يكونا تشكيلا معقولا ومتكاملا وموحدا في مخطط رئيسي لشبكة طرق عمومية تنفذ خلال حقبة طويلة من الزمن . واذا ما نظرنا الى الاقليم فسوف نجد القطاعات الكبرى لاستعمالات الارض الحالية من جهة واستعمالات ما يجب ان تكون عليه الارض من جهة أخرى وكذلك علاقة كل منهما بالأخرى ، اما بالنسبة لبعضهما (من حيث استعمالات الارض) او بالنسبة لمجموعات مدنية الكويت وضواحيها ومجموعات مدينة الاحمدى وما حولها من المدن .

وفي اثناء اجتماع مشترك في ٢٢ يناير سنة ١٩٦٣ بناء على طلب وزير المالية والصناعة لدراسة احتياجات الاسكان بالنسبة للصناعات المقترحة في منطقة الشعبية تباحت عشرون رجلا يمثلون جميع الوزارات المعنية بالامر جميع الاحتياجات الاسكانية المباشرة والتي سوف تنتج عن قيام الصناعات المقترحة بخلاف انشاء ميناء جديد ومحطة قوى كهربائية .

ولقد قدم كاتب هذه السطور في ذلك الاجتماع النقاط الرئيسية التالية لفرض وضع تخطيط شامل كي ينفذ على مدى طويل من الزمن ثم وافق اعضاء اللجنة بالاجماع على هذه النقاط :

١ - بالنسبة لاهمية المدى الطويل من الزمن وتورطات المنشآت الصناعية في منطقة الشعبية وما حولها فان جميع الاقليم سوف يتأثر لهذا التخطيط ومن ثم يجب أن يعالج كوحدة تخطيطية لمنطقة متكاملة موحدة .

٢ - تتكون هذه المنطقة المتأثرة من الشعبية وما حولها من تجمعات صناعية وهي الفحيحيل والاحمدى وضواحيهما .

٣ - يجب أن يحاك ويلتحم تخطيط هذه المنطقة مع بعضها من جهة ومن جهة أخرى يجب ان ينسجم مع تخطيط تجمعات مدينة الكويت وضواحيها وتوسعاتها .

٤ - يجب تمييز وتحديد شكل المنطقة المخططة بعد تحضير اعمال مفصلة وتهيئة بيانات مرغوبة من قبل كل من يعنيه الامر .

٥ - يجب اشراك شركة نفط الكويت وكذلك ممثلي شئون النفط في لجنة الاسكان كضرورة حتمية لتسهيل مجرى الامور .

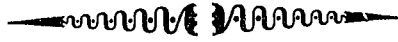
٦ - يجب ابلاغ جميع الوزارات والجهات والاطراف المعنية بالموضوع والمهتمة به بلدية الكويت رسميا عن كل الاقتراحات والطلبات والمشاريع الخ التي تؤثر في التخطيط الجديد لمنطقة الشعبية وضواحيها .
تلقت هذه القرارات النظر الى الحاجة الملحة للقيام جديا بتخطيط او تشكيل رسم حجر الاساس لاقليم « الكويت الكبرى » كي تتداخل

وتنسجم مع المخطط الرئيسي العام لمدينة الكويت داخل السور وضواحيها وخارج السور وتوسعاتها المقبلة نحو الجنوب على طول شاطئ الخليج العربي حتى منطقة المدن الثلاثة وهي الاحمدى والفحيحيل والشعبية التي يجب أن تندمج كوحدة تخطيطية شاملة وقائمة بذاتها . وتعتبر الخطوة الاولى للحصول على هذا التخطيط هي تنفيذ شبكة الطرق العمومية التي اعتمدت لاقليم الكويت (الخمس شرايين الرئيسية) كي تشمل مجموعة مدن الاحمدى (الاحمدى - الفحيحيل - الشعبية) . يعتبر من المحتم ان يكون مركز ثقل الطاقة الامكانية والقوى الصناعية في منطقة الشعبية وما حولها سببا في تشكيل سلسلة حضرية حلزونية التي تحتاج الى ارشاد ومراقبة في هذا الوقت المبكر من قيام الصناعة في تلك المنطقة والا فيخشى افلات الزمام بسبب عوامل الضغط بالاضافة الى الضغوط الصناعية والحضرية من التحكم في اقامة المصانع والمساكن وينتج عن ذلك انشغال الارض بنمو مبعر وتعمير مشتت الذي يكون سببا في عرقلة التخطيط العلمي الصحيح ووضع العقبات أمام التخطيط الشامل للاقليم كله في المستقبل .

يبين الاقليم التصميم العمومي الهام بالنسبة للطرق العمومية المقترحة آنفا والتي يجب تطبيقها وتنفيذها فورا كي تؤمن أولا ، وقبل كل شيء ، حركة سيلان المرور في المستقبل وكذلك تضمن تدفق المرور الضخم المتوقع سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد . ويشير الاقليم ايضا الى درجة خطر تغطية الارض المبشرة وكذلك الى وجوب استعمال الارض الحالية الموجودة بحيث تدخل ضمن اطار شبكة الطرق العمومية اللازمة للنمو في المنطقة المثلثة التي تقع على رؤوسها مدن الاحمدى والفحيحيل والشعبية وكذلك تبين مراكز الصناعة في المستقبل والدفع السكني المتسبب عن وجود الصناعة . وزيادة على ذلك يبين الاقليم كيفية لزوم وجوب تداخل اقليم الكويت مع منطقة المدن الثلاثة في الجنوب ، وهي مدن الاحمدى والفحيحيل والشعبية ، وكذلك تسهيل حركة المرور من الشمال للجنوب ومن الشرق للغرب وبالعكس .

يجب اعتماد شبكة طرق عمومية «للكويت الكبرى» بسرعة من حيث المبدأ وبعد ذلك يجب دراسة استعمالات الارض عموما للمناطق الداخلة في نطاق هذه الشبكة . ثم يجب توسيع السلطة المشرفة على التخطيط من دائرتها الحالية الى دائرة أكبر بحيث تشمل المنطقة الطبيعية الممتدة من ناحية الجهراء حتى غرب المنطقة المحايدة في الجنوب وبهذا يمكن ادخال ، تحت دائرة اختصاص محددة وسلطة شاملة موحدة ، الجزء الجنوبي الغربي من الدولة في رقعة واحدة من مدينة الجهراء حتى نقطة انحناء حدود المنطقة المحايدة الجنوبية على طول حدود المنطقة المحايدة وساحل الخليج العربي . واذا امكن التوصل الى ترتيب يمكن الحصول بواسطته على تنسيق التخطيط جنوب المنطقة المحايدة على طول ساحل الخليج العربي ، فان ذلك يعتبر خطوة مثلى للحصول على كثير من المزايا التخطيطية على مدى طبعي بعيد .

وبهذا النوع من الخطوط الفاصلة العريضة لتخطيط الاقليم وتصميم الطرق العمومية ، فانه يمكن تجنب المصاعب وتخطي العقبات والبعد عن المخاطر في المستقبل . وكذلك يمكن جعل اختيار المواقع اللازمة لاي غرض مهما كان أمره وشكله في وضع صحيح وسليم وكامل ومأمون وموحد ومنطقي ومعقول . وان اى تأخير في اعتماد هذه الشبكة بالنسبة لوجهة نظر الالتزامات المتشعبة والاضطرابات الوقتية والطلبات المتزايدة التي تحدث من وقت لآخر فسوف يؤخر ويعطل فاعلية ووظيفة التخطيط المنشور ان لم يخلق بسببها عقبات كئود يصعب تجنبها في المستقبل .



٣٦ - عملية مسح المرور للكوييت •

يعتبر عمل مسح لحركة المرور وحجم المرور اليوم وسيلة لاغنى عنها وأداة ضرورية وهامة عند مهندس تنظيم المدن . وبدون صورة شاملة لحركة ونوع وتضخم وحجم المرور أمامه فانه سوف يواجه كثيرا من العقبات أثناء محاولته توجيه حركة ونمو العمران في المدينة . ويعتبر عمل مسح للمرور ، وكذلك تخطيط هندسته اليوم ، من المجالات الفنية المتخصصة والتي بدونها يعتبر عمل مخطط المدن شيئا من ضروب التخمين مهما برع في التخطيط وذاع صيته . وكلما كانت حركة النشاط في مناطق المدينة أكثر تشعبا وكلما كانت حمولة المرور في شرايين المدينة الرئيسية وشوارعها المتفرعة أكبر ثقلًا وأكثر تعقيدا فان الاحتياج الى أصدق صورة لتركيب المرور يصبح ضرورة ملحة لا مناص عنها ولا مفر منها .

لقد نمت الكويت في الحقبة الاخيرة من الزمن واصبحت مدينة كبرى مترامية الاطراف ومتشعبة الارحاء . لقد نمت بسرعة حتى بلغ تعدادها ٣٢٠ ألف نسمة وبلغت المسافة بين طرفيها حوالي ٢٥ كيلومترا وبلغ دخلها بالنسبة للفرد درجة عالية واتسعت دائرة النقل وازدادت فيها نسبة ملكية السيارات الخاصة وسيارات الاجرة الى حد اعلى بكثير مما في بعض المدن الامريكية . وكننتيجة لذلك ، ورغم اتساع شوارعها وكبر حجم شبكة طرقها وكثرة دوارات المرور فيها ، فان صورة المرور فيها تعتبر شائكة لارتباك حركتها وتضخم حجمها حتى اصبحت خطرة على الجمهور وصداعا حضريا لدى ولاية الامور خاصة في المدينة القديمة .

فاذا كانت هذه هي حالة المرور التي وصلت اليها الكويت فان علاجها يحتاج الى دراسات شاملة وعلى ضوءها يمكن تقديم الدواء الناجح . ويجب عمل تحاليل علمية ورسومات بيانية واحصائيات تعدادية بالنسبة لحركة المرور وحجمه والعوامل المؤثرة فيه والمنبثقة عنه . . . وهذه كلها يجب أن تعتبر من ضمن اختصاصات قسم تنظيم المدينة في البلدية والتي بدونها تشل حركته وتصبح محاولته لعلاج تضخم المرور مرضا في حد ذاته يحتاج الى علاج . ان صلاحية هذه الحقائق الاساسية بالنسبة لحالة المرور المعقدة وخاصة في المدينة القديمة تعتبر بالغة الاهمية . ومن ثم كان اعادة تخطيط المدينة القديمة وتجزئة المنطقة المركزية التجارية الى عشرة قطع في بلوكات ممتازة ذات كثافة بناء منخفضة ونسبة عالية لمواقف انتظار السيارات بالنسبة لمساحة المباني مما يعتبر علاجاً جيداً بالنسبة لحركة وحجم المرور في السنتين أو الأربع سنوات القادمة . الا أن عقد المرور التي تكتف الانسان في

ميدان الصفاة وكذلك حول الدورانات الرئيسية الواقعة على المحيط الخارجي للبلدة القديمة توجب على الانسان أن يتقدم فوراً بدراسة علمية شاملة لحالة المرور في اقليم مدينة الكويت الكبرى وخصوصاً عندما تتدفق حركة المرور بحجمها المتزايد من خارج المدينة حتى مداخلها مخترقة شارع السور الى ان تصل الى قلب المدينة القديمة . لقد اصبحت الحالة خطيرة .

يجب أن تشتمل عملية مسح المرور المقترحة على النقاط الاساسية الآتية :

١ - تعداد المرور لتحديد الحجم المحتمل في شرايين الطرق الرئيسية في المدينة .

٢ - دراسة نماذج للمرور من جهة الابتداء الى جهة الانتهاء أى من مكان القيام الى مكان الوصول (ق ، و) .

٣ - دراسة مواقف انتظار السيارات بجوار الرصيف وكذلك مواقف انتظار السيارات في أمكنة كافية ومخصصة لوقوفها بالقرب من الشارع وامكانية ايجاد جراجات من عدة طوابق .

٤ - دراسة الامتثال لانظمة المرور وارشاداته من جهة المشاة والسائقين . وكذلك وسائل تنظيم واتمام قوانين المرور .

٥ - ارتباط انظمة المرور مع خدمات اوتوبيسات البلدية .

٦ - دراسة الوسائل الممكنة لفصل حركة مرور سيارات الركوب من حركة مرور سيارات النقل .

٧ - تحديد المناطق المزدحمة التي تحتاج الى حلول اساسية بالنسبة للمرور فيها مثل ميدان الصفاة لغرض الحصول على احسن وانجع الحلول الهندسية : سواء كانت اتفاق تحت الارض او معابر فوق الارض أو وسائل مناسبة لفصل مرور المشاة عن مرور السيارات لتخفيف الحالة المزدادة خطورة .

٨ - وسائل وادوات المرور المنظمة لعملية الحركة مثل الاشارات الضوئية وعدادات انتظار السيارات وما شابهها .

٩ - دراسات في تنبؤ حالة المرور في المستقبل لغرض معرفة المرور في بحر السنوات العشر الآتية ويؤخذ على اساس من دراسات المشاريع العمرانية التي تبحثها وزارة المالية والاقتصاد في القطاعات الصناعية المختلفة .

١٠ - البحث في ادخال طرق مرور ذات اتجاه واحد اذا احتياج الامر .

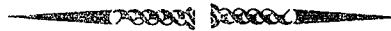
١١ - التوصية بمشروع لتعداد المرور يؤخذ في اوقات معينة دوريا وكذلك التوصية بتعليم طرق التدريب والارشاد ووسائل التنفيذ في دائرة المرور بالمدينة .

ان القيام بمثل هذه الدراسات المفصلة والعلمية يحتاج الى تعاون وثيق بين مصالح الحكومة المختلفة . ويعتبر قسم التنظيم في البلدية وكذلك دائرة المرور في وزارة الداخلية الجهتان المسئولتان مباشرة عن حالة المرور وعليهما ان يعملوا ويرشدا ويقودا متعاونين مع فريق او مجموعة اخصائيين ذات خبرة واختصاص وشهرة في هذا الحقل . يجب ان يتعاون الجميع في اتخاذ الاجراءات الشاملة لعملية المسح كاستعمال نماذج مختلفة من العدادات الآلية واستجواب السواقين وكذلك تسليم واستلام بطاقات الاسئلة عند مداخل معينة ونقط متفرقة من المدينة ، ومراقبة العملية وتبويب وتحليل المعلومات المأخوذة ، والاتصال بضابط اتصال في محطة الاذاعة المحلية كي يدع ويعلن ويرشد الجمهور فيكسب معاونته ويسهل مأمورية القيام بالمسح الدقيق المنشود . ومن الممكن استعمال طائرات « الهليكوبتر » لارشاد عملية المسح وتبليغ الاختصاصيين عن حركات وتكتلات السيارات في جميع انحاء المدينة .

وما لم تباشر العملية بحكمة وتروى ودقة وكذلك تحضر بكل كفاءة وامانة وهمة فان كثيرا من المعلومات التي سيحصل عليها قد تصبح ضئيلة المنفعة ان لم تكن عديمة الجدوى .

انه من المتوقع حالما تنتهي الاجراءات الادارية ويصل فريق من الخبراء في مسح المرور ان تستغرق العملية فترة من الزمن لا تقل عن ثلاثة لاربعة اسابيع كي تنتج فائدة كبرى ومنفعة شاملة .

يعتبر شهر اكتوبر القادم احسن الشهور لعمل مثل هذا المسح في الكويت اى بعد حلول شهر رجوع الناس الى الكويت بعد تمضية اجازاتهم الصيفية . فمن المعلومات التي ستنتج من المسح الشامل ، يمكن وضع مخططات تأخذ بعين الاعتبار استعمال الاراضي المختلفة وطريقة نمو للعشرين سنة القادمة .



٣٧ - العلم والفن والاقتصاد يتطلبان أنواعاً مختلفة من المباني للسكان في الكويت

إذا استمرت الكويت تنمو وفقاً لنموذج القسائم لمساحة ٧٥٠ و ١٠٠٠ متر مربع للبيت ، فستصبح اعظم امتداداً مما هي عليه الآن ، وليس هذا اسرافاً في استعمال الارض فحسب ، بل انه عمل لا يؤدي الى التمازج الاجتماعي او الحفاظ على ارض المدينة الثمينة .

وفي حالة الاستمرار في بناء القسائم الخاصة بالسكان ذوي الدخل المحدود فان مسألة الامتداد هذه قد تصبح اكثر حدة ، لا سيما وان الطلب على القسائم الخاصة بذوي الدخل المحدود آخذ بالازدياد يوماً بعد يوم .

ومن ثم ، فان ، من الضروري إعادة النظر في مسألة القسائم المنفردة لسكان ذوي الدخل المحدود والتفكير جدياً باستعمال الارض في سبل أخرى وفي الامكان تحقيق ذلك باستعمال بيوت متلاصقة ، ذات طابقين أو طابقين مع طابق جزئي على السطح ، وبيوت من ثلاثة طوابق مؤلفة من عدة شقق . ولا ينتج عن استعمال هذا النوع من البيوت توفير في الارض فحسب، لكنه سيتيح للمهندس تصميم المدينة فرصة كبيرة لعمل تصاميم تكون اوسع خيالاً واكثر ملاءمة لمناخ وحالات وطقس الكويت الفريدة . وبهذه الوسيلة يصبح بالامكان عمل ساحات وفسحات مشتركة ومناطق مظلة وباحات محددة .

لقد اصبح دمج وتداخل انواع المباني المختلفة في التخطيط المعاصر تطبيقاً جرت عليه العادة : البيت المنفرد بجانب البيت المؤلف من طبقات والبيت المكون من شقق ، وذلك بطرق تؤدي لخلق مجتمع متوازن . وسيكون هنالك حاجة ، ولأمد بعيد مقبل ، لانواع متعددة من البناء لذوي الدخل المتنوع في المجتمع الكويتي . وان هذا الدمج سيكون اقرب لتحقيق مجتمع متوازن من الناحيتين الاجتماعية والمادية ، كما انه سيؤدي الى الاقتصاد في استعمال الارض وتوفير الشوارع والمرافق العامة ، هذا بالإضافة الى توفير مناطق مفتوحة تكون اكثر ملاءمة للاستعمال العام .

وينبغي النظر بعين الاعتبار لبيت الشقق المؤلف من ثلاثة طوابق كنموذج لبيوت ذوي الدخل المحدود والدخول الاخرى خاصة ضمن حدود المدينة القديمة . وستوفر في هذه المنطقة من المدينة القديمة، كما هو متوقع، مساحات وافرة لاعادة بنائها من جديد . ويمكن تخصيص اقسام منها لسكان عائلات ذوي الدخل المحدود في ابنية عملية بسيطة مؤلفة من ثلاثة طوابق ذات شقق وبدون مصاعد وبهندسة معمارية تنبثق من العوامل العديدة المحلية .

اما فيما تبقى من اقسام المدينة فان نماذج البيوت المرتبطة المتلاصقة وذات الطوابق العديدة تستحق الكثير من التمعن كوسيلة لاسكان عائلات ذوى الدخل المحدود . وباستعمال البيوت المتلاصقة مع تصميم ملائم لها يصبح بالامكان الحفاظ على منطقة البناء المخصصة بالنسبة لكل قسيمة ولكل عائلة واستعمال ما يتوفر من الارض والشوارع كمناطق ترفيهية عامة .

وعند البحث فى مشروع اسكان واسع النطاق فان من الافضل ، كما يبدو ، استعمال نماذج الابنية الثلاثة : منفردة ، متلاصقة ، وذات شقق ، بطرق ووسائل ونسب بحيث تفي بحاجات ذوى الدخل المتنوع من السكان الذين سيجرى اسكانهم .

وبذلك يصبح بالامكان تحقيق عدة اوجه اقتصادية بالاضافة الى تحسين منظر المدينة ، اذ ان الاستعمال الذى لا تميز هندسي فيه من البيت المنفرد فقط وخاصة بالنسبة لفئة ذوى الدخل المحدود من السكان ، ليس بأفضل الاقتراحات توفيرا او جمالا . هذا ويجدر بالفنيين والمسؤولين ان يعيروا نماذج البناء المتداخلة والمختلفة الخاصة بالاسكان التمعن والاهتمام .

وبالنظر الى الطلب الذى تقدمت به حديثا وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل للآلاف من بيوت ذوى الدخل المحدود ، فانه من المستحسن بل يتوجب علينا التفكير مليا باقتراحنا باستعمال نماذج جديدة من التصاميم وعلى الاخص البيوت المتلاصقة وبيوت الشقق ، وهذا سيمكن مخططى التنظيم من ابداع نماذج افضل للمدينة كما انه سيؤدي الى تخفيض التكاليف بالنسبة لقيمة الارض والانشاء والخدمات .

هذا ويمكن اقامة بيوت الشقق بشكل ايسر وذى قيمة عملية اكثر فى انحاء المدينة ، حيث ينبغي ان نبذل جهدنا لجعل كثافة السكان ذات نسبة وافية فيها .

ان وضع برنامج لعدد البيوت المطلوبة سنويا سيساعد كذلك فى تدعيم هذا الاقتراح اذ ان بالامكان استملاك بعض المناطق فى المدينة القديمة واعدادها لاقامة بيوت الشقق عليها بموجب هذا البرنامج . وبهذه الطريقة سيعاد بالتدرج تطوير اجزاء من المدينة القديمة .

**٣٨ - قانون رقم ٣١ لسنة ١٩٦٢ المعدل بالقانون
رقم ٣٣ لسنة ١٩٦٢**

بتنظيم بلدية الكويت

نحن عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت
وافق المجلس التأسيسي على القانون الآتي نصه ، وقد صدقنا عليه
واصدرناه .

مادة - ١

تنشأ بلدية للكويت تكون ذات شخصية معنوية عامة وتلحق بمجلس
الوزراء .

مادة - ٢

تعمل البلدية على تقديم الكويت عمرانياً وصحياً عن طريق تنظيم المدن*
وتجميلها ووقاية الصحة العامة وتأمين سلامة المواد الغذائية والمحافظة
على الراحة العامة في المساكن والطرق واتخاذ ما يؤدي الى تقدم الكويت
ورفاهية سكانها .

مادة - ٣

يتولى تحقيق اغراض المينة في المادة السابقة مجلس بلدي وادارة
تنفيذية .

**الفصل الاول
المجلس البلدي**

١ - تشكيل المجلس البلدي .

مادة - ٤

يشكل المجلس البلدي من :

* هكذا تنص المادة الثانية بوضوح عن دور واهمية تنظيم المدن في قانون تنظيم بلدية
الكويت (المؤلف)

١) عشرة أعضاء كويتيين ينتخبون وفقا لمرسوم يحدد الشروط
الواجب توافرها في الناخب والمرشح واجراءات الترشيح والانتخاب .
ب) أربعة أعضاء كويتيين ممن تتوفر فيهم الشروط المنصوص عليها
في البند السابق ، ويعينون بمرسوم .

مادة - ٥

ينتخب المجلس من بين أعضائه رئيس البلدية ونائب الرئيس ، ويكون
انتخاب الرئيس لمدة أربع سنوات ، ويصدر بتعيينه مرسوم . ويكون
انتخاب نائب الرئيس لمدة سنتين .

ويكون رئيس البلدية بحكم وظيفته رئيسا للمجلس البلدي ورئيسا
للادارة التنفيذية وهو الذي يمثل البلدية أمام الوزارات والمصالح الحكومية
وأمام القضاء وفي المقابلات والحفلات الرسمية وفي صلات البلدية مع الغير .

مادة - ٦

يعاون رئيس البلدية مدير عام يعين بمرسوم بناء على ترشيح رئيس
البلدية .

مادة - ٧

مدة العضوية أربع سنوات ، ويتجدد اختيار نصف كل من الاعضاء
المنتخبين والاعضاء المعينين كل سنتين . وتجوز اعادة انتخاب أو تعيين من
انتهت مدته من الأعضاء .

واستثناء من أحكام الفقرة السابقة ، يعين المجلس بطريق القرعة
نصف الأعضاء الذين تعتبر عضويتهم منتهية من المنتخبين ومن المعينين
وذلك عند انتهاء السنتين الأوليين ، مع استثناء الرئيس من هذه القرعة .

مادة - ٨

لا يجوز الجمع بين عضوية المجلس وتولي الوظائف العامة وكذلك
لا يجوز الجمع بين عضوية المجلس وعضوية المجلس النيابي .

مادة - ٩

تقدم الاستقالة من عضوية المجلس الى رئيس البلدية ، وتعتبر نهائية
من وقت تقرير المجلس قبولها ، وعندئذ يعلن المجلس خلو المحل ويجب
اجراء الانتخاب أو التعيين على حسب الأحوال خلال شهر من تاريخ هذا
الاعلان .

مادة - ١٠

إذا شغل محل عضو ملئ هذا المحل بالطريقة المقررة لشغله ويكمل
العضو الجديد مدة سلفه .

مادة - ١١

يؤدي عضو المجلس عمله بمكافأة تحدد بمرسوم .

مادة - ١٢

لا يجوز للعضو أن يقوم بالذات أو بالوساطة بعمل أو مقابلة أو مناقصة أو توريد أي كان لحساب البلدية ولا أن يدخل في بيع أو إيجار ومع ذلك يجوز للبلدية عند الضرورة أن تشتري أو تستأجر من العضو أرضاً أو بناء لعمل من الأعمال العامة التي تتولاها بشرط الحصول على إذن سابق من المجلس .

٢ - اختصاصات المجلس البلدي .

مادة - ١٣

يتولى المجلس البلدي ، بالأجهزة المختصة في البلدية ، بتنفيذ القوانين واللوائح المتعلقة بالصحة العامة والتنظيم والمباني وتقسيم الأراضي والمحلات العامة وغير ذلك من القوانين واللوائح الخاصة بالمرافق البلدية .

مادة - ١٤

يقرر المجلس البلدي المشروعات العمرانية من إنشاء الطرق والشوارع والميادين وتوسيعها وإنارتها وتوصيل المياه والمجاري ويقرر الاستملاك الذي تقتضيه هذه المشروعات في حدود القانون ، ويقوم بتسمية الأحياء والشوارع ، ويضع النظم الخاصة بالإعلانات على مختلف أنواعها ، وتقوم الوزارات المعنية كل بتنفيذ ما يخصها من أعمال .

مادة - ١٥

يقرر المجلس البلدي مشروعات تجميل مدن الكويت وقراها وإنشاء الحدائق العامة وتشجير الشوارع وكل ما يؤدي إلى تحسين رونقها ورفاهيتها .

مادة - ١٦

يقرر المجلس البلدي إنشاء الأسواق والمذابح والمدافن ، ويضع النظم الخاصة بها .

مادة - ١٧

يتولى المجلس البلدي كل ما يتعلق بالمطافئ على أن يسري بشأن رجال المطافئ النظام والتدريب العسكريين المقرران من قبل وزارة الداخلية .

مادة - ١٨

يقرر المجلس البلدي توزيع قسائم المناطق السكنية والمناطق الصناعية للمستحقين لها طبقا للقوانين واللوائح .

مادة - ١٩

يتخذ المجلس البلدي التدابير الخاصة بوسائل النقل العام ، ويقرر النظم المتعلقة بها .

مادة - ٢٠

تشتراط موافقة المجلس البلدي مقدما على كل التزام أو احتكار موضوعه استغلال مرفق عام في حدود اختصاص البلدية .

مادة - ٢١

تتضمن ميزانية الدولة السنوية الاعتمادات اللازمة لقيام البلدية بالمهام الموكولة اليها .
وللمجلس البلدي أن يفرض رسوما مقابل الانتفاع بالمرافق العامة التي يتولى ادارتها .

مادة - ٢٢

يشرف المجلس البلدي على صفقات التوريد والاشغال العامة المتعلقة بالبلدية وعلى العقود التي ترتب حقوقا او التزامات مالية للبلدية او عليها في حدود ما تقضي به لائحته الداخلية .

مادة - ٢٣

يناقش المجلس البلدي مشروع ميزانية البلدية للسنة المالية الجديدة ويقرها ويناقش الحساب الختامي للسنة المالية المنتهية ويقره . وتسري على ميزانية البلدية وحسابها الختامي الاحكام التي تسري على ميزانية الدولة وحسابها الختامي .

مادة - ٢٤

ينظر المجلس البلدي في المقترحات التي تقدم اليه من الحكومة او من أحد اعضاء المجلس في شأن من شئون البلدية ، ويصدر قراراته في هذه المقترحات .

مادة - ٢٥

يقرر المجلس البلدي اللوائح الخاصة بالنظم الداخلية لشئون البلدية .

٣ - نظام سير الاعمال بالمجلس البلدي . .

مادة - ٢٦

يجتمع المجلس البلدي اجتماعا عاديا مرة كل اسبوعين في المكان المعدله بدعوة من رئيسه ، ويوالي عقد جلساته الى ان ينتهي من نظر جميع المسائل الواردة في جدول الاعمال . ويجوز للرئيس أن يدعو المجلس الى اجتماع غير عادي كلما رأى ضرورة لذلك او اذا طلب عقد هذا الاجتماع اربعة أعضاء . ولا ينظر المجلس في الاجتماع غير العادي الا المسائل التي دعي لنظرها .

مادة - ٢٧

توجه الدعوة لاجتماع المجلس كتابة الى جميع الاعضاء قبل موعد الاجتماع بثلاثة ايام على الاقل ، ويجوز تقصير هذا الميعاد في حالة الاستعجال . ويرفق بالدعوة جدول الاعمال .

مادة - ٢٨

يعد سكرتير المجلس جدول الاعمال باشراف مدير البلدية ، ويعرض الجدول على الرئيس لاقراءه ، ويقوم السكرتير بتدوين محاضر الجلسات .

مادة - ٢٩

يرأس الجلسة رئيس البلدية ، فاذا تخلف حل محله نائب الرئيس ولا يكون اجتماع المجلس صحيحا الا بحضور أغلبية اعضائه ، وتكون الجلسات علنية ، ويجوز عقدها بصفة سرية بناء على طلب الرئيس أو أغلبية الأعضاء الحاضرين ، وفي هذه الحالة يقرر المجلس ما اذا كانت المناقشة في الموضوع تستمر في جلسة سرية أو علنية .

مادة - ٣٠

يجوز للمجلس البلدي عند مناقشة مسألة تتصل بوزارة معينة أن يطلب من وزيرها ارسال مندوب عنها وللدلاء بالبيانات المطلوبة ويكون لهذا المندوب حق الاشتراك في المناقشة دون أن يكون له حق التصويت .

مادة - ٣١

للمجلس أن يعتبر مستقيلا كل عضو تخلف بدون عذر مقبول عن حضور ثلاث جلسات متوالية . ويصدر بذلك قرار من المجلس بعد سماع اقوال العضو أو بعد اثبات غيابه عن الجلسة التي دعي لحضورها لسماع اقواله فيها ولا يجوز عقد هذه الجلسة قبل مضي خمسة عشر يوما من تاريخ دعوة العضو اليها .

مادة - ٣٢

يقوم مدير البلدية بمهمة المقرر في المسائل المعروضة على المجلس ولا

يشارك في التصويت . ويجوز للرئيس أن يدعو من يرى دعوته من موظفي أقسام البلدية لتقديم إيضاحات للمجلس عن المسائل المعروضة .

مادة - ٣٣

يجوز للمجلس أن يؤلف لجانا من بين أعضائه ومن غيرهم لبحث مسألة أو أكثر من المسائل التي تعرض عليه ، وتكون جلسات اللجان سرية وللجان أن تستدعي من ترى من موظفي البلدية المختصين لتقديم المعلومات اللازمة وللادلاء بأرائهم الفنية ، دون أن يشتركوا في التصويت . ويدون في محاضر جلسات اللجان جميع ما يدور فيها من مناقشات ولا يجوز للعضو أن يجمع بين عضوية أكثر من لجنيتين .

مادة - ٣٤

لا يجوز للعضو في جلسات المجلس أو في لجانه أن يشارك في مداولة أو في قرار له فيه مصلحة سواء كان ذلك عن نفسه شخصا أو بصفته وليا أو وصيا أو قيما أو وكلا .

مادة - ٣٥

تصدر قرارات المجلس بالأغلبية المطلقة لأصوات الاعضاء الحاضرين وعند تساوي الاصوات يرجح الجانب الذي فيه صوت الرئيس .

مادة - ٣٦

يضع المجلس لائحة داخلية لتنظيم أعماله .

الفصل الثاني الادارة التنفيذية

١ (رئيس البلدية .

مادة - ٣٧

يشرف رئيس البلدية على جميع أعمال ادارة البلدية ويضع اللوائح الخاصة بالنظم الداخلية لشئون البلدية ولا تكون هذه اللوائح نافذة الا بعد اقرار المجلس البلدى لها .

مادة - ٣٨

تكون لرئيس البلدية في شئونها صلاحيات الوزير في شئون وزارته . وتكون للمدير العام صلاحيات وكيل الوزارة . وتحدد مكافأة الرئيس بمرسوم .

مادة - ٣٩

رئيس البلدية هو الذي يأمر بالصرف في حدود الميزانية المقررة ويوقع الشيكات والأوراق الخاصة بالمسائل المالية .

مادة - ٤٠

يجوز لرئيس البلدية أن يعهد ببعض اختصاصاته الإدارية الى مدير البلدية يباشرها تحت اشرافه .

(٢) مدير البلدية .

مادة - ٤١

يقوم مدير البلدية تحت اشراف الرئيس بإدارة اقسام البلدية المختلفة وهو المسئول عن حسن سيرها .

مادة - ٤٢

يدرس مدير البلدية المسائل التي تعرض على المجلس البلدي ويقدم نتائج دراسته للرئيس ثم يعرضها على المجلس .

مادة - ٤٣

يقوم مدير البلدية بتنفيذ قرارات المجلس تحت اشراف الرئيس ، وينفذ جميع القرارات التي يكلفه الرئيس بتنفيذها .

مادة - ٤٤

يوقع مدير البلدية عقود المشتريات والمبيعات وسائر العقود في الحدود المرخص له فيها من المجلس أو من الرئيس ويراقب الأعمال التي تنفذ لحساب البلدية ويتسلمها وفق الأنظمة المرعية .

مادة - ٤٥

يعد مدير البلدية مشروع الميزانية والحساب الختامي وبرنامج المشروعات المقترح القيام بها خلال السنة ويعرض ذلك على الرئيس لقراره وعرضه على المجلس .

مادة - ٤٦

يحافظ مدير البلدية ، تحت اشراف الرئيس ، على صحة السكان وسلامتهم وراحتهم في حدود اختصاص البلدية ويتعهد بوجه خاص :

(١) تنظيف الشوارع والطرق ورفع الأنقاض والنفايات وهدم المباني المتداعية أو صلاحها ومنع انطلاق الحيوانات .

(٢) التفتيش على المواد الغذائية للاستيثاق من صلاحيتها وفحص المواشي والدواجن قبل ذبحها .

(٣) مراقبة الفنادق والغرف المفروشة والمقاهي والمطاعم والأفران وجميع المحال التي تباع فيها المأكولات والمشروبات للتحقق من توفر اسباب النظافة فيها .

٤ (مراقبة الأسواق والمحلات العامة واعطاء الرخص وسحبها ومراقبة الأماكن التي توجد فيها مواد مشتعلة وتحديد الكميات المسموح بوضعها في هذه الأماكن .

٥ (اتخاذ وسائل الوقاية من الحريق وطفيان المياه .

٦ (جميع ما يختص بالحرف وتنظيمها ومراقبة اعمالها .

٧ (كيفية نقل الموتى وتنظيم الجنازات والدفن والمحافظة على حرمة المقابر .

٨ (تأمين معاملات الوزن والقياس وتوحيدها .

مادة - ٤٧

يقدم مدير البلدية خلال الشهر الاول من كل سنة تقريراً عن أعمال البلدية وأقسام الإدارة خلال السنة السابقة الى رئيس البلدية لعرضه على المجلس البلدي .

٣ (اقسام البلدية .

مادة - ٤٨

تؤلف ادارة البلدية من الأقسام الآتية :

١ (قسم الشؤون الفنية .

٢ (قسم الشؤون الصحية .

٣ (قسم الشؤون المالية .

٤ (قسم الشؤون الادارية .

وتجوز اضافة اقسام أخرى بقرار من المجلس البلدي .

مادة - ٤٩

يقوم قسم الشؤون الفنية باصدار تراخيص البناء وتنفيذ القوانين واللوائح الخاصة بالتنظيم والمباني وتقسيم الأراضي والمجاري وابعاد المشروعات العمرانية من انشاء الطرق والشوارع والميادين وتوسيعها وابعاد مشروعات تجميل المدن والقرى وانشاء الحدائق العامة وصيانتها وتشجير الشوارع وباقتراح الاستملاك وازالة المباني طبقاً لخطة التحسين وبالتثبت من صحة تملك العقارات والأراضي قبل إجراء التسجيل وذلك طبقاً للقواعد القانونية المقررة .

مادة - ٥٠

تتبع قسم الشؤون الفنية شعبة الاستملاك وتقوم باستملاك العقارات والأراضي وفقاً للنظام الذي يقرره المجلس في هذا الشأن في حدود

القوانين واللوائح ، وتلحق بالشعبة لجنة التثمين وتؤلف من اثني عشر عضوا يعينهم مجلس الوزراء من غير أعضاء المجلس البلدي وذلك بالشروط والاولى التي تبين بقانون خاص .

ويصدر قرار من المجلس البلدي بتنظيم اعمال لجنة التثمين .

مادة - ٥١

يقوم قسم الشؤون الصحية بمراقبة المواد الغذائية وتطبيق التعليمات الصحية الواجب اتباعها للحصول على الترخيص اللازم لفتح المحلات العامة وبالتفتيش على المواشي المعدة للذبح وامكن ذبحها وطريقة الذبح وبالمحافظة على نظافة المدن ، وباصدار اجازات العمل الصحية لاصحاب المحلات العامة وعمالها .

مادة - ٥٢

تتبع قسم الشؤون الصحية شعبة اجازات العمل وتقوم باصدار اجازات المهن طبقا للقواعد المقررة وكذلك شعبة تجهيز الموتى وتختص بشؤون حفر القبور وما يتعلق بالموتى المعدمين من كفن وتجهيز ودفن .

مادة - ٥٣

يقوم قسم الشؤون المالية بتحضير الميزانية والحساب الختامي وتنفيذ ابواب الميزانية وبنودها وبتحصيل الرسوم والغرامات وتحويلها الى وزارة المالية والاقتصاد وبتسليم جميع المبالغ المخصصة للبلدية لتوزيعها على الجهات المستحقة لها .

مادة - ٥٤

يقوم قسم الشؤون الادارية باعداد التقارير والرسائل والاطارات (والتعاميم) وبتسليم الرسائل الواردة ويوزعها على الاقسام المختصة ويرشد المراجعين وينفذ كل ما يتعلق بشؤون الموظفين والمستخدمين .

مادة - ٥٥

يتبع حرس البلدية وزارة الداخلية ، ويقوم بحراسة الاسواق .

مادة - ٥٦

يضع رئيس البلدية لائحة بالتنظيم الداخلي لاقسام البلدية المختلفة ولا تصبح هذه اللائحة نافذة الا بعد اقرارها من المجلس البلدي .

مادة - ٥٧

يجوز لرئيس البلدية بموافقة المجلس البلدي - اذا رأى ضرورة لذلك - ان يطلب الى مجلس الوزراء تأليف لجنة لتنسيق الاعمال التي

تقوم بها البلدية في اقسامها المختلفة مع الاعمال التي تقوم بها الوزارات
الاخرى ويكون في هذه اللجنة ممثلون لهذه الوزارات وممثلون للبلدية .

مادة - ٥٨

يجوز حل المجلس البلدي بمرسوم تبين فيه أسباب الحل على أنه
لا يجوز حل المجلس لذات الأسباب مرة أخرى وإذا حل المجلس وجب
اجراء الانتخاب والتعيين للمجلس الجديد في ميعاد لا يجاوز شهرا من
تاريخ الحل .

● مادة - ٥٩

يلغى القانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٦٠ الخاص ببلدية الكويت على أن
يستمر المجلس البلدي بهيئته وأعضائه الحاليين حتى آخر مارس
سنة ١٩٦٣ .

● مادة - ٦٠

على جميع الوزراء تنفيذ هذا القانون كل فيما يخصه ، ويعمل به
اعتبارا من أول ابريل سنة ١٩٦٣ . *

أمير دولة الكويت
عبد الله السالم الصباح

صدر في يوم الاربعاء ٢ جمادى الثانية ١٣٨٢
الموافق ٣١ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٦٢

● نص المادتين ٥٩ ، ٦٠ هو النص المعدل وفق القانون رقم (٣٣)
لسنة ٦٢ والصادر في ١٥ جمادى الثاني ١٣٨٢ الموافق ١٢ نوفمبر ١٩٦٢

* لقد قرر في شهر مارس ١٩٦٣ تأجيل الانتخابات البلدية وذلك لامعان النظر في اعادة
تحديد المناطق الانتخابية حسب طلب مجلس الامة (المؤلف)

٣٩ - الكويت : محط اهتمام اختصاصات متعددة

لو اراد المرء ان يبحث في جد وعمق عن اغرب حدث اقتصادي وحضاري واجتماعي ومدعاة للاهتمام ، خلال السنوات العشر الاخيرة ، فانه ولا شك يجده في الكويت . وذلك انه من العسير وجود وايجاد مرة ثانية مكان اخر تعرض لذلك القدر من المؤثرات المختلفة في مثل هذا الوقت القصير وفي كل مجال تقريبا من مجالات السلوك الانساني . وكانت اصداء هذه المؤثرات غير عادية ايضا وقوية جدا ودون الرجوع الى « التكنيك » الاجتماعي الفصل المعقد .

ان الكويت تهم العالم الاجتماعي الذي يمكنه ان يعالج امور التقاليد الاجتماعية وتطور الاوضاع الاجتماعية والسلوك الاجتماعي . فهو ولا شك سيعكف على تصميم جميع انواع الاستقصاءات ويستعمل كل انواع البطاقات ويستخلص عددا من النتائج الاحصائية التي يستطيع الرجل العادي - في حالة الكويت - ان يستخلصها ، في الراجع ، دون استعمال الآلات الحاسبة الخاصة .

والكويت تهم مخطط المدن الذي يستطيع ، اذا ما كان مخططا ماهرا ومدربا تدريبيا شاملا ، ان يجد مجالا مزيدا فيها . انه يستطيع ان ينظر في نواحي استعمال الارض والتنظيم السكاني والسير والتطور ويستنتج ان الكويت متحدة وفريدة من وجهة نظر التخطيط . انه يستطيع ان يستغل النظام الشائع للخرائط ، ويضع المستخلصات الشاملة عن حركة المرور ويرسم صورا لاثمان الاراضي ويقترح حلولا يستطيع الرجل العادي بالنسبة للكويت - ان يصل اليها دون استعمال « تكنيك » تخطيط المدن المتشعب المعقد .

والكويت تهم الخبير المالي ، اذ يستطيع ان ينهمك في استقصاء النفقات « التنجيمية » للسنوات العشر الاخيرة . وربما تاه في محاولته اكتشاف ابن وكيف ولماذا خصصت . انه سيضع جميع انواع الموازنات واللوائح والبيانات المالية والتحليلات التي يستطيع الرجل العادي - بالنسبة للكويت - ان يفسرها على انها اشياء بدائية وغير ضرورية ، لا يلزمها الاختصاص « الفسكالي » بكل انواعه واشكاله « وتكنيكه » .

والكويت تهم المؤرخ لانه لو اراد هنا ، ان يدرس التيارات والخفايا التي تتخلل هذه المدينة - الدولة ، واذا ما درس وحلل الدوافع والزواجر التي تكتنف الافراد « والمجتمعات » ، فانه يحصل في الغالب على فهم افضل للتاريخ ، وتفقد جميع غوامضه ومستقلقاته وحقائقه غير الثابتة وخيالاته وخزعبلاته واضحة جيدا له . ويستنتج ان الانسان لم يتغير كثيرا منذ « اخناتون » وانه يحتمل ان يتغير كثيرا ، من حيث الخصائص

الانسانية الاساسية ، في المستقبل . ولكن ، عندئذ ، يستطيع اي شخص يجتاز « ساحة الصفاة » ان يقول هذا تماما .

والكويت تهتم المهندس المعماري والنحات والمزخرف ومصمم النيون والجنائني « والارتيست » بين مجموعة المبدعين ، اذ فيها يجدون كل شيء وشكل ولون . وتعتبر الكويت بالنسبة لهم « مكتبة » او « موسوعة » او « معجما » لكل ما يمكن للانسان ان يفكر فيه او يتخيله او يهواه .

وسيتنتجون ان « التصميم » ليس الا مسألة اسلوب وذوق ، وان كل ما كتبه جوته وروسكين وتولستوي عن الفن والجمال والاستيتيك لاعمى له . واذا ذاك ، فان رجل الشارع ، مأخوذ بديموقراطية الاعجاب بكل شيء ، يوافقهم كليا .

والكويت تهتم دارس الجنس البشري كثيرا . والزيت يهتم رجال الزيت . ورجال الزيت يهتمون المهندسين وكل شيء يهتم كل شخص وكل شخص هنا يهتم الشخص الآخر كليا الخ ...

ولعل اهتمام كل شخص بكل شخص اخر وكل شيء ، اشد ما يقع في مجال نشر الافكار والمعلومات . وهو ما يهتم العلنيين ورجال النشر والناس انفسهم اكثر شيء .

ولكن ، لعل الكويت تهتم رجال الاعمال اكثر من الجميع . فاي شخص يملك بضائع وأفكارا ومشاريع وتصاميم ونماذج وادوات وسلعا يهتم كثيرا بالكويت . وذلك لان الكويت تنفق ، وتنفق بسخاء . انها تنفق على الكويتيين وغير الكويتيين . انها تنفق على العمارات والسفريات على الاعمال الخيرية وكل انواع الشؤون ، على صحة الجسد وصحة العقل وصحة كل شيء .

اجل ليس ثمة مكان اخر في العالم يملك هذه العدة من اوجه الاهتمام لوجه نشاطه . فعلماء الاثار والمهندسون والمصورون والمرشدون والخبراء والكتاب والشعراء والعمال والاعلاميون والمقاولون ومنافسوهم يعيشون كلهم حياة ممتعة منسجمة مثيرة في بقعة فريدة من العالم . واذا ما اريد انشاء معهد ما للبحوث العالية في الكويت فانه ، في الراجح ، يجتذب عددا كبيرا من الباحثين الجديين . من عدة نواح في العالم ، وذلك لما تقدمه الكويت من مجال جدي للدرس والبحث يتناول كل نواحي المجتمع . وجميع النواحي في الكويت تقوم على اسلوب دراماتيكي لم يكن مبالغا فيه

وتقع الكويت في بقعة خشنة من سطح الارض . الحرارة ، الرطوبة والعراء المحيط بها والعواصف الرملية والزيست والثروة والمواطنة « الكوزموبوليتانية » العامة في تركيب مجتمع المقيمين في الكويت ومصالحهم وضرورتهم ، كل ذلك يجعل من الكويت محط اهتمام متعدد الجوانب لكل شخص يسلكها قاصدا كان أم غير قاصد .

والواقع ان الكويت كثيرة الامتاع كثيرة الحركة مختلفة الاهتمامات والمصالح ، فريدة ، بحيث تتحدى الوصف والتحليل . انها كالعربي وعقله لا يمكن سبر اغوارهما انها لامعة ولا يمكن تكهنها .

اما لي ، كمخطط مدن ، فالكويت حديا وفرصة . انها حديا لان وسائل انشاء مدينة صحراوية عربية عظيمة لا نظير لها ، تتوفر فيها . وفرصة اداء ذلك ، بشجاعة واحساس وخلاقية ، متوفرة ايضا . ففي سنوات قليلة انجزت منجزات هامة في اتجاه وناحية خلق مدينة حديثة كلاسيكية عظيمة . ولا يزال ثمة الشيء الكثير الذي يحتاج الى العمل الشاق والابداع والتعزيد . فربما الكويت ، هذه المدينة - الدولة الفريدة هي الفرصة الوحيدة في العالم اليوم التي تتيح للانسان ان يخلق احسن واجمل واسلم وارقي مدينة ومجتمع ، اذا ما اختار الانسان هذه الاهداف ليرتفع العرب بالعرب الى اعلى واسمى القمم الحضارية . هذا معنى الكويت لي كعربي اولا وكمهندس مخطط مدن ثانيا . معنى الكويت لي يتلخص بكلمات بسيطة : باستعمال وتطبيق العلم السليم الشامل ، يمكن خلق مدينة القرن العشرين الفريدة .



٤٠ - المرحلة المقبلة في الكويت

يمكن اعتبار التطور السريع العظيم الذي جرى في الكويت حتى الآن بانه الفصل الاول - المشهد الاول - من تمثيلية حضارية ضخمة تتتابع فصولها بسرعة عن اسطورة مدينة تمثل على رقعة صغيرة من ارض الصحراء العربية الواسعة . لقد علم الفصل الاول من هذه التمثيلية مخرجها دروسا عديدة ذات قيمة ، وان كانت هذه الدروس ستلاحظ حتما وتلمس عند تمثيل الفصل الثاني الوشيك من التمثيلية الحضارية الضخمة . سترفع الستائر قريبا عندما يمارس مجلس الامة الموقر عمله في ظل الدستور الجديد ، وعندما يجرى تجهيز وتنظيم مجلس التخطيط والمجلس البلدي الجديد لوضع اسلوب نمو الكويت وتطويرها وتخطيطها - تخطيطا شاملا بمعناه الاكمل - موضع التنفيذ للشروع في المرحلة الثانية للتطوير والتي نحن على عتبتها .

ان الاخطاء التي سببتها عوامل السرعة المذهلة التطور في الماضي - وما من شخص او بلد معصوم عن الخطاء - من المحتم ان تتخذ منها الكويت الان دروسا حتى يمكن تلافي مثل هذه الاخطاء في المستقبل وتصحيح الاخطاء التي حصلت في الماضي عفوا او نتيجة السرعة او عدم توفر الوقت بالدراسة العلمية الشاملة .

ان عامل السرعة في الكويت ، اى عند القيام بالاعمال باقصى سرعة ، قد ميز - ان لم يكن قد هيمن على مشاهد ومراحل تنفيذ الاعمال الجبارة ومع ان عامل السرعة في الكويت مدعاة للفخر لا سيما وان كثيرا من الدول الاخرى قد عرف عنها البطء في تحقيق الاعمال ، الا انه ينبغي بعد الان ان تنسق السرعة والدراسة والبحث والتفكير والتخطيط العلمي وان تسبقها اعلى مستويات التصميم - تصميم في كل القطاعات وعلى جميع المستويات . وينبغي الا يطلق العنان للسرعة الا بعد ان تكون الدراسة حول اى موضوع قد استوفت حقها واصبحت شاملة من النواحي الاساسية وهي الاجتماعية والاقتصادية والهندسية والجمالية .

ونعتقد انه لهذا السبب جرى مؤخرا تأسيس مجلس التخطيط الاعلى في الكويت ، وقد انيط بهذه الهيئة الجديدة القيام بمسؤوليات جسيمة ، وهي تملك السلطة لكي تصوغ نوعية وشكل الاعمال المقبلة في برنامج شامل لتطوير الكويت . وان آمالا كبيرة معقودة على هذه الهيئة لوقف الازدواج في العمل والمصاريف التي تذهب هباء في نواح غير اقتصادية ووقف التبذير وكذلك الهندسة والتخطيط والفنون المعمارية الغير مستحسنة لهذا البلد . والامال الكبيرة معقودة على هذه الهيئة كي تجعل الدوائر الكبيرة في الكويت تعمل اعمالا بناء لانشاء ما ينبغي ان تكون عليه دولة لا تجاري ، لان موجودات هذه الدولة لا مثيل لها ، والامال الكبيرة

معقودة كذلك على هذه الهيئة لاختيار الصالح من الطالح والاستماع للنصيحة الافضل والاكثر موضوعيه حيادا والمبنية اكثر ما يكون على اساس علمي . لقد عقدت آمال ايضا على هذه الهيئة لكي تتيح للعربي ان يقول « لا » وتؤيد موقفه وان تقف في وجه ذلك العربي الذي لا يقول سوى كلمة « نعم » دائما آمال كبار معلقة على هذه الهيئة لان ما تقوم به من اجل الكويت تقوم به من اجل العرب قاطبة .

سيكون بالمستطاع في الايام القادمة اتخاذ قرارات عديدة بشأن تنسيق قوة زحم التطور الكبيرة في الكويت نحو قمة الكمال والجمال . وينبغي ان تنظم مختلف السواعد في الدولة كي تعمل متحدة لتحقيق الاهداف والاغراض والمرامي السليمة الموضوعية والعمل وفق الانظمة والشبكات والنماذج المثالية . وللحصول على اعظم الفوائد تستطيع الكويت بواسطة التخطيط ان تعمل نحو تحقيق الاشياء في انظمة وشبكات ونماذج البناء في جميع المناطق التي تنتظر التطوير بشوق . بهذه الطريقة يمكن ان تزداد سرعة البناء وتنفذ الخطة الاقتصادية ويتحقق التصميم الافضل ومستويات التنفيذ ففي عصر المنطق والانتاج بالجملة ، ليس من بديل لتطور بلد ما خير من التنظيم وتوحيد القياسات واضطراد التنسيق الروتيني والتفكير المنطقي ، وينبغي ان تنتهج الحكومة في اساليب عملها شبكة اعمال ونماذج منسقة بصورة فنية كما ينبغي ان توجه وتشجع القطاع الخاص كي يشترك مع الحكومة باتباع الاساليب للوصول الى الاهداف المرسومة باسرع وقت وبأقل كلفة وباحسن النتائج الكلية .

وهكذا ، ينبغي التركيز على انظمة وشبكات الطرق ، والبناء في المدن والارياف والصناعات الثقيلة والخفيفة ، والمساكن لجميع الفئات ، والتحريش والزراعة ، وصناعة الالبان ومستخرجاتها ، ومصائد الاسماك وغيرها بدلا من التركيز على المشاريع والمحاولات الفردية الايضاحية وينبغي ان تكون انظمة وشبكات المدارس والمستوصفات والمباني الحكومية ومواقف السيارات والطرق وخلافها هي الموضوع الذي يتخلل محاولات التخطيط والفلسفة التي يسترشد بها المخططون في كل ما يعملون .

ان الانظمة والخطط والقرارات التي على مستوى عال ، والنماذج والمقاييس الخارجية والشبكات الخ . . . ينبغي ان تصبح الشعارات والمواضيع والوسائل المسلم بها لكي تتحقق اهداف التخطيط الشامل بصورة فعالة . وينبغي دراسة كل قرار دراسة جيدة سواء كان بسيطا ام مهما وفحص تاريخ وقعه على مناظر التخطيط المتشعبة ، وينبغي اتخاذ كل قرار بعد دراسة جيدة لدى وقعه على الناس والاقتصاد والارض وعندما تتأكد الفوائد الجمة من وقع وفعالية القرار يتوجب دراسته لتحويله في الانظمة والشبكات والنماذج لمنفعة البلد والمواطن .

سيكون مستقبل الكويت باهرا ما دامت القرارات التي تتخذ في الوقت الحاضر من اجل المستقبل سليمة ومبنية على دراسة واساس علمي ، وينبغي ان تكون القرارات على اساس تحليل الوضع تحليلا علميا

شاملا . ولا ينبغي اتخاذ اى قرار خارج عن الموضوع لان نضج القرار يؤول الى اخذ كافة العوامل الدقيقة والمؤثرات التي تقع على حالة معلومة بالاعتبار المتزن . وهكذا ، فان التطور الصناعي ، والتوسع الزراعي والتمدن والتعهدات المحلية والاجنبية ولياقة ونوعية الموظفين الاساسيين المتوفرين الى آخره كل هذا ينبغي ان يدخل بصورة فعالة وبنفس الوقت وبشكل متزن فى التطور والنمو وطلب القرارات النهائية ، وذلك اذا اردنا الحصول على نتائج متزنة واقتصادية وجيدة من جميع النواحي .

وعند اتخاذ قرار ما ينبغي دراسة وسائل تنفيذه جيدا وتنظيمها بشكل حسن . وينبغي جعل الاسبقيات طبقا لخطط طويلة الامل ومدروسة بعناية . وينبغي تخصيص الاموال الضرورية وادخال التوجيه واجهزة التنفيذ ولا ينبغي ان يترك شيء للتخمين والحظ والتجربة والخطأ والارتجال . . وقد كلف هذا النوع من الاساليب الكويت ، وعددا من الدول العربية فى الماضى خسائر لا تحصى ولا تظهر معظم هذه الخسائر حلية فى الحال لعين المرء الا انها خسائر ترقد كانها مدفونة وكامنة . وفى العصر الاقتصادى القاسى الواقعى الذى سيأتى على العالم اجمع فى السنين القادمة لن يكون امام العالم العربى وحتى الكويت الا الحرص فى انماء موجوداتهم الطبيعية والمالية فى الطرق التى يتفاعل بانها ستقدم اعظم الفوائد المرغوبة .

والايام القادمة تخبىء للكويت اشياء كثيرة مذهشة ، فهناك المنطقة الصناعية او الترسانة الصناعية فى الشعبية ، والكويت منهكة بوضع احجار اساساتها ، ويمكن ان تصبح الشعبية ومنطقتها مدينة صناعية ذات اكبر الامكانيات للتوظيف وتوليد الحاجات العديدة للسكان الذين يتكاثر عددهم . وفى مدينة الكويت نفسها ستكون عشرات المشاريع فى طريق التحقيق قريبا . ومن بين هذه المشاريع ، الواجهة البحرية (الكورنيش) والمدينة الحكومية واعادة تطوير عشر مناطق او اكثر فى المنطقة المركزية التجارية ، وكذلك اعادة انشاء معظم الاماكن الباقية من الاجزاء القديمة من المدينة . وبالإضافة الى ذلك ، سيبنى اكثر من خمسة او ستة آلاف بيت خلال الست او السبع سنوات القادمة ، هذا ما عدا مجهود القطاع الخاص فى انماء وتطوير هذا البلد الديناميكي .

وعلاوة على ذلك ، فهناك المدينة الرياضية ومنطقة المعرض ومبنى البرلمان والمسرح القومى وعشرات التسهيلات العامة من جميع الانواع . وهناك المطار الدولى الجديد واميال كثيرة من الطرق الحديثة والمؤسسات الصناعية وكذلك تطوير التحريش والزراعة على نطاق كبير . وفى حين ان هذه المشاريع تنتظر العمل فمن الممكن الاستخلاص من ذلك بعمل بعض الملاحظات حول جميع التطورات والتحسينات مجتمعة .

١ - الهندسة المعمارية :

ينبغي ان تكون الكويت على حذر من التزاحم على نمط معمارى ليس له صفة ولا يتمشى مع الدوافع والمؤثرات المحلية المميزة ، وان الهندسة

المعمارية العربية القديمة بدلا من الهندسة العصرية التي لا توصف او الهندسة العالية الحديثة ، تقدم من المؤثرات التي تتكيف مع اساليب الهندسة المعمارية المعاصرة اكثر من اى اسلوب معمارى مجلوب او مستورد او مقلد .

٢ - استعمال الأرض :

ينبغي ان يحدد استعمال الارض في الكويت وضواحيها لتجنب المزج والخلط المفرط في الاستعمالات التي تغطي المنطقة دون ان يكون هناك علاقات صحيحة بينها وينبغي استعمال الارض ايضا بحكمة من غير تبديد او دون ادخال عنصر « اقتصاد الارض » في العلاقات والقرارات وحتى هذا اليوم لا نستطيع ان نقول جازمين بان الارض ، من حيث الكم والنوع ، قد استعملت باقتصاد وارتباط ، اذ اننا نعلم مدى اتساع رقعة الكويت الشاسعة بالنسبة لسكانها وهذا كثير جدا . اما في الايام القادمة ، فينبغي عمل ذلك للحفاظ على الارض وتحسين العلاقات فيما بينها عند الاستعمال .

٣ - المقياس الحضري الهندسي والتصميم المدني :

ينبغي اجراء البحث عن المقياس الحضري واجزائه للمدينة بطريقة حساسة وذلك من خلال النشاط الفني للتصميم المدني الذي لم يمارسه حتى الآن المنظار الجمالي للموظفين الفنيين الذين يعملون في الكويت او الذين يقومون بالعمل الاستشاري لها . ونتيجة لذلك وبسبب فقدان المقياس والتكوين الجمالي ، بقي الذوق الجمالي للمدينة وأشكالها مطلوبا ، ولم يتحقق ذلك الا على حساب خسائر كبيرة في الارض والمال . وفي الايام القادمة ينبغي الاعراض عن هذا النوع المدني . وادخال عنصر التعميم الحضري التكويني في الانشاءات القادمة .

٤ - تجنب التكرار الهندسي المدني :

ان استعمال الارض والفراغ بشكل افضل ، وذلك باستخدام انواع مختلفة من الابنية والنقاط المقابلة والمعادلة ، يساعد في تخفيف حدة التكرار المدني الذي لا بد ان ينشأ في المنظر الافقي حيث توجد وحدات وانواع البيوت المتكررة والمتشابهة على وجه العموم . وان استعمال الاشياء السائدة (وبرج التلفزيون المنوى بناءه يساعد بهذا الخصوص) والتأثيرات المكشوفة - المغلقة ، والبناء مقابل الاماكن الخضراء او المناطق المكشوفة وغيرها هي بعض الوسائل المقترحة لتجنب المظهر المدني المتكرر .

٥ - المناطق الطبيعية والزراعية :

ينبغي توجيه هذه الجهود الهامة بشكل يخدم الاملاءات العملية المعينة التي تتفق والفلسفة الحضرية التي يسير على هداها تقدم المدينة وينبغي ادخال ونشر الزراعة وعمل المناظر الطبيعية وغرس الاشجار علميا وبطرق تعمل على تحسين المناظر الحضرية وتشكيل التصاميم الحضرية وخدمة الاملاءات العملية على نطاقات واسعة وشاملة تتبع شبكة ومخطط .

وربما يكون تزيين الشوارع والدورات بالاشجار والشجيرات مجهودا يستحق الاهتمام الا انه ينبغي ان تكون محاولة ثانوية بالنسبة للدلائل الكلية الشاملة للتخطيط الحضري العلمي ويتوجب التفكير بما يعبر عنه تحريرش الاحزمة الخضراء ووقاية الخضرة والموازيك الاخضر في الاجزاء والاماكن المدروسة بالاشتراك مع المشروع الحضري الشامل للاشياء والعوامل .

٦ - النهوض بالمستويات الكثيرة الفنية للدراسة :

ينبغي رفع مستوى ونوعية واهمية الهندسة المعمارية والتخطيط والهندسة وكذلك الدراسات الاقتصادية كي تتعادل مع الدعامات الاجتماعية وفلسفة ومنجزات الدولة . وحتى تاريخه لم تحظ هذه القطاعات الهامة لتكوين المدينة الا باهتمام جزئي وذلك نظرا للسرعة في عمل الاشياء . وفي الهندسة المعمارية وتنظيم المدن انحرفت الاتجاهات بعيدا عن الجذور والتراث العربي وذلك بالاعتماد على الانتحال من هنا وهناك بينما ترقد في نفس هذه الصحراء جذور واساسات الهندسة المعمارية والحضارية المعاصرة البسيطة . لذلك ينبغي تصحيح هذه الحقيقة بوعي وذكاء وسرعة لكي نجنب الكويت من ان تصبح متحفا للنماذج المعمارية « الموديرنية » في الوقت الذي ربما يعتبر ان في الكويت ، كما في معظم الدول العربية الشقيقة ، اساسات منطقية وجميلة لتطوير الهندسة المعمارية المعاصرة السليمة .

٧ - وضع مخطط تنظيمي شامل « للكويت الكبرى » يضم المنطقة الواقعة ما بين الجهراء والحدود الجنوبية للدولة والساحل ، ويشمل هذا المخطط الرئيسي دراسة وافية لاستعمالات الاراضى المختلفة بطريقة علمية . ويجب ان يعاد النظر ضمن هذا المخطط الرئيسي لجميع التنظيمات القديمة التي لا تعد اليوم وافية او سليمة من الناحية الهندسية والتنظيمية والجمالية والعملية .

انه لما يشجع ان نعرف بان المرحلة القادمة قد رتبت الان لجميع هذه الاقتراحات وغيرها كي تنقل الى حيز الوجود . وفي التحليل النهائي ، اذا كان بامكان وبقدرة الكويت ان تصنع ما صنعتها حتى الان ، فلا يسع أي واحد الا ان يشعر بالقلق ما لم يدخل في كل نواحي ومظاهر التطوير والابداع والاقتصاد والجمال والمنطق والملاءمة والاقتدار مع افضل الطرق العلمية الفنية الشاملة .

بقليل من الجهد والعناية باعظم كمال في كل مجال يصبح بالمستطاع في الكويت تجديد المجد العربي وتمهيد الطريق نحو نهضة عربية في كل الميادين . وقد تمت المرحلة الاولى بنجاح . والمدينة هي عبارة عن الجهود الاجتماعية التي يبذلها السكان معبرين عنها تعبيرا وافيا . فلتكن هذه افضل واجمل وارفع التعبيرات المادية والروحية جملة وتفصيلا .

وبالنهاية نكرر القول بان فرصة الكويت في المرحلة المقبلة هي فرصة فريدة مثل الفرصة في المرحلة الاولى . ولكي تكون المرحلة المقبلة ذات معنى تاريخي استوجب تجنيد جميع العناصر ذات الكفاءات المخلصة العالية للانكباب على وضع المخططات والتصميمات اللازمة ضمن اطار الفلسفة الشاملة وهي النهوض بهذا البلد الى اعلى مستوى في العالم من النواحي الحضارية والثقافية والجمالية والروحية . وكل هذا ممكن . واكثر من هذا يتوجب ان تعد العدة للحصول على هذه الاهداف النبيلة . فما تصنعه وتعمله الكويت هو ليس فخرا لها فحسب بل لجميع العرب .



٤١ - اداة التخطيط الجديدة في الكويت

التخطيط العلمي الصحيح هو الاساس الذي تبنى عليه النتائج المرضية . وفي ايماننا هذه ، ومشاكل المجتمع تزداد تعقدا يوما بعد يوم ، وضغط السكان بازدياد متواصل مستمر ، يظهر التخطيط السليم والحكيم كالطريق الوحيد لحل المشاكل المعقدة . فهذا جيل العلم والتقدمية ، والتخطيط الشامل المتزن هو الطريق للوصول الى الاهداف المطلوبة .

والتخطيط الشامل هو ، في يومنا هذا ، علم متشعب يضم جميع العلوم والحقول ويرتكز على ما اكتسبه الانسان من معلومات عملية وعلمية عن البشرية والكون . فالتخطيط يتطلب المعلومات الدقيقة ويتطلب القواعد التطورية في حقول العلوم المختلفة واهمها علم وفن الاجتماع وعلم وفن الاقتصاد وعلم وفن الهندسة وعلم وفن الادارة وعلم وفن الطبيعيات وعلم وفن استعمال وتطبيق هذه الحقول بالطرق الحكيمة العلمية المتناسقة والمناسبة والمتزنة .

وعندما نظمت الوزارة الحالية الجديدة في الكويت ، روعيت اداة التخطيط مراعاة حسنة ، كما يمكن للمرء ان يستنتج من المرسوم الخاص بانشاء مجلس التخطيط والذي يبين مدى اعتماد الاهمية للتخطيط من قبل المسؤولين بكيفية ربط اداة التخطيط ربطا وثيقا بأجهزة الدولة الرسمية وبالقطاع الخاص .

وفيما يلي نص المرسوم رقم ٥٦ لسنة ١٩٦٢ بانشاء مجلس التخطيط والمنقول حرفيا عن الجريدة الرسمية « الكويت اليوم » - العدد ٣٩٠ - السنة الثامنة :

امير دولة الكويت

نحن عبد الله السالم الصباح

بناء على عرض وزير المالية والاقتصاد

وبعد موافقة مجلس الوزراء .

رسمنا بالآتي

مادة ١

ينشأ في الكويت هيئة مستقلة للتخطيط والتنمية تسمى « مجلس التخطيط » ويلحق بمجلس الوزراء .

مادة ٢

ان اغراض مجلس التخطيط هي رسم السياسة الاقتصادية

والاجتماعية العامة وتقرير برامج التنمية والاشراف على تنفيذها .

مادة ٣

تكون واجبات هذا المجلس القيام بالامور التالية :

١ - تحديد الاهداف الطويلة المدى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ورفعها الى مجلس الوزراء للبت فيها .

٢ - جمع المعلومات الاحصائية المتعلقة بمختلف اوجه النشاط الاقتصادى والاجتماعي واعدادها وتحليلها وتنسيق الاعمال الاحصائية بين مختلف اجهزة الدولة والمؤسسات العامة

٣ - الطلب الى الوزارات والهيئات العامة وهيئات القطاع الخاص تقديم اية بيانات او دراسات او تقارير او اقتراحات تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٤ - وضع دراسات دورية ومفصلة عن الوضع الاقتصادى والاجتماعي .

٥ - الطلب الى الوزارات المختلفة تشكيل «لجان تخطيط» فى كل وزارة مهمتها تحضير مخطط للمشاريع الانمائية التى تنوى كل وزارة القيام بها فى السنوات الخمس القادمة وتنسيق هذه المشاريع ضمن كل وزارة ، ومن ثم رفعها الى مجلس التخطيط .

٦ - تنسيق المشاريع التى تتقدم بها جميع الوزارات ، على ضوء السياسة الاقتصادية والاجتماعية العامة واستنادا الى دراساته الخاصة للوضع الاقتصادى والاجتماعي العام ، ومن ثم وضع مخطط عام غايته تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ورسم برامج قابلة للتنفيذ خلال فترات متعاقبة تكون فترة كل منها مدة زمنية قدرها خمس سنوات .

٧ - اعداد ميزانية الخمس سنوات مع بيان النفقة الاجتماعية فى شتى القطاعات ولجميع الوزارات كل بحسب اختصاصاتها بالنسبة لجميع نفقات الدولة على مشروعات التنمية والانشاءات المستحدثة الاخرى .

٨ - وضع منهاج مفصل بالمشروعات التى تثبت ضرورة القيام بها فى جميع القطاعات ، ويقوم المجلس باعداد الدراسات الفنية لها اما مباشرة بواسطة الاجهزة الفنية المتوفرة لديه او بواسطة خبراء استشاريين او ان يعهد بذلك للوزارات المختصة . وبراى فى وضع المنهاج مبدأ الافضلية وتقديم الاهم على المهم وفق القواعد والاصول التى يقرها المجلس .

٩ - تحضير الميزانيات السنوية فى برامج السنوات الخمس وتوزيعها على الوزارات المختلفة لتقوم هذه الوزارات بتنفيذها ، كل وزارة ضمن اختصاصاتها .

١٠ - القيام بالرقابة والاشراف على تنفيذ المشروعات التى يتقرر القيام بها .

١١ - متابعة تطور المراحل التنفيذية وتقديم تقرير سنوى مفصل عما تم انجازه من المشاريع الى مجلس الوزراء مع بيان مدى النجاح الذى حققته المشاريع او مدى ما اعترض طريقها من عقبات مع بيان التوصيات لتذليلها .

١٢ - الاطلاع على الميزانية السنوية العامة للدولة وعلى تقرير وزارة المالية والاقتصاد بشأنها .

١٣ - توجيه الفعاليات الاقتصادية والاجتماعية فى القطاع الخاص وتنسيقها مع السياسة الاقتصادية والاجتماعية العامة واقتراح الخطوات التى يجب اتخاذها لتحقيق هذا الغرض .

١٤ - تقرير مدى مساهمة القطاع العام مع القطاع الخاص فى المشاريع المشتركة والقيام بالرقابة والاشراف على تنفيذها .

١٥ - تقديم توصيات لمجلس الوزراء لاصدار اي قانون او نظام او لاتخاذ اية اجراءات قد يراها المجلس ضرورية او نافعة لتحقيق اهدافه او لزيادة فعالية التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

مادة ٤

يتقدم مجلس التخطيط بمشروع برنامج السنوات الخمس مع الميزانية الاجمالية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الخماسية الى مجلس الوزراء لدراستها واقرارها واصدار قانون بشأنها حسب الاصول حيث تصبح نهائية وعند ذلك يكون مجلس التخطيط هو المختص بالاشراف على قيام الوزارات المختصة بتنفيذ البرنامج .

مادة ٥

يتألف مجلس التخطيط على الوجه الاتي :

رئيسا

رئيس مجلس الوزراء

وزير المالية والاقتصاد

وزير الاشغال العامة

وزير التربية والتعليم

وزير الشؤون الاجتماعية والعمل

اعضاء

ثلاثة اعضاء من القطاع الخاص يعينون بمرسوم لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد ويحدد المرسوم مكافآتهم . *

مادة ٦

يقوم مجلس التخطيط بوضع لائحته الداخلية التى تحدد طريقة أعماله .

مادة ٧

يكون لمجلس التخطيط مدير عام تنفيذى يعين بمرسوم بناء على ترشيح مجلس التخطيط ويراعى فى تعيينه أن يكون جامعيا وأن تكون له خبرة كافية تمكنه من القيام بأعباء مسؤولياته . ويرأس المدير العام التنفيذى جهاز التخطيط ويشرف على أعماله ويكون مسئولا عنه تجاه مجلس التخطيط .

مادة ٨

يشكل رئيس مجلس التخطيط جهازا فنيا وإداريا يسمى « جهاز التخطيط » مهمته معاونة المجلس على القيام بأغراضه وواجباته .

مادة ٩

تخصص نسبة مئوية سنويا من واردات الدولة الاجمالية لبرنامج السنوات الخمس بناء على اقتراح مجلس التخطيط وتشكل بابا مستقلا فى الميزانية العامة للدولة .

مادة ١٠

على مجلس الوزراء كل فيما يخصه تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية .

امير دولة الكويت

عبد الله السالم الصباح

صدر فى ١٤ ربيع الاول ١٣٨٢
الموافق ١٤ اغسطس ١٩٦٢

★ ★ ★

ان اهداف هذا المرسوم واضحة . وواجبات مجلس التخطيط واضحة ايضا . ومما يلفت النظر هو التركيز على النواحي الاجتماعية والاقتصادية وعلى ضرورة تنسيق مشاريع الدولة العديدة والمختلفة . ومواد هذا المرسوم واضحة وكل مادة تنير الطريق - طريق التخطيط - لمستقبل الكويت . بهذا المرسوم تكون الكويت قد دخلت رسميا عالم التخطيط باشمل معاني التخطيط .

* ان عدد الاعضاء الذين يمثلون القطاع الخاص قد رفع من ثلاثة الى اربعة اعضاء بناء على ملحق لهذا المرسوم . وعدد الاعضاء الذين يمثلون القطاع الحكومى قد رفع من اربعة الى ستة اعضاء باستثناء رئيس مجلس التخطيط وهذان العضوان هما وزير التجارة ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء (المؤلف) .

الجزء الرابع
أبحاث مختلفة

٤٢ - نحو التخطيط العلمي الشامل للاردن

(١) مقدمة

لكي يكون الانسان بالاردن - ذلك البلد العربي العجيب الذي يقع في قلب العالم العربي - فانه يكون في قلب الماضي والحاضر والمستقبل . لا يوجد بلد في مثل حجم الاردن ويحتوى على الثراء والمنوعات ، في كل مجال عملي محسوس ، مثل ما يحتويه الاردن . بل ان مستقبل الاردن يعج بامكانيات كامنة من السهل تصورها اذا ما وصلنا اليها عن طريق التصوير الايجابي والرمي الى البعيد .

الاردن ... ذلك البلد الذي يأتي اليه الناس من كل فج بعيد والذي يوجد مواطنون منه في كل رقعة من بلاد العالم العربي ، ان لم يكن العالم بأسره ... يعمل هؤلاء المواطنون المتعلمون بكل جد وطموح في تشييد صرح الحياة الاجتماعية والاقتصادية العربية التي ابتدأت تأخذ شكلها ومجراها الطبيعي المعهود .

الاردن ... ذلك البلد الذي تخصص وبرع ونبغ في اجتذاب الناس من كل صقع في العالم ، كي ينهلوا البحث فيه ، ويعبدوا في معابده ، ويزوروا مقدساته الدينية الفريدة ، ويبحثوا ويستكشفوا آثاره الخ ... الاردن ... ذلك المكان الذي يلتقي فيه الشرق مع الغرب ... والحضريون مع البدو ... وساكني المدن مع أهل الريف ...

على الاردن بتذكر النظر في الشؤون الدولية والعربية والمحلية ... هنا توجد أرض الغموض والأسرار ... أرض الفردوس والصحراء ... المخضرة منها والمجدبة ... الثمينة منها والبخسة . هنا توجد أرض الحركة والركود ... أرض الانفجار والبرود ... منبع الصبر في كل العصور ... وموطن القلق وعدم الاستقرار اليوم ... واستقرار التاريخ ...

هنا أرض ظمأى تنتظر الارتواء من التخطيط والتعمير ... وتلهف الارتشاف من التطوير ... هنا أرض جوعى تترقب السير مع القرن العشرين بكل لهف شديد ... وتستنشق الصعداء لكل تجديد ... تناضل وتكافح وتحارب بقوة وبأس لتحتل مكانا مرموقا تحت الشمس ... هنا الأرض التي يمكن ، عن طريق التخطيط الصحيح والعلم السليم ، ان تصبح حيوية للعاملين ومطمعا للراغبين ... هنا الأرض التي تجمع فوقها ثلاثة من أديان العالم السماوية ... وتقع في ملتقى جميع التيارات المذهبية العصرية ... انها تنتفض كالعماق ، لترفع نفسها ...

انها تصلح وتتطور وتندفع الى الامام ... هنا الارض التي آلت على نفسها حل المشاكل الكثيرة والمتاعب العديدة والعقد العويصة ... ومثلها قليل من البلدان التي تشكو من مشاكلها وتئن من متاعبها وعقدها ... ومع ذلك ، فالاردن تحارب لتحل مشاكلها ومتاعبها وعقدها التي تعد كثيرة بالنسبة لحجمها وظروفها وامكانياتها ... انها تحاربها كلها على صعيد واحد ، سواء اكانت مشاكل اجتماعية او متاعب اقتصادية او عقد استراتيجية - عربية كانت او دولية ... وعلى هذا فهي بلد تستحق ان ينعم النظر فيها لوضعها الشاذ وموقفها الفذ وتاريخها العريق .

(ب) الاردن الجميل والمتشعب الزايا

لقد منحت الطبيعة الاردن كل ضروب المناخ ... فمن مناخ صيفي جميل بالقدس ... الى مناخ شتوي معتدل بأريحا ... الى مناخ جاف بالبقاع الصحراوية ... كما ان الطبيعة وهبتها ايضا شتى المفارقات الجغرافية والفرايب الجيولوجية والتناقضات الطبوغرافية ... ناهيك عن وجود اوطأ رقعة على سطح الارض فيها ... وأملح بحر في العالم فيها ... فضلا على اقدس أماكن الدنيا عليها ... هذه هي الاردن ... تلك البلد الجميل ... والتي تعتبر بحق اعجوبة جغرافية وموسوعة تاريخية وجامعة أدبية ومجموعة دينية ، بالاضافة الى كونها محط انظار العالم كبؤرة سياسية تحير العالم وتجذب به بطريقة غريبة .

سواء اكانت الكرك او بيت جالا ... مادبا او رام الله ... نابلس او الزرقاء ... او قرى الاردن على الضفة الشرقية أم الغربية ... فانها جميعا تحتل موقعا جميلا جليلا مهيبا بهيجا ... ذات مظهر فريد وتركيب ليس له مثيل ... كل منها متميز بصفاته ... متغير في أطباعه ... مختلف في لباسه ... ومع ذلك فهناك بنوة واضحة تؤالفهم سواء وتربطهم جمعاء وهناك تاريخ جمعهم تحت سماء على مر الازمان والاجيال ... وفي خلال هذا كله ، من فراغات ومسافات ، فان الزمن كان له القدم المعلى في تحكمه وتسطله . فترك آثارا مطبوعة ومنحوتة على التلال والجبال والسهول والوديان .

تعتبر المدن الكبرى والبلدان والقرى والنجوع في الاردن كعوالم مستقلة في حد ذاتها من حيث الزمان والمكان . ويمثل كل واحد منها الشامخ والمتواضع على حد سواء عالما ذات شكل معماري حضاري وتركيب انشائي فريد وبناء وظيفي مندمج وشكل لطيف ومظهر جميل .

لقد ساهم العرب في الموسوعة الحضارية ذات الاستقرار العربي المتميز سواء اكان ذلك على قمم التلال او رؤوس الجبال او على منحدراتها وسفوحها او على منبسط الارض والسهول والوديان . كمثل في الاردن مدينتا القدس وعمان وكلاهما مدينتان تاريخيتان وتحتلان جزءا من أعظم الاراضي شكلا وجمالا وطبيعة .

لقد تعرض الطيف الحضري والريفي الاردني لضغوط ودوافع آلية القرن العشرين ، كما شهد ايضا عوامل تحرك السكان ، وهو الآن على عتبة تدفقات قوية عندما يزداد عدد السكان ويصبحون متعلمين في نظم معيشتهم وطرق أعمالهم ومختلف ألعابهم ، طالبين ما يحق لهم من حقوق انسانية مقدسة .

تعتبر المعيشة والعمل واللعب من الوظائف الاساسية لأي مجتمع يتولى دفع عجلة تطوره . ان ترجمة ونقل هذه الوظائف الى معانيها على الطبيعة من ارض وطوب وفضاء وجدران وفتحات ، يعمل على تحديد الشكل الطبيعي للبلد . وان كيفية وصول الاردن لهذه العوامل الاساسية من تهيئة ظروف العيش وسبل العمل وأمكنة اللعب وكيفية تخصيصها للارض وتوزيعها وكيفية استعمالاتها لهذه الوظائف التي ترتبط ببعضها للارض وتوزيعها وتنظيمها وكيفية استعمالاتها لهذه الوظائف التي يرتبط بها البعض ارتباطا وثيقا ، سوف يحدد كيفية الحياة والعمل واللعب للمواطن الاردني . وعلى هذا ، سوف يتوقف تطور المعيشة والعمل واللعب من جودة وريج وصحة ونجاح بالنسبة للمواطن الاردني في السنين المقبلة . وأخيرا ، سوف يتوقف مستقبل الاردن الشامل على كيفية التحكم العلمي الصحيح للموارد والعمل الرزين بواسطة التخطيط العلمي الشامل .

(ج) التغير في الاردن

لقد غيرت حوادث سنة ١٩٤٨ المعروفة وضع السكان السياسي والجغرافي والاجتماعي بصفة جذرية كلية . فبين عشية وضحاها ، وجدت الاردن نفسها بلدا يحتوى على كل ما بقى من فلسطين بأيدي العرب بالضفة الغربية من نهر الاردن مضافا الى مساحتها الاصلية ، بعد ان كانت بلدا ذات اقتصاد محدود وتعدادها ضئيل على الضفة الشرقية من نهر الاردن ، مما جعلها تشعر بوقع وطأة ازدياد السكان فجأة ثلاثة اضعاف ما كانت عليه . وفي بحر ١٤ عاما ، نمت وترعرعت عمان من بلدة صغيرة حتى اصبحت عاصمة عربية كبيرة . واذا اخذنا بعين الاعتبار كثيرا من العوامل الموروثة في الوضع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، فان سكان كل من الضفة الشرقية والضفة الغربية لنهر الاردن قد تجاوزوا معا وقاموا ببناء اقليم موحد بوسائل محدودة . ثم تعاونوا في تجهيز ما قد يعد أساسا لبناء مستقبل مزدهر وزاهر في هذه البقعة من العالم العربي . ان هذا يعد معجزة تستحق الذكر بالنسبة لبلد عربي صغير مكبل في اغلال عشرات المشاكل . وبالإضافة الى ذلك ، فان نسبة التعليم في الاردن تعتبر عالية بالنسبة لبقية الدول العربية . ناهيك عن وجود اصحاب حرف وارباب مهن من الدرجة العالية . وكذلك تغفل الوعي الاقتصادي والصناعي ، بالإضافة الى وجود رغبة في الإصلاح ، التي ازدادت فأصبحت تقريبا شهوة . وزيادة على ذلك ، فاقامة ميناء في الجنوب على خليج العقبة وتشبيد مصنع للبيرة ومعمل لتكرير البترول ومصنع للفوسفات بالإضافة الى مد شبكة كبيرة من الطرق الصالحة وأخيرا

محاولات لاحتضان السياحة والترويج لها تستحق الانتباه . ان هذا كله ، مع وجود جيش قوى ، يعتبر عملا كبيرا لبلد ليس به من موارد ولا امكانيات اقتصادية كما في البلاد العربية الاخرى .

تعتبر هذه المآثر حقا مشجعة اذا ما قسناها بالنسبة لوضع الاردن المحدود . اما من الوجهة الاقتصادية ، فان كيان الاردن يعتبر كيانا اقليميا حيويا . ولكونه حيويا فانه يعتبر لائقا وممتازا للتخطيط كوسيلة لاستكمال المنافع التي يمكن الحصول عليها عن طريق اقل الموارد ... ان هذا يمكن عمله ... وأكثر من هذا ، يجب ان يبدأ في عمله فورا ، حيث ان كل الدلائل العلمية والدوافع الاقتصادية والعوامل الاقليمية تشير الى تخطيط علمي شامل ، لا لكونه موافقا في الوقت الحالي فقط ، ولكن لكونه أسلم ضمان لاستمرار حيوية المستقبل للاردن - ولاي دولة تشابه الاردن اقتصاديا .

ان الصدمة التي نتجت عن كارثة ١٩٤٨ ، والتغير الذي حدث بالاردن سياسيا واجتماعيا وجغرافيا واقتصاديا وسكانيا وتكنولوجيا وقرطانيا ، وربما يساوى فقط في درجة سرعته للتغير والتطوير الذي حدث بالكويت مع فارق الامتيازات الاقتصادية التي انعمها الله على الكويت .

ولامة قد تأثرت بالتغير ، وتقاوم بجدارة عوامل التغير القاسية ، فانه مما يستوجب الاهتمام أن تفحص قابلية تخطيطها لتقرير سياسة تخطيطية شاملة .. ان مما يستوجب الاهتمام سرد مزايا التخطيط على عدم التخطيط في مقارنة بين الاستفادة من استعمال الامكانيات والموارد وبين اساءة استعمالها .

فبالتخطيط يحاول الانسان - بطريقة واعية - التحكم في موارد بلد ذات اقتصاد جغرافي خاص كي يحصل من وراء ذلك على أقصى الفوائد للشعب . ان هذا يعتبر تعريفا وافيا - بالرغم من بساطته - خصوصا لعملية وهدف معقدتين جدا : التخطيط العلمي الشامل .

(د) مزايا التخطيط للاردن

ان موارد العرب الكبرى من رجال وموارد ومال اذا ما ضمت بشملها وجمعت ببعضها ثم استخلصت علميا عن طريق التخطيط الواعي فانها يمكن أن تجلب النعم بدلا من النقم لهذا الجزء من العالم . ان ما ينطبق على التنظيم الكبير ينطبق بنفس القوة على التنظيم الدقيق . والى أن يحين الوقت على الاقل عندما يكون التخطيط المنظم الكبير ممكنا في العالم العربي فان الاردن سوف تستفيد قطعاً من التخطيط العلمي الشامل ، حيث ان العناصر اللازمة للتخطيط - أو على الاقل بعضها - موجودة وفي انتظار ضربة معلم ليضعها جميعا للعمل .

تعتبر الاردن بلدا ناضجا لعمليات التخطيط الشامل التي يمكن بواسطتها أن تتحول الى بلد حيوى في قلب العالم العربي . ان الانسان

يشعر بتحمس كبير وايمان عميق بأنه يمكن الاستفادة من الامكانيات الكامنة لاستثمارها واستغلالها في الاردن .

وعن طريق التخطيط الشامل للاردن فان كل الدوافع الضرورية والمرتبطة بالوضع لمنفعة الاردن يمكن أن تضم وتحسب لصالحه . حقا ان الانسان يمكنه ان يذهب حتى الى أبعد من ذلك ليقرر بأن التخطيط العلمي الشامل ما هو الا مشروعا علميا ورياضيا للارتقاء بامكانيات الوضع الراهن الى أحسن فائدة واكبر منفعة مثمرة . ان أول ما يجب على الانسان عمله هو معرفة الوضع الحالي بطريقة « المسح العلمي الشامل » . هذا المسح ، الذي يعتمد على الاحصاء العلمي ، يمدنا بكل المعلومات اللازمة بالنسبة لرقعة الارض وحجم سكانها وتركيب جيولوجيتها ومختلف مواردها وطبيعتها ومناخها ومستوى دخلها الخ . . بعد ذلك ، يمكن بسهولة تحويل هذه المعلومات الى مخططات ورسومات بيانية على خرائط ومخططات ، كي تكون في متناول اليد وتحت الطلب ويمكن الاعتماد عليها بثقة كمرجع لجميع الاختصاصيين أثناء عملهم كلما تطالب الأمر .

يجب على الاردن أن يسير نحو الرقي والتقدم لا بخطوات عادية فحسب ، بل بفقرات جريئة ، متخطيا بذلك التخطيط البدائي والفطري البعيدين الى التخطيط الكلي الشامل ذي المحيط والمجال القومي الجامع ، الذي تنسق فيه المدينة وتندمج ضمن التخطيط الاقليمي والاقتصادي والقومي بنفس الاهمية التي تحظها جميع النواحي الحيوية الاخرى كالزراعة والصناعة وتطور الموارد وتحرك السكان واستعمالات الارض الخ . . . ان التخطيط ما هو الا عمل توازن وتوحيد بين الاجزاء وبعضها ، وتفضيل الكل على الجزء من أجل الوحدة الشاملة .

ان بؤادر الخطة الرئيسية القومية المبنية على أساس علمي شامل من مسح وتحليل كخطوة تمهيدية للبحث تعتبر في الوقت الحاضر ، جاهزة في الاردن . وعلى هذا يعتبر الوقت مناسبا لعمل جذري وفوري لانتهاء فرصة التخطيط . فكل مدينة في الاردن تحتاج الى تخطيط . . . مناطقها الريفية تحتاج الى تخطيط . . . مواردها الطبيعية تحتاج للبحث عنها والتنقيب . . . ولهذا تعتبر الاردن كلها على عتبة عهد زراعي وصناعي جديد . . . وهذا يحتاج الى خبرة ودراية في جميع المجالات . . . فبدلا من أن تشغل الاردن نفسها من يوم لآخر في تخطيط منفصل أو عمل متقطع ، فان عليها أن تقرر تجهيز خطة تعمير وتطوير رئيسية ، مبنية على أساس من التخطيط الكلي الشامل الذي يعمل تبعا للنظم والاجراءات التقدمية والعلمية ، والتي يجب أن تتمشى مع كل الاوضاع والظروف العمرانية والاجتماعية والجغرافية المختلفة كي تنتج مشروعا شاملا كاملا ذات منهاج منظم ينفذ على مدى عشرين سنة . وكل ما عدا ذلك فيعتبر ترددا وضربا من ضروب التجربة والارتجال ، الذي لا ينفع الاردن أو أي بلد عربي آخر . فيجب اتخاذ الخطوة ، ان عاجلا أو آجلا في هذه الناحية

حيث أن التخطيط أمر لا مفر منه وإن أى تأخير له سوف يعقد الامور ويؤجل التطور السليم ويسبب خسارات بعضها ظاهر وبعضها خفي للبلد الذى هو فى أشد الحاجة للاحتفاظ بمواردها وطاقاته الاقتصادية .

تختلف الاردن عن بلاد عربية أخرى مثل الكويت التي تتميز بما لديها من دخل وافر ، ولبنان التي تمتاز بدخلها المتنوع . أما الاردن ، فيجب عليه فى الوقت الحاضر (وإلى أن يحين الوقت لاستغلال موارده المكنوزة والغير مستثمرة) ان يحسن تدبير امكانياته بالنسبة لسكانه بكل وسيلة من الوسائل العلمية الدقيقة ، وكل طريقة من الطرق التطويرية المفيدة كي تدر على البلد فوائد وارباحا أكيدة وسريعة . ان هذا كله يمكن أن يحدث فقط عن طريق هيئة تخطيط علمية من الدرجة الاولى ، وهي وحدها يمكن ، بالتالي ، تقديم تخطيط بعيد النظر وذو قوة دافعة وطاقاة تقدمية وفاعلية جذرية فى جميع المجالات . ولا يمكن أن يحصل هذا العمل بتحميل مسؤوليته لآى جهاز من الاجهزة الحكومية الروتينية الموجودة ، كما هو معمول به حاليا ، إنما يجب أن يسند هذا العمل الخطير لوزارة جديدة أو من الافضل لمصلحة خاصة تسمى « مصلحة التخطيط » ذات ميزانية مستقلة وتتبع رئيس مجلس الوزراء مباشرة .

ان البلاد العربية يمكن تصنيفها اجمالا الى نوع ما « يملك » ونوع مالا « يملك » . والاردن ، فى الوقت الحاضر ، يتبع نوع ما « لا يملك » بمعنى اللفظ الاقتصادى المحض . ومع ذلك ، فقد أتى الاردن بعمل حميد فى حدود موارده الاقتصادية الشحيحة . ان هذه الحقيقة فقط تنبئ بمستقبل ناجح اذا ما استفيد من التخطيط العلمى الشامل باسرع وقت ممكن . يمكن اعتبار برنامج السنوات الخمس الاولى الذى أذيع فى شهر نوفمبر سنة ١٩٦١ برنامجا جيدا لفترة انتقال لتنظيم وتطوير الدولة حتى يحين الوقت بعد الانتهاء من دراسة التخطيط الشامل الكبير وتحشد له كل الجهود اللازمة لأدائه . ان الانسان ليرجو ويأمل ، ، صادقا ومتحمسا ، الاسراع فى تنفيذ التطورات (الظاهرة منها والخفية) التي وضعت ضمن برنامج السنوات الخمس ، وكذلك الانتهاء منها عام ١٩٦٥ بدلا من ١٩٦٧ وهو الوقت الذى يجب أن تكون فيه « مصلحة التخطيط » قد قامت بالمسح الشامل المناسب والدراسات اللازمة والابحاث المطلوبة وعمل المخططات والتصاميم الضرورية .

وبالإضافة الى تطبيق فترة الثلاث سنوات بدلا من الخمس لبرنامج التعمير ، الا أن محتويات ومدى وأهداف التعمير التي يرسمها التخطيط القومى للمخطط الرئيسى الشامل ، يجب أن تزداد عمقا وعرضا . وأخيرا ، نذكر قائمة لبعض الممكن مراعاتها ضمن خطة علمية شاملة .

(هـ) مقترحات للتخطيط

١ - يجب العمل على الاستفادة ، بأقصى ما يمكن ، من امكانيات موارد السياحة وذلك باصلاح وصيانة جميع الاماكن الاثرية ومبانيها وكذلك بقايا كل ما له قيمة اثرية وتاريخية ودينية ومعمارية .

٢ - يجب العمل على استغلال الموارد المستخرجة من البحر الميت كصناعة الفوسفات ، الايودين ، والفلورين والكلورين وذلك بأقصى ما يمكن .

٣ - يجب العمل على تنمية موارد السمك واستغلالها في خليج العقبة ، وبناء صناعة حديثة لتجميد وتعليب الاسماك لسد احتياجات الاستهلاك المحلي وكذلك لتصدير الفائض .

٤ - يجب الاسراع بتخطيط وتعمير مدينة العقبة بدون أى تأخير وذلك بتشجيع الاقامة والاستقرار فيها ، وكذلك استثمار رأس المال في شتى نواحي تطورها ، حتى تصبح هذه المدينة الاردنية الفريدة حقا ميناء ومدينة صناعية ومشتى . ان تخطيط وتعمير الحكومة لمدينة العقبة يعتبر عملا حميدا .

يجب البدء بعمل برنامج لزراعة الغابات بحيث يكون على مدى ومجال أوسع مما هو مرسوم حاليا في خطة تنمية السنوات الخمس . وكذلك ، يجب بذل مجهود كبير في غرس اشجار الغابات بطريقة علمية ، مع النظر بعين الاعتبار من الاستفادة من نباتات وحيوانات الاقليم وتربة وحيوية الارض وأخيرا يجب العمل على تطبيق الخطة الرئيسية من تهذيب وتطوير البقاع الحضرية والريفية والجبلية والصحراوية .

٦ - يجب تطوير مراكز الاصطياف في جميع ارجاء الاردن : المنتجعات الشتوية في الغور والمنتجعات الصيفية في الجبال والتي يجب جعلها نموذجيا مثاليا للمجتمع ، بحيث تجذب الناس اليها من كل انحاء العالم العربي وباقي بلاد العالم . ويجب أن تهيأ ، بكل الوسائل الرياضية اللازمة ومستلزمات التسلية وضروب الترفية ومقتضيات الثقافة على نمط مشروع صمم لقرية « صلنفة » في سوريا .

٧ - يجب التركيز على أوجه التطور للزراعة وذلك بزيادة المحصول الزراعي في البلاد عدة اضعاف ، وكذلك انشاء محطة تجارب وأبحاث زراعية علمية ذات عدة فروع أو ملحقات لها في جميع انحاء البلاد ، على ان يديرها اخصائيون كبار وباحثون من العلماء في مجالات الزراعة والزهور وفلاحة البساتين وصناعة منتجات الالبان وما شابه ذلك .

٨ - يجب تصنيف جميع استعمالات الارض على اساس كلي وشامل للبلاد ، لأن هذا يعتبر أمرا حيويا وضروريا للاردن ، خصوصا وأن للارض الصالحة حاجة مرغوبا فيها . وكذلك يجب أن يكون التصنيف على نحو وتيرة متجانسة ومراتب متناسقة ... مثل الاراضي الزراعية والصناعية ... الريفية والحضرية ... الترفيهية والتي تحفظ لأغراض شعبية وتاريخية وأثرية ... ما يحتمل أن تكون تاريخية وأثرية ايضا .

٩ - يجب رسم شبكة طرق قومية تربط جميع المراكز الكبرى مع بعضها البعض ، وكذلك تربط القرى بالطرق الرئيسية والطرق المؤدية للدول العربية المجاورة .

١٠ - يجب كهربة جميع المناطق الريفية في بحر السنوات الخمس القادمة ، وكذلك مد شبكة توزيع مياه للشرب لجميع القرى والبقاع الريفية .

١١ - يجب تحضير خرائط مساحية لمساقط المياه ومناجم المعادن وأمكنة الآثار بطريقة علمية موحدة وشاملة لجميع البلاد ، ويجب المحافظة عليها الى أن يحين الوقت لاكتشاف منابع المياه ... ومواقع المعادن ... وأمكنة الآثار المهمة ... ثم السير في مجراها بالنسبة لاستعمالاتها المثمرة . يجب استكشاف كل المواد الخام ، وكذلك اظهار كل الكنوز المدفونة والتي لم تكتشف حتى الآن بواسطة الطرق الفنية الحديثة .

١٢ - يجب انماء واستثمار أشجار الزيتون لدرجة مشابهة لما هو حاصل على قياس ومستوى كبير في اسبانيا ، وكذلك الاستفادة من زيت الزيتون وكل منتجاته الى أقصى حد ممكن .

١٣ - يجب تطوير صناعة البناء وترويج منتجاتها ، وذلك بتخفيض تكاليفها وجعلها مسوغة ومعقولة . وكذلك يجب تغيير طرقها البدائية المتبعة حاليا بطرق عصرية حديثة . ثم يجب اعطاء الاولوية لتصنيع مواد البناء على اساس صنع الاجزاء الجاهزة داخل المصانع وتجهيئتها للانتاج بالجملة ، كي يمكن اقامة عدد كبير من المساكن لذوى الدخل المحدود . وأخيرا ، يجب جعل صناعة الاحجار والرخام والقيشاني صناعة بسيطة التكاليف ومعقولة الثمن ، كما يجب ان تحظى بمنح مالية من الحكومة لتشجيعها .

١٤ - يجب تطوير كل أنواع الصناعة المحلية الخفية ، وكذلك الخدمات التي تستهلك وتستغل محليا ، لتجنب استيراد كل السلع الممكن تصنيعها داخل البلاد . وبذلك تحفظ الثروة الاهلية وتصنع البلد وتخلق مجال عمل للعمال المحليين .

١٥ - يجب تأسيس بنك دولة مركزي أو بنك تسليف كمؤسسة الاموال ، بفوائد أسمية ، لفرض انعاش حركة التصنيع وتطوير الزراعة وتنشيط حركة البناء بامداد القطاع الخاص بقروض مخفضة الفوائد على آجال طويلة .

١٦ - يجب تأميم العلاج الطبي والدواء ، وكذلك اقامة مستشفيات وتهيئة شبكة من الموظفين المتخصصين لادارتها .

١٧ - يجب تقرير اشتراكية الاسكان أو ، على الاقل ، جعلها تحظى بمساعدة مالية من الحكومة وكذلك مد يد العون الحكومية لمجالات الاكل والتعليم الى مستوى الجامعي .

١٨ - يجب اقرار سياسة تخطيط مدن وقرى شاملة وكذلك سياسة اسكان عامة تنفذ تنفيذا فنيا على مدى مراحل معينة .

١٩ - يجب مراقبة كل الجهود وواجه النشاط الغير مثمرة في مختلف ميادين نواحي واجهزة الدولة ، وتوجيه كل النشاط لاستثمارات ومشاريع اساسية ومفيدة ومنتجة ومربحة للبلاد .

٢٠ - يجب الترويج لاشراك القطاع العام والخاص ، وكذلك اشتراكهما سويا على مستوى اكبر ومدى اوسع في جميع اوجه النشاط الاقتصادي التي تمس الصالح العام .

٢١ - يجب تشجيع وحث جميع الفلسطينيين المعثرين حاليا في جميع ارجاء العالم للرجوع والاستقرار في وطنهم للمساهمة في التعمير والتطوير ، وذلك باحضار امكانياتهم ومواردهم ومواهبهم الكامنة والقوية من علم وخبرة . وكذلك ، يجب اغراء جميع المواطنين المهاجرين والمغتربين حاليا عن الاردن للرجوع الى وطنهم الاصلي والمكوث فيه وذلك بافتتاح ابواب العمل والرزق لهم وايجاد التسهيلات اللازمة لذلك .

٢٢ - يجب منح الارض لاصحاب المشاريع الذين يرغبون في اقامة الصناعات عليها او يشتغلون في زراعتها او يقيمون الاسكان التعاوني عليها .

٢٣ - يجب أن يكون الهدف ، خلال السنوات الخمس المقبلة ، تأسيس صناعات من شأنها الاستغناء اطلاقا عن استيراد الورق والسلع والمعلبات والزجاج والجلود والاصباغ والقماش وكل انواع الصابون والاثاث ، وكذلك السلع الاخرى التي تستهلك محليا باستمرار والتي توجد مواردها الخام اللازمة للصناعة محليا .

٢٤ - يجب المحافظة والاحتفاظ بثروة البلاد في استيراد السيارات الصغيرة والاقتصادية . بذلك يقل استهلاك البنزين والمصروفات على الصيانة وكذلك تقل تكاليف الطرق ومواقف للسيارات ، مما يوفر مصاريف طائلة تستفيد منها البلاد في وجوه استثمار اساسية .

٢٥ - يجب على العموم تجربة فترة اقتصاد وتحريم جميع المصاريف الكمالية في خلال السنوات العصيبة من سنوات التخطيط المقبلة .

٢٦ - يجب البدء في اقامة جامعة أهلية شاملة كالتى وضع فكرتها الاصلية المهندس جورج شبر في سنة ١٩٤٦ ، والتي بددت فكرة تنفيذها كارثة ١٩٤٨ ومجرى الاحداث المتعاقبة منذ ذلك الحين .

٢٧ - يجب وقف تنفيذ المخططات الرئيسية الراهنة لعمان والقدس ، واستبدالهما بمخطط اقليمي شامل لعمان والقدس ، بحيث ينسجم ، اساسيا ، مع الدوافع الاسكانية والاقتصادية والاجتماعية مع أعمال المسح والاحصاء والدراسات والابحاث الشاملة الضرورية للتخطيط .

٢٨ - يجب اعادة صياغة جميع القوانين البنائية الراهنة كي تنطبق مع المقاييس والمعايير العصرية الحديثة ، وكذلك يجب كبح الاستعمال الغير

مميز للمنازل الفردية او الفيلات وذلك بطريقة استعمال الوحدة السكنية وايجاد المنازل السكنية المزدوجة وكذلك العمارات ذات الشقق المتعددة وصفوف المنازل المتلاصقة الخ . . . كوسيلة لحفظ الارض والمنافع العامة وموارد البناء والمرافق العامة من الناحية الاقتصادية .

٢٩ - يجب ان يكون الهدف تخفيض تكاليف المعيشة الى النصف ، وكذلك مضاعفة الدخل القومي في غضون الخمس سنوات المقبلة .

٣٠ - يجب الاستقصاء واكتشاف جميع امكانيات المنح السلفية وبالاخص ذات الفوائد المنخفضة من اى جهة دولية بدون شروط او قيود .

٣١ - يجب وضع ترتيبات بين حكومات الاردن والكويت والسعودية لمد الاردن بكمية كافية من الغاز الطبيعي والذي يحرق هباء في الهواء حاليا . . . وذلك عن طريق مد انابيب خاصة للغاز الطبيعي ، كي تهيم موردنا اقتصاديا للقوة الكهربائية . وبالتالي ، يستفيد الاردن بطاقة صناعية منتجة رخيصة .

٣٢ - يجب اعادة النظر في كادر ومراتب موظفي الحكومة كوسيلة لرفع مستوى معيشتهم ، وكذلك ايجاد قاعدة او كادر لذوى المراتب العليا لاصحاب الاختصاص والتخصص العالي من العرب الذين تحتاج لهم الدولة .

٣٣ - يجب تطبيق القرارات التي اصدرها مؤتمر التخطيط الدولي الذي عقد في القاهرة في ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، وكذلك قرارات المؤتمر الاقتصادي للدول النامية الذي عقد ايضا في القاهرة في يوليو سنة ١٩٦٢ . ان قرارات هذين المؤتمرين تعطى سياسة واضحة المعالم لتطوير البلاد العربية والنهوض بها .

(و) افكار ختامية

يجب تعبئة المواهب العليا ، داخل البلاد وخارجها ، لفرض عملية التخطيط العلمية الشاملة الكبرى ، كما يجب أن لا يضيع اى مجهود لوضعها تحت تصرف « سلطة التخطيط » . حقا ان كل المساعدات الخارجية التي تستفيد منها الاردن في الوقت الحاضر التي تنصرف على هذا العمل او ذاك ، يجب ان تركز لعملية التخطيط الكلي الشامل .

لا يعتبر التخطيط عملا سهلا ، ولا هو بهواية من هوايات الفنون الجميلة ، ولا هو لاناس قد تعودوا الاعمال السهلة او قصدوا الشهرة عن أقصر طريق . ولا هؤلاء ناس يجنون مكاسب براءة بسببه . . . انما هو للرجال والنساء الذين كرسوا انفسهم للمنفعة العامة والتفاني في البحث والعلم . . . انه للناس الذين يملكون العلم والخبرة ومحبة المجتمع . فان الرجال والنساء الذين وهبوا انفسهم للاعمال البناءة ، تعتبرهم الانسانية ضرورة ملحة لها ، وعلى امثالهم تتوقف عملية التخطيط .

يمكن اعتبار الاردن بحق بأنها تقف على مفترق الطرق الوعرة بالنسبة لتطورها في الوقت الحاضر . لقد مرت خلال فترة صعبة اثناء الخمس عشرة سنة الماضية ، ومنذ ذلك الحين فقد دبرت - والحق يقال - نفسها لكي تصل بنجاح الى قاعدة التخطيط الاساسية . أما عهدها الجديد ... عهد التحدى ... فانه قد بدأ بداية حسنة ، وقطع شوطا ضخماً ينبىء عن مستقبل زاهر عظيم .

على الحكومة دفع ومساندة عجلة التخطيط القومى في اتجاه عملى وعلمى وكلى . وكل شىء عدا ذلك فيعتبر ثانوى بالنسبة لهذا الهدف الاساسي ، ويجب أن يخضع كل شىء له ويتناسب معه وينطبق عليه ويتشكل به في تعاون وانسجام يضمن له الصمود والتقدم والنجاح .

ان هذا امر يعد سياسة أولية . لو انه اعتمد ونفذ بنجاح ، لا يمكن التحكم في قدر ونصيب الاردن ، وأمكن استغلال مواردها ورجحان ميزانها الاقتصادى .

ان التخطيط يعتبر علما وفنا معا . ولكن ، قبل أن يكون كذلك ، فانه يعتبر سياسة سليمة مع اتخاذ القرارات في جميع المجالات والعوامل المؤثرة في شئون البلاد . على ان السياسة وأخذ القرارات تعتبران أيضا علما وفنا .

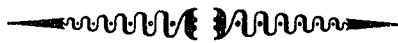
يجب أن يتولى « سلطة التخطيط » ادارة مفكرة عليا ويعمل تحت مسؤولياتها أقسام للادارة والتنظيم والبحث والتصميم . ويتوقف درجة نجاح وفشل مثل هذه السلطة على كيفية تنظيمها وروح موظفيها المعنوية وفوق هذا وذاك على كيفية توجيه الرئاسة فيها لدقة شئونها المختلفة ومسئولياتها الجمة . اننا في حاجة ملحة في البلاد العربية لهؤلاء الرجال كي يتولوا اعمال « سلطة التخطيط » التي يمكنها ان تدرس المشروع الشامل لتعمير وتطوير الاردن في كل مجال وحقل لفترة الاربعين سنة المقبلة .

لا يعتبر التخطيط مجرد تنظيم مادي أو تنسيق وترتيب طبيعي للاقاليم . ولا هو بتخطيط اقليمي فقط ... انه يتطرق لمسائل أبعد من ذلك ، مثل الأمور الصحية ووسائل التسلية والترفيه للسكان . انه يهدف لاشتراكية العلاج والتعليم بالإضافة الى تهيئة سبل الامن والطمأنينة مع حياة كريمة وسكن اقتصادى مريح لكل أسرة في الدولة . انه يهدف لاحلال العدالة الاجتماعية وضمان المعاش في الشيخوخة لجميع الافراد . انه يذهب الى أبعد من ذلك غورا كتشديد وتركيب صرح الشعب والدولة معا ، وعمل المشاريع الضرورية ذات الأجل القصير والامد الطويل ، لادراك ونبل جميع الاهداف السالفة الذكر .

وعن طريق التخطيط العلمى الشامل ، فانه يمكن توازن وتنسيق جهود القطاعين ، العام والخاص ، كي يؤدىا وظيفتهما بالمضبوط وبفاعلية وانسجام ونجاح .

وعن طريق التخطيط الصحيح فان موارد الدولة سوف تسمح وتحصر بدقة . ناهيك عن القدرة البشرية والطاقة الآلية التي تستخدم وتستغل بفاعلية . وبذلك يشترك الجميع في مجهود يحفظ ولا يشتت . . يجمع ولا يفرق . . يقوى ولا يضعف . . وعن طريق التخطيط فانه يمكن الرقي بالانسان والارض والنفس والروح المعنوية والفلسفية والثقافية ، الى ارتباط وصلة مثالية التي يعمل من أجلها كل جماعة تقدمية . واننا لنأمل أن يتخذ القرار للحصول على كل هذا في الاردن ، فلربما حالفه النجاح وبذلك تتلطف وتنتعش الحالة لمنفعة العربي الاردني الآن في المستقبل .

اذا كانت المملكة المتحدة والدول الاسكندنافية تستطيع التخطيط وجنى ثماره العديدة فلم لا تستطيع الاردن ؟ طالما ان الرأس مال اللازم هو العزيمة والعزم والفطنة والذكاء والطموح والثبات ، مع قليل من التضحية بشد الحزام على البطون الآن ، حتى يمكنها ان تجني أقصى الفوائد الممكنة في المستقبل القريب لهذا الجيل وللأجيال القادمة .



٤٣ - بحث في نمو المدن في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية

اعلن قيام المملكة العربية السعودية رسميا في عام ١٩٣٢ عندما تم تنصيب الامير عبد العزيز آل سعود ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتهما. وكان ذلك نتيجة طبيعية لحركة التوحيد التدريجي للأقاليم الكبرى في شبه الجزيرة العربية - تلك الحركة التي انطلقت عام ١٩٠٢ . والمملكة العربية السعودية ، كما هي اليوم ، تتألف من ثلاث مناطق كبرى وبضع مناطق صغرى . والثلاث الكبرى هي الحجاز ونجد والمنطقة الشرقية او منطقة الاحساء التي تضم صحراء الربع الخالي ونجران وعسير ومنطقة الحدود الشمالية . ويحد المملكة العربية السعودية من الشمال الاردن والعراق والكويت ، ومن الجنوب الجمهورية العربية اليمنية وحضرموت وبعض الاقطار العربية الصغرى ، ومن الغرب البحر الاحمر، ومن الشرق البحرين وقطر والخليج العربي .

وتقع الحجاز في غربي شبه الجزيرة العربية ، وتمتد على محاذاة البحر الاحمر . وفيها مكة المكرمة والمدينة المنورة - المدينتان الاسلاميتان المقدستان . كما ان فيها البناء الرئيسي الغربي - ميناء جدة . وتتألف نجد قسما كبيرا من المنطقة الوسطى وتضم مدينة الرياض - العاصمة السياسية للمملكة ومقر حكومتها . اما الاحساء وتدعى الان المنطقة الشرقية ، فتمتد من الكويت الى جنوب شبه جزيرة قطر على محاذاة الخليج العربي . وهي منطقة انتاج البترول في المملكة العربية السعودية ومصدر معظم الدخل القومي فيها . والربع الخالي - كما يشير الاسم - فلاة واسعة ممتدة الى الجنوب والجنوب الشرقي ، وليس بها ماء ولا مدن وهي خالية تماما الا من بعض البدو المتفرقين هنا وهناك وبعض فرق التنقيب عن البترول . واحيانا يشار الى هذه الفلاة بانها المكان الذي تنحدر اليه كثران الرمل المتدرجة لتتلاشى .

والمنطقة الشرقية اصبحت ولاية تابعة لسلطنة نجد عام ١٩١٣ عندما حرر السلطان عبد العزيز بقواته السعودية المنطقة من الحكم العثماني . وفي الوقت الذي تم فيه تأسيس المملكة ، كانت المنطقة الشرقية منطقة متخلفة قليلة السكان ذات امكانية زراعية ضئيلة ومراع قليلة . وهذه الحالة تختلف تماما عما كانت عليه المنطقة من وضع هام في السابق ابان العصور القديمة عندما كانت قوافل التجارة الرئيسية المتجهة من اسيا الى مصر وشمال افريقيا تمر بها . ونتيجة لتغيير طرق القوافل التي لم تعد تمر بالمنطقة ، وتحت تأثير انخفاض الطلب على منتوجاتها القليلة ، بدأ عدد سكانها يتناقص تدريجيا كما اخذ نشاطهم في الهبوط الى مستوى

حياة سطحية نصف خاملة . ولم يكن في المنطقة حتى عام ١٩٤٨ سوى مدينة رئيسية واحدة هي الهفوف - العاصمة - التي تقع في قلب المنطقة على بعد ٨٠ كيلو مترا من الخليج في وسط واحة الأحساء الكبيرة التي اخفت اسمها في الاصل على المنطقة كلها . وعلى بعد بضعة كيلو مترات كانت مدينة المبرز والى الشمال وعلى بعد ١٣٠ كيلو مترا كانت الواحة الوحيدة الكبيرة الاخرى في المنطقة الشرقية تمتد على محاذاة الشاطئ الغربي لخليج تاروت . وكانت هذه الواحة تعرف بالقطيف ، وكانت تضم مدينة القطيف الحصينة وقريتي صحبة وصفدة الكبيرتين . وعلى بعد ستين كيلو مترا الى الشمال ، كانت تقع مدينة الجبيل الميناء المحلي للمنطقة . وكانت الدمام ، انذاك ، قرية صغيرة تقع على الشاطئ الجنوبي لخليج تاروت وتعيش على صيد الاسماك . اما مدينة الخبر فلم تكن قد انشئت بعد . وربما لم يكن عدد السكان الذين استقروا في المنطقة الشرقية كلها انذاك اكثر من ٢٠٠.٠٠٠ نسمة ، ولم يكن هنالك اي سبب ظاهري - سواء كان اقتصاديا او خلافا - يشير الى انه سيطرأ على المنطقة اي تغيير في المستقبل القريب . لكن التحول جاء فعلا نتيجة لاكتشاف النفط في مقاطعة الأحساء بعد ذلك ببضع سنوات . فقد استثمرت اول بئر منتجة للنفط في عام ١٩٣٨ على بعد ١٨ كيلو مترا الى الجنوب من الدمام في منطقة صخرية ، تدعى الظهران ، بعد ثلاث سنوات من التنقيب والحفر التجريبي اللذين قامت بهما شركة نفط تعرف الان باسم شركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) . وهنا انشيء في الظهران اول معسكر دائم للعاملين في انتاج النفط . وعلى بعد ٦٠ كيلو مترا الى الشمال انشيء ثاني معسكر في عام ١٩٣٩ في رأس تنورة على بقعة من الارض تفصل الجزء الشمالي الشرقي من خليج تاروت عن الخليج العربي . وقد استخدم هذا المعسكر كقاعدة لانشاء مصفاة ومرفأ تحميل لنقلات النفط . وفي عام ١٩٤٤ اكتشفت بئر جديدة في ابيق على بعد ٦٥ كيلو مترا الى الجنوب الغربي من الظهران و ٦٠ كيلو مترا الى الشمال من الهفوف وبالتالي انشيء هناك معسكر ثالث . وفيما بعد وجد النفط قرب القطيف وغربي وجنوبي ابيق ، ولكن لم تنشأ اية معسكرات في هذه الاماكن . وحوالي عام ١٩٥٠ اخذ الجهاز المحلي لانتاج النفط يمتد باتجاه الشمال الغربي ، ليلتقي مع خط انابيب دولي ينتهي الى شاطئ البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا في لبنان وهو بمثابة منفذ غربي لنفط شبه الجزيرة العربية .

ويلاحظ ان توسع صناعة انتاج النفط وقع في مناطق بعيدة نسبيا عن مراكز اقامة سكان المنطقة الشرقية . وكان لهذا الوضع نتيجتان حتميتان اثرتا على التطور المحلي : احدهما ان مراكز اقامة السكان لم تكن متقاربة حتى تؤمن المساكن والمرافق الاخرى اللازمة لسيل العمال الذين اجتذبتهم الصناعة الجديدة . وهكذا سلمت تلك المراكز من آثار التوسع الكبير الذي ربما كان من غير الممكن السيطرة عليه . ومن ناحية اخرى ، ولكي تؤمن شركة النفط المسكن والمأكل لهؤلاء العمال ، رأت انه

من الضروري توسيع المعسكرات بحيث تصبح مدنا صناعية بها احياء سكنية للموظفين ، تشتمل على مساكن للغراب وقاعات للطعام ومرافق للترفيه ومشاعل وذلك لايواء الموظفين الذين بلغ عددهم في نهاية عام ١٩٥٢ ما يقرب من ٢٢٠٠٠ موظف من مختلف الجنسيات . وعليه فان سكان المنطقة الاصليين لم يستفيدوا الا القليل من هذه المنشآت وذلك من الناحية الاقتصادية وبالتالي بقيت حياتهم تتسم بطابعها الهاديء دون ان يطرأ عليها اي تغيير جوهري .

ولتسهيل وصول المواد والمؤن ، بنت الشركة في عام ١٩٣٥ رصيفا لتفريغ السفن على الشاطئ في بقعة تبعد ١٠ كيلو مترات الى الشرق من معسكر الظهران وتدعى الخبر . وقد استخدم هذا الرصيف ايضا لشحن النفط في بواخر تنقله الى مصفاة في جزيرة البحرين القريبة . وانشأت الحكومة هنا مركزا للجمارك وادى هذا النشاط المشترك الى قيام مجتمع صغير في بقعة لم تشهد اي نوع من الحياة من قبل . وقد ساعد قرب هذه البقعة من الظهران - مدينة النفط الرئيسية - على اجتذاب التجار الذين شرعوا في تأسيس حوانيت صغيرة لتأمين حاجيات السكان . وهكذا بدأت بلدة الخبر تسير في الطريق الذي ادى بها اخيرا الى ان تصبح مركزا كبيرا لتجارة المرفق . ولم يكن ميناء الخبر ، نظرا لقلّة عمق المياه القريبة منه ، يصلح لرسو البواخر المحملة بكميات كبيرة من المواد التي استلزمها توسع مرافق الانتاج بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . ودلت عمليات الاستكشاف على ان افضل موقع لاقامة مرفأ للشحن والتفريغ هو شرقي قرية الدمام . ويتوجيه من الحكومة المركزية ، انشاء هناك في عام ١٩٥٠ - ١٩٥١ مرفأ يمتد الى مسافة ١١ كيلو مترا على خليج تاروت ، وقد ربط باليابسة بواسطة خط حديدي سرعان ما امتد الى مسافة ٥٥٠ كيلو مترا عبر معسكر ابقيق والهفوف الى الرياض عاصمة المملكة . وبفضل انشاء المرفأ الرئيسي وسكة الحديد ، توسعت الدمام بسرعة واصبحت اهم مدينة في المنطقة الشرقية . ونتيجة لهذا الوضع اصبحت الدمام في عام ١٩٥٢ عاصمة المنطقة الشرقية ونقلت اليها مختلف الدوائر الحكومية من الهفوف . وكانت النتيجة النهائية للامر بعد انقضاء خمسة عشر عاما منذ بدء العمل في صناعة الزيت في المنطقة ان برزت مدينتان جديدتان تختلفان جذريا عن البيئات القديمة التي بقيت راكدة الى حد ما . ولم يكن عند هاتين المدينتين - الدمام والخبر - في بادىء الامر مخططا منتظما اذ ان السكان الذين توجهوا اليهما كانوا يحتلون اية قطعة ارض يجدونها خالية ويقيمون عليها مساكن اساسية لهم ويحيطونها بسياج من المواد المتوفرة محليا ، ولم يكن يفصل بين تلك المساكن سوى ممرات مشاة ضيقة . وفي الدمام انشأ السكان الجدد مبانيهم بالقرب من ، او حتى بجانب مباني القرية القديمة التي لم يكن يقطنها انذاك سوى ٣٠٠٠ نسمة . وعلى شاطئ الخبر ، حيث انشأت شركة النفط مستودعات على ساحة عرضها ٤٠٠ متر عند طرف رصيف ترسية البواخر ، انتشرت صفوف الاكواخ على الجانبين ، وتبعها

لتلك الظروف لم يكن بالإمكان تحديد ملكية الأرض أو تسجيلها وبالتالي اعتمد الاستملاك المؤقت على أساس وضع اليد .

وحوالي عام ١٩٤٧ لمس حاكم المنطقة الأمير سعود بن جلوي -مس ضرورة وضع تخطيط محكم للبيئات المتطورة بحيث يمكن تثبيت ملكية الأرض وإنشاء المباني الدائمة عليها . وقد استعان في ذلك بشركة النفط التي ما لبثت ان مدت له يد العون وكلفت مساحيها باعداد مخططات لتقسيم الاراضى وتخطيط الشوارع والمباني في مواقعها على الأرض . وحيث انه لم يكن من المتوقع ان تنتشر المدينتان المذكورتان اعلاه الى المدى الذي وصلتا اليه اخيرا ، فقد شملت المخططات الاصلية مساحات محدودة من الأرض وقد وضعت بشكل تسهل معه عملية مسح وتحديد القسائم التي يملكها الافراد .

اما بالنسبة لمدينة الدمام فلم تبذل اية محاولة لادخال اى تغيير على مباني القرية القديمة ، اذ ان المخطط الموضوع شمل الشوارع والمباني المنوي انشاؤها حول القرية ولم تكن هنالك اية نسبة بين هذه المنشآت والقرية القديمة . فقد كانت المباني الجديدة اكبر حجما من المباني القديمة ومقاييسها ٦٠٠ قدم طولا و ٣٠٠ قدم عرضا وواجهاتها الى الشمال والى الجنوب وبينها شوارع يتراوح عرضها من ٧٠ الى ١٠٠ قدم . وقد امتدت هذه الشوارع على محاذاة الخط الحديدي الذي كان قد وصل الى قرية الدمام في السنة التي سبقت ذلك . وتحسن الحظ لم يشمل ذلك المخطط بسايتين النخيل المنتشرة شرقي وغربي المدينة .

وحوالي عام ١٩٥٠ ازدادت الحاجة الى الاراضي التي تصلح لاقامة المباني عليها ، وامكن الحصول على هذه الاراضي اما عن طريق الشراء أو عن طريق المنح . ولجابهة النقص في مساحة الأرض المحيطة بالمباني قرر المجلس البلدي في المدينة تخفيض مساحات الابنية اولا الى ٣٠٠ قدم مربع ثم الى ١٥٠ قدما مربعا . ولكن بقيت لسوء الحظ ، النماذج الاصلية المتبعة في تخطيط الشوارع كما هي بحيث كان ما يقارب ٥٥٪ من مساحة القسائم التي تضم اصغر البنايات يستعمل للشوارع .

ومع هذا التخطيط استمر النمو الطبيعي للمدينة . وما ان حل عام ١٩٥٢ حتى اصبحت القرية التي لم تكن قبل ذلك بخمسة اعوام تحتل اكثر من ١٧٠ فدانا ، اصبحت تغطي مساحة قدرها ٥٢٥ فدانا عدا عن ال ٤٠٠ فدان التي كانت قد قسمت كما ورد اعلاه واصبحت ملكا خاصا لافراد . وقد ازداد عدد السكان الى حوالي ٢٥٠٠٠ نسمة . وفي العام ذاته عينت شركة النفط بعض المهندسين لاعداد مخططات لتوسيع معسكرات الشركة وتحويلها الى مدن ، وجعلت خدمات هؤلاء المهندسين تحت تصرف الجهات الحكومية ايضا .

وبالتالي حاول هؤلاء المهندسون ، بالاشتراك مع المسؤولين في الدمام ، حاولوا تصحيح بعض الاخطاء التي وقعت سابقا . لكنهم واجهوا

مشاكل جمة ناتجة عن ملكية الارض . غير انهم استطاعوا على اية حال وضع مخطط للشوارع العامة لا يزال يتبع حتى الان . واعدوا مخططات بنائية لالاف فدان التي فرزتها البلدية وباعتها للاهالي . وتلا ذلك تخطيط للقسائم القريبة من المدينة ولكن حسب المنهاج القديم مع وقوع نفس الاخطاء . وفي عام ١٩٥٣ اعدت خطة شاملة لتقسيم المنطقة التي تبلغ مساحتها عشرة اميال مربعة الى وحدات ، واعتمدت من قبل المجلس البلدي . ولكن هذه الخطة جمدت لعدم توفر السلطة القانونية التي تستطيع التنفيذ .

اما الخطة الاصلية التي وضعها مساحو الشركة لمدينة الخبر ، فكانت على نطاق اضيق من خطة الدمام . فقد شملت ربع ميل مربع فقط الى الشمال من مستودعات شركة النفط . وكان معدل قياسات المباني ٢٠٠ قدم طولاً و ١٣٠ قدماً عرضاً وعرض الشوارع التي تفصل بينها من ٤٠ الى ٦٠ قدماً . وكانت واجهات المنازل المبنية على جانبي الشارع باتجاه الشمال والجنوب لكون الشارع في الوسط . ولم يكن هنالك اي اعتبار للانشاءات المؤقتة التي سرعان ما هدمت لفتح الشوارع الجديدة .

اما الضاحية الغربية والمنطقة الواقعة جنوبي الرصيف اللذان يقطنهما اناس امتلكوا الارض هناك عن طريق وضع اليد ، فقد اقيمت فيهما بنايات باتجاه الشمال الغربي . وبما ان الخبر منطقة معرضة للعواصف الرملية في موسم الرياح ، فقد كان من الضروري جعل واجهات المنازل فيها بذلك الاتجاه - اي الى الشمال الغربي - وذلك في محاولة للوقاية من العواصف الرملية . وعندما تم توحيد اجزاء منطقة الخبر ، واجه المسؤولون مشاكل جدية في الجمع بين نظامي تخطيط الشوارع القديم والحديث . واخيراً امكن انشاء شبكة من الشوارع والطرق الرئيسية كان من ضمنها طريق يتجه شمالاً الى الدمام واخر الى مطار الظهران الدولي - مدينة الظهران ، كما كان هنالك طريق ثالث يؤدي الى الهفوف والرياض .

هذا وقد تلقت شركة النفط طلبات اخرى من الحكومة بشأن تنظيم مناطق سكنية اخرى . وكان ذلك في بداية عام ١٩٥٥ . وكان اول هذه الطلبات هو طلب وضع مخطط لقرية زراعية جديدة في موقع يدعى الرقعة على الساحل بين الدمام والخبر . وقد اعد بالفعل مخطط لانشاء بلدة تتسع لـ ٣٥٠٠٠ نسمة تقريباً وتتألف من بنايات بسيطة وفيها سوق وساحة عامة . وقد اقر هذا المخطط بعد اجراء بعض التعديلات عليه وتبع ذلك اسكان جماعات من البدو في تلك البلدة ، وبلغ عدد سكانها حالياً ما يقرب من ٦٠٠ نسمة .

وبعد ذلك تم اعداد خطة شاملة لتنظيم مدينة الجبيل القديمة وكان التخطيط للتوسع المقبل يتفق والوضع القائم ، ولم يقترح اي تغيير لمعالم المنطقة اللهم الا توسيع بعض الشوارع المؤدية الى الطرق الرئيسية . وحيث ان هذه المنطقة تعتمد في معيشتها على صيد الاسماك بصورة رئيسية ، فانه ليس من المتوقع ان تنمو وتتطور بسرعة .

ثم تلا ذلك اعداد مخططات تنظيمية لبلدتي حفر الباطن وقرية العليا الواقعتين على الحدود الشمالية . غير ان مركز كل منهما بقي على حالة تغير، وحتى الانشاءات الجديدة خططت على نفس النمط ، اذ ان عدم توفر الدلائل الكافية التي تشير الى احتمال حدوث اي تغير في الوضع الاقتصادي في المستقبل القريب لم يترك لمهندسي التنظيم مجالاً للاختيار . ولذلك اتجهوا الى تخطيط مساحات محدودة لمواجهة التوسع في المستقبل واقترحوا اجراء تحسينات جذرية على الشوارع والساحات العامة الموجودة انذاك .

وفيما بعد اعد مخطط شامل لبلدتين ساحليتين تقعان في واحة القطيف على خليج تاروت ، هما قرية عاتك ومدينة صيحة . وقد اثارت الاولى مشاكل غير عادية بسبب وضعها المزدوج ، حيث ان سكانها الدائمين قليلون وفي الربيع والصيف من كل عام يزداد عدد السكان الى ثلاثة اضعاف العدد الاصلي وذلك لدى عودة افراد قبيلة بني خالد للفلاحة بساتين النخيل القريبة من القرية . وليس يعرف متى والى اي مدى يمكن ان يستقر هؤلاء السكان الرحل في القرية . ومن ناحية اخرى فان مدينة صيحة الواقعة في الوسط بين مدينتي القطيف والدمام مكتظة بالسكان الذين اسسوا لهم مباني خارج المدينة القديمة وانتشروا حولها . وقد تضمن المخطط الذي اعد لهذه المدينة اقتراحاً بتربيع الاراضي المحيطة بها والمنوي اقامة المباني عليها مع ايجاد بعض المنافذ التي تؤدي الى المنطقة السكنية القديمة .

وحتى عام ١٩٥٩ لم يتقدم أي من سكان واحة الاحساء او مدينة القطيف بطلب مساعدات من هذا القبيل اسوة بغيرهم ولم يكن في هاتين المدينتين اي اتجاه يذكر نحو النمو ولذلك جاء التنظيم بشكل مخططات صغيرة وضعها المهندسون المحليون وفقاً لمقتضيات الحال . وقد اكدت الاتجاهات الحالية نحو ايجاد شبكة للمياه واخرى للمجاري في كل من المدينتين - اكدت الحاجة الى اعداد مخطط شامل لكل منهما وتجري الان دراسات جدية بهذا الشأن قام المؤلف بوضع بعض الاسس لتنظيمها .

وحوالي عام ١٩٥٠ وجهت شركة النفط الى موظفيها السعوديين الذين كانوا يقيمون في المعسكرات قروضا مالية بشروط حسنة لبناء مساكن لهم . وكانت الشركة في ذلك الوقت قد انتهت من شق وتعبيد الطرق التي تربط بين حقول الانتاج ومعسكرات الموظفين ومدينتي الخبر والدمام فلم يعد التنقل بين هذه الاماكن بالامر الصعب . ثم شرع في تنفيذ برنامج لاعطاء السلف للموظفين المتزوجين من السعوديين لانشاء مساكن لهم في المناطق المأهولة القريبة من مكان عملهم . وباشرت الشركة ، اولاً في الدمام ثم في الخبر ، مشروع اقامة ابنية على ارض قدمتها الحكومة لتوزيعها بالمجان على الموظفين . ولكون معسكرات الشركة في راس تنورة وابقى بعيدة عن المناطق المأهولة فقد انشأت الشركة مدينة جديدة بالقرب من كل معسكر . فشقت الشوارع وعبدتها وانشأت شبكة مياه

وشبكة مجار لتأمين الوسائل الضرورية لايجاد بيئة صحية صالحة .
وقد شرع في بناء بلدة رحيمما قرب راس تنورة في عام ١٩٥٢ ويقطنها الان
ما يقرب من ٧٠٠٠ نسمة . اما مدينة ابيق الواقعة بالقرب من المعسكر
الذي يسمى باسمها ، فلم يبدأ العمل في انشائها الا في عام ١٩٥٦ وكان
نموها بطيئاً . وعدد سكانها اليوم يقارب ٢٥٠٠ نسمة .

وقد كان لبرنامج ملكية البيوت الذي تبنته الشركة - كما سبق
ذكره - اثر ملموس على النمو الطبيعي للمدن والقرى الواقعة على مقربة
من خليج تاروت ، وذلك بان عمل على سرعة انشاء البيوت وتطوير صناعة
البناء المحلية . ومنذ عام ١٩٥٧ بنى ما يقرب من ٣٢٠٠ بيت من قبل
موظفي الشركة على اساس فردي وكانت اغلبية هذه البيوت في الدمام
والخبر ورحيمما وابقيق .

وفي الوقت نفسه ، واصلت الدمام والخبر نموها وتطورهما بسرعة
لم تشهدهما اي من مدن المنطقة قبلا . والدمام - عاصمة المنطقة الشرقية -
مدينة هادئة وتعتمد اقتصادياتها على النقل البحري والبري وعلى
خزن البضائع وتجارة الجملة . وتبلغ مساحتها ٣٦٠٠ فدان منها ٤٠٠
فدان مغطاة بالمباني و ١٢٠٠ فدان تغطيها بساتين النخيل وتمر منها
سكة الحديد . ويقدر عدد سكان الدمام حاليا بحوالي ٥٠٠٠٠ نسمة .
اما الخبر - المركز الاقليمي لتجارة المرفق - فهي اكثر حركة ونشاطا
ونموا من الدمام . وقد انشأت اول شبكة اضاءة للشوارع في شرقي شبه
الجزيرة العربية واول حديقة عامة واول بنايات حديثة للمكاتب ، وكانت
اول مدينة في المنطقة زرعت الاشجار حول الشوارع ووضعت لافتات
باسمائها . وكذلك كانت اول مدينة وضعت لافتات الاعلان المضاءة فوق
العمارات . وتبلغ مساحة الخبر حاليا ٤٠٠٠ فدان تحتل البنايات
خمسها تقريبا وعدد سكانها قريب جدا من ٤٠٠٠٠ نسمة وكلتا المدينتين
- الدمام والخبر - تحتويان على مكاتب حديثة مؤلفة من طابقين فما فوق ،
وبنايات عديدة ذات شقق . ولكن لا يوجد فيهما حتى الان شبكات
للمجاري والمياه . وجميع مدن المنطقة الشرقية على هذه الحال ولكن
تجري حاليا التجهيزات لمعالجة هذا الوضع .

اما المدن القديمة ، فهي على درجات مختلفة من التطور . فقد
بدأت الهفوف - العاصمة السابقة للمنطقة الشرقية - بدأت حديثا تمتد
وتطورت احيائها القديمة . وقد هدم معظم اسوارها الداخلية لتوسيع
الشوارع وتعمير الساحات المكشوفة . اما المبرز فقد احتفظت بأسوارها
القديمة ولكن يجري الان انشاء البيوت والعمارات خارج الاسوار .
وتضاعفت مساحة كل من مدينتي صيحة وصفدة . ومدينة القطيف
أخذت في النمو ويجري الان انشاء ابنية جديدة خارج القلعة القديمة فيها .
وتقوم الحكومة حاليا ببناء جسر يمتد من رصيف القطيف الى جزيرة
تاروت ، الامر الذي سيؤدي حتما الى مزيد من النمو . وتجري الان
دراسة برنامج واسع النطاق لتجفيف الواحة واستغلالها في مختلف

النواحي الزراعية بالإضافة الى اشجار النخيل، وذلك لتدعيم اقتصاديات المنطقة . اما بلدة الجبيل النائية الى الشمال فلا تزال قرية لصيد الاسماك هادئة ساحرة .

ومن حسن حظ شرقي شبه الجزيرة العربية انه لا توجد فيها مدينة او اكثر من المدن الكبيرة جدا التي تجتذب اليها سكان الارياف كما هي الحال في بيروت او بغداد او القاهرة . ولا تزال هناك اراض للبناء قريبة من المدن الجديدة ، ولا وجود لمشاكل الازدحام او ازدياد كثافة السكان ما عدا الاحياء القديمة في بلدتي المبرز والهفوف . ومع ذلك ، فان المنطقة تواجه كثيرا من المشاكل العمرانية الاساسية المشتركة بين معظم الاقطار العربية ، وهي المشاكل التي تعرضنا لبحثها في هذه الدراسة .

وهناك حاجة اساسية ملحة الى انشاء وكالة حكومية لتنظيم المدن تقوم بالارشاد والتوجيه في عمليات تطوير مدن المنطقة الشرقية . وتستطيع مثل هذه الوكالة انشاء مجالس رسمية للتنظيم وتزويدها بالموظفين الاختصاصيين لاجراءات دراسات شاملة لمختلف اوجه التنظيم هناك ، اذ ان الاعتماد على مهندسي المدينة الذين لا يتوفر لديهم الوقت والخبرة الكافي في اعمال التنظيم او على الاستشارات التي يقدمها فنيو شركة النفط لا يكفي لان يكون بدلا عن جهاز كامل للتنظيم . وهناك مشكلة اساسية اخرى تواجه المملكة العربية السعودية ، كما تواجه كثير من الاقطار العربية الاخرى ، وهي عدم توفر البيانات والاحصائيات التنظيمية الاساسية . وقد اتخذت الحكومة بعض الخطوات لتصحيح هذا الوضع ، وذلك بان اسست مكتبا للاحصاء في عام ١٩٥٩ . ومن المفروض ان يقوم هذا المكتب بجمع ومقارنة ونشر المعلومات التاريخية التي تتوفر لديه ويحتفظ باحصاءات دقيقة في المستقبل . بيد ان جميع هذه الامور تستغرق كثيرا من الوقت ، وليس من المتوقع ان تتوفر تلك المعلومات وتكون جاهزة بحيث يمكن الرجوع اليها واستعمالها في السنوات القليلة القادمة في حين يكون من الضروري انذاك استمرار اعمال التنظيم على نطاق علمي واسع .

ثم ان المراقبة من جانب الحكومة على استعمال الاراضي للبناء يثير مشاكل حساسة . وتحتاج المجالس البلدية في هذا السبيل الى تشريع رسمي يخولها السلطة لتنفيذ مخططات التنظيم ومراقبة الابنية وصيانة الطرق العامة وتطوير المناطق القديمة ومنع الصناعات التي تحدث الضجيج والازعاج والقلق وتأسيس سلطات اقليمية تشرف على اعمال العمران . وقد اعطيت بعض الصلاحيات للمجالس البلدية في بعض المدن ، ولكن لم تكن تلك الصلاحيات شاملة مع مراعاة الشروط الصحية وتحدد كذلك الصلاحيات والامور المماثلة الاخرى . وقد احرز بعض التقدم في هذا المضمار ، وتجري الان دراسة ومراجعة قانون شامل للبناء . ومهما كان الامر ، فان الحاجة لجميع هذه الاشياء ملحة والعمل الايجابي العاجل ضروري .

وتشتمل المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على اراض يمكن تخطيطها بشكل نموذجي شائق غير ان فيها ، بالاضافة الى ذلك، مشاكل فريدة من نوعها . ففيها يجد مهندس التنظيم المادة الفزيرة التي يستلهم منها المخططات النموذجية الحديثة التي يمكن ان تكون اساسا للتنظيم في المستقبل . ويجب ان يتبع مهندس التنظيم الآراء التي يراها مناسبة للمنطقة ويخرج الى حد ما عن روتين التنظيم الآلي في اعداد مخططاته ، والا كانت هذه بمثابة رسم كاريكاتوري ناشز في صفحة جميلة تمثل تلك الاماكن التي يشاهدها المرء في منطقتي الهفوف والقطيف .

ويجب ان توسع دائرة التنظيم من دائرة شارع المدينة وبناتها لتشمل دائرة الاقليم . اذ قليلة هي الاقاليم الصحراوية في العالم التي تتمتع بميزات كتلك التي تتصف بها المنطقة الشرقية . فالاراضي من جبيل الى الهفوف على طول خليج تاروت لها جميع الميزات والعالم الملائمة للتنظيم الاقليمي . وتشتمل على عجائب الصحراء الحديثة مثل مدن رأس تنورة والظهران وابقيق - وهي المدن التي اصبحت مروجاً خضراء ترتفع عليها ابنية صممت وفق اسس الهندسة المعمارية الحديثة التي تلائم مناخ الصحراء . وفي نفس الوقت تمثل مدينتا القطيف والنفوف الصحراويتان القديمتان نموذج المدينة الصحراوية الرائعة التي يستطيع مهندس التنظيم ان يستلهم من معالمها كثيرا من عوامل التجميل . فعلى محاذاة خليج تاروت تقع بعض اجمل بقع النخيل في العالم ، وكذلك بعض اقدم الشواطئ مثل شاطئ خليج « هاف مون » والشاطئ الممتد جنوبي الخبر . وهذه الشواطئ لها من الميزات الجوهرية ما يجعلها اماكن للترفيه والترويح عن النفس ذات جاذبية حقة .

وتنشط الان في المنطقة صناعة انتاج وتكرير وشحن النفط . ويتنبأ المراقبون بمستقبل زاهر لمختلف الصناعات التي يشار اليها عادة بالصناعات البتروكيماوية - وهي الصناعات التي تستوعب الايدي العاملة من السكان الذين يزداد عددهم باطراد . وقد مولت شركة « ارامكو » مشروعا لدراسة امكانيات الصناعات البتروكيماوية ، وحبذا لو قامت حكومات جميع الاقطار المنتجة للنفط بدراسات وافية مماثلة . كذلك الزراعة لها امكانيات حقيقية تكون ، اذا ما استغلت اساسا لاقتصاد اقليم خليج تاروت ، وبفضل انشاء المطار الجديد في الظهران ، والمرافا الجديد في الدمام والطريق الذي يصل الدمام بالرياض (وكذلك الخط الحديدي) فقد توفرت لاقليم خليج تاروت الامكانيات الاساسية لان يصبح اقليما متكافئا ذا موارد اقتصادية متباينة . وكذلك يمكن توحيد جزيرة تاروت ، التي تم قريبا ربطها باليابسة بواسطة جسر جديد ، يمكن توحيدها مع الاقليم المذكور ليصبحا منطقة زراعية ترفيهية صالحة للسكن .

وهكذا يلمس المرء الحاجة الى اعتبار القسم المأهول من المنطقة الشرقية كاقليم ذات كيان مستقل اذ ان بالامكان اعداد مخطط علمي عام لهذا الاقليم ينظم جميع امكانياته ومرافقه . فالارض متوفرة هنا

بصورة دائمة . وقد شقت الطرق وبشرت عمليات النقل البري كما
بوشر في انشاء المدن والتوسع في العمران . وهناك جهود تبذلها الحكومة
وشركة النفط بالتعاون في ميدان الزراعة في هذه المنطقة .

وقد لا يكون للمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ذلك
الشأن الذي تتصف به بعض المناطق الاخرى المنتجة للنفط حيث تتركز
النهضة الشاملة في بقعة واحدة . فالجهود التي تبذلها الحكومة وشركة
النفط هنا تتوزع على مساحة واسعة جدا وتعمل على تطوير معالم
المنطقة بحيث تصبح صالحة لان تقوم عليها حياة ، اذ ان التركيز على
بقعة واحدة من تلك الصحراء المترامية لا ينسجم مع احتياجات
ومستلزمات الاقليم . وان كذلك من الافضل من نواحي كثيرة ان ينتشر
السكان في اماكن متباعدة لا ان يزدحموا في منطقة واحدة .

واذا ما قارن المرء النمو المركز في المدن العربية الكبيرة بالنمو المنتشر
في المنطقة الشرقية من العربية السعودية ، فانه سرعان ما يعجب بتلك
المدن من اول لمحة . ولكن بعد ان يسير مهندس التنظيم الاقليمي عور
الامكانيات الكامنة في المركزية واللامركزية الحضارية يتوفر لديه ما يبرر
الاعتقاد بان أي مجتمع انساني ذو امكانيات طويلة الامد لا يمكن الا ان
يكون مبنيا على الاسس الطبيعية والجغرافية . ومستقبل المدن العربية
- ليكون مستقبلا حميدا - يكمن في فكرة التنظيم الاقليمي .

وبينما هنالك مدن - كبيروت مثلا - نمت بنوع مركز وحان الوقت
لانتشارها اقليميا اي لتخليها عن مبدأ التركيز، نجد الوضع يختلف تماما
في المنطقة الشرقية حيث رسمت الخطوط العريضة للتنظيم الاقليمي المقبل
ومهما امتد العمران فسيشغل الاماكن الخالية دون ان يكون هناك أي
ضغط او ازدحام كما هي الحال في الوضع المقابل .

ومن ناحية اخرى يستطيع المرء ان يلمس تفاهة بعض الاخطاء التي
حصلت مثل التنظيم المتفرع في الخبر وموقع محطة سكة الحديد في الدمام
وذلك عندما تبرز للعيان الخطوط العريضة للتطوير الاقليمي . ولكن
لا يعني هذا بالضرورة ان يحط المرء من قيمة التنظيم المتفرع في الدمام
والخبر مهما كانت الاسباب . على أية حال ، يجب ان تبذل الجهود على
مستوى حكومي عال لالغاء ما يمكن الفاؤه من مخططات الاراضي التريعية
وذلك بعملية واسعة النطاق لاسترداد الاراضي واعادة توزيعها مع
استخدام نفس التشريع المتبع لشئون اعادة التنظيم في سوريا ولبنان
والكويت الخ . .

وعندما تبدأ مرحلة التنظيم في المنطقة الغربية ايضا حيث تتأهب
المعونة الفنية التابعة لهيئة الامم المتحدة للشروع في العمل ، يكون من
الضروري ان تشرف الحكومة السعودية على التنظيم هناك ، وتولييه مزيدا
من الاهتمام وذلك لان أية اخطاء تحصل في تنظيم المدن البارزة هناك مثل
مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة سوف تذهب بعيدا في الانقاص من
مكانة تلك المدن المرموقة . وتجدر الاشارة هنا الى ان الجبال والسواحل
القريبة من المدن والاماكن المأهولة في المنطقة الغربية من المملكة العربية
السعودية تصلح لان يجري لها تنظيم اقليمي شامل .

٤٤ - القاهرة : مدينة عالمية

تعتبر القاهرة مدينة عظمى بل عاصمة كبرى . وهي تعد عاشر مدينة في العالم من حيث تعداد السكان الذين يبلغون ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة . وهي تعتبر ايضا اكبر مدينة في القارة العذراء وفي الوقت نفسه اكبر مدن العالم العربي على الاطلاق . وهي فوق ذلك مقعد جامعة الدول العربية ومركز اشعاع الثقافة الاسلامية . ولو لم يكن بالقاهرة غير الاهرامات الثلاثة وابو الهول العتيد لاعتبرت ايضا مدينة فذة وفريدة وليس في الدنيا لها شبيه . ما اروع وابهى واجمل الاهرامات عند نهاية البصر في اقصى الطريق . ما اعظم وابهى وامتع منظر ابو الهول الرابض في رمال الصحراء والزاهر الصامت منذ الاف السنين . ولو لم يكن بالقاهرة غير قلعة الناصر صلاح الدين ومسجد احمد بن طولون العتيد الغريب لاعتبرت ايضا مدينة فذة وفريدة وليس في الدنيا لها نظير . بل لو ان القاهرة خلت من كل هذه الشوامخ من الآثار التي زينت الارض كالاعلام واكتفت بما وهبتها الطبيعة من نهر النيل الخالد منبع الخيرات وواهب الحياة وبما منحتها الطبيعة من مناظر خلابة على ضفاف نيلها العظيم لاعتبرت ايضا مدينة فذة وفريدة وليس في الدنيا لها مثيل .

وتربض حول القاهرة عدة ضواحي مبعثرة هنا وهناك تنتهي جميعها برمال الصحراء . فعلى الضفة الشرقية من النيل وفي اقصى الشمال توجد ضاحية مصر الجديدة مكان مدينة هليوبوليس القديمة ومعناها مدينة عين شمس وفي اقصى الجنوب توجد ضاحية حلوان ذات الشهرة العالمية بحماماتها الكبرى بالإضافة الى شهرتها كمشتى عالمي لجوها الصحي الدافئ الصافي . وقريبا منها ضاحية المعادي تلك المدينة الحدائقية . وعلى الضفة الغربية من النيل وفي اقصى الجنوب توجد مدينة الجيزة ذات الآثار الخالدة التي عاركت الدهر وعركها الزمان وفي اقصى الشمال توجد مدينة الاوقاف وهي مدينة سكنية حديثة . ويقع في وسط النيل حي الزمالك ومعناها في اللغة التركية العشش ومع ذلك فهو يعتبر حيا ارستقراطيا يسكنه كثير من ثروة القوم وعلياهم مثل حي جاردن سيتي وقصر النيل . اما باقي احياء القاهرة مثل شبرا وغمره والجمالية والدرب الاحمر والسيدة والازبكية والموسكي والوايلي فكلها احياء مكتظة بالسكان المواطنين .

لقد شيدت خلال العقد الماضي قليلا من ناطحات السحاب على ضفاف النيل فساعدت على رفع الميزان الحضري وتعادل المنظر الطبيعي . انه توجد ثورة للارتقاء بالمناظر الطبيعية الخلابة وإعادة تشكيل الصور الجانبية للمناظر الحضرية . فالقاهرة في تغير مستمر من حيث شكلها الحضري والجمالي سواء من وجهة منظرها العام او من وجهة مناظرها الخاصة بكل ناحية من نواحيها . كل شيء يتبدل ويتغير في القاهرة فهي مدينة تجمع بين القديم والجديد . لقد وجه الانسان قدر ومستقبل القاهرة وقضت ارادته ان تكون مدينة كبرى وعظمى وعالية .

تتكون القاهرة من عدة مدن . وتعتبر مصر القديمة ام هذه المدائن . وتحتل الموقع الذى اسس فيه عمرو بن العاص مدينة الفسطاط . وبها اول مسجد انشئ في الاسلام خارج الجزيرة العربية . وبها مقياس النيل الذى يسجل ارتفاعه وغضبه ويدون انخفاضه وعجزه ويسطر جريانه ورضاه . ويعتبر جامع الازهر وما حوله قلب القاهرة النابض وهو خلاصة لجميع الاشكال والبيئات والهيئات الحضرية على اختلاف مشاربها وتباين مضاربها وتناقض دروبها . وهو غني عن التعريف بمساجده الفخمة وقبابها الضخمة وما أذنها الشاهقة ناهيك عن اسواقه الشهيرة وبزاراته الفريدة وحوائته العديدة بالإضافة الى ميادينه الفذة وساحاته الرحبة وشوارعه الكثيرة وأزقته الصغيرة . اما جامع الازهر الشريف وجامعته فتعتبر أقدم جامعات الدنيا التى تشع منها الثقافة الاسلامية على العالم بأسره وخان الخليلي الذى يعتبر أشهر من نار على علم بحوائته التى تصنع التحف الدقيقة وتبيع الهدايا الفريدة فهي جميعا موسوعة حية مهما طال عليها الزمان من سنين طوال وأحداث جسام .

وسواء شاهدت القاهرة من قمة الهرم الاكبر او طفت ببصرك عليها من فوق برجها العظيم او رأيته من أعلى سطح على جبل المقطم او عاينتها من خلال نافذة الطائرة فأنتك سوف ترى مدنا داخل تلك المدينة المترامية الاطراف والمتشعبة الارحاء والانحاء ذات المناظر الفذة والمتعددة الاشكال والالوان وفي وسطها يجرى نيلها العظيم فى عظمة وجلال ملتويا مرة ومنشيا اخرى فى اختيال وعزه ودلال . انه حقا ابو الانهار فى جميع العصور ومر الزمان وكر الاعوام . انه يقطع مسافة ٤٠٠٠ ميل مبتدئا عند خط الاستواء مارا تارة بالغابات والاحراش والمستنقعات وتارة بالرمال والوديان والصحراء ومخترقا شلال بعد شلال حتى يصل فى النهاية الى القاهرة - اكبر مدينة تقع عليه مقرئا اياها التحية والسلام ومحياا اياها بكل جلال واحترام . . . ثم يتركها فى هدوء وخيلاء . . . متفرعا الى فرعى رشيد

ودمياط مكونا دلتاه المشهورة الشبيهة بالسجادة العجمية المتعددة الرسوم
والالوان . وعلى قمة هذه الدلتا تقع القاهرة ومن حولها الصحراء .

لقد شهدت القاهرة تمثيل مسرحية اقليمية حضرية كبرى . لقد
كافحت المدينة رمال الصحراء وتغلبت عليها وبسطت يديها عليها وامتدت
فوقها حتى دانت لها بعد ان كادت تطمسها ثم اوقفتها عند حدها بعد ان
كادت تفرمها ثم تلفتت الى نيلها العظيم مجلب الخيرات فهذبته واقامت
عليه القناطر والسدود وفروسته وانشأت عليه الكبارى والجسور فزينته
واقامت على شاطئيه العمارات والقصور فاحيته وزرعت حوله الحدائق
والزهور فجملته ثم تركته يسير فى مجارى وفروع مكونا دلتاه الخصبة
ذات الشكل المثلث على رؤوسه الاسكندرية وبور سعيد والقاهرة وبداخله
تركيب عجيب من المدن والقرى والنجوع والحقول .

ولكن دعنا نعود مرة اخرى الى القاهرة . انها مدينة تمتاز بقدم سلسلة
نسبها فى التاريخ . فمن منطقتها الكبرى قامت ممفيس عاصمة مصر
الفرعونية ومن قبلها كانت كاهون ومن بعدها عاشت مدينة بابل الرومانية
الى ان فتح العرب مصر على يد القائد عمرو بن العاص فأسس مدينة
الفسطاط التى ما زالت تعرف بمصر القديمة الآن . ثم ارسل الخليفة
المعز لدين الله الفاطمي من شمال افريقيا قائده جوهر الصقلي فخطط
مدينة حول الجامع الازهر الحالي وسماها بالقاهرة تيمنًا باسم الكوكب
القاهر الذى كان يطلق على المريخ والذى كان يمر بالقرب من الارض وذلك
فى ٩٦٩ ميلادية . وحاول الغزاة فى القرن الثانى عشر فتحها اثناء الحروب
الصليبية دون ان يتمكنوا من دخولها حتى ان حكمها شرذمة من المماليك
مدة ثلاثة قرون ثم احتلها من بعدهم الاتراك من سنة ١٥١٧ الى سنة
١٧٩٣ ثم فتحها نابليون بونا بارت فخضعت له ودانت حتى سنة ١٨٠١
بعد ان ترك فيها آثارا لا تمحى واحداث فيها تغييرات لا تنسى ثم جاءت
اسرة محمد علي فحكمتها حتى سنة ١٨٨٢ عندما احتلها الانجليز عندما
طلب خديوى مصر وقتئذ مساعدتهم ضد اهل البلاد الثائرين تحت قيادة
البطل عرابي . وبقيت القاهرة تحت رحمة الحماية البريطانية حتى اعقاب
الحرب العالمية الاولى الى ان منحت شبه استقلال سنة ١٩٣٦ ايام حكم
الملك فؤاد الاول ومن بعده الملك فاروق الذى خلع من العرش وطرد من
البلاد ثم الفيت الملكية فى سنة ١٩٥٤ وأعلنت اول جمهورية على ضفاف
النيل منذ ٥٠٠ عام وحكم القاهرة لأول مرة فريق من ابناءها بعد ٢٠٠٠
عام من حكم الاجانب والدخلاء والمستعمرين من بطالسة ورومان وخلفاء
ومماليك واتراك وفرنسيين وانجليز . وبالقاهرة الآن عدة جامعات : اكبر

جامعة القاهرة واقدمها جامعة الازهر واحداثها جامعة عين شمس وبالقاهرة
ايضا عدة مساجد كبرى : اقدمها مسجد عمرو واشهرها مسجد الازهر
وأروعها مسجد السلطان حسن واحداثها مسجد صلاح الدين .

تعتبر القاهرة مدينة عظمى بكل معنى الكلمة . وتحتوى على كثير
من أوجه النشاط . بل ان كل جزء صغير فيها يعتبر خلية نحل دائب
الحركة والنشاط . ولقد ورثت القاهرة في الماضي كل مشاكل الضعف
والانحلال وهى تحاول الآن تغييرها وتبديلها الى وسائل القوة والسلطان .
فاحياءها مزدحمة بالسكان وأسواقها مكتظة بالتجارة ومعاهدها ممتلئة
بالطلاب وتعد نسبة كثافة السكان فيها اعلى نسبة في العالم . وعلى الرغم
من ذلك فإن كثيرا من احيائها السكنية تعد من اجمل الاحياء السكنية في
العالم . ولقد اشتهرت القاهرة بما تقدمه من مناقضات واختلافات جديدة
وكبرى فمن الوجة التاريخية شهدت حضارات فرعونية وعربية ومن
الاجتماعية عاشت في احضان الاقطاع سنينا طويلا وفي احضان الاشتراكية
الآن ومن الوجة الثقافية تتبوء عرش الاشعاع الفكرى في العالم العربى :
من نهضة ادبية ومسرحية وسينمائية وتلفزيونية ومن الوجة السياسية
تعتبر مركز ومقل ثورة عربية اشتراكية خطيرة ومن الوجة الاقتصادية
تعتبر على عتبة باب ثورة صناعية جارفة .

يصعب العثور على مثيل ... بل يندر الاهتداء الى نظير ، لمساجد
القاهرة . فعظمة آيات الفن والابداع لا يمكن ان تنزل الى مستوى المقارنة
بغيرها ، مهما كان شأنها وعظمت قدرتها . والقاهرة تضم مباني فرعونية
واسلامية وعصرية يتجلى فيها الفن في جلال وكبرياء تعجز عنها عبارات
المديح والاعجاب . فحداائقها الفناء وبساتينها الخضراء وأزهارها الفيحاء
تعتبر فردوس وسط رمال الصحراء الجرداء . ونواديبها الشهيرة مثل نادى
بوليس مصر الجديدة ونادى الجزيرة وسط المدينة ونادى الصيد
في الدقي والنادى الاهلي العتيد تعتبر معالم عظمى من معالمها الكبرى .
اما كازينوهاتنا الممتدة على ضفتي النيل بالاضافة الى ذهبياتها الرابضة
على مياهه فحدث عنها ولا حرج . ناهيك عن كورنيشها على شاطئ النيل
المتد من حلوان الى القناطر الخيرية والذي انشيء في زمن قصير يعتبر
قياسيا في مجال الاعمال الانشائية . ويعتبر الكورنيش طريقا للتنزه
ومتنفسا لسكانها وزوارها يهرع اليه الجميع للراحة والاستمتاع . وللمدينة
حديقة حيوانات طبقت شهرتها الآفاق . اما نواديبها الليلية فهي تجمع
بين مباهج ومفانئ الشرق الساحرة من موسيقى ورقص ومسليات ونمر
الغرب الصاخبة من جاز وباليه واوبرات . وبالقاهرة معرض زراعي

صناعي ضخمة وهى تستعد لاقامة معرضها الدولي الحديث بالقرب من استادها الرياضي الكبير فى ارض مدينة نصر احد احياء القاهرة .

تعتبر المغريات والمفاتيح التى تؤثر على الانسان وتذهله فى القاهرة عديدة جدا ولا يمكن حصرها فى صعيد واحد . فالقاهرة مثل كثير من عواصم العالم الكبرى كواشنطن فى امريكا والدار البيضاء فى افريقيا ومديرد فى أوروبا تشترك فى صفات مماثلة وعلامات متشابهة تجعلها قبلة الناظرين . وهى فوق ذلك تعتبر مدينة ذات طابع خاصة وصفات معينة واحوال مميزة فضلا عن عهودها الكثيرة التى شاهدها وعصورها العديدة التى عاصرتها بالاضافة لعزها الفابر وماضيها التليد الذى يضم بين نواحيه متناقضات شتى ومفارقات جمّة . انها تعتبر رغم قدمها اول وأحدث مدينة اشتراكية فى القارة العذراء وفى العالم العربي على السواء . لقد ابتدأت فيها ظهور وبدور اشتراكية فى حقول تشريعات الاصلاح الزراعي ومجالات التحرر الاجتماعي ونواحي التمدن الحضري وانطلاق التقدم الصناعي واقامة الانشاءات العظيمة التى خلقت لتقوم بخدمة المجتمع بالاضافة الى سن القوانين المنظمة لضروريات المعيشة من فرض اسعار جبرية على الحاجيات الضرورية الاستهلاكية الى سن قوانين خاصة للمشاة وعابري الطريق . وعندما تنفذ جميع المشاريع التى هى فى دور الدراسة والتحضير الآن فسوف تباهى وتفخر القاهرة بوثنيتها الجبارة لخدمتها العامة للجماعة . ان كل هذه المآثر الحميدة والاعمال الجليلة التى تبذلها امة مكافحة ذات موارد وامكانيات بسيطة نسبيا والتى تحاول ان تصل بها الى عنان السماء تعتبر فى النهاية معجزة خصوصا اذا قيسست بما قامت به بعض الامم الفنية بمواردها وامكانياتها .

وبجانب كونها ارحص بلد فى العالم حسب تقرير هيئة الامم فالقاهرة تعتبر ايضا اعظم مدينة للتسلية لكثرة دور اللهو بالاضافة الى نواديها الليلية واحتفالات عرض الضوء المسلط على آثارها والصوت المنبعث منها مثل الاهرامات الكبرى وابي الهول وقلعة صلاح الدين اعلى جبل المقطم وهى بجانب هذا وذاك تعتبر مركز الانطلاق والتقدم فى العالم العربي فيها توجد جامعة الدول العربية بالاضافة الى جامعة الازهر التى تعتبر مركزا للاشعاع الروحي والديني فى العالم الاسلامي . ناهيك عن كنوزها الثقافية فى متاحفها الفنية مثل متحف الآثار الفرعونية ومتحف الآثار القبطية ومتحف الآثار الاسلامية ومتحف الحضارة ومتحف الفن ومتحف العلوم ومتحف الزراعة واخيرا حدث ولا حرج عن فنادقها الكبرى التى تطل على نيلها الخالد وكورنيشها العظيم . والقاهرة فوق ما تقدمه من هذا وذاك من ضروب المتعة والثقافة فهى تقدم لمهندسي التخطيط الذين يبحثون عن مغامرات تخطيطية ذات الثلاثة ابعاد ويتوقون الى الفن والجمال والفراغ والحركة والحياة متعة فريدة اشبه بمتع الاحلام والخيال .

٤٥ - اقتراحات خاطفة لحل بعض المشاكل التنظيمية لبعض مدن الشرق الاوسط

لقد نشرنا عدة مقالات عن مشاكل التخطيط المختلفة التي تعانيها المدينة العربية . وقد اسهبنا في مشاكل بعض هذه المدن بالتفصيل وأوجزنا باختصار مشاكل البعض الآخر .
ولقد اخترنا الإقامة - بادية ذي بدء - في مدينتي الكويت وبيروت للاسباب الآتية :

١ - تقع كل من المدينتين في جبهتين متضادتين في شبه الجزيرة العربية .

٢ - لقد نمت كل منهما - في بحر السنوات العشر الماضية - على غرار واحد من النمو العمراني المفاجيء .

لكن ، بينما استيقظت الكويت في بحر السنوات السابقة وتنبهت للمساوئ التخطيطية واتخذت خطوات علمية وعملية ايجابية لمعالجة واصلاح الحالة كما حدث عندما اعادت النظر في ترميم المنطقة المركزية التجارية ، فان بيروت مازالت تغط في سبات تنظيمي عميق ، غير عابئة للاخطار الحضرية المتزايدة التي تواجهها ، دون الاكتراث لاصلاحها . ومع هذا فان بيروت ليست هي وحدها التي تعاني تلك الاخطار لان كثيرا من المدن العربية ايضا تشترك فيها سواسية .

والان ، وان كان التخطيط الشامل ، من اقليمي ومحلي ، هو الطريق الذي يجب ان تسلكه المدينة في الشرق الاوسط وبالاخص العربية منها ، الا انه يعتبر عملية تنفيذ على مدى طويل ولا يمكن اتمامها في زمن قصير . على ان بعض الاخطار ، ولا سيما المباشرة منها والتي تئن منها المدينة العربية حاليا ، لا يمكن ان تنتظر وسائل ارتجالية كجزء من التخطيط الشامل كي تتجنب الزلل من جراء هذا العلاج السريع ، ولهذا السبب قد اخترنا بعض امثلة متباينة من مدن الشرق الاوسط من غير قصد وشرحنا في حل بعض المشاكل التي تعانيها ، مقررعين ناقوس الخطر امام ولاة الامور الذين تعنيهم هذه المشاكل كي يستيقظوا ويهبوا ويعملوا عملا ايجابيا ازاء تلك الاخطار المترتبة على عرش الافاق التخطيطية .

امثلة لبعض حالات المدن ذات المشاكل التنظيمية البارزة

(١) عمان

١ - تهيئة ممر من منطقة جبلية لاخرى بالمدينة وضواحيها بشرط

عدم اختراقه قلب المدينة التجاري . وقد يستدعي هذا الامر انشاء جسرين او ثلاثة من نوع « ميلارت » .

٢ - المحافظة على بقايا المدرج المسرحي الروماني المشهور وتهيئة الوضع الطبيعي اللائق به . وجمع اجزائه الاثرية المبعثرة في حديقة فندق فيلادلفيا المجاور له .

٣ - تخفيف حدة الازدحام في المنطقة المركزية التجارية . وهذا يتطلب اعادة تعمير وتطوير مراكز الضواحي السكنية وتزويدها بالمرافق اللازمة لتخفف الضغط المركزي .

٤ - مراقبة النمو السكاني المبعثر وتجميعه في مناطق جماعية مستوفية .

(ب) دمشق

١ - هدم المباني حول المسجد الاموي المشهور ليعطيه المظهر اللائق به ، وكذلك ايجاد طرق سهلة الوصول اليه .

٢ - المحافظة على سوق الحميدية الشهير عند اعادة تعمير المنطقة الواقعة فيها في المستقبل .

٣ - تهيئة شريان طولي يمتد من الشرق الى الغرب بحيث لا يخرق المنطقة المركزية التجارية .

٤ - ادماج شرايين الاودية الخضراء التي تصب في دمشق والشبيهة بالاصبع والتي تقع حول دمشق ضمن مخطط اقليمي شامل يسترعي جميع مميزات وخصائص المنطقة .

٥ - حماية الفوطة المشهورة من اي توغل صناعي اكثر مما تحتويه الان .

٦ - دراسة بعض الشوارع حول المساجد ذات الاهمية المعمارية بطريقة تجعلها محط الانظار وبذلك نخلق شوارع ذات مناظر معمارية جميلة .

٧ - تطوير جبل قاسيون المطل على دمشق بطرق تكون عملية وجمالية علمية ويجب اقتطاع جزء من الجبل للسكن والباقي يجب ان يخصص كحديقة عامة للتريض والنزهة .

٨ - يجب تعمير اجزاء كثيرة من دمشق على النظام الذي اتبع على نطاق صغير في منطقة البصة .

(ج) الاسكندرية

١ - ازالة جميع المباني المضرة بالصحة والمشوه المنظر الجميل

المتدة بمحاذاة شاطئ الكورنيش، وذلك لخلق جبهة بحرية من اعظم واجمل الجبهات البحرية الحضرية في العالم .

٢ - ايقاف النمو الجانبي والمبعثر والامتد على طول الساحل ، بتشجيع النمو العمودي على الخط الساحلي وبالاخص ما كان بالقرب من مركز جاذبية المدينة .

٣ - اعادة تعمير المناطق السكنية الكثيرة وحمايتها بواسطة شريط اخضر من اضرار واعمال الميناء المقلقة للراحة .

(د) بيروت

١ - الاسراع بتخفيض كثافة البناء واعادة التعمير في المناطق المكتظة بالمباني في المدينة .

٢ - تجميد جميع الاراضي الفضاء الباقية في المدينة الى ان تؤمن مناطق كافية لانشاء الحدائق والمنتزهات وايجاد سبل الترفيه والراحة للجمهور .

٣ - الاستمرار في مد كورنيش الجبهة البحرية وكذلك وقف كل بناء على البحر مباشرة .

٤ - التفكير جديا في هدم حي الدعارة الكبير ومنطقة سوق الخضار القديمة وترك مكانهما فضاء لتخفيف حدة الازدحام في المنطقة المسماة بالبرج وبذلك يسهل حل جزء كبير من مشكلة المرور العويصة في المدينة .

٥ - يجب التفكير جديا بالنسبة لمكان «مدينة» لوزارات الحكومة المقترحة واستغلال موقعها كمركز جاذبية وبذلك تخف حركة المرور وسط المدينة وعلى شرايينها الرئيسية .

٦ - تهيئة مداخل سريعة وقليلة التقاطع من جهة « الشرق - الغرب » ومن ناحية الشمال - الجنوب .

٧ - العمل على ايجاد وسائل للمواصلات افضل للنقل الجماعي مما هي عليه المدينة حاليا .

٨ - التفكير الجدي باعادة بناء المنطقة المركزية التجارية حسب اسس التنظيم المعاصرة .

(هـ) القدس

١ - وقف النمو المبعثر على طول طريق « رام الله - القدس » والحد من التعمير المتناثر السريع في معظم الاتجاهات الاخرى .

٢ - المحافظة على اتباع المخطط الاقليمي للمنطقة لحماية المناظر الطبيعية المحيطة من النمو الملطخ والطولي والشبيه بالمسكرات المبعثرة وكذلك الحد من الاستعمالات الغير مرغوبة للارض .

٣ - مراقبة الفن المعماري في المنطقة لحمايته من غزو العمارة الحديثة التي تقف كنشاذ حاد لاتجاه فن العمارة في القدس قبل سنة ١٩٤٨ .

٤ - عدم السماح لبناء فندق هيلتون او التصريح لتشييد اي فندق اخر على جبل الزيتون .

٥ - وضع قانون تنظيمي للمدينة القديمة كي يحفظها بحالتها التاريخية ويتدارك بحساسية اي تجديد فيها .

(و) الخبر والدمام

١ - صرف النظر عن تنفيذ مخططات شركة ارامكو المجهزة لهاتين المدينتين واعادة تخطيط المناطق الغير مسكونة ، اذ ان المخططات الراهنة هي تقليد لنظم تنظيمية بالية .

٢ - تطوير العمارة الصحراوية كي تتفق مع المناخ والظروف المعيشية للمنطقة والمحافظة على التراث العربي الصحراوي البسيط الجميل .

(ز) طرابلس - لبنان

١ - صرف النظر عن المخطط البالي الذي جهز للتوسع الشمالي

٢ - حماية منطقة المزروعات الحمضية من التوغل الصناعي الجامح

٣ - استخدام تنظيم مدني لائق على طول مجرى نهر ابو علي .

٤ - اتمام تعمير مساكن «البدوي» كي تصبح ضاحية جديدة جميلة للمدينة .

٥ - حماية الجبهة الساحلية الجميلة من الاستعمالات السيئة والتوسعات الغير مدروسة للاراضي .

٦ - اعادة تعمير منطقة الميناء .

(ح) اللاذقية

١ - منع اي نمو عمراني غير مخطط حول منطقة الميناء الجديدة .

٢ - منع النمو العمراني المبعثر على طول طريق «اللاذقية - حلب»

٣ - حماية الجبهة البحرية بوضع مخطط رئيسي جدي مدروس لها .

٤ - تجهيز مخطط اقليمي ليدخل ضمن نطاقه المناظر الطبيعية الرائعة .

(ط) الكويت

- ١ - العمل على مد الكورنيش من الصليبيخات الى الاحمدى، الشيء الذي يعتبر ضرورة حتمية لمدينة صحراوية والذي يجب ان يعد أيضا مكان للتنزه ومتنفس لسكانها .
- ٢ - محاولة تخفيف كثافة الازدحام في المنطقة المركزية التجارية والمحافظة على المظاهر التخطيطية والمعمارية الكويتية الاصيلة .
- ٣ - ايجاد حل لمشكلة المياه الحلوة كأساس حتمي اذا اريد تأمين مظهر الزرع الأخضر في الكويت .
- ٤ - وقف التراخيص للعمارات الحديثة السخريه التي سوف تجعل من الكويت مدينة كاريكاتورية اذا استمر هذا الاتجاه والانحراف عن اسس الهندسة العريقة .
- ٥ - وقف الاتجاه الحالي من صبغ الصحراء بمناطق سكنية لا تمثل الصفة العربية الاصيلة ولا توضح الوضع الصحراوي القديم ولا تلائم المؤثرات الطبيعية المحلية .
- ٦ - وضع مخطط اقليمي عام لمنطقة الكويت - الشعبية ليربط المدينتين معا بالنسبة للاقليم الجغرافي .

(ي) القاهرة

- ١ - تحديد نمو السكان الى تعدادهم الحالي ، والتفكير جديا لخلق مدن حداثية حول القاهرة ، كل منها قائمة بصناعتها الخاصة ، بشرط ان تقع متباعدة لئلا يتلغها النمو الاسكاني او يهددها التجمع العمراني .
- ٢ - معالجة الاحياء الغير صحية والمتسببة عن الهجرة الكبيرة من الريف الى المدينة .
- ٣ - منح المحافظة قوة القانون والهيمنة على تنفيذ مخططاتها الرئيسية العام .
- ٤ - مراجعة وتعديل بعض مظاهر ونظم موقع مدينة نصر مثل ما هو مقترح من اقامة مباني الوزارات فيها على ان لا تكون شبيهة بنظام المعسكرات كما حدث في مدينة الرياض بالملكة العربية السعودية .
- ٥ - عمل شيء جذري نحو حل مشكلة المرور السيئة في قلب المدينة .
- ٦ - تشجيع اقامة العمارات السكنية على طول شاطئ النيل بعد دراسة موقعها من وجهة النظر المعمارية والتخطيطية والجمالية ، وبذلك تكتسب هذه المدينة الفريدة مناظر فريدة وخلابة بسبب اختلاف مראى هذه العمارات بالنسبة للمارة .

٧ - إعادة تعمير حي القاهرة القديمة بحيث يحتفظ بطابعه العربي الاسلامي القديم وبذلك تتجنب ما حدث من طغيان العمارة الحديثة كما حدث في كثير من المدن العربية .

(ق) العقبة

١ - يجب إعادة النظر في المخطط الرئيسي المقترح لهذه المدينة البحرية الجديدة بحيث يكون هدف التخطيط هو تكبير المجال حول كثير من مظاهرها .

٢ - يجب التفكير في الاستفادة من الوضع الاقليمي للمدينة بالنسبة للمنظر الطبيعي والجغرافي والاقتصادي والاستراتيجي .

٣ - يجب تكبير المساحة المخصصة للمدينة ، ولا سيما المنطقة الصناعية فيها ، التي يجب ان تخطط بانتظام وتفصل بوضوح عن المنطقة السكنية فيها .

٤ - يجب تجنب اي امداد للطرق يكون باهظ التكاليف وخصوصا على جانب التلال التي تلتف حول المدينة . انه باختيار موقع ووضع المدينة الجديد يمكن الاقتصاد في تكاليف انشاء الطرق وايجاد شريط لخطوط السكك الحديدية وآخر للسيارات وبينهما شريط من المزروعات .

٥ - يجب زيادة الجبهة البحرية على طول الخليج اكثر مما هو مخصص لها حاليا . ويمكن اختيار موقع السوق والمركز التجاري والمدني خلف الجبهة البحرية مباشرة من جهة الشمال .

٦ - ان فكرة حركة المرور المقترحة في المخطط الرئيسي الراهن ليست فقط فكرة بالية وعديمة النفع في مخطط عصري ، ولكنها تعد اسوأ شبكة لحركة المرور . انها تجنب الاعراض والعلل الماضية البالية في شبكة المربعات الجامدة وبدون الاستفادة من نظامها الهندسي .

٧ - يجب تكبير وتوسيع المنطقة التجارية مع جعلها سهلة للنمو والتطور في المستقبل . ويجب إعادة دراسة موقعها لفرض تجنب الازدحام الغير ضروري وارتباك المرور فيه .

٨ - يجب تهيئة كثير من التسهيلات الاساسية الاضافية في المدينة وتحرير المناطق المخصصة للتسهيلات الحالية كي تسمح لايجاد مواقف لانتظار السيارات وايجاد تصميم افضل للانشاءات البنائية .

٩ - يجب إعادة توجيه الموقع المقترح للمباني لوضع احسن وافضل من حيث التوجيه الشمسي والمنظر الطبيعي والرياح المتقلبة .

(ل) طهران

١ - يعتبر وضع طهران ، من حسن الحظ ، ممتازا للغاية . فلا

يزال امكانية لتوسعها في المستقبل سهل وعظيم وتوجد اراضي فضاء خالية من جهة الشرق والغرب والجنوب . ولو ان منظر مصانع الطوب التي تقع في الجهة الجنوبية من المدينة مؤذي للنظر ، الا انه يمكن اقامة احياء سكنية مكانها في المستقبل . انه لمن المؤسف لو ان هذه المناطق لم تخطط تنظيماً كجزء من المخطط الرئيسي الاقليمي لطهران ، بطريقة يمكن بواسطتها تجنب الاخطاء التي ارتكبت في طهران نفسها . وفي الوقت نفسه تكون علاجاً لتخفيف الكثير من مشاكل طهران الحضرية ، اذ انه لن يكون ظريفاً ان تأتي من المناظر الخلابة والمحيطه ببحر قزوين نواجه مناظر غير خلابة وغير جميلة للمدينة التي هي من صنع الانسان .

٢ - يجب ان يتشبع المهندسون بروح العمارة كما في «تختجمشيد» واصفهان بدلاً من العمارة الدولية التي تسمى « العمارة الحديثة» . انهم يمكنهم بمساعدة الصناع المهرة الايرانيين ان يجعلوا طهران عاصمة فريدة ذات انطباعات هندسية وفنية ممتازة .

٣ - حل مشكلة المرور السيئة واقتباس بعض الحلول التي طبقت في المدة الكبيرة

٤ - تحسين وتطوير الحديقة المشهورة خلف الاسوار والمحافظة عليها من الضياع وسط العمران الحضري والمعماري بالمدينة .

٥ - سن قوانين تنظيمية للبناء وتقسيمها الى مناطق . وكذلك عمل تشريع لتخطيط المدينة الشامل .

٦ - استعمال بعض المياه المحجوزة بواسطة سد « الخردج » الجديد لزراعة الجهات الجنوبية من المدينة .

٧ - يجب التعليم والاقتباس من الدروس الممتازة التي يمكن تطبيقها من فن العمارة في شمران واصفهان وتختجمشيد وليس من فن العمارة في مرسيليا وميلانو وجنيف .

(م) استانبول

١ - حل مشكلة الاتصال بين الجانب الاوروبي والجانب الاسيوي للمدينة ، وذلك باقامة جسر معلق او حفر نفق تحت المضيق .

٢ - تطوير منطقة الجبل المرتفعة حول برج « جالاتا » والتي تطل على مضيق البوسفور بطريقة تحفظ طبيعة وجو هذه المنطقة الجميلة

٣ - حفظ المساجد القديمة والاسواق والمباني التاريخية في المدينة القديمة عندما يعاد تعمير المناطق الغير صحية .

٤ - سحب حركة المرور الكثيفة بعيداً عن ميدان الاستقلال وشارع الجمهورية ، وتطوير مخطط رئيسي اقليمي لجزء المدينة الواقع على الضفة الاوروبية .

٥ - ربط الجانب الاوروبي والجانب الاسيوي للمدينة على طول امتداد شاطئ القرن الذهبي بطريقة تسهل الاتصال السريع والريح بين الشاطئين .

(ن) اصفهان

١ - حفظ وتجديد واعادة تعمير المناطق التاريخية والاثرية من الوجة المعمارية بطريقة خلاقة .

٢ - اقامة مساكن لذوي الدخل المحدود لتخفيف كثافة السكان المتزايدة على الاخص في المناطق الغير صحية بالمدينة القديمة .

٣ - تصميم وبناء مراكز للصناع المهرة مقابل ايجار رمزي زهيد كي يشجعوا الصناعات البيتية الفنية للايرانيين ليستمروا في اعمالهم التقليدية الممتازة .

لقد اخترنا الامثلة السابقة لانها تتميز بمشاكل مشتركة في معظم مدن الشرق الاوسط . فاذا كان من الصعب ايجاد حلول سهلة وقاطعة لتخطيط سليم من شأنه معالجة هذه المشاكل ، الا انه يجب على كل مدينة ان تفحص خصائصها الممتازة ومشاكلها العويصة لصورتها الحضرية وتتخذ ما يناسبها من الحلول الحضرية بروح التخطيط العلمي والفني للمدينة والاقليم معا .

ولو اننا اخترنا المدن الكبرى ، وعلى الاخص العواصم منها ، كأمثلة الا انه يجب ان لا نهمل المدن الصغرى والقرى والنجوع التي تعد بالمئات . فقد جرت العادة في العالم العربي وفي بعض البلاد الاسيوية والافريقية وامريكا اللاتينية ان تعتبر العاصمة اهم مدينة وتعطى لها الاولوية في امتصاص موارد وطاقة البلاد . ان هذا يعد خطأ اساسيا قد يؤدي الى نتائج اقتصادية واجتماعية سيئة وينجم عنه اخطاء جديّة بالنسبة للتخطيط الاقليمي الشامل للدولة .

ان كل المدن ، سواء كانت عظمى او صغرى ، يجب ان تحظى بانتباه علمي من حيث تخطيطها الصحيح اللائق بها . وذلك لان فترة الاستهانة بالتنظيم والتخطيط قد ادت الى خسائر جمة وخاصة للشعوب الناهضة النامية . يجب علينا في كل البلدان النامية مثل بلادنا العربية ان نحرض كل الحرص على طريقة نمو وتطوير مدننا واريافنا ، ونعيرها الاهمية العلمية اللائقة لتوجيه نموها في السبل السليمة . وكل هذا ممكن وضروري ، اذ ان التخطيط المدني الحكيم هو تخطيط حكيم ايضا في الحقل الاجتماعي والاقتصادية والانسانية .

٤٦ - المؤتمر الهندسي العربي الثامن

المشاكل الفنية للمدن والقرى العربية وطرق معالجتها

بعد ان اجل انعقاد المؤتمر الهندسي العربي الثامن اكثر من مرة ، عقد هذا المؤتمر اخيرا بالقاهرة بدلا من الاسكندرية . وحضر المؤتمر اكثر من ٦٠٠ مهندس عربي من الكويت والعراق والجمهورية العربية المتحدة وسوريا ولبنان ، وناقش موضوع المؤتمر العام : « المشاكل الفنية للمدن والقرى العربية وطرق معالجتها » . وقد قسم المؤتمر جدول اعماله حسب المواضيع والبحوث المقدمة له الى خمس لجان هي :

- ١ - لجنة التخطيط .
- ٢ - لجنة الاسكان والتشريفات
- ٣ - لجنة تخطيط القرية والمسكن الريفي .
- ٤ - لجنة العمارة والانشاء .
- ٥ - لجنة المرافق .

وقد ترأس لجنتين من هذه اللجان مهندسان من وفد الكويت للمؤتمر ، وبحث في لجنة التخطيط اكثر من عشرة بحوث مقدمة من قبل مهندسين من الكويت . فيكون بذلك قد لعب وفد الكويت للمؤتمر دورا اساسيا وفعالا في المناقشات كما ان بعض التوصيات المتخذة انبثقت من البحوث المقدمة من قبل الكويت .

وقد قدم للمؤتمر ٥٧ بحثا في ميادين هندسية كثيرة ، تبين نشاط واختيار المهندس العربي وهو يجابه ويواجه المشاكل الحضارية والتخطيطية والعمرانية والاقتصادية في بناء الاقاليم والمدن والقرى العربية . ومن خلال هذه البحوث ، يتبين للمرء ان المهندس العربي قد اتخذ مكانته المرموقة في جميع الحقول الهندسية وشق طريقه باتجاه حقل البحث العلمي في الهندسة . وفيما يلي جدول بالبحوث المقدمة ومؤلفيها :

المواضيع المقدمة للمؤتمر الهندسي العربي الثامن

القاهرة : من ٨ الى ١٢ مايو ١٩٦٣

١ - بحوث وزارة الاسكان والمرافق «بالجمهورية العربية المتحدة»

(١) مشكلة الاسكان بالجمهورية العربية المتحدة
للمهندس حسين السرجاني

(ب) الاسكان والمجتمع

للمهندس حسين السرجاني

(ج) الاسكان التعاوني

للمهندس عبد الحميد وهبه الزنقلي

(د) الاسكان الاقتصادي

للمهندس شكري توفيق

(هـ) نظام احلال المنتفعين في المساكن الاقتصادية
للمهندس محمد توفيق محمود

(و) التشريعات والقوانين الخاصة بقطاع الاسكان .
للمهندس لويس عطاالله فليب

(ز) التملك والتأجير في مجال الاسكان
للمهندس عبد الحميد وهبه الزنقلي

(ح) الاسكان الاقتصادي - الاستثمارات
للمهندس ابراهيم نجيب

(ط) تطور القرية المصرية والبيت الريفي

للمهندسين المعماريين :
محمد كامل زيتون
محمد صلاح الدين حجاب
صلاح الدين محمد زكي الدين

٢ - بعض مشروعات المرافق في عهد الثورة في الجمهورية العربية المتحدة .
للمهندس محمد محمد عجميه .

٣ - تخطيط خدمات تحسين البيئة القروية للمهندس محمد محمد عجميه .

- ٤ - اللدائن في البناء للمهندس محسن لطفي .
- ٥ - وسائل النهوض بالقرية العربية بصورة عامة والقرية اللبنانية بصورة خاصة . للمهندسين عفيف سليمان ومحمد فواز .
- ٦ - طاقة الطرق على استيعاب وتصريف السير المتواصل ومشروع الخصائص الرئيسية لتخطيط الطرق العامة في لبنان . للمهندس محمد علي العيتاني .
- ٧ - نحو تخطيط شامل لمدينة الكويت . للمهندس الدكتور سابا جورج شبر .
- ٨ - دراسة تحليلية في تخطيط المدن المصرية للدكتور المهندس عبد الباقي ابراهيم .
- ٩ - تخطيط وتنظيم القرية العربية : التخطيط الاقليمي كأساس لتخطيط القرية للدكتور المهندس عبد الباقي ابراهيم .
- ١٠ - الكويت عام ٢٠٠٠ بعد الميلاد للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ١١ - الفبار الذري وكيفية تصميم المخابىء الواقية منه باستخدام المواد المحلية . للدكتور المهندس احمد علي العريان .
- ١٢ - بحث ابن خلدون في تنظيم المدن والعلم والاجتماع وفن العمارة . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ١٣ - الهندسة المعمارية المعاصرة . بعض المشاكل واقتراحات بالعلاج . للمهندس هشام رشدي الامام الحسيني .
- ١٤ - الاسمنت التمديدي للخرسانة سابقة الاجهاد الكيميائي من الوجهتين النظرية والتجريبية . للدكتور المهندس علي العريان والدكتور المهندس يحيى مصطفى العجماوي .
- ١٥ - المفاهيم الحديثة للخواص الطبيعية والميكانيكية لاختشاب البناء واقتصادياتها . للدكتور المهندس احمد علي العريان .
- ١٦ - الكويت تخطط عاصمتها على احدث الاساليب . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ١٧ - الرابية : مشروع سكني في لبنان . للمهندس شكري حنا شماس .
- ١٨ - الاختيار الفني الاقتصادي لناقلات البترول . للدكتور المهندس فؤاد بهجت .

- ١٩ - بعض الاقتراحات لتطوير اساطيل صيد السمك في المياه العربية ، للدكتور المهندس فؤاد بهجت .
- ٢٠ - مياه الشرب بالريف المصري . للمهندس محمود عزت عبد العظيم .
- ٢١ - العمار والعالم العربي : اتجاه جديد . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٢٢ - الاسكان العمالي في مصر . للدكتور المهندس زكي بدوي .
- ٢٣ - مشاكل المرور والنقل داخل المدن الكبيرة وكيف يمكن علاجها . للمهندس محمد احمد الحكيم .
- ٢٤ - المسكن الاقتصادي وكيف تنشئه . للدكتور المهندس عبد العزيز العروس .
- ٢٥ - تنظيم المدن والاقاليم . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٢٦ - اسس التصميم . . والتنفيذ لاستعمال الخرسانة المسلحة في المباني . . ولاستعمال الخرسانة سابقة الاجهاد . للدكتور المهندس سيد مرتضى .
- ٢٧ - التخطيط القومي (١) اسس التخطيط في الجمهورية (ب) مشروع الوادي الجديد . للدكتور المهندس احمد امين النجار .
- ٢٨ - مشروع التخطيط العام لمدينة الاسكندرية . للمهندس عزيز ومبهي .
- ٢٩ - نحو السياسة العامة للاسكان في العالم العربي للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٣٠ - كهربة . . مشاريع الاسكان . للمهندس عبد الحميد سعيد .
- ٣١ - خطة كهربة الجمهورية العربية المتحدة لتوليد ونقل وتوزيع الكهرباء للدكتور المهندس محمود القشيري .
- ٣٢ - الصرف الصحي : الابحاث والخبرة من مشروعات الجمهورية العربية المتحدة . للمهندس يوسف علي كامل .
- ٣٣ - مشروع قانون بتحديد المناطق الصناعية بالمدن والقرى . للدكتور المهندس احمد امين مختار والمهندس توفيق احمد حسن .
- ٣٤ - علم التنظيم وتطور الكويت . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٣٥ - تغذية محافظة الاسكندرية بمياه الشرب شركة مياه الاسكندرية .

- ٣٦ - تخطيط المدن . للمهندس توفيق احمد حسن .
- ٣٧ - وجوه المدينة . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٣٨ - حول سياسة ثابتة للتعمير في القرى . للدكتور المهندس علي بسيوني .
- ٣٩ - تخطيط المنشآت الرياضية في البلاد العربية . للمهندس صلاح عبد الحميد .
- ٤٠ - الشبكات الكهربائية ذات الضغط العالي لمدينة بغداد . للمهندس خلدون لطف الله الصالحي .
- ٤١ - المرور ومواقف السيارات : مشكلة حضرية اقتصادية خطيرة في العالم العربي . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٤٢ - مقومات وكيان المدن العربية : تحري بعض العوامل الاساسية في مستقبل تخطيط المدن في البلاد العربية . للدكتور المهندس محمد مكيه .
- ٤٣ - مياه الشرب لمدينة بغداد . للدكتور المهندس نجم الدين العاني .
- ٤٤ - الكورنيش الكبير للكويت . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٤٥ - تخطيط المدن والتعمير . مبادئ التخطيط الاساسية وبحثها على ضوء مخطط العقبة الجديد . للمهندس ريمون مسعد .
- ٤٦ - تمويل مشاريع الاسكان في الوطن العربي . للمهندس ظافر البديري .
- ٤٧ - المساكن الاقتصادية والوحدات السابقة الصنع للمهندس محمود حسون .
- ٤٨ - طراز العمارة . للمهندس توفيق عبد الجواد .
- ٤٩ - تخطيط القرية العربية ومرحلة الانتقال من الوضع الحالي الى التخطيط الجديد اي برنامج ابحاث ودراسات اصلاح وتخطيط القرية العربية . للمهندس توفيق عبد الجواد .
- ٥٠ - ميلاد وانشاء حديقة وسط مدينة الكويت . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .
- ٥١ - الاعداد المهني لصناعة التبريد وتكييف الهواء في الكويت للمهندس السيد علي غالب .

٥٢ - تخفيض حوادث المرور في المدن من طريق الاضاءة الصحيحة للطرق . للدكتور المهندس علي رفعت حمدي .

٥٣ - نمو المدن في الاقليم الشرقي من المملكة العربية السعودية . للدكتور المهندس سابا جورج شبر .

٥٤ - مياه الشرب بالريف المصري . للمهندس محمود عزت عبد العظيم .

٥٥ - منازلنا الريفية ومشكلة النمل الابيض . للسادة انطون كساب ، محمد امين عزت ، احمد منير شعراوي .

٥٦ - المرافق العامة دورها وتقويم خدماتها في مجتمع اشتراكي تعاوني . للمهندس محمد احمد الحكيم .

٥٧ - المشاكل الفنية للمدن والقرى العربية وطرق معالجتها ، للدكتور المهندس سابا جورج شبر .

احتوت المواضيع والبحوث المدرجة اعلاه معلومات وبيانات وتحاليل قيمة في حد ذاتها . وما نجم عنها من مباحثات ومناقشات وتبادل الاراء ادى الى وضع جميع مشاكل الدول العربية التخطيطية والعمرانية والانشائية على بساط البحث الصريح . ومما تبين نتيجة لهذه الدراسات ان الدول العربية تجابه مشاكل حضرية مماثلة يجب مجابتهها بطرق سليمة وعلمية وموحدة اذا امكن ذلك . وبما ان القرارات والتوصيات التي اتخذها المؤتمر ذات اهمية كبيرة بالنسبة للمسؤولين العرب والمهندسين والاقتصاديين والماليين ، ندرج هذه القرارات والتوصيات ادناه بكاملها .

قرارات وتوصيات المؤتمر الهندسي العربي الثامن

المنعقد بالقاهرة من ٨ الى ١٢ مايو (ايار) ١٩٦٣

اولا - يتقدم المؤتمر بخالص الشكر لسيادة الرئيس جمال عبد الناصر على تفضله بشمل المؤتمر برعايته وايفاد السيد المهندس احمد عبده الشرباصى عضو مجلس الرياسة نائبا عنه فى افتتاح المؤتمر .

ثانيا - قرارات وتوصيات عامة :

١ - يعلن المهندسون المشتركون فى المؤتمر اغتباطهم بتكوين اتحاد المهندسين العرب فى ٢٨ ابريل (نيسان) سنة ١٩٦٣ وتأييدهم لاهدافه ويعاهدون الله على وضع علمهم وخبراتهم تحت تصرف البلاد والاقطار العربية كافة حتى تمضى تلك التي قطعت شوطا فى سبيل النهضة الشاملة قدما فى مسيرة ركب الحضارة العالمى وتقدم صفوفه ، وتأخذ الاخرى منها باسباب التقدم السريع لتلحق بالركب .

٢ - تعريب المصطلحات العلمية والفنية والرموز وتوحيدها امرا واجب لكي تعود للعرب مكانتهم فى العلوم والفنون وضرورة حتمية للتعليم والتدريب لمن هم دون المستوى الجامعي بصفة خاصة .

ويوصي المؤتمر اتحاد المهندسين العرب بالمبادرة بمراجعة ما تم وضعه من هذه المصطلحات والرموز فى مختلف البلاد العربية لتوحيدها وتطويرها بما يتفق والنهضة العلمية المباركة فى مختلف البلاد والاقطار العربية .

ويسر المؤتمر ان يشيد بالجهود التي بذلتها ادارة التدريب المهني بالقوات المسلحة بالجمهورية العربية المتحدة فى اعداد معجم المصطلحات الفنية المتضمن ٣٥٠٠٠ مصطلح وتعبير فني والذي يعتبر هو وما تم اعداده فى البلاد والاقطار العربية الاخرى من معاجم اساسا صالحا للعمل .

يوصي المؤتمر الجهات المعنية بعمل دراسات تحليلية احصائية على مختلف المشروعات ومتابعة ما تم تنفيذه منها للتأكد من تحقيقها لاهدافها ومن صلاحية تصميمها بمقارنة نتائج تشغيلها مع المعايير التي صممت على اساسها للاستفادة منها على اتم وجه ولتحسين وتطوير المشروعات وتخفيض تكاليفها .

٤ - يؤكد المؤتمر اهمية البحوث العلمية والتكنولوجية وضرورة ايجاد مراكز لهذه البحوث تتوافر فيها الامكانيات الضرورية وتؤمن لها الاعتمادات اللازمة . كما يوصي بتوثيق الروابط وتنسيق الجهود وتبادل

الخبرات بين هذه المراكز في البلد الواحد من ناحية وفي مختلف الدول والاقطار العربية من ناحية أخرى .

٥ - تفتقر البلاد والاقطار العربية الى الخبرات الفنية على مختلف المستويات وفي مختلف التخصصات ويقتضي الامر تعميم مراكز التدريب المهني وتدعيمها وموالة التدريب اثناء العمل لرفع المستوى الفني والكفاية الانتاجية .

٦ - لما كان التخطيط علما حديثا نسبيا وكانت البلاد العربية بصفة عامة يعوزها المخططون المتخصصون لذلك يوصي المؤتمر بالاهتمام بدراسات التخطيط على المستوى الجامعي وما فوقه سواء فيما يتعلق بالتخطيط القومي او الاقليمي او لتخطيط المدن والقرى .

٧ - يوصي المؤتمر بالاهتمام بالوقاية من الفبار الذري وعمل الدراسات المتصلة بذلك ووضع التشريعات اللازمة بشأن اقامة الملاجئ الواقية من هذا الفبار على ان يصاحب ذلك حملة واسعة لتقليل خوف الجماهير من اخطار الفبار الذري ولانماء وعيهم لاتقاء هذه الاخطار عن طريق النشرات المبسطة .

٨ - تقتصر القوانين الحالية المتعلقة بالاسكان على تقسيم الاراضي وانشاء الابنية وقد اصبحت هذه القوانين في حاجة الى التعديل . كما ان هناك حاجة لاصدار قوانين تتعلق بتخطيط المدن والقرى متضمنة استعمال الاراضي وتحديد المناطق وازالة الاحياء غير الصحية .

ويوصي المؤتمر بسرعة اعداد واصدار التشريعات الشاملة في هذا العدد على ان تنبثق هذه القوانين من الاسس والمبادئ التخطيطية والهندسية السليمة وفقا لظروف البيئة المحلية .

تخطيط المدن

يؤكد المؤتمر اهمية التخطيط القومي لتحقيق النمو المتكامل للمجتمع في البيئة العربية خصوصا في مرحلة النمو السريع الذي تجتازه لمسيرة ركب الحضارة والذي يثقل مواردها المادية والبشرية . ويوصي بانشاء هيئات عليا للتخطيط القومي في جميع البلاد والاقطار العربية التي لم تأخذ بذلك بعد على ان تضم اخصائيين في مختلف ميادين التخطيط الشامل وان تراعى اهمية دور المهندسين المتخصصين في التخطيط المدن والقرى .

٢ - يؤكد المؤتمر التوصيات السابقة بشأن ضرورة توافر البيانات الاحصائية الدقيقة على التفصيل الكافي والمسح الشامل لامكان وضع المخططات القومية ويوصي بالتعجيل بذلك .

٣ - يوصي المؤتمر بالتعجيل باعداد وتخطيطات عامة لمختلف الحواضر والمدن العربية على ان تكون من المرونة بما يسمح بمسيرة التطور المستمر وان يراعى ربطها بالتخطيط الاقليمي للمنطقة المحيطة بها .

٤ - يرى المؤتمر ان تتضمن اللجان الفنية الدائمة لاتحاد المهندسين العرب لجنة تختص بتخطيط المدن والتخطيط الاقليمي .

٥ - يوصي المؤتمر بضرورة الاهتمام بالدراسات التخصصية العليا في تخطيط المدن والقرى .

٦ - يوصي المؤتمر بالمبادرة الى وضع اسس لتحديد المسطحات اللازمة لمختلف منشآت الخدمات العامة .

٧ - لما كانت البلاد العربية تتضمن مساحات صحراوية شاسعة تحسن الاستفادة منها على اكمل وجه يوصي المؤتمر بالاهتمام بالدراسات والابحاث الخاصة بهذه المناطق وباستغلالها وتعميرها على اسس علمية سليمة .

رابعا - تخطيط واصلاح القرية :

١ - يؤكد المؤتمر اهمية العناية باصلاح القرى العربية التى يسكنها ما يقرب من ثلثي السكان فى بعض البلاد والاقطار والتي لاتزال فى حالة من التخلف لا يصح السكوت عليها . ويوصي بعمل بعمل دراسات شاملة للقرى تتضمن النواحي العمرانية والصحية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية ووضع برامج للنهوض بالقرى من جميع النواحي .

٢ - لما كان اصلاح القرى العربية عملا ضخما يتطلب جهودا كبيرة واموالا كثيرة ووقتا متسعا لذلك يوصي المؤتمر بوضع سياسة عاجلة لاصلاح القرى وسياسة طويلة المدى للسير على هداها .

وفيما يتعلق بالسياسة العاجلة يرى المؤتمر ادخال تحسينات فى جسم القرية الحالية من حيث الشوارع والميادين وتوفير المرافق العامة لها والعمل على ان تقام المباني الجديدة خارج القرية الحالية والاكتفاء بالاصلاحات اللازمة للمباني القائمة واختيار المواقع المناسبة للسياسة البعيدة المدى يوصي المؤتمر بان يكون تخطيط القرية على اسس اقليمية مدروسة ترغب سكان القرية فى البقاء فيها وتقلل من هجرتهم الى المدن مما يخلق المشاكل للقرية والمدينة معا .

ومن جهة اخرى يوصي المؤتمر بعمل تخطيط اقليمي شامل للريف يراعي فيه التطور الزراعي والاقتصادى كما يوصي بالتوسع فى انشاء الصناعات الريفية لرفع المستوى الاقتصادى لسكان الريف .

٣ - يوصي المؤتمر بالربط الوثيق بين مختلف الهيئات والمصالح التي تعني بشئون القرية وتنسيق العمل بينهما وايجاد جهاز يختص برسم سياسة اصلاح وتعمير القرى .

٤ - يوصي المؤتمر بالتوسع فى عمل الدراسات والبحوث الفنية المتصلة بالقرية وبالمسكن الريفي ويوضع معايير قياسية لوحداث السكن

لتحسين طرق الانشاء وتخفيض التكاليف . كما يوصي بالامتداد الراسي للمبنى لمواجهة النمو المتزايد في عدد السكان .

٥ - يشكل النمل الابيض خطرا على بعض القرى في اغلب البلدان العربية ويوصي المؤتمر بالاستفادة بما تم من دراسات في هذا الشأن وباتخاذ الاحتياطات الوقائية في انشاء المباني لتقليل من هذا الخطر .

خامسا - الاسكان :

١ - يبدي المؤتمر اهتمامه بما تم في بعض البلاد العربية من اعداد المواصفات القياسية والقواعد التطبيقية واشترطات اسس التصميم والتنفيذ المتصلة بالاسكان ويوصي بسرعة اصدارها وبمبادرة البلاد العربية الاخرى بدراستها والاخذ منها بما يتفق مع ظروفها الخاصة - كما يوصي بمواولة الدراسة وتطوير هذه المواصفات والقواعد والاشتراطات .

٢ - يوصي المؤتمر بوضع اشتراطات تحكم الحد الادنى لوحدة السكن من حجرات ومنافع وفتحات من حيث المساحة والارتفاع والحجم .

٣ - يوصي المؤتمر بان تكون المجموعات والمناطق السكنية مكتملة المرافق والخدمات وان تنفذ هذه المرافق في نفس الوقت الذي تنشأ فيه المجموعات السكنية وبالقدر اللازم لها .

٤ - يوصي المؤتمر بالتوسع في انتاج الخامات وتدبير الادوات والمواد والمعدات اللازمة للبناء بما يفي بحاجيات البلاد . كما يوصي بتوحيد المقاسات لتخفيض تكاليف البناء .

٥ - تحقق اجزاء المباني السابقة الصنع وفرا في التكاليف وفي مواد البناء وسرعة في تشييد المباني المتكررة الوحدات ولذلك يوصي المؤتمر بالتوسع في استعمالها وفي اقامة المصانع اللازمة لها على ان يراعى فيها ظروف البيئة المحلية .

٦ - لما كانت المباني ثروة قومية يجب الإبقاء عليها ما امكن ونظرا لما هو مشاهد من عدم اهتمام باعمال الصيانة يوصي المؤتمر بالعمل على نشر الوعي اللازم في هذا الصدد وعلى تخصيص الاعتمادات المطلوبة لصيانة المباني الحكومية والعامة .

٧ - تستلزم النهضة الصناعية وما يتبعها من وجود مجموعات كبيرة من العاملين بالمصانع بجوارها تهيئة مشروعات اسكانية متكاملة لهذه المجموعات ويوصي المؤتمر باعتبار هذه المشروعات جزءا متمما للمصانع يساعد على رفع القدرة الانتاجية فيها .

سادسا - العمارة :

١ - يوصي المؤتمر بأن يقصر وضع التصميمات المعمارية على المهندسين المعماريين المؤهلين .

٢ - يوصي المؤتمر بالمحافظة على خصائص الطرز المعمارية العربية وتطوير هذه الطرز وتطبيقها في انشاء بعض المباني العامة كالمتاحف والمعارض والمكتبات .

٣ - يوصي المؤتمر بالمحافظة على المناطق الاثرية الهامة ذات الطابع الخاص باعتبارها تراثا قوميا ومنع اقامة المنشآت التي تقضي على روعة المنطقة وسن التشريعات اللازمة لذلك .

سابعا - مواد البناء :

١ - يوصي المؤتمر بما يلي :

(ا) التوسع في انتاج الحديد عالي المقاومة والمعالج على البارد .

(ب) التوسع في استعمال الخرسانة خفيفة الوزن والخرسانة سابقة الاجهاد .

(ج) التوسع في زراعة الاشجار التي تصلح اخشابها للبناء ودراسة الاشجار الموجودة في البلاد العربية والافريقية والاسيوية من حيث صلاحيتها لهذا الغرض .

(د) التوسع في انتاج الخشب الصناعي من المخلفات الزراعية .

(هـ) الاهتمام بصناعة اللدائن كمادة بناء حديثة ينتظر لها توسع كبير في المستقبل .

٢ - نظرا لأهمية الاسمنت التمدي للخرسانة سابقة الاجهاد الكيميائي ولما ينتظر ان تحدثه من تطور في صناعة البناء يوصي المؤتمر بضرورة انتاج هذه المادة في البلاد والاقطار العربية والتوسع في استعمالها .

ثامنا - المرافق :

١ - تعاني اغلب المدن والقرى العربية نقصا كبيرا في المرافق العامة وانخفاض في مستوى الوجود منها - ولما كانت مشروعات المرافق العامة كبيرة التكاليف يحتاج القيام بها الى دراسات وخبرات فنية وتكنولوجية عالية لذلك يرى المؤتمر ان تتكفل الحكومات بمسؤوليات هذه المشروعات وتعميمها على جميع السكان بما يطابق الحاجيات والامكانيات وان تعتبر من الخدمات العامة وان تقدمها الحكومات للشعب باقل الاسعار .

٢ - يوصي المؤتمر بتوحيد ذبذبة القوة الكهربائية وضغوطها في كل بلد عربي وفي البلدان العربية عامة على ان يتم هذا التوحيد في اقصر وقت ممكن .

٣ - تفتقر غالبية المدن العربية الى الصرف الصحي (المجارى) رغم اهميته الصحية ويوصي المؤتمر بان تتمشى مشروعات الصرف الصحي مع مشروعات تعميم مياه الشرب وان يبدأ بالمدن الشديدة الاحتياج لهذا المرفق .

٤ - تعتبر مشكلة التخلص من الفضلات الادمية من المشاكل الشديدة الخطورة على الصحة العامة خصوصا في المناطق الريفية ويوصي المؤتمر بان تعني الحكومات والادارات المحلية والهيئات الهندسية بالعمل على تعميم المراحيض المنزلية وتقديم المساعدات الفنية والمالية والقيام بالدراسات الضرورية لذلك .

٥ - تعاني بعض الحواضر العربية مشاكل عديدة تتصل بالنقل العام داخلها ويترتب عليها ضياع الكثير من الوقت والمال ويوصي المؤتمر مشددا بضرورة الاهتمام بهذه المشاكل ووضع الحلول لمواجهتها مع الاستعانة بالنقل تحت سطح الارض عند الاقتضاء .



من المتوقع ان تحظى هذه القرارات والتوصيات الجوهرية باعتبار اكثر من الحكومة والبلدية والمؤسسة العربية المسؤولة ، ذلك ان مستقبل العالم العربي يمكن في مدى جودة تنظيم الاقليم والمدينة والقرية وارتباط بعضها ببعض الآخر وباطار الجغرافيا - الطبيعية والسياسة الاشمل والاعم فمن غير الممكن توفير الوجود السليم للمدينة والاقليم اذا كان تعايشهما يقوم على اساس العلاقة الطفيلية . ومن الممكن اثبات هذه المسلمة تاريخيا سواء اكانت مطبقة على علاقة جزء من المدينة بجزء آخر ، او على علاقة المدينة بالاقليم ، او على علاقة الاقليم بالبلد كله ، او على علاقة بلد مع بلد آخر فالاحتكاك ، سواء اتخذ شكل انحراف احداث او شكل حرب ذرية ، هو النتيجة الحتمية لحالة نمو وتوسع غير متوازيين ولا شاملين ولا قائمين على اساس علمي .

ومن المؤمل ان تخرج البيئة السكنية لكل بلد عربي من حيز الرغبات في الاصلاح والتقدم الى المكان اللازم في غرف رسم السياسة الحكومية والبلديات والجامعات والمنظمات الوطنية الاخرى . ولكي يتسنى لنا الامل في مستقبل افضل يجب ان نضع منذ الان احجار الزاوية بأمان وفي امكنتها المناسبة .

واذا قارنا ما هدف اليه المجلس البلدى في الكويت في غضون السنتين

الماضيتين بالقرارات الآتية الذكر ، نجد ان سلطات الكويت البلدية لم تراع هذه القرارات الاهمية فحسب بل وضعت اكثرها قيد التنفيذ . ونأمل ، والكويت على عتبة تكوين جهاز فني لمجلس التخطيط ان يأخذ بهذه القرارات والتوصيات . اذ ان مستقبل هذا البلد النامي المتطور ، كي يكون سليما من النواحي العمرانية والتنظيمية والاقتصادية والهندسية ، يجب ان يركز على التعاون والتنسيق والعلم . والقرارات والتوصيات الآتية الذكر قرارات جوهرية منبثقة من مهندسين عرب اكفاء يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند رسم خطة المستقبل .

ان البلاد العربية بحاجة ماسة لأخذ زمام الامور الهندسية والتخطيطية باليد الحساسة وتطبيق جميع الاسس العلمية في تطبيق الهندسة والتخطيط . هذا امر مهم جدا لنصل الى احسن النتائج الاجتماعية والاقتصادية والهندسية للعرب اجمعين .

٤٧ - الهندسة والبناء بالطريقة التعاونية

إذا طبقت الفكرة التعاونية في بناء مناطق السكن الكبيرة فالحسنات الممكن الحصول عليها هندسيا كثيرة . فيما ان الهندسة المعمارية والانشائية في هذه المناطق السكنية المستجدة تخضع لعدة انتقادات منها فنية وجمالية وانشائية واقتصادية لذلك يمكن تدليل اكثر هذه الانتقادات اذا اتبعت عملية هندسية كبيرة وموحدة تدر منافع كثيرة في ميادين مختلفة اهمها ايجاد الانسجام الهندسي المعماري بالمشروع ، وضمان تنفيذ المشروع حسب مواصفات علمية وفنية ، وايجاد وفر كبير بثمن الوحدة عند تطبيق مبدأ الانتاج الاجمالي (Mass Production) .

هذا كله يتوقف على تعيين جهاز هندسي له الخبرة الوافية في التصميم والاشراف على مشروعات سكنية واسعة النطاق . فيمكن هذا المكتب القيام بوضع تصاميم لبيوت مختلفة الانواع والاحجام من ناحية عدد الغرف ويمكن ادخال واجهات مختلفة عليه ضمن الاطار العام لاجزاء البناء المتكررة مثل الشبايك والابواب واطوال واحجام الوسائل الانشائية الخ (Standardization) ان عملية التبسيط في الهندسة المعمارية المعاصرة هي اهم الاسس لكسب مراح للمالك مع ضمان اسلم النتائج له والوصول الى حلول هندسية جمالية لاتتأثر بها ولا تنافر .

وبالطريقة التعاونية يمكن تكريس الوقت الذي يستغرقه العدد الكبير من البيوت على دراسة اربعة او خمسة نماذج مختلفة دراسة وافية من جميع نواحي الكويت المناخية والاجتماعية وغيرها . فيمكن القول انه لغاية الآن ، لم تبين عمارة واحدة في الكويت منذ ١٩٥٢ تستوفي ما تتطلبه مؤثرات وعوامل الكويت الجغرافية والمناخية والاقتصادية بطريقة عملية .

وفي استخدام الطريقة التعاونية يمكن الحصول على نتائج معمارية جمالية منسجمة تجعل من وحدات السكن وحدات منسجمة هندسيا بدلا من ان تكون متناثرة ومتضاربة كما يحصل الان ، ولهذه الطريقة يمكن ضمان تخديم البيوت بالتبريد المركزي بدلا من الوحدات التبريدية ، ويمكن صيانة البيوت ومنافعها صيانة فنية تكفل للمالك نتائج حسنة .

والطريقة العملية هي ، بعد تأسيس التعاونية ، تعيين جهاز هندسي يخلق من مكتب مزود بما لا يقل عن خمسة مهندسين معماريين وغيرهم ذوي كفاءات وتجارب عملية لوضع التصاميم المختلفة والمواصفات والخرائط التفصيلية والمراجعات مع المعنيين بالبلدية والاشراف على تنفيذ المساكن المختلفة . ويمكن الاشارة هنا ان نوع وعيار الهندسة المطلوبة لمناخ ومميزات الكويت هي ما تتطلبه الهندسة في البلاد الباردة جدا من الحماية

والوقاية والدقة بالتنفيذ - الشيء الذي - لغاية الآن - لم يأخذه بعين الاعتبار أى مهندس سواء كان ، عربيا او اجنبيا . فمن مناخ ومميزات الكويت يجب ان ينبثق بيت فريد فى تصميمه وتنفيذه ليكون ملائما للكويت . وهذا الشيء يتطلب البحث (Research) والاختراع (Creation) والفن (Science) والجمال (Aesthetics) . وكما ان البيت يتطلب حلا فريدا ، كذلك تطلب الوحدات السكنية بالتالى حولا مبتكرة فريدة تلائم هى ايضا المناخ والظروف المحلية .

المهندس الدكتور سابا جورج شبر



٤٨ - في فلسفة ومستقبل الهندسة

محاضرة لخريجي المدارس الثانوية وهم على عتبة الالتحاق بجامعة الهندسة

ستجدون عقب تخرجكم من المرحلة الثانوية - ايها الشبان - عالما مشيا حولكم ، لكنه عالم لا يخلو من المشاكل والمخاوف والشكوك . ولعلكم قد استمتعتم عن التنظيم المدني وفن المعمار والهندسة والادارة ، وهي ميادين زاخرة بالحياة - تلك الميادين التي اكب عليها الانسان لدفعها وتطويرها . ان تاريخ الانسان سجلته اعماله وتقدمه بأحرف عريضة في هذه الميادين . ومنذ ذلك الوقت الذي جرت فيه هندسة وبناء الاهرامات والاشراف الادارى على اقامتها ، الى هذا الوقت الذي تم فيه ارسال قطعة من المعدن من هذا الكوكب الارضى الى كوكب آخر ، مضت حقبة زمنية بلغت نحواً من ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ سنة - حقبة من الجهد والتجربة والخطا والمجازفة والابتكار والاختبارات والانتصارات - فهي حقبة زمنية غير ساكنة بل حقبة دينامية ، شهدت قلق الانسان ودأبه لتحسين حياة الافراد في مجتمعه البشرى وتحسين احوالهم بالنسبة لعدوهم الاكبر ، الطبيعة ، والتي هي صديقة لهم بنفس القدر . وموجز القول ، فان الهندسة (وكذلك العلم والتكنولوجيا) اداة الانسان ووسيلته او اسلوبه الذي يكافح فيه الطبيعة ، وعن طريقها يشيد الانسان مأواه ليحمى نفسه من تقلبات الطبيعة ، سواء كانت تلك التقلبات البرد القارس لصحراء سيبيريا او الحرارة اللافتحة في الصحارى العربية . لقد صنع الانسان العربات لتنقلاته ولتنقل الاغذية والسلع من مكان لآخر بواسطة الهندسة ، ونراه يبني الطائرات بواسطتها ايضا ليتغلب على المسافات والزمن : ذينك العنصرين الاساسيين الكامنين في الطبيعة .

لقد قام الانسان بمنجزات كبيرة خلال الاربعة الاف سنة الماضية ، وانجز الجانب الاكبر منها خلال المئة والخمسين سنة التي تلت الثورة الصناعية . وان ما احرزه الانسان من تقدم في العلم والهندسة والاكتشافات والاختراعات - في هذه الفترة القليلة - الامر ملحوظ لا يصعب ادراكه ولقد اتبع الانسان ما يسمى بالطريقة العلمية ، كنهج فكري ، سهل له معالجته للامور من حيث الدراسة والتطبيق . ولهذا السبب ، فمن المتوقع ان يكون التقدم التكني الذي يكتنف حياتنا ، اكثر اثارة للانتباه ، وادعى للدهشة والاستغراب مما كان عليه .

ان عددا كبيرا من المهندسين والتلاميذ الباحثين موجودين الآن في هذا العالم بل ان عددهم اكثر من اى وقت مضى . ونرى الحكومات اليوم تدخل في سباق تكني مميت بين بعضها البعض ، وتغرى روح المنافسة ،

الانسان والامة وتحفزهما عادة نحو مزيد من التقدم . ولذلك يرى الانسان بأنه لا بد له من مضاعفة اعتماده على التكنولوجيا كخادم امين له ، ووسيلة لتحقيق اهدافه من اجل معالجة التزايد المستمر في السكان وحاجاتهم الماسة للغذاء والمأوى وقضاء اوقات فراغهم .

ايها الشبان المقبولون على دراسة هندسية جامعية مثيرة : انكم تأخذون هذه الاختراعات - كالسيارات واجهزة التلفزة والرحلات في الطائرات النفاثة والاغذية المثلجة المحفوظة ومياه البحر المقطرة الخ . . . - كأمر مسلم به . وهي ، اى تلك الاختراعات ، وان كانت في متناول فئة قليلة منذ خمسة عشر عاما او عشرين فقد كانت مستحيلة المنال لنا .

في ذلك الوقت . وانكم في عصر يأتينا بالجديد من المخترعات في كل يوم ، مضيفا انتصارات علمية جديدة الى جانب انتصاراته السابقة ، فضلا عما يمنحه لنا من تقدم مادي جديد . انه العصر الذي رأينا فيه المعرفة ووسائل المواصلات واساليب نقل الافكار ووسائل الاتصال بين الفرد والاخر والفكرة بالفكرة ، وقد وصلت جميعها الى حد بعيد من التطور لم تره الانسانية من قبل . انكم في عصر الذرة والهيدروجين ، في عصر السفر الى الفضاء ، بل في عصر الخيال الذي ينقلب الى حقيقة .

اما نحن الذين تخرجنا من احدى اكثر الجامعات تقنية علمية ، اى منذ ١٠ او خمسة عشر عاما ، ونحن الذين تخيلنا باننا نعرف كل شيء في ذلك الوقت اصبحنا الان نشعر بالتواضع حين نعود الى الوراء ونقارن ما اخذنا من مواضيع بالمواضيع التي تدرسها الان نفس تلك الجامعات ، بل اننا لنتملأ دهشة ونحن نسمع عن الاقمار الصناعية وعن معجزات الجراحة وعن الاعمال الهندسية الباهرة ، ونشعر بالتواضع بالنسبة لمعرفتنا الهندسية والعلمية والتقنية لانها تفوقت عليها خلال فترة قد لا تزيد عن العشر سنوات .

واذا قلنا بأنه ستتحقق خطوات تقدمية مذهلة في الهندسة في السنوات المقبلة ، فلن يحتاج قولنا الى برهان . ذلك ان الهندسة ، بجميع اساليبها ، والآلة العلمية ودينامية الجنس البشرى للسيطرة على العالم موجهة كلها لصالح التقدم والاختراعات والانتاج بالجملة . ان العالم ، واعني بذلك الكرة الارضية ، سيخضع شيئا فشيئا لتأثير العلم وتشريح المضغ الهندسي من كافة الوجوه : استصلاح اراضى للزراعة ، طرق مائية للمواصلات ، علاجات لتحسين الصحة ، بل امطار اصطناعية ومياه صالحة للرى . وقد نعيش لنرى مناخا ملطفا بدلا من التكييف الذي نراه حاليا ، بل قد تنظم رحلات فضائية للكواكب سنة ٢٠٠٠م . اما الانتاج بالجملة ، فسيطور حتى يستطيع انتاج بيوت بالجملة - لا اجهزة راديو وسيارات فحسب - حتى تفي تلك البيوت بحاجات مجموعات كبيرة من البشر الذين لا يجدون مأوى لائقا أو طعاما كافيا يسدون به رمقهم في وقتنا الحاضر . ان مصادر الغذاء ستستغل بصورة احسن لاطعام السكان المتزايدين . وسيحقق تقدم الطب معجزات بالنسبة لصحة الجنس البشرى . وان

افاق المستقبل زاخرة بالاعمال المعجزة في ميادين العلم والتكنولوجيا والهندسة . وقد يستطيع الانسان ، بالقدر الذي يطور فيه الآلة الذاتية الحركة (الاوتوميشن) تحرير اخيه الانسان روحيا وجسديا من رقة النظام الذي تفرضه رتابة الحياة اليومية لكسب العيش من المصنع ، ذلك النظام الذي يجعل من العامل مجرد آلة لا روح فيها .

ان مستقبل الهندسة مستقبل وضاء ، اذا قيس هذا المستقبل بالمعايير المادية وما سيتوفر فيه من رفاهية . وان هذا المستقبل يعدنا بتوفير الطعام للجائعين والدواء للمرضى . ان التكنولوجيا والهندسة يستطيعان ، عن طريق التعمق في مشاكل الانتاج بالجملة ، والآلة الذاتية الحركة (الاوتوميشن) وعن طريق انتاج مواد جديدة التركيب ، تحسين الغذاء بالنسبة للبشر ، واتاحة العلم وتسهيل المعالجة الطبية وتحسين المساكن .

يقوم برنامج معهد التكنولوجيا (ام . آى . تى .) في ما ساشوستس بالاعداد لما يقرب من اربعين موضوعا في الهندسة للتخصص ، وقد يصل هذا الرقم في المستقبل بسهولة الى مئة موضوع هذا ولن نستطيع تجاهل الحقيقة التالية : بأنه بالقدر الذي تتوسع ابحاث الهندسة وتتفرع مياديتها فسيجني التخصص في ميادينها ، نتيجة لذلك ، قوة دافعة وزخما نتوقع معه ظهور مئة شكل من التخصص الهندسي قبل نهاية هذا القرن .

على ان هذا التزايد في أشكال التخصص سلاح ذو حدين . فهو بالقدر الذي يحمل آمالا للبشرية فانه يحمل اخطارا ايضا لها كلما اتسع مجال الهندسة وعمق اتجاهها ، وكلما ازداد اعتماد الانسانية على التكنولوجيا وعلى الاختراعات الحديثة وعلى ما ينتجه المهندسون والعلماء وكلما تزايد الخطر على المجتمع في أن يصبح مجتمعا آلي التنسيق تكنولوجيا ، بعيدا عن النواحي الانسانية الاصلية في الحياة . وستصبح جماعة المهندسين والعلماء والفنيين طبقة قائمة بذاتها تستطيع املاء رغباتها ونزواتها على المجتمع . اما الخطر من الناحية الفلسفية فهو يكمن في دكتاتورية الطبقة الفنية على المجتمع ، حيث يصبح الفرد كحجر الشطرنج او كخرس في عجلة كبيرة ، حيث يعجز عن البحث عن الحقيقة والقيم . ان تحكم « المناخ الآلي » يشتد وتعمق جذوره يوما بعد يوم حتى ولو اصبح ما يقدمه لنا من رفاهية وراحة اكثر قبولا لدينا ان تحكمه يشتد علينا حتى ولو كنا اكثر ادمانا عليه ولا نستطيع الاستغناء عنه .

وسيتضح لكم ايها التلاميذ ، بشكل اكثر جلاء ، وانتم تتابعون دراساتكم الجامعية ، مدى تأثير الهندسة والعلم على حياتنا اكثر ما نشعرون به حينما تكونون بعيدين عن الموضوع ، ذلك لان شرح اصرار الطبيعة والمادة وقوانينهما لا يجرى الى ابعد مداه الا في اروقة الجامعات ومختبراتها . ومن المحتمل أن تثبط عزائمكم وتحسون بضآلتكم حين تشرعون في التعمق في ميادين العلم والهندسة التي تتسع يوما بعد يوم .

انكم سترون العقول الالكترونية وتستعملونها ، وسترون كذلك الافران الذرية وكيفية استعمالها والافادة منها ، وسترون وتسمعون الصواريخ وهي تطلق في الفضاء الخارجى ، بل سترفعون يد الهاتف وتكلمون الى ذويكم فى ابعد بقعة من الارض خلال دقائق ، وستناولون طعام الافطار فى نيويورك والعشاء مع اقاربكم فى بلدكم . بل ومن المرجح انكم ستعيشون فى بيوت بلغت القمة فى عصريتها بحيث تستطيعون تكييف حرارتها فى اى مكان وستكون المواد سهلة التناول والتملك بالنسبة اليكم ومتوفرة بشكل يسبب احراجا لكم عند الاختيار . تلك هي المنجزات الموعودة للهندسة والعلم والتكنولوجيا ، وانكم على الأرجح ، ستأقلمون وتتكيفون اكثر فأكثر مع مغريات الآلة وسحرها ونعمها . على انكم ستواجهون ايضا اخطار هذه الآلة وما قد تجره عليكم من نقمة حين تكتشفون أن مجتمعنا تدهورت انسانيته فى سبيله الى الظهور ، ذلك لان الآلة ، بقدر ما تقدم لنا من تسهيلات مادية بحيث تنهنا راحة جسدية ، فانها تضغط بشدة على ارواحنا . اجل انكم ستجدون مهندسين يرون فى العقل الالكترونى الها لهم ، وستجدون علماء مأخوذى بالفراسة ، او مأخوذى بالفاز السام ، او ستجدون علماء رياضيين يحلمون بالمعادلات والرموز الاغريقية . وسترون اناسا كثيرين فى غاية الذهول والانهماك والقلق ، بحيث لن يجدوا وقتا ، ولو قليلا ، للتعرف عليكم او الاهتمام بمشاكلكم ولن يكون هناك اهتمام فى وحدة المجتمع او الانسانية او الطبيعة فى قيمها الجمالية . اما الفلسفات فستصبح مسائل تجريدية يتكلم عنها المرء دون ان يعانيتها او يجربها .

وقد تصد مكم الحقيقة حين تسافرون من معهدكم العلمى الى ضواحي المدينة حين لا تجدون وانتم تنشدون التعاطف الانسانى سوى السرعة والاندفاع والرتابة والضخامة والتجديد والقوة المتزايدة وستعيشون حياة مجهولة ضائعة فى وسط مدينة مزدحمة بالسكان . وعندما تذهبون للحلاقة ستسمعون حلاقكم يحدثكم عن الطقس او عن آخر اخبار الكونجو حين يقول لكم : مرحبا ، او كيف حالكم ستجدونه يقولها بتردد كبير وآلية لا روح فيها . ولن تجدوا حين تذهبون للسينما او الى احدى المباريات الجماعية سوى مكبرات الصوت والجماهيم والانوار المتذبذبة واللوحات الآلية لتسجيل الاهداف فى المباريات وكلها تغرى على الدخول . وحين تخلو لنفسك بين هذه الجموع قد تفريك الدهشة فتقول « عملا وصحبا لا نهاية لهما » .

وقد تعود فى تفكيرك الى ذلك المقهى الصغير الذى كنت تجلس فيه ، او الى قريتك ، او الى مدرستك حين كانت اقل المسائل شأنا تشير انتباهك . وهنا تبدأ التأوه او التحسر بل قد تنتهي الى البكاء . وتتساءل قائلا : اهل انتصرت الآلة والهندسة على روح الانسان واصبحت الوسائل غايات ؟

حذار اذن من ان يقع ذلك معك بل حذار ان تسمح له ان يقع .
 فاذا انت نظرت الى اسرار الطبيعة وعجائبها وجمالها من خلال الهندسة
 فلن تفعل ذلك كما اظن . انظر الى تناسق وجمال المادة . انظر بالمجهر
 الى الخصائص الفاضلة للمواد وسلوكها والى تركيب الذرة الى العالم
 العضوى . انظر الى تعدد الاشكال والالوان وانظر الى تركيب البلورات
 او الى تباين اشكال الاراضى والبحار والسماء . انظر الى الضياء والظلام
 والظل والخيال والقديم والحديث وانظر الى البحر واليابسة والى السماء
 والغيوم . او تعال وانظر الى نظام الاشياء المتكامل فيكون يتناهى فى حجمه
 الى اصغر حد اولا يتناهى فى كبره او اتساعه انظر الى الابعاد الجمالية
 الموجودة فى جسر او فى طريق موصلات عمومية او ناطحة سحاب او انظر
 الى نسيج المواد وتركيبها ، ثم انظر الى الاشكال الطبيعية كيف تستمد
 اشكالها من وظيفتها . او انظر الى الطبيعة وتناسقها حين تكونان قمة
 الجمال .

والق بعد ذلك نظرة تحليلية على المجتمع ، وما فيه من فوضى وعسف
 وجور او ما فيه من تبذير واسراف او تقيضيها من فقر وبؤس ، ثم ما يقع
 فيه من خسائر وحروب معلنة وغير معلنة ، وتأكد من امرين : ان الطبيعة
 خلقت نظاما وجمالا واقتصادا . اما الانسان فقد خلق فوضى وقبحا وتبذيرا
 وكلما تمعنت ودرست فستجني المتعة من الجمال الكامن فى الطبيعة الذى
 يعبر عنه العلم والهندسة ، وستنصت الى السمفونيات الصامتة المتتابة
 حتى حين تسمع او تقرأ مؤلفات الانسان وانشاءاته وبعد ذلك سيتحقق
 امامك ذلك « الخفي » بصورة اجلى وهو الذى كرس الفلاسفة حياتهم من
 اجله لكي يجدوا الوسيلة لرؤيته والتعبير عنه . وبعد الا تحب ان ترى
 مجتمعك وحدة من الجمال والتنسيق وقد انعكس فى افاق الهندسة
 الربحية ؟

انك لا شك ترغب وانت لذلك تريد ان تضع مجتمعك الذى تعيش
 فيه ضمن انموذج او اطار ينسجم عن طريق الهندسة والعلم مع صورة
 التناسق لدى الطبيعة ومع موادها واشكالها وقوانينها . انت اذن ستكون
 مدفوعا عندها لتحقيق رغبتك فى ان تصبح مهندسا : اجل ، مهندسا ذا
 ذوق وحساسية ، وقد تكون مهندسا معماريا او مدنيا ولكن لتكن ايضا
 فيلسوفا ثاقب النظر ، ولتكن عضوا فى مجتمع ترد اليه بعضا من دينه
 ودين الطبيعة عليك بدلا من ان تكون عالة عليه وعلى الطبيعة .

الخاتمة

بين بناء المواطنين وبناء المدن

قل من الناس من يدرك ان تخطيط المدن ليس مجرد الترتيب المادي للاشياء والموضوعات على الارض المادية . ان تخطيط المدن في الواقع ينطوي على اعتبارات ابعد مدى واكثر اهمية من مجرد الترتيب الوسيم للابنية والشوارع ، فهو بالاضافة الى كونه موضوعا ماديا ، وعلما ، وفنا ، ومجهودا يتطلب معرفة وذوقا ، فانه ، ايضا ، موضوع فلسفي ، ومجهود ذو معان ومغاز اجتماعية وجمالية عميقة .

في تاريخ الانسان صور وصور من انماط المدن واشكالها . الا ان بعضها كان رخيصا ووضيعا وحقيرا ، بينما كان بعضها الآخر رفيعا ونبيلًا ومرموقا - فكان بعضها ، لذلك ، يدعو للكآبة والتشاؤم ، بينما كان بعضها الآخر يدعو للتفاؤل والالهام .

حينما يتراكم الناس كالسردين في مدينة ، وتعم القذارة والقبح وما اليهما من استغلال وفوضى شخصية تلك المدينة ، وشكلها وطابعها ، فعندئذ ينحط الانسان ، في تلك البقعة السكنية المعينة ، الى مستوى الحيوان ، وحينما يدفع حب المادة والولوغ في الطمع والكسب ، طابع البناء في المدينة ، فيصعب على نفس الانسان وروحه ان تسموا الى المستويات والقيم الارفع التي يرنو لها المجتمع الانساني ويتطلبها .

ان تخطيط المدن ، في اكثر من معنى ، هو المقياس الصحيح ، او قل هو محك الاهمية التي يعلقها الانسان على نوازع النفس والروح ، الفلسفية والجمالية .

وعلى ضوء ما تقدم ، يتضح ان تخطيط المدن على اعتباره في الاصل مجهودا يبذل لتصميم الشوارع والقسائم ومقاطع المرور ، انما هو جزء جد ضئيل وجد تافه ازاء النواحي الفلسفية والجمالية والروحية الاكثر اهمية في تشكيل المدينة .

ان المدينة في الاساس ينبغي ان تكون المكان المناسب لاجتماع الكائنات الانسانية . فاذا كان كيان المدينة العام ومفهومها موجهين بحيث يعملان على تعزيز شتى انماط المجتمع الانساني ، والسمو بها وتشجيعها ، فتعتبر

تلك المدينة اذ ذاك مؤدية لغرضها . اما اذا كانت المدينة مجرد محلة عرضية او طارئة ، لاستخدام الانسان من قبل الانسان ، او لجعل الانسان مخلبا لاستغلال الانسان ، فعندئذ تغدو نواحي هذه المدينة ، السوداء والصفراء ممثلة في تلك المحيطات من الاكواخ القذرة والمناطق السكنية المتأخرة ، ان لم تكن المنحطة - هي النتيجة . واذ ذاك الا يكون الموت ارحم وانبل من حياة يعيشها ٩٠ في المئة من الجنس البشري في البيئات الرديئة من الاكواخ ، البلدية والريفية ، في عصر الذرة ؟ او ليس الموت ارحم من مجموعة الماسي الانسانية التي تضمها مناطق كبيرة من عدة مدن في العالم ؟

ان تخطيط المدن ، قبل كل شيء ، عبارة عن مجهود وهدف اجتماعيين وفلسفيين وروحيين . افليس من المتناقض ان تملك مدينة الشوارع العريضة المشجرة والعمارات الفخمة ، ولا تملك الا القليل من الخدمات الانسانية ومواقف السيارات والمماشي المخصصة للانسان ، بينما هي مملوءة بالاكواخ القذرة ؟

اجل ! ان تخطيط المدن بمعناه العريض ، العميق ، الشامل ، هو مجال يختلف كلية عن موضوع هندسة المدينة او ما اليه . اننا لانفتقر لمهندسي مدن ، ومهندسي مرور او حتى مهندسين معماريين ، ولكن في هذه الفترة الاجتماعية الحاضرة ، فان جميع اعمال هؤلاء الاخصائيين الهندسية والمعمارية ، الفخمة ليست الا نقط ترقيم في مأساة ضخمة ، اذا ما فقدت المقومات الاجتماعية والفلسفية والروحية والمدنية لمفهوم المدينة ، او افتقر لها ، او كانت جزئية او عرضية .

لاحظ الفيلسوف الاغريقي سيمونيدس فيما مضى « ان المدينة تعلم الانسان » . وقال الفيلسوف المعاصر ممفورد ما مفاده « ان المدنية تصنع العقل ، والعقل يصنع المدينة » ان ثمة علاقة متبادلة بين الانسان وعقله من جهة ، وبين المدينة التي يصنعها من جهة اخرى .

ان باستطاعتنا ان نبني مدنا غير محببة ، غير اجتماعية ، بشعة ، لا روح فيها . وباستطاعتنا ان نبني مدنا تغدو مساح وحلقات لاجتماعية الانسان ، مطارح حقيقية لنشاطه .

ان المدن يمكن ان تكون سجونا تستعبد النفس والروح ، كما يمكن ان تكون مجالات لتعزيز خصائص الانسان ، مجالات تجعل منه مخلوقا سعيدا صحيح الجسم تعاونيا وذا عقلية مدنية .

ان هذا كله يعتمد على الاعتبارات التي يعلقها الانسان على الانسان كفرد وكعضو في مجتمع او طائفة . فاذا اراد الانسان ان يقصر خصائص الانسان السامية على الادوار الثانوية في بناء المدينة ، فعندئذ تغطي العناصر غير الاجتماعية في المرء على الانسان ، الانسان الانساني ، المخلوق الانساني - وتغمسه تحت امواج الانانية والشهوة والاستغلال .

فمن المهم لذلك ، في تخطيط المدن ، ان تدخل فيه العناصر المدنية والانسانية والاخلاقية كعوامل حاسمة في مفهوم المدينة ، حتى تترك أثرها على شكل المدينة وكيانها وتصميمها .

وبدون هذه الاعتبارات الفلسفية والجمالية والمدنية يغدو مفهوم المدينة المادى ناقص الابعاد ، واشد ابعاده نقصا هو ذاك الذي يجعل من سكان المدينة مواطنين صالحين .

ان مدينة رديئة التخطيط ، رديئة البناء ، فقيرة الادارة ، مهما تكن قشورها الحضرية براقه ورياشها فخيمة ، لفاشلة في بناء « المواطن الصالح » او ليس بناء المواطن الصالح ، الفخور المزدهي ، هو الهدف النهائي ؟ وهو الهدف الاهم كثيرا من تشييد المدن ؟

